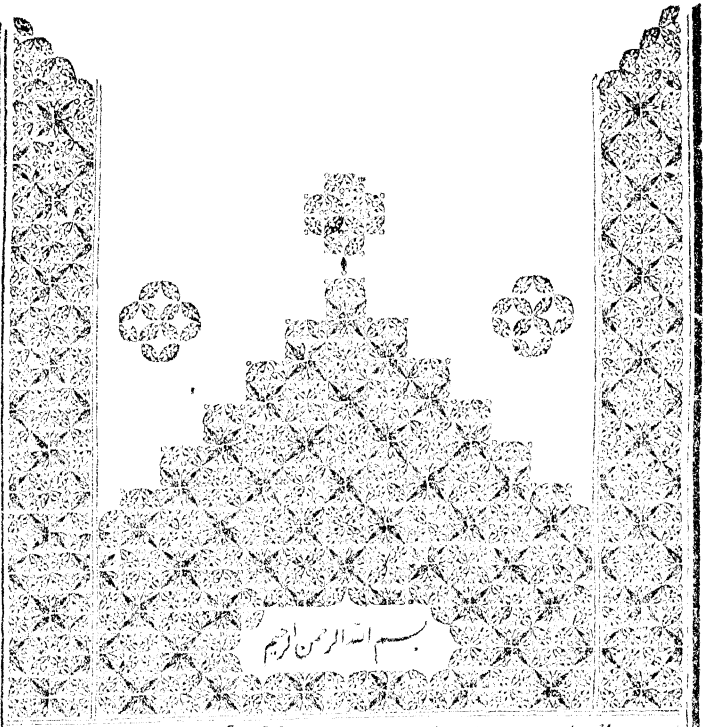
UNIVERSAL
LIBRARY
OU_232463
UNIVERSAL
LIBRARY

شرح الامام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي على متن
الهمزية في مدح خير البرية للشيخ الامام شرف
الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد
البوصيري نفعنا الله
ببركتهما
آمين

وبهامشه حاشية لشيخ الاسلام ملك العلماء الاعلام العارف بالله تعالى
سيدي محمد الحفني قدس الله برضوانه ورحمته ونفعنا والمسلمين ببركته



الحمد لله الذى اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء وأعجز البلغاء
عن التفوه بمثل اقصر سورة من سوره بل آية من آياته وبجوامع الكلم وبدائع الحكم
وعظيم الخلق فى سائر اقواله وافعاله وسلاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات له بهرت
العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيره وآياته وبخصوصيات قطعت
الخلائق عن ان يصلوا الى شأو علاه وكمال شرفه وشرف كماله وبامة قطع علمها بدر
وجوده فى أفق سعوده وفاض عليها فائض جوده فى عالم شهوده فآثارها من اخلاقها
وعقولها وكل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها وبراض
ما استصعب من ابائها واعاض ما اشرأب من نوائها ما صارت به خير الامم والعدول
والشهود على من عليهم تقدم بنص القرآن وقطعى البرهان القاصم لظهور المعاند
وترهاته واوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه ذكر ما قبله وما آثره وبيان أوصافه
السنية واحواله العلية وخصائصه ومعجزاته ولذلك ذهب الناس فى هذه الفنون كل
مذهب واظهروا تنظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب فحياهم بلطفه واسعافه
وامدادانه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها فى سلك أهل عنايانه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال قرة عيون اعيان العارفين
وغرة جباه وجوه وجوه العارفين
ملاذ انس الى جنابه التجا وملاذ
كل ملهوف منقطع الرجا من
اعوارف المعارف حاوى الواصل
الكامل سيدى محمد الحفناوى
متع الله بوجوده الوجود واظلهم
فى ظل امداده الممدود * بسم الله
الرحمن الرحيم * الحمد لله الذى جعل
احبابه ادلاء على سبيل الهداية
وامدهم بلوامع الانوار وسواطع
الاسرار فى البداية والنهاية
وصلاة وسلاما على صاحب الرتب
العلية وعلى آله وأصحابه كنوز
المعارف الالهية (وبعد) فيقول
فقير المغنى عبد مولاه محمد الغنى
هذه حواش تتوف نفائس الدرر
على شرح الهمزية للعلامة
الشهاب بن حجر حباه بها الكريم
الوهاب ايام قرائى المتن ومطالعتى
عليه هذا الكتاب ضاعف الله لى
وله فيهما الاجور انه جواد كريم
غفور (قوله اختص) يستعمل
لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا
فاختص والاختصاص كناية عن
التمييز أى ميز نبينا بكذا (قوله
بكتاب) الباء داخلة على المقصور
فصيح ونقل عن السيد أن
لها على المقصور وعليه هو
س الاكثر كما اختص السواد بزيد وقد اطال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء عند الكلام على خطبته فى هذا وأشهد
فراجعه ان شئت (قوله ما اشرأب) قال فى الصحاح اشرأب للشئ اشرئبابا مد عنقه لينظر (قوله وترهاته) الترهات الاباطيل
ق الصغار غير الجادة تشعب عنها الواحدة ترهة وهو فارسى معرب استعير فى الباطل (قوله وما آثره) جمع مأثرة =

وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المخبوء منه بخوارق هباته والمفوض اليه امداد الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بعالي القرب وبيناته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه حماة الدين القويم عن ربقة كل زائغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه وأهل طاعاته ﴿ وبعد ﴾ فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد أن كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى وان احواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق وان حظه من الكمال فضلا عن غيرهم اعظم الحظوظ وانه لا يقوم بعض ذلك الامن بذل وسعه في اجلاله وتوقير اعظامه واستجلاء مناقبه وما ثره وحكمه واحكامه وان المادحين بجنابه العلي والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا الا الى قليل من كل لاحد لنهايته وغيض من فيض لا وصول الى غايته ومن ثم كان ابلغ بيت هذا المطلع الآتي كما يعلم مما يأتي فيه وفي بردة المديح

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم
ثم يليه دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
ثم يليه فبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم
فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما يتعين من ذلك كيف وآي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وقد قيل

ماذا عسى الشعراء اليوم قد حه * من بعد ما مدحت حم تنزيل

فلم من ذلك انه لو بالغ الاولون والآخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان الملم باساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض ثغرها ولقد صح لحبيبه ان ينشد وافيه

وعلى نفسي واصفيه بوصفه * يثني الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحقيق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة * ولو حذقوا الا الذي فيه أفضل

ولابن خطيب الاندلسي

مدحتك آيات الكتاب فاعيى * يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وقد رؤي العارف المحقق السراج بن الفارض السعدي رضي الله عنه في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم أي بالتصريح والا فنظمه في الحقيقة اما في الحضرة

= بفتح الثاء وضمها أي مكرمة لانم المؤثر أي تذكر (قوله وتحريفاته) أي تغييراته اذ التحريف التغيير (قوله وغيض من فيض) أي قليل من كثير قال في المختار في فصل الغين المعجمة غاض الماء قل ومنه وما تغيض الارحام أي ما ينقص وقال في فصل الفاء وفاض الماء أي كثر (قوله حذقوا) بابه ضرب حذقا وحذاقا بكسرا وله ما وحذاقة وحذق بالكسر ايضا لغة فيه أي مهروا كذا في المختار (قوله قصار) أي غاية (قوله أي بالتصريح الخ) هذا الا يلائم جوابه بقوله أي كل مدح الخ اذ المدح بالتلويح كالمدح بالتصريح مقصر فتأمل

(قوله وكل غلو) أى مجاوزة حد (قوله النطاق) قال فى الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل يجر على الارض وليس له حجزة ولا يتفق ولا يساقان والجمع نطق (قوله الهمام) هو الذى اذا هم بالشئ أمضاه (قوله دلاص) بفتح الدال المهملة ٤ وآخره صاد مهملة أيضا كورة بسعيد مصر من الجانب الغربى وبوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء بلدة بسعيد مصر كذا قيدها فى اللباب كامله والمراصد وقد اشتهر على ألسنة العامة أبوصير بلفظ الكنية اسم للبلد ويقولون الابوصيرى ولا وجه لذلك كذا نقل من خط العجمى (قوله اليعمرى) بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بنى ليث (قوله فاعطيته اياها) الذى رأيته فى كلام غيره فانشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها وقد يقال طلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فاعطاها له (قوله اشتد رمده) الذى رأيته فى كلام غيره ان الذى اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد أن انشدتها للصالح ودعنى وانصرف ثم بعد أيام استدعانى الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال انشدنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فانشدته اياها فسر بها واكتبتها له بيدى فلم تزل عنده متبركا بها يقرؤها فى المهمات حتى مات فاستمرت وباشر عند ولده فخر الدين ثم حصل رمد لسعد الدين الفارقى تابع فخر الدين أشرف منه على العمى فرأى فى منامه من يقول له اما النبى أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدى فخر الدين وأخبره فاخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذى اصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة =

الالهية أوفيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

ارى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه فاكثرا
اذا الله اثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورى

وقال البدر الزركشى ولهذا المعنى احتاط فحول الشعراء المتقدمين كالنابغة والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى نعته تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قلا من كثر هذا وان من ابلغ ما مدح به النبى صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من ثمالة من الوزن الفائق المنيع واجمع ما حوته قصيدة من ما ثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ما أشارت اليه منظومة من بدائع كمالاته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل الهمام المتقن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى كان أحد ابويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بادايه غلبت عليه ولد سنة ثمان وسبعمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمرى أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفى سنة ست أو سبع وتسعين وسبعمائة على ما قاله المقريزى لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه توفى سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى فى النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التى تسببت نظمها عن وقوع فالج به اعيا الاطباء ففكر فى اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فانشأها فرآه صاحبه الكريمة عليه فعوفى لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقرأ عليه شيأ منها فتفل فى عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك شرفا وتقدم كيف وقد ازدادت شهرتها الى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانى صناعة الكتابة على الحايات

= بان حصل رمد لناظمها فشفي بما ذكره الشارح وحصل لسعد الدين فشفي بوضعها فلا منافاة ولا معارضة (قوله المرسي) نسبة لمرسية بضم الميم مدينة بالغرب واما مرسة بفتح الميم فقرية بقرب المدينة المنورة كما في ع ش (قوله من قصيدته) بان لما من قوله ما صاغه صوغ التبر (قوله الجزلة) اللفظ الجزل خلاف الركيك كما في الصحاح وقال السفوسي في شرح كبراه الجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة الحروف وتناسب مخارجها (قوله اذ لم ○ ينسج أحد الخ) بضم السين وكسرها مضارع نسج اذا ضم اللحمة الى السدى على وجه يستحكم به تداخلهما وتشبيه التصنيف بالثوب الرفيع في بديع صنعته وتفرده بحسن اسلوبه استعارة بالكناية واثبات المنوال له استعارة تخييلية والنسج ترشيح ويحتمل أن يكون المعنى مصنف على طريقته اي نسجا عليها فتكون استعارة في هذه الاجزاء تحقيقية لكنها تبعية في الاول والثاني اصلية في الثالث قال في الصحاح المنوال الخشب الذي يلف عليه الحائك الثوب وهو النول أيضا وجمعه انوال ويقال للقوم اذا استوت اخلاقهم هم على منوال واحد اي نسق واحد (قوله فقاته الشغب) في المختار الشغب حدة في الاسنان وقيل برد وعذوبة واهراقة شنباء بينة الشنب انتهى والمراد هنا فقاته الامر المحبوب المستلذ المقبول الذي يميل اليه نفوس البلغاء (قوله اطلاوة نظمها) الطلاوة مثلثة الحسن والبهجة والقبول قاموس (قوله ودستور) قال في شرح المطالع الدستور بضم الدال فارسي معرب معناه في الاصل الدفتر الذي جمع فيه قوانين الملك وضوابطه وفي مفتاح العلوم الدستور نسبة الجماعة المنقولة من السوادثم سمي به الوزير الكبير الذي يرجع الى مايرسمه في احوال الناس لكونه صاحب هذا الدفتر ومتصرفا فيه انتهى (قوله تأنيقها) أي تحسينها قال في المصباح أنق الشئ من باب تعب ثم قال وتأنق في عمله احكمه وقال في شيد الشيد بالكسر الجص وشدت البيت اشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى ع ش

وبشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات المعارف متقابله ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ مالم يصل اليه أحد من اقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني البديعة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهان القيراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتبحره من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والادبية لاسيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتميز حلوه من مره ومنهاته من بدايته أراد ان يحاكيها ففاته الشغب وانقطعت به الحبل عن ان يبلغ من معارضتها ادنى أرب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها وبراعة صنعها واستلزامها الخافقين بانوار جمالها وادحاض دعاوى اهل الكابين ببراهين جلالها فهي دون نظائرها الآخذة بازمة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن ان تشرئب الى محاكاة تلك المحكمات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كاد تمثال عروض على أخرى وضرب على آخر ومن حيث فن القوافي كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه قبل سبعة أبيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف الروي والاقواء وهو اختلاف حركته ولكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات الالباب مع الاخضرار ويظهر مخبآت اسرارها ظاهرة والشمس في رابعة النهار ويفتح مقفلات معمياتها اعماقد يوجب القصور والعثار وينبه على نفائس فرائدها وينوه بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها وبدائع تأنيقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى في شرح كذلك وان كنت لست هنالك راجيا ان اندرج به في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق بسببه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا ما أرومي اليه وسائلا

(قوله وكل غلو) أى مجاوزة حد (قوله النطاق) قال فى الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر على الارض وليس له حجزة ولا نيفق ولا ساقات والجمع نطق (قوله الهمام) هو الذى اذا هم بالشئ أمضاه (قوله دلاص) بفتح الدال المهملة ٤ وآخره صاد مهملة أيضا كورة بسعيد مصر من الجانب الغربى وبوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء بلدة بسعيد مصر كذا قيدها فى اللباب كاصله والمراصد وقد اشتهر على ألسنة العامة أبوصير بلفظ الكنية اسم للبلد ويقولون الابوصيرى ولا وجه لذلك كذا نقل من خط العجمى (قوله اليعمرى) بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بنى ليث (قوله فاعطته اياها) الذى رأيته فى كلام غيره فانشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها وقد يقال طلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فاعطاها له (قوله اشتد رمده) الذى رأيته فى كلام غيره ان الذى اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد أن انشدتها للصالح ودعنى وانصرف ثم بعد أيام استدعانى الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال انشدنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فانشدته اياها فسر بها وكتبتها له بيدى فلم تزل عنده معتبرا كتابها يقرؤها فى المهمات حتى مات فاستقرت وباشر عند ولده فخر الدين ثم حمل رمد لسعد الدين الفارقى تابع فخر الدين أشرف منه على العمى فرأى فى منامه من يقول له اما النبى أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدى فخر الدين وأخبره فاخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذى اصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة =

الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

ارى كل مدح فى النبى منتصرا * وان بالغ المثنى عليه فاكثرا
اذا الله اثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورى

وقال البدر الزركشى ولهذا احتاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا القليل من كثير هذا وان من ابلغ ما مدح به النبى صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع واجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ما أثارت المسه منظومة من بدائع كلاله ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل العلامة المفنن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى كان أحد ابويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصرى ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بلدا به فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمرى أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفى سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزى لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه توفى سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى فى النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التى تسببت نظمها عن وقوع فالج به اعيا الاطباء فتفكر فى اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فانشأها فرآه مجاهدا يده الكريمة عليه فعوفى لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها وقيل انه انشد رمده بعد نظمها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقرأ عليه شيأ منها فنفل فى عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك لشرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانى صناعة الكتابة على الحايات

= بان حصل رمد لناظمها فشفي بما ذكره الشارح وحصل لسعد الدين فشفي بوضعها فلا منافاة ولا معارضة (قوله المرسى) نسبة لمرسية بضم الميم مدينة بالغرب واما مرسة بفتح الميم فقرية بقرب المدينة المنورة كما في ع ش (قوله من قصيدته) بيان لما من قوله ما صاغه صوغ التبر (قوله الجزلة) اللفظ الجزل خلاف الركيك كما في الصحاح وقال السفوري في شرح كبراه الجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة الحروف وتناسب مخارجها (قوله اذ لم ○ ينسج أحد الخ) بضم السين وكسرها مضارع نسج اذا ضم اللحمة الى السدى على وجه يستحكم به تداخلهما وتشبيه التصنيف بالثوب الرفيع في بديع صنعته وتفرده بحسن اسلوبه استعارة بالكناية واثبات المنوال له استعارة تخييلية والقرينة ش ويحتمل أن يكون المعنى و مصنف على طريقته التي نسجا عليها فتكون استعارة في هذه الاجزاء تحقيقية لكنها تبعية في الاول والثاني اصلية في الثالث قال في الصحاح المنوال الخشب الذي يلف عليه الحائك الثوب وهو النول أيضا وجمعه انوال ويقال للقوم اذا استوت اخلاقهم هم على منوال واحد أي نسق واحد (قوله فشفاه الشئب) في المختار الشئب حدة في الاسنان وقيل برد وعذوبة واحر أشنباه بينة الشئب انتهى والمراد هنا فتح الامر المحبوب المستلذ المقبول الذي تميل اليه نفوس البلغاء (قوله اطلاوة نظمها) الطلاوة مثلثة الحسن والبهجة والقبول قاموس (قوله ودستور) قال في شرح المطالع الدستور بضم الدال فارسي معرب معناه في الاصل الدفتر الذي جمع فيه قوانين الملك وضوابطه وفي مفتاح العلوم الدستور نسبة الجماعة المنقولة من السواد ثم سمي به الوزير الكبير الذي يرجع الى مايرسمه في احوال الناس لكونه صاحب هذا الدفتر ومتصرفا فيه انتهى (قوله تأنيقها) أي تحسينها قال في المصباح أنق الشئ من باب تعب ثم قال وتأنق في عمله احكمه وقال في شيد الشيد بالكسر الجص وشدت البيت اشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى ع ش

وبشر بليس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل اليه أحد من اقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة المذهبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني الفذة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج أحد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهان الفراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتقلعه من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والادبية لا سيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته من بدايته أراد ان يحاكيها فقاءه الشئب وانقطعت به الحبل عن ان يبلغ من معارضتها ادنى أرب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها وبراعة صنعها وامتلاء الخافقين بانوار جمالها واحاطة دعاوى اهل الكمال ببراهين جلالها فهي دون نظائرها الآخذة قارة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن ان تشرئب الى محاكاة تلك المحكيات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كاد خال عروض على أخرى وضرب على آخر ومن حيث فن القوافي كالايطاء وهو تكرير اللفظ القافية بمعناه قبل سبعة أبيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف الروي والاقواء وهو اختلاف حركته ولكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات الالباب مع الاختصار ويظهر محجبات اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار ويقع متقلات معمياتها اعماقديوجب القصور والعثار ويقيمه على نفائس فرائدها ويزينه بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها ويدائع تأنيقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى في شرح كذلك وان كنت لست هنالك راجيا ان اندرج به في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق بسببه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا سائر اموري اليه وسائلا

(قوله أفضل القرى) بكسر القاف قال في المصباح قريت الضيف اقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (قوله لقراء) بكسر اللام وضم القاف وتشديد الراء جمع قارئ (قوله لشارحها) قد شرحها شرحين صغيرا وكبيرا

منه بدائع الطافه وتتابع اضافه وتيسير هذا المطلب ونجاح هذا الأرب انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم *(وسميته)* المنح المكية في شرح الهمزية ثم بلغني ان الناظم سماها أم القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها استوت بطريق التصريع والايماء على مافي أكثر المدائح النبوية وحينئذ سميته أفضل القرى لقراء أم القرى وقد بين شارحها الامام المحقق في العلوم الآلية والشرعية الشمس الجوجري شيخ مشايخنا رحمه الله تعالى ولا أعلم شارحها غيره رحمه الله تعالى وشكر سعيه بحرها وعرضها وضريحها وقافيتها ومايدخلها من العلل والزحاف بما أطال فيه لكنه ليس له كبير جدوى هنالان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد التذكير ومن لا يعرفه يستوى عنده ذكر ذلك وحذفه لليسر منه والكثير وخلاصة شئ منه انهم امن بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء سباعية الحروف فاعلاتن مستفع ان فاعلاتن مرتين وقد يدخله الطي في مستفع لن فيصير متفع لن فينقل الى مفاع لن لانه أخف بل وفي جميع اجزائه فيحذف ثانى كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض أو الكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث بان تقتصر من الوتد فيسير فعو ولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفة ووقع في كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان أجرى مجرى العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس ههنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التي هي الروي والقافية قبل هي آخر كلمة من البيت والاصح انها من آخر حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الآتي على الاول انظ سماء وعلى الاصح من الميم منه وستري كثرة مارعاه الناظم من أنواع البديع لاسيما الاقتباس القرآني لكن فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة المحقق منه انه يجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء فاطبة في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم بالمنصوص والمنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث له والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا في كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه يرده استعمال مالك رضي الله تعالى عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر والقاضي عياض وقد نقل الشيخ داود المناخلي اتفاق المالكية والشافعية على جوازه وفي شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين ان يزاد على لفظ القرآن أو ينقص منه أو يغير اعرابه وأن لا، قال السكاكي اعلم ان شأن الاعجاز عجيب لا يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطن السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال غيره لا تدرك معرفة الفصيح والافصح والرشيق

منه الناخرة وصفاته الباهرة ومعجزاته المتظاهرة وأكثر ذلك بينته الاحاديث كما بين الكتاب أيضا بعضها

(قوله الا بالذوق) هو قوة وجدانية يدرك بها دقائق الكلام ووجوه محاسنه الخفية فان كان سليما فذاك والا احتيج فى تحصيله الى خدمة هذين العلمين واذا تأيد السليق بقواعدهما كتسابية فهو الغاية القصوى فى ادراك اعجاز القرآن (قوله ولا يمكن الخ) وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة رقيقة الشفتين ٧ نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الانف معتدلة القامة والاخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها ولا يدرى سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام انتهى من الاتقان (قوله البداءة) سرد ان الناظم اتى بالبسملة أولا نظمه والظاهر انه اثبتها خطا فكان المناسب لهذا المحقق ان يكتبها بالاحمر قبل قوله كيف ترى فان جعل كلام الشارح على البداءة اللفظية دون الخطية بان ثبت عند التلفظ بها دون رقمها كان عدم كتابتها بالاحمر كما صنع هو المناسب انتهى (قوله فيما ليس كهذه القصيدة) كالقصائد المشتملة على هجو محرم أو تشبيب بمعين من امرد او امرأة اجنبية (قوله براعة المطلع) أى المطلع البارع الفائق على غيره قال فى المختار برع الرجل فاق على أصحابه فى العلم وغيره فهو بارع وبابه خضع وظرف انتهى (قوله ورقة التشبيب) هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل وذلك يكون فى ابتداء قصائد الشعر فسمى ابتداء كل أمر تشبيبا وان لم يكن فى ذكر الشباب انتهى مطول ونقل عن ع ش ان التشبيب التحسين قال فى المصباح شبب قصيدته حسنها وزينها بذكر الشباب (قوله وقد انتزعوا الخ) يفيد ان براعة الاستهلال أخص من براعة المطلع حيث ذكر فى بيان حقيقتها زيادة عن بيان حقيقة براعة المطلع كون مبدأ الافتتاح دالا على مابنى النظم والنثر عليه فتأمل (قوله كقول أبى تمام) هو نبى المعتصم بالله الملقب بسيف الدولة فى فتح عمورية وكان اهل التنجيم قد زعموا انهم لا تفتح فى ذلك الوقت انتهى مطول

والرشيق والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدليل عليه كالان التى أدوت فى الحاسن قد يكون أحلى منها فى العيون والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسائل وبالخطب وبالكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فاليه يرجع فى فضل بعض الكلام على بعض ولكون علم المعانى والبيان والبديع هو هذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته بالمعانى والبيان والبديع حادثة من المتأخرين كما أشار الى ذلك الكمال ابن الانبارى والعسكرى وغيرهما وقد حصلت لى رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة منها بل اعلاها الى أرويها عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المحققين المتأخرين أبى يحيى زكريا الانصارى الشافعى عن العز أبى محمد ابن الفرات عن العز أبى عمر بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن حجر عن الامام المجتهد السراج البلقينى والسراج بن الملقن والحافظ زين الدين العراقى عن العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله وأرويها أيضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطى عن جماعة منهم الشمنى بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله بن على الحنبلى كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم وقد راعى الناظم رحمه الله أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة للحديث الحسن والصحيح كل امر ذى بال أى حال يهتم به لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم أى مقطوع البركة ولا تنافيه رواية الحمد لله لان القصد البداءة بأى ذكر كان كما افادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة للبيان افضل الذكر لاغيرهما ثم ابتدئ القرآن بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على افضل العلوم والمعلومات فهى احق بالبداءة بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال فى النظم والنثر بان يكون مبدأ الافتتاح دالا على مابنى ذلك النظم او النثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول أبى تمام الطائى

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة جمع

(قوله فلله دره) قال فى المختار يقال من المدح لله دره أى عمله ولله دره من رجل ويقال من الذم لا درّ درّه اى لا كثر خيره واستعمال الدر فى الخير ونفيه فى الشر مجاز والحقيقة الدر اللبن وانما استعمل ماذكر فى المدح تعظيما ومعنى لله دره ان اللبن الذى نبت لحمه بسببه وتربى به لا يثبت لغيره تعالى لخروج كمال الممدوح به عن العادة فلم ينسب لغيره سبحانه (قوله كيف ترقى رقيك الانبياء) اعلم ان هذا الشطر كقوله لم يساووك الخ انما يفيد ان نفى المساواة بالاولى تنتفى شهادتهم عليه المصرح به فى قوله يا سماء ما الخ واما نفى مقاربتهم له فلم يستفد من كلامه هنا وقد صرح به فى قصيدته المسماة بالبردة حيث قال فاق النبيين فى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم * ولم يقاربوه فى صفة لكن قاصر على نفى المقاربة فى صفتى العلم والكرم مع انهم صلوات الله وسلامه عليهم وان بلغوا فى علو الشان ما بلغوا لا يقاربونه فى جميع صفات الكمال (قوله فى الاصل) الاولى حذفه لان الحكم المذكور ثابت لها فى الاصل والحال وقد ٨ يجاب بان مراده ان الاسمية والبناء على الفتح اصليان لا طارئان فيها

تأمل (قوله اسم) لدخول الجار عليها فى قولهم على كيف تبيع الاحرين أى اللحم والخبز فاذا قلت الاحمرة دخل فيه الخلوف وهو اللبن او الطعام المتغير طعمه كما فى القاموس ولا يدال الاسم الصريح منه نحو بكيف زيد أصحيح أم سقيم (قوله وترد للشرط) قال فى المغنى فتقتضى فعلين متفق اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو كيف تصنع اصنع ولا يجوز كيف تجلس اذهب باتفاق انتهى وبهذا تعلم رد قول الشارح وخرج الخ لعدم مماثلة جوابها لشرطها فى اللفظ والمعنى ولعل هذا هو وجه عزوه لغيره بالبناء للمفعول كالمتبرى منه لكن اذا لم تكن شرطية جريا على كلام المغنى فماذا تكون لانها لا تخرج عن الاستفهام والشرط وغير خاف عدم صحة استفهاميتها ولعل الظاهر وانما ان كلام المغنى جرى على الغالب فى استعمالها فيكون ما فى الآية من النادر فحرر لكن يعكر عليه قوله باتفاق الا ان يقال اتفاق الاكثر (قوله من ترقى) أى من فاعل ترقى (قوله يستفهم بها الخ) ومن ثم قال شارحها الدلجى السؤال ليس للاستفهام عن حال الرقى بل لانكار ذاته بانكار حاله بطريق الكناية لان حال الشئ تابع لذاته ولازم لها فهو من حيث كونه تابعا لها بمنزلة الخاصة المساوية لها فى وجودها وتنتفى بانتفائها فيكون امتناع ثبوتها مستتبعا لامتناع ثبوته ضرورة انتفاء التابع والعارض بانتفاء متبوعه ومعروضه واذا كان امتناع ثبوته تابعا لامتناع ثبوتها كان انكاره انكارا لها بطريق الكناية من حيث التبعية فكما يكنى باثبات التابع عن اثبات متبوعه يكنى بانكاره عن انكاره أى لا ترقى رقيك الانبياء

فيه ثلاث شروط وزيادة كما لا يخفى على متأمل لغرضه وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التى ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما بعده من المدح الى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه لمثله * (كيف) ثم فى الاصل اسم مبنى لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام على الفتح لخفته وعلى حركة لالتقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليها النحويون كيف يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه والاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيد او غيره كما هنا اذ هى للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفى كما مر مما يأتى وكما فى الآيتين الآتيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغنى نحو كيف أنت وحالا قبل ما يستغنى نحو كيف جاء زيد أى على اى حالة جاء ومنه ما هنا فى النظم اذ هى حال من ترقى أى على اى حالة ترقى رقيك الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى لا يكون ذلك ولا كان وعن سيبويه انها اظرف فوضعها نصب دائما وتقديرها فى او على أى حال وجوابها المطابق على خبير ونحوه وانكر ذلك الاخفش والسيرافى فوضعها عنده الاخفش والسيرافى رفع مع المبتدا نصب مع غيره وتقديرها فى نحو كيف زيد أصحيح زيد ونحو كيف جاء زيد أراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على أى حال لكونها اسؤ الا عن الاحوال العامة سميت ظرفا لانها فى تأويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما مجازا قال ابن هشام وهذا أحسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم بها عن حال الشئ لا عن ذاته قال الراغب

(قوله عما يصح الخ) أي وذلك صفات غير الله واما صفات الله فلا يقال فيها شبيه لان صفاته سبحانه كذاته وافعاله لا شبيه لها وحينئذ فلا يستفهم عنها بكيف تأمل ان كان هذا هو المراد فانظر ما المانع من ان يقال كيف صفات الله من جهة تعلقها وعدمه أي على أي حالة هي من هذه الجهة وجوابها حينئذ منها ما يتعلق ومنها ما لا يتعلق فحرر (قوله شبيه وغير شبيه) انظر المراد منه ثم رأيت عن مفردات الراغب بعد قوله شبيه وغير شبيه كالابيض والاسود والصحيح ٩ والسقيم (قوله كما في كيف تكفرون بالله) كيف في هذه الآية منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه أي في أي حال تكفرون وعلى الحال عند الاخفش أي على أي حال تكفرون والعامل فيها على القولين تكفرون وصاحب الحال الضمير في تكفرون وجاء تكفرون مضارعا لا ماضيا لان المنكر الدوام على الكفر والمضارع هو المشعر بذلك ولئلا يكون ذلك توبيخا لمن آمن بعد كفره انتهى من اعراب السمين (قوله وتوقيت) لم يظهر لي فأين التوقيت في المثال الذي ذكره (قوله بمكة) فيه ان الاسراء من مكة والرقي من المسجد الاقصى ففي العبارة تساهل (قوله صريف الاقلام) أي صوتها حال كتابتها (قوله من رقى بالفتح) كرمى يرمى وعكس ذلك على وعلا فعلى بالكسر يعلى بالفتح في المكارم علاء بفتح لعين والمد واما علا يعلو علوا ففي المحسوس كالجبل بمعنى صعد وعلا في الارض علوا تجبر وتكبر ولا يخفى ان اختلافهما مضارعا ومصدرا يخالف رقى ورقيا فان مضارعهما ومصدرهما

وانما يسئل بها عما يصح ان يقال فيه شبيه وغير شبيه والهمزة لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكل ما أخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله قوما كفروا وفسر الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سؤال تفويض لاطلاقه فكان الله في الآية الاولى فوض الامر اليهم في ان يجيبوا باي شئ أجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيف فانك تقول أجديك راكبا أم ماشيا فتوقت وتحصر ومعنى الاطلاق ما قاله صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم فيه الاحوال كلها والكفار حين صدوا والكفر عنهم لا بد ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله تعالى او جاهلين به فاذا قيل كيف تكفرون بالله افاد أفي حال العلم تكفرون بالله أم في حال الجهل هذا معنى التفويض في الآية (ترقى رقيك) الحسي فماضيه مكسور القاف من رقى السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم بيده يقظة بمكة ليلة الاسراء قبل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي من رقى بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى وخلق آخر اكمل واعظم وهكذا الى ما لا غاية له ففي كلامه استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عند نافي الاصول وعلى مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز (الانبياء) جمع نبي فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبإ بمعنى الخبر وقد لا يهمز تخفيفا وهو اخبر لانه مخبر او مخبر عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن الهمز بقوله لا تقولوا يا نبيء الله بالهمز بل تركوا يا نبي الله بلا همز لانه قد يريد بمعنى الطريد فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي الاسلام وتواترت به القراءة نسخ النهي عنه لزوال سببه وهو حذر كمن بني آدم سالم من منفر ومعنى وما وقع ليعقوب وشعيب صلى الله على نبينا وعليهما وسلم لم يكن عمى حقيقيا وكذا بلاء ايوب صلى الله عليه وسلم لم يستقر بل صار بدنه بعد الشفاء اجمل منه قبله أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فان امر فرسول أيضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على

٢ * واحد تم رأيت في المختار ان علي يعلي في المعاني ماضيا ومضارعا لا مصدرا كما سألتني في شرح قوله في علائك (قوله يا نبيء الله بالهمز) وفي المواهب والصغاني انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى (قوله ولم يؤمر) ليس شرطا في النبي فكان الظاهر ان يقول كغيره وان لم انتهى وقد يدفع باحتمال انه انما اراد تعريف النبي المنفرد عن الرسول ويرشح له قوله فان الخ تأمل لكن هذا لا يلايم الحكم بعموم النبي من جهة

الاشهر فالرسول اخص مطلقا من النبي ولا يطلق على غير الآدمي كالملك والجني الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو فيه ايجاد ما يتعبد به هو وامته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه فان قلت نفي رقي الانبياء رقيه لا يستلزم نفي رقي الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما هو نفي رقي كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلت ممنوع بل هي وافية بل مصرحة به لان قوله ما طار لها اسماء صريح في نفي رقي الكل رقيه كما يعلم مما يأتي في شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي أنه أراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل وأيضا فنفي الحقيقة مطلقة كالنبوة التي تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما ذكره الناظم ولا يصح ذكر الرسل فتأمله على ان لمحقق الكمال بن الهمام نقل في مسايرته ان المحققين على ترادف النبي والرسول فاعل الناظم ممن يرى ذلك وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة الصحيحة في عدد الانبياء والرسل وسيأتي بعضها * (تنبيهات) * منها ما صرح به كلامه اما مر في معنى كيف انها استفهام متضمن انفي رقيهم كرقيه وللتعجب ممن يتشكك في ذلك وهو اولى ممن قال للتعجب من وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي بمعنييه السابقين وانه المتفرد بغاية كمال الشرف والرفعة اجماع اما الاول فواضح واما الثاني فكذلك عند من تأمل آي القرآن وما اشتملت عليه اما تصريحا او تلويحا من الاشارة الى اناقة قدره العلي عنده وانه لا يحد يساوى مجده وقال المفسرون في قوله تعالى ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ومن ثلث الارجاء بان آياته ومعجزاته اكبر وابهر اذ ما من معجزة لنبي قبله الا وله مثلها أو ابهر منها كما بينه الائمة وسيأتي بعضه وزاد عليهم معجزات لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فانه لا تنقضي عجائبه ولا تنقضي آياته وان أمته أزكى وأكثر وأخير وأطهر من بقية الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية الامة تستلزم خيرية نبيها وافضلية دينها وذلك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته أعلى وأجل وذاته افضل واكمل كما يصرح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاوصاف الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم أن يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منها واعترافه بانه ليس اهلا لها التصريح بذلك أيضا وكذلك الحديث الصحيح انا سيد ولد آدم وفي رواية اتا اكرمهم على ربي وفي حديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم

= التبليغ وعدمه وخصوص الرسول بالتقييد بالتبليغ فتدبر (قوله ولم تف به عبارته) فيه ان العام يستغرق افراده من غير حصر والانبياء هنا كذلك وفي كلام الشارح اشارة لذلك (قوله صريح) انما هو صريح في عدم زيادة كل عليه لان ذلك معنى المطاولة وهذا لا يستلزم نفي المساواة فتدبر وما وفاء عبارته بنفي مساواة الرسل ايضا على كون المراد بالانبياء ما يشمل الرسل فظاهر (قوله اجماع) بالرفع في نسخة المصنف وهو خبر ما في قوله ما صرح والمعنى اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي والتفرد بغاية كمال الشرف والرفعة مجمع عليه (قوله تنصل) اي تبرأ كل يقال نصل الشيء من موضعه من باب قتل خرج منه ومنه تنصل فلان من ذنبه والمراد بتنصلهم منها تباعدهم وعدم تعاطيهم لها

فى سواه الا تحت لوائى وهو صريح فى دخول آدم كحديث البخارى وغيره انا سيد الناس يوم القيامة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم واعترض وبذلك تعلم أفضليته على الملائكة لان آدم أفضل منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتى على الاثر ليس أحد من الملائكة وحديث الترمذى الحسن كما بينه البلقينى فى فتاويه ردا على الترمذى وانا اكرم الاولين والآخرين وهذا صريح فى شموله الانبياء والملائكة جميعهم وحديث قال آدم يارب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لى الحديث وفيه انه تعالى قال يا آدم كيف عرفته ولم اخلقه قال يارب لما خلقتنى بيدك أى بقدرتك الباهرة ونفخت فى من روحك أى سرك العجيب الذى لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس رضى الله عنهما وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وفى روايات أخر لولاه ما خلقت السماء والارض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا أول من تنشق عنه الارض فألبس الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الملائكة يقوم ذلك المقام غيرى وفى رواية ذكرها السراج البلقينى فى فتاويه انه تعالى قال له قد منعت عليك بسبعة اشياء أولها انى لم اخلق فى السموات والارض اكرم على منك وفى اخرى ذكرها أيضا ان جبريل عليه السلام قال له ابشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر حبالك الله بما لم يحب به أحدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن بحيرا الراهب وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيأ الا عنه هذا سيد العالمين وصح عن عبد الله بن سلام الصحابى الجليل امام أهل الكتاب بشهادته صلى الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أمورا منها وان أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فأين الملائكة فضحك وقال للسائل يا ابن أخى هل تدرى ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق السموات والارض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التى لا تعصى الله شيأ وان اكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وبين السراج البلقينى ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك فانه من أجل الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم أو عما سمع من التوراة قال واختيار الباقلانى والحليمى افضلية الملائكة يمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم أى وبهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشى أو على تفضيل فى نوع خاص أى لانه قد يوجد فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل ثم قال ولا يظن باحد من ائمة

(قوله لوائى) قيل المراد باللواء علو شأنه بحيث صارت الانبياء اتباعا له وظهور امره فى الآخرة ظهور اللواء الذى يرى فى الجيش لعامة الناس فيقتدون به وقيل غير ذلك اه ع ش على المواهب (قوله لما غفرت لى) اى الا كما فى رواية

المسلمين انه يتوقف فى أفضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك سائر الانبياء وأطال فى الحط والرد على من توقف فى ذلك وزعم ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فان هذا من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان بسوق ادلتها وايضاحها على كل من تأهل لذلك وقد صح فى الحديث المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل صريحا فى كل ماذكرناه * ومنها ما افاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو ماعليه عامة العلماء لما مر من الادلة الصريحة فيه واما قوله تعالى لانفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لاتفضلوا بين الانبياء لاتفضلونى على الانبياء لاتخيروا بين الانبياء فهى اما قبل علمه بالتفضيل وانه أفضلهم واما محمولة على التواضع منه صلى الله عليه وسلم لتصريحه بالتفضيل أو على تفضيل يؤدى الى تنقيص أو الى غض من مقام أحدهم وعليه مايدل سياق الحديث أو على التفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة فانهم كلهم مشتركون فى ذلك لايتفاوتون فيه وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل بآرائنا ليس فى محله لان تفضيل ذلك بالرأى المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لاوجه لمنعه واما الحديث ان احدهما ماينبغى لاحد أن يقول انا خير من يونس بن متى من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب فحكمة التخصيص فيهما يونس نفى توهم التفاوت بينهما فى القرب من الحق لاختلاف محلهما الصورى برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس صلى الله عليه وسلم الى قعر البحر اى لاتتوهموا من هذا التفاوت الصورى تفاوتا فى القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما التعالية عن الجهة والمكان فهو نهى عن تفضيل مقيد بالمكان لامطلقا * ومنها ان قوله الانبياء يشمل من عرف منهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك واختلفوا فى عدد من عرف منهم والمشهور فيه مافى حديث أبى ذر عند ابن مردوية (قوله مردوية) بضم الميم واسكان الراء المهملة وضم الدال واسكان الواو وبعدها ياء مفتوحة فى تفسيره قال قلت يارسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا قلت يارسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يارسول الله من كان أولهم قال آدم ثم قال يا أباذر اربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا اباذر واول نبى من بنى اسرائيل ان ممن بعد أولاد اسرائيل وهو يعقوب صلى الله على نبينا وعليه وسلم موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان فى كتابه الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزى فذكره فى موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولاشك انه تكلم فيه غير واحد

(قوله وأول نبى) انظر هذا مع ان اولاد يعقوب الذين منهم يوسف ونبوته بالاتفاق هم قبل موسى وقد يقال اولهم ممن انزل عليه الكتاب انتهى وهذا الايراد الخروج للجواب المذكور غير وارد مع قوله اى ممن بعد الخ

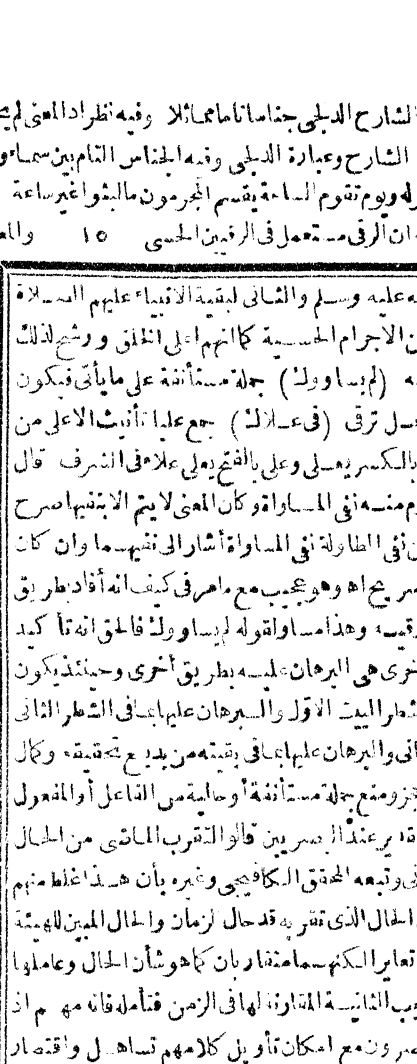
من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فالله اعلم وبينت فى شرح المنهاج فى الخطبة ان حديث كون الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه وروى ابو يعلى كان فيمن خلا من اخوانى من الانبياء ثمانية آلاف نبى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا (يا) حرف نداء للبعيد أو للقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق أو تسامى (سماء) بالتنوين والنصب بناء على أنها انكرة موصوفة وهى من حيز الشبيه بالمضاف فينصب لا غير على الاصح وقال الكسائى يجوز فيها النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة كهذا او كار بجلا ضرب زيدا والرفع اذا كان ضمير خطاب كار جل ضربت زيدا * (تنبيه) * لا يأتى هنا الخلاف فى النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعى لانتفاء مطلقا والمازنى لا يتصور نداؤها لانه يقتضى الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضى عدمه قال ولا يتصوران يوجد فى النداء نكرة غير مقبل عليها الى ان قال وما جاء منونا منها فتنوينه ضرورة والكوفيون شرط صحة ندائها ان تكون صفة فى الاصل حذف موصوفها ونويا ذاها والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان محال هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف النكرة بمفرد أو جملة او ظرف والاجاز نداؤها مطلقا اتفاقا * فان قلت سماء هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتى وموصوفة بجملة ماطالما اتفاقا سماء كما تقرر وحكمهما مختلف فان قصدها وجب بناؤها على الضم ووصفها يوجب نصبها على الاصح كما تقرر فما الغلب منهما حينئذ قلت لم ار للنحاة فى مثل هذه الصورة نصا وانما طلقوا فى المقصودة البناء وفى الموصوفة النصب وفهومهما مختلف اذ اطلاق الموصوفة يقتضى انه لا فرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضى انه لا فرق بين الموصوفة وغيرها لا يقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظروا للقصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لا بدع ان الاعمى يقول يا رجلا صالحا خلفى يدى من غير ان يقصد أحدا بعينه ولكن لا يبعد ان يدار الامر فى هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر الوصف أجرى عليه حكمه السابق او القصد اجرى عليه حكمه المذكور له * (فائدة) * يجوز تنوين المنادى المبنى للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء الضم أو الاولى النصب فالخليل وسيبويه والمازنى على الاول لما كان أو نكرة مقصودة وعيسى بن عمر والجرمى والمبرد على الثانى ردا الى أصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه فى الضرورة واختار ابن مالك فى شرح التسهيل ابقاء الضم فى العلم والنصب فى النكرة المعينة لان تشبيهها بالمضمر أضعف وبعض المتأخرين العكس وهو اختيار النصب فى العلم لعدم الالتباس فيه والضم فى النكرة المعينة لئلا تلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لا فارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما فى التنوين اذا تقرر ذلك وقلنا بأن النكرة المنونة هنا مبنية على الضم على أحد شقى كلام الكسائى أو على ما ذكرته انه اذا

(قوله وفصل الفراء) وجه تفصيل الفراء انه اذا كان العائد ضمير خطاب كان التعريف حينئذ أتم فتعين البناء على الضم كزيد فى يا زيد (قوله والرفع) مراده به الضم (قوله الاربعة) فيه نظر فان الاقوال ثلاثة قول الاصمعى وقول المازنى وقول الكوفيين بالتفصيل المذكور (قوله قلت الخ) قال العلامة الدنوشرى ردا على الشارح النحاة مصرحون بان النكرة المقصودة اذا وصفت نصبت وهذا تقييد لقولهم ان النكرة المقصودة يجب بناؤها على الضم فهم المطلقون والمقيدون

(قوله والذى اقوله الخ) فيه نظر فانا لانسلم ان النصب هنا يوهم المحذور الذى ذكره الشارح لدفعه بالسوابق واللواحق فان قوله كيف ترى الخ نص فى ان المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله لم يساووك الخ ويلزم على ماذكره الشارح تخطئة الناظم فانه اتى بالنكرة منصوبة لامضمومة وقوله اذهى اسم جنس مردود بأن النكرة المقصودة المراد بها معين وقوله يشمل سائر الاجرام ربما ننا فى ذلك وسيأتى فى كلام الشارح ان المراد بسماء الاولى نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم اه (قوله كالدليل الخ) لايخفى ان المراد بنفى المطاولة نفى زيادتهم عليه وحينئذ لايظهر كونه علة لانه يصير التقدير لايرتقون مثل رقيك أى لايساوونك لانهم لايزيدون عليك فى الرقى وفيه خفاء فتأمل فالظاهر انه تصريح بما علم بالطريق الاولى من نفى مساواتهم له فيما ذكر تأمل وأيضا قوله كالدليل زاد على هذا الشارح الدلجى قوله ويمكن رده الى صورة قياس استثنائى هكذا لو رقوا رقيك لطاولوك لكن اللازم منتف فكذا ملزومه وما ورد على صورة القياس الاقترانى قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ١٤ وهو أهون عليه أى الاعادة أهون من البدء وكل ما هو أهون فهو أدخل فى الامكان فالاعادة ادخل فى الامكان وقوله فيما أقول قال لاحب الاقلين أى القمر اقول وربى ليس بأقل اه كلامه وقولنا فى صدر اقوله لايخفى ان المراد الخ فيه ان المطاولة المغالبة فى الطول والارتفاع كما صرح به الشارح فيما يأتى ومثله فى القاموس لازيادة قال فى القاموس طاولنى فطلته كنت أطول منه فى الطول اه فلم تعلم الزيادة الامن قوله فطلته والا فالمطاولة المغالبة فى الطول أى الارتفاع اللهم الان يراد اصل الفعل بأن يراد بقوله ماطاولتها ماطالت أى ارتفعت عليها سماء وحينئذ يظهر ماذكرناه اذا علمت ذلك فلا يظهر القياس الذى ذكره الدلجى اذ يصير نظمه لو رقوا مثل رقيك لزادوا الخ لفظ وغير خاف ان الزيادة لاتترتب على رقيهم مثل رقيه وقد اشار الشارح الى صحة كونه كالدليل لما قبله وعلة له بحمله النظم على عدم استطاعتهم رقيا مثل رقيه فكان الناظم قال لاترقى الانبياء مثل رقيك لان الله سلبهم القدرة والاستطاعة ان يساووك وان يأخذوا فى اسباب ذلك فتدبر (قوله وفيه استعارة) أى تحقيقية وعبارة الدلجى والسماء اسم جنس يقع على واحد فاكثر والمراد بها هنا هذه الاجرام وقد استعار اسمها للانبياء لجامع العلو والرفعة وان اختلفا حسا ورتبة اذهى اعلى ماير ى من الاجرام وهم اعلى ماير ى من البشر فى درجات الكمال بعضهم أفضل من بعض شبههم بها على طريق الاستعارة التحقيقية وقرنها بما يلائم المستعار منه اعنى الارتفاع أو بما يلزم بقرينة المقام من نفى المطاولة من الارتفاع ترشيحا للمجاز من رشحت الام ولدها باللبن قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وفلان يرشح للوزارة اى يربى لها ويؤهل لها فكان المستعار له يرشح ويؤهل بما تقرن به الاستعارة من صفة او تقريع كلام ملائم للمستعار منه كان يكون من جنسه أو فرد امن افراده مبالغة فى التشبيه مما يورث الكلام زيادة رونق وبهاء والمجاز كالعلو وسناء واكثر ما يكون فى الاستعارة وقد يكون فى المجاز المرسل مثل وله اليد الطولى اى القدرة الكاملة

أريد بالنكرة الموصوفة مقصود بنيت على الضم فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثانى والثالث النصب والذى أقوله ان الضم متعين هنا على الكل لانه الظاهر خلافا لما يوهمه الرأى الرابع ان محل الخلاف حيث لا لبس يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور لانه يصير المعنى ان السماء الاولى نكرة غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى لان النكرة غير المقصودة لايصح نفى مطاولة نكرة غير مقصودة أيضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اذهى اسم جنس يشمل سائر الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى هى التى لاتطاولها سماء أى ترتفع غيرها لانه لم يوجد فى هذا الوجود أرفع منها فتأمل ذلك حق التأمل واحفظه فانه مما يتعين استفادته لاسيما مع النظر لما قاله الشارح مما لم يعترضه على شئ مما ذكرته (ما) نافية (طاولتها) أى غالبتها فى الطول والارتفاع (سماء) وهذا الشطر الثانى كالدليل للشطر الاول اذ التقدير لم ترتق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك فى ارتقائك الحسى ولا المعنوى وان كانت درجاتهم كلها وصراتهم وصفاتهم بأسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الآية صريحة فى فضلهم على جميع الملائكة بل الخلق اذ العالم ماسوى الله تعالى واتى بجمع جمع العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة

(قوله لفظ السماء الاول) قد جعله الشارح الدلجي جناسا ناما معما لا وفيه نظر اذ المعنى لم يختلف وغايته انه استعار اللفظ الاول للثاني والثاني لسائر الانبياء كما افاده الشارح وعبارة الدلجي وفيه الجناس التام بين سماء وسماء لاتفاقهما في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها كما في قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة اه (قوله لم يختلف غير مسلم الظهور اختلاف المعنى (قوله ورشح) تقدم له ان الرقي مستعمل في الرقيين الحسي ١٥ والمعنوي وحينئذ فلا يظهر كونه ترشيحا ملاءما للمشبه به الا ان أريد به الرقي الحسي فتدبر وفي البيت الترديد لتعليقه ترقى أولا بالانبياء وثانيا به صلى الله عليه وسلم والتصريح وهو موافقة المعروض لغيرها فيما تنسب اليه القصيدة ثم قد يتعلق اول مصراعي البيت بثانيه فيسمى تصريعا وقد لا يتعلق به كما هنا وورد التجزيء على الصدر في ترقى ورقيك اه دلجي (قوله بجمع عليا) ويجوز ان يكون العلا بمعنى الشرف والرفعة كما يأتي وعليا هنا بضم العين كبرى وكبر والمذكر أكبر فليس كاحمر وحمراء (قوله وعلي بالكسر) عبارة المختار وعلي في الشرف بالكسر علاء بالفتح والمد وعلي يعلى لغة فيه (قوله وتبعه غيره) هو الشهاب البرلسي المالكي الشهير بالاقفهسي (قوله وهو عجيب) لا عجب اما أولا فلانا نمنع مساواة كيف ترقى لهذا في الدلالة على ما ذكر واما ثانيا فلان الشارح الجوجري رحمه الله تعالى قال قبل ذلك والشطر الثاني كالدليل للشطر الاول وكانه يقول لم يرق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك أي معاملتك في الطول أو الطول (قوله أو المفعول) اومنهما (قوله وقد هنا الخ) أي على جعله الجملة حالية (قوله تقربه) أي تقرب به منه فهو من الحذف والايصال (قوله ولك ردة الخ) يوضح ذلك ما ذكره الدماميني في الجواب عن اشكال السيد بان التحلي يقد يشعر بالحضور حال وقوع العامل لانه للتقريب الى الحاضر في الجملة فان الماضي لا ستقلاله بالمضي لا يفيد المقارنة وان كان العامل أيضا ماضيا بل ربما يوهم انه ماض بالنسبة اليه اه فما ذكره الشارح للرد غير صالح له فهو ممنوع (قوله منك) قال الدلجي أتى بالظرف منك احتراسا عما عسى يتوهم ان ما حال بينهم وبين مساواته ليس منه



انفظ السماء الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثاني لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان السماء أعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملايم للمستعار منه (لم يساولك) جملة مستأنفة على ما يأتي فيكون من اسلوب الحكيم أو حال من فاعل ترقى (في علاك) جمع عليا تأنيث الاعلى من علا بالفتح يعلو علوا في المكان وعلى بالكسر يعلى وعلى بالفتح يعلى علاء في الشرف قال الشارح ولما كان نفي المطاولة لا يلزم منه نفي المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفي المطاولة نفي المساواة أشار الى نفيهما وان كان يؤخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح اه وهو عجيب مع ما مر في كيف انه أفاد بطريق التصريح نفي رقي كل أحد منهم رقيه وهذا مساواة وقوله لم يساولك فالحق انه تأكيد واطناب فقط على ان لذكره فائدة أخرى هي البرهان عليه بطريق أخرى وحينئذ يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول والبرهان عليها بما في الشطر الثاني ثم اعادتها بمعناها في اول البيت الثاني والبرهان عليها بما في بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته والله أعلم (وقد حال) أي حز وصح جملة مستأنفة أو حالية من الفاعل أو المفعول وقد هنا واجبة الذكر أو التقدير عند البصريين قالوا التقرب الماضي من الحال واعترضهم المحقق السيد الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره بأن هذا غلط منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال لزمان والحال المبينة للهيئة حال الصفات ولذلك ردتها بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربان كما هو شأن الحال وعاملوا وحينئذ لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة لها في الزمن فتأمله فانه مهم اذ تغليط أولئك الائمة الذين لا يحصرون مع امكان تأويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح على الاول يعيد كتخصيصه له بفاعل ترقى البعيد دون فاعل يساولك القريب وان كان متحدا والاول أولى لما قدمته ان هذه الجملة كالبرهان او التعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد ذلك هنا أيضا على أنها الظاهر المتبادر (سنا) بالقصر أي ضوء عظيم ظاهر (منك) خصك الله تعالى به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وغيرها التي اختصه الله بها وامره بأنه يسأله ان يزيده منها

(قوله لا يظهر له ظل) هذا ظاهر في ذاته عليه افضل الصلاة والسلام ومعلوم انه كان عليها ملبوس وهو ليس نورا فله ظل وقد يقال ان ملبوسه وان كان بالنظر لنفسه كثيفا ١٦ لكن الابسته ذاته التي هي نور صار ذلك الملبوس بواسطة نورها نورا فلا يظهر له

ظل أيضا (قوله دونهم) دون في الاصل ظرف بمعنى ادنى مكان من الشيء ثم استعير للرتب المتفاوتة فيقال زيد دون عمرو أي ادنى منه شرفا ثم نجوز به واستعمل في تجاوز حكم الى حكم نحو فعلت بزيد الاكرام دون الاهانة أو محكوم عليه الى آخر نحو اكرمت زيدا دون عمرو افاده اللقاني في بعض حواشيه والظاهر انها في المتن حال كما في التجوزين الاخيرين في عبارة اللقاني والمعنى وقد حال سنا وسناء منك حال كونهما متجاوزين ما فيهم من السنا والسنا فيكون من تجوز استعمالها في الرتب المتفاوتة فتدبر (قوله وفي جعل هذين الخ) الاستعارة انما هي في السنا المقصور واما الممدود فباق على حقيقته ويصح المجاز العقلي في اسناد حال الى السنا والسناء تأمل وكون الممدود باقيا على حقيقته غير ظاهر في الرفعة المعنوية تأمل (قوله تجريدية) قال الدنوشري انظر ما مراده اه وقد قالوا في نحو قولهم لقيني من زيد اسد ان فيه تجريدا أي لان المتكلم جرد من ذات زيد اسدا وحكم عليه باللقاء وجعل ذلك تجريدا ظاهرا لكن الاستعارة للجمع بين الطرفين ولعله لما عبر بقوله منك وجعل الشيء ظاهرا منه كأنه جرد من ذاته وجعل مشبها أطلق على ذلك اما

وهو مقتبس من تسميته تعالى للقرآن نورا في آيات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الذي أنزل معه وعما اختصه الله تعالى به من جمال المنظر الظاهر بما آتاه من الحسن في خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف فضلا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي خلقه بما ابان الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم وهو مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورا في نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك وتفضل الله تعالى عليه بما يزداد شكره وشكر امته على ذلك كما انا أمرنا بالدعاء الذي في آخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله تعالى به لذلك ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى في الشمس او القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا للكثيف وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل أصلا خرقا للعادة كما خرقت له في شق صدره وقلبه مرارا ولم يتألم بذلك (دونهم وسناء) بالمد أي رفعة عظيمة أوتيتم الينه خلوق اليها اي التفت مساواتهم له لما نع منعهم عن اللحوق به هو مما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل أحد الى ادنى شأوهما فضلا عن كماله وفي جعله هذين حاجزا استعارة تجريدية كما ان في جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه بالطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو ان تماثل اللفظان وينفرد احدهما بزيادة حرف آخر في آخره كقولهم العار ذل العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص ومنها نحو الساق والمساق ويسمى بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس نحو داء ودواء ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة مكتنف أي متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف نحو من آمن ويسمى متوجا وتجهد وتجاهد وجوا وجوائح سماه في التلخيص مذيلا واهل البديعيات على ان الزائد من آخره حرف أو اكثر يسمى مذيلا ومن اوله كذلك يسمى مطرفا * (تنبيه) * الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وقائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فاذا أكثر منه الناظم في هذه القصيدة وربما تركت التنبيه على كثير منه في محله استغناء بظهوره أو تقدم التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل والاصغاء فجعل مراعاته مالم تعارضه قوة المعنى وتمكنه مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولم يقل بمصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لي انه قال لي صدقت ومعنى مؤمن لي انه صدقني وامنني والمقصود الثاني لا الاول فترك الجناس لذلك وترك أيضا أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين

أما تجريدا فتأمل (قوله أتدعون بعلا) البعل صنم كانت تعبده بعل المسماة أيضا بعلبك بالشام أي اتعبدون هذا الصنم وتتركون احسن الخالقين

(قوله لراعي الجناص) هذا كلام حق لايدل على الغباوة نعم لو قال بعد ذلك وهو أحسن أو نحو ما دل على مزيد الغباوة تأمل (قوله بمستبق) والبيت بتمامه ولست بمستبق أخا لاتلمه * على شعث أي الرجال المهذب ١٧ أي لاتجمعه على تفرق وتضم خصال فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه للانكار أي لامهذب في الرجال انتهى مطول (قوله عند الجمهور) ومقابله قوله الآتي وأنكر قوم افادة انما له (قوله قيل الخ) اعلم أن اثبات الالوهية لله في نحو انما الهكم الله منطوق اتفاقا واما نفي الالوهية الحقة عن غيره ففيه خلاف قيل مفهوم وهو مذهب الجمهور وقيل منطوق أي بالاشارة وهو المنطوق غير الصريح أي لم يوضع له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فقوله قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم خاص باحد شقي مايستفاد من انما وهو نفي الحكم عن غير المذكور اذ هو محل الخلاف والاثبات الحكم للمذكور منطوق به اتفاقا كما عرفت واما نحو ما قائم الا زيد مما يشتمل على نفي واثبات فنطوقه اتفاقا نفي القيام عن غير زيد واما اثبات القيام لزيد فقيل مفهوم وهو الراجح وقيل منطوق أي صراحة لسرعة تبادره الى الاذهان وعليه فلا مفهوم له بل له منطوقان صريحان كذا يؤخذ من المطول الاصولي وحواشيه في مبحث المفاهيم ثم رأيت عن التمهيد للاسنوي وعن الشيخ أبي علي في الشيرازيات توجيه القول بكون نفي الحكم عن غير المذكور في انما قائم زيد ونحوه منطوقا بان ما للنفي وان للاثبات فجمع بينهما على الوجه الممكن أي فيكون حكمهما لحكم

---

٢ ج التمهيد للاسنوي وعن الشيخ أبي علي في الشيرازيات توجيه القول بكون نفي الحكم عن غير المذكور في انما قائم زيد ونحوه منطوقا بان ما للنفي وان للاثبات فجمع بينهما على الوجه الممكن أي فيكون حكمهما لحكم

اما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل في مقام لوعد والاحسان لا في مقام التهويل أولان يدع الخصم من يذر لانه ترك الشيء مع سبق الاعتناء به فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء في قوله لو قال وتدعون لراعي الجناص وبقيت اجوبة أخرى ليست بذاك فالذا تركتها وفي قوله وقد الح التذييل وهو ان يؤتى بعد تمام الكلام بجمل تشتمل على معناه تجري مجرى العلة للتوكيد لما قبلها وتحقيقه كقوله تعالى وهل نجازي الا الكفور بعد ذلك نجزيناهم بما كفروا وقول النابغة أي الرجال المهذب بعد وليست بمستبق الخ * (تنبيه ثمان) * سيمر بك استعارات بليغة يحتاج الى معرفتها في هذه القصيدة فلا بأس بالاشارة الى بعض شيء مما يتعلق بها فاقول انها مجاز يتضمن تشبيه ما معنى به بما وضع له فهي مجاز لغوي لانها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت القرينة كرأيت اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع ان في كل قطع المسافة أولا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبار ان كلا اما عقلي أو حسي ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو تأويلا كعلم اشعر بوصف صميت اصلية أو فعلا أو مشتقا منه بان يقصد به المعنى القائم بالذات أو حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه المقتضي ان يكون المشبه موصوفا بوجه الشبه أو مشاركا للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقائق أي الامور الثابتة دون معاني الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلائم احد طرفيها سميت مطلقة أو بما يلائم المستعار له مجردة أو بما يلائم المستعار منه فرشحة وهي أبلغ لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه وما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور يسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد في أمر انى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى * ونبني من اقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويتان غيرداخلتين في تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص ذلك المشبه به سمي ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به (انما) للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويعبر عنه أيضا بانه اثبات الحكم للمذكور

ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر موصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقى واما مجازى فالحقيقى نحو ما زيد الا كاتب أى لاصفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شئ فى القرآن والمجازى نحو وما محمد الا رسول أى مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت الذى استعظموه ذهولا عن كونه من شأن الاله وانكر قوم افادة انما له ورد عليهم آيات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما يأتيكم به الله واعلم انما المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان مفاد انما قائم زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفى غيره عنه (مثلوا) أى صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الواصفون لشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر لها ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت بالحجاب (صفاتك) جمع صفة وهى ما دل على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض أو معقول كالعالم (للناس) من الانس فيختص ببنى آدم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا لالتعويض أل عنها للجمع بينهما أو من نوس اذا تحرك فيهم الجن كذا قيل والذى فى القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع أنسى أصله اناس جمع عزيز ادخل عليه أل ثم قال وناس الابل ساقها وأناسه حركه (لك) نعت لمصدر محذوف صفعول مطلق لمثلوا أى تمثيلا مثل (ما) مصدرية (مثل النجوم الماء) اصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لالون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل أبيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام أن ماشاركتهم فيه من الصفات وان كملت لم يصلوا الا دناها الا انها بلغت فيه من الكمال مالم يبلغه مخلوق فهى فيه حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حائل وفيهم كصور النجوم التى ترى فى المعدون حقيقتها وشتان ما بينهما واستناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلى كقول الموحد أنبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا لتصويرك منها لعدم احاطتهم به وانما غاية ماوصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لبادئ بدئها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير وفى هذا من الابلغية فى المدح مالا يخفى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كمالهم الا كبر اذا عجزوا عن ادراك حقائق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما يأتى فى قوله الا بشرت قومها بك الانبياء لان ذاك فى مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا فى بيان صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان اكثروا الاوصاف وتفننوا فى ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل قوانين الفصاحة فغاية ماوصلوا اليه ان ادركوا لوائح منها وعجزوا عن ادراك شئ من حقائقها كما ان غاية من يرى النجوم فى الماء انه يدرك مبادى أوصافها ويعجز عن ادراك حقائقها وقد شرح لناظم هذا بقوله فى بردة المديح اعيا الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة التذييل أيضا بناء على المعنى

أى قرب (قوله وهذا البيت) قال الدلجى وفى البيت ادتساع وهو ان بوئى ببيت يتسع فيه التأويل

الاون

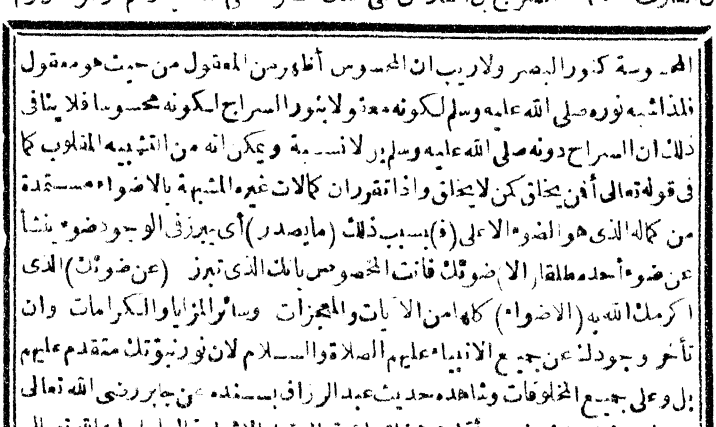
(قوله برهان على مطلعها) فيه انه جعل البيت تذييلا لنفي المساواة وليس ذلك من المطلع بل هو من البيت الذي يليه وقد يقال المراد بنفي المساواة أي المستفاد من قوله كيف ترقى الخ فتأمل (قوله المعرف) فيه نظر لانها في الآية مضافة الى منكر سواء اضيفت لفظ قلب أم لا فهي لاستغراق الاجزاء في اضافتها للمنكر اذا لم يكون قلب ولاستغراق الافراد اذا كون وفي الشارح اشارة لذلك فافهم ومثال اضافتها للمفرد المعرف فتكون لاستغراق اجزائه كل زيد حسن (قوله بأن تلاها) صوابه تلك العامل (قوله وعلى كل ضامر) اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر ١٩ فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه أو استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان يضاوى وفي المغني ليس الضامر مفردا في المعنى لانه قسيم الجمع وهو رجالا بل هو اسم جمع كالجامل والباقر أو صفة لجمع محذوف أي كل نوع ضامر ونظيره ولا تكونوا أول كافر به فان كافرا نعت لمحذوف مفردا فظا بمجموع معنى أي أول فريق كافر به ولولا ذلك لم يقل كافر بالافراد (قوله وكل أتوه) أي كل من في السموات والارض أتوه في الموقف صاغرين وقرئ أتاه بالافراد مراعاة للفظ كل (قوله بأن سبقتها أداة) أي ولو رتبة بدليل التمثيل بقوله كل الدراهم لم آخذ فان أداة النفي وان تأخرت انظا سابقة رتبة (قوله منه ومعه الخ) تأمل هذه العبارة فان الظاهر بدلها ان يقول مفهومه اثبات المحبة لبعض مختال فخور (قوله من وراء وراء) قال السيوطي في البدور السافرة ضبط بفتح الهمزة وضمها على حد من قبل ومن بعد واختاره أبو البقاء بلا تنوين فيهما بناء قال النووي وغيره الفتح أشهر ومعناه لم أكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقال صاحب التحرير هذه كلمة تقال على وجه التواضع انتهى ما قاله الجلال وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن انت اتوه موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد صلى الله عليه وسلم

الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفي المساواة بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما مر * والمقرر ان ما اوتيه ممن المزايا لا تدرك غاياتها بل ولا حقائقها ازاد ذلك تقريرا وتمكينا في النفوس فقال (انت) أيها العلم المفرد الذي لا يساوى بل ولا يدانى (مصباح) أي سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا (كل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وأجزاء المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر أي على كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم تكن نعتا للنكرة ولا توكيدا للمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث اضيفت لمنكر وجب في ضمير هما مراعاة معناها نحو وكل شيء فعلوه في الزبر وعلى كل ضامر يأتين أو لمعرف جاز مراعاة لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة معناها وكذا اذا قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل أتوه داخرين وانما حيث وقعت في حيز في باب سبقتها أداته أو فعل منفي نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم لم آخذ لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها فتفهم اثبات الفعل لبعض الافراد سالما يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لانه لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ (فضل) وكمال بارز لغيرك في لوجود ذلك الحقيقة الا كبر المعد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائي وخبر فخر أنا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وخبران ابراهيم قال انما كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر

(قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) فان الظاهر العكس لان الخطاب لعبدة الاوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه فجعلوا غير الخالق كالخالق فخولف فى خطابهم لانهم بالغوا فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد على وفق ذلك اهـ من الاتقان للسيوطى (قوله واذا تقرر الخ) يقتضى ان ماذكر من التشبيه قد مضى وليس كذلك بل سيأتى فيما يهدله وكان حق التعبير ان يقول واذا تقرران كالانه المشبهة بالمصباح متقدمتها كالات غير المعبر عنها بكل فضل الخ فتأمله (قوله الاضوئك) بالجر (قوله لجعل ذلك النور) ومن هنا قال العارف ٢٠ السراج بن الفارض على لسان حضرته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

وانى وان كنت ابن آدم صورة
فلى فيه معنى شاهد بابوتى

(قوله العرش) وقد خلقه الله قبل القلم كما فى المواهب أى خلق العرش بعد النور المحمدى (قوله فخلق من الاول السموات) فى المواهب زيادة وهى فخلق من الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث بقية الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة اجزاء فخلق من الاول السموات الخ (قوله ومن الثالث نور انسهم الخ) والباقى من نوره بقى حتى أودع فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام أى بعد ان خلقت منه أرواح الانبياء كما سيأتى التصريح به عند قوله أمره الخ فان ارواحهم مخلوقة من نوره صلى الله عليه وسلم ومابقى من النور جعل فى ظهر آدم الخ فخر (قوله باربعة عشر ألف عام) عبارة عن طول الزمن أو عن مدة لو قدرت بزمن بلغت ذلك فلا يقال لا زمن ثم لان الزمن يقدر بحركة الفلك وهو لم يخلق (قوله ذلك النور) أى بعضه كما عرفت (قوله وآدم بين الروح والجسد) عان أورد ان حقيقة آدم هذا الهيكل المخلوق من طين والمنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو آدم فما معنى البينية أجيب بانه مجاز عما قبل تمام خلقه فريا منه كما يقال فلان بين الصحة والمرض أى فى حالة تقرب منهما وقال فى النسيم الظاهر انه ظرف زمان بمعنى ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه فى عالم الارواح واطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته واقرارها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أى بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذى صححوه فيكون رواية بالمعنى اذلم يوجد هذا اللفظ قال الشارح فى النعمة الكبرى بمولد سيد أهل الدنيا والاخرى ولفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين لم يوجد مرويا انتهى


الحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافى ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن انه من التشبيه المقلوب كما فى قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرر ان كالاته غيره المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذى هو الضوء الاعلى (ف) بسبب ذلك (مايصدر) أى يبرز فى الوجود ضوء ينشأ عن ضوء أحد مطلقا الا (ضوئك فانت المخصوص بانك الذى تبرز (عن ضوئك) الذى اكرمك الله به (الاضواء) كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجودك عن جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نورنبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق باسناده عن جابر رضى الله تعالى عنه يارسول الله اخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك اللوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى فلما أراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح حديث أول ماخلق الله القلم وجاء باسانيد متعددة أن الماء لم يخلق قبله شئ ولا ينافيان ماقى الاول فى نورنبينا لان الاولية فى غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض وفى حديث عند ابن القطان كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام وفى الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الحديث وصح خيرنى كنت أو كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد

(قوله وليس المراد من ذلك التقدير) أي كما نقله في المواهب عن الغزالي وقوله بل الاشارة الخ أي كما ذكره التقي السبكي متعقبا به الغزالي كما قاله في المواهب أيضا حيث قال فقد تكون الاشارة الى روحه الشريفة أو الى حقيقته من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها فما بالنا بعلمها بخالقها ومن أمده بنوره الهي ثم ان تلك الحقائق يوقف الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل حالة من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته مجمل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية

للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى (قوله بل الاشارة الخ) ما المانع من تحقق النبوة والرسالة لروحه الشريفة حينئذ بان خلقت قبل الارواح ثم أمرت بان تأمر الارواح بأمور شرعها الله لها حينئذ وبان تخبرها بما يتعلق بها من الاحكام بعد خلق الاجساد بشروطه وهذا بعث وارسال فليتأمل ابن قاسم (قوله بألفي عام) وروى باربعة آلاف اهـ ابن

وليس المراد من ذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الارواح اذ وردان الارواح خلقت قبل الاجساد بألفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمره ان ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما أطفأهم الله به وقالوا يا ربنا من الذي غشينا نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبرسوله فقال الله تعالى اني أشهدكم عليكم قالوا نعم وذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين وفي هذه الآية كما قاله التقي السبكي من التنويه بقدره العلي ما لا يخفى وفيما مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى امهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا يكونون تحت لوائه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة تحت لواء آدم فمن دونه

* واستعارة المصباح للفضل المبني على تشبيهه ببيت واسع يحتاج الناس الى دخوله

قاسم (قوله لما خلق نور نبيه الخ) قضية هذا ان نور الانبياء مخلوق قبل نور نبينا صلى الله عليه وسلم لما هو معلوم من ان تعلق الحكم على الشيء يستدعي وجوده قبله ويمكن الجواب بان المراد لما تم خلق نبينا بافاضة الكمالات والنبوة عليه أمره الخ وهو يقتضي تأخر ذلك عن خلق انوار الانبياء وهو لا ينافي تقدم خلق نوره على سائر الموجودات كما مر أو ان المراد انه لما خلق نوره اخرج منه أنوار بقية الانبياء ثم أمره بذلك ولو قبل افاضة النبوة على ذلك النور لكن الاول ارفق بقوله آمنا به وبنبوته اذ المتبادر افاضة النبوة عليه بالفعل انتهى ع ش على المواهب (قوله أمره) أي النور اي بعد ان جعله صورة روحانية هي صورته صلى الله عليه وسلم وكذا يقال في قوله الى نور الانبياء (قوله واذ أخذ الله الخ) سيأتي للشارح في شرح قول الناظم ما مضت فترة البيت ما ينبغي مراجعته لانه يوضح ما هنا فراجعه ان شئت (قوله على تقدير مجيئه) أي في زمنهم (قوله واستعارة المصباح) أي واثبات المصباح الخ أي لان اثبات المصباح للفضل هو التخييلية وتشبيه الفضل بالبيت هو المكنية على أحد المذاهب تأمل (قوله يحتاج الناس الى دخوله) عبارة الدلجي فشبه فضله صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستعارة التحقيقية بالضوء بجامع الانتفاع اذ كل فضيلة كالعلم مما له ضياء واشراق يوصل الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل كما ان بالضياء يدرك المطلوب ويفصل بين الاشياء بعد تشبيهه صلى الله عليه وسلم لاستداد كل فضل من افضاله بمصباح تهتدي منه الاضواء على اسلوب حمل المشبه به

= على المشبه وهو كما فى الكشاف عند محققى علماء البيان يسمى تشبيها بليغا نظرا الى ظاهر جعل المشبه نفس المشبه به مذكورا معه على وجه ينبئ عن التشبيه اما اذا ذكر معه بطريق لا ينبئ عنه فيكون استعارة لانها وان كانت مبنية على التشبيه فمبنية أيضا على تناسيه سواء ذكر الطرفان أو أحدهما كما هو الغالب ومن ثم قال فى المفتاح ان القمر فى قوله قد زرتنى زاره على القمر استعارة أى تحقيقية مجردة لاقترانها بما يلائم المشبه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم لوروده على وجه لا ينبئ عن التشبيه لعدم حسن دخول اداة التشبيه على المشبه به اذ لا يحسن ان يقال وهم كيد (قوله كقول الشمس ضياء) أى ذات ضياء أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة وكذا يقال فى نورا (قوله غالبا) فيه ان ذو لا تقطع عن الاضافة ابدا فكان الظاهر حذف قوله غالبا تأمل (قوله فقالوا ذاتى) وصفات ذاتية (قوله وكما فى قول خبيب) هو من الصحابة

صلب على خشبة بمكة فانشد وهو مصلوب ولست ابالى حين اقتل مسلما * على اى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الالوان بشأ * يبارك على اوصال شلو ممزع ٢٢ الشلو بكسر الشين وسكون اللام هو العضو

والاوصال المتاصل (قوله فى ذات الاله) اى فى طاعة الله او سبيل الله انتهى كرمانى (قوله العلوم) هى هنا المعلومات فانها للنبى صلى الله عليه وسلم دون آدم على ما يأتى واما العلم بمعنى الصفة المذكورة وبمعنى الادراك الجازم المذكور فلا يختص ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم فقول الشارح وهو هنا الخ فيه شئ فليتأمل (قوله لا يقال لله عارف) وفى شرح الورقات لابن امام الكاملية انه ورد اطلاق العارف على الله انتهى ولعله لم يصح لكون المشهور خلافه (قوله لانها تستدعى الخ) وخصص بعضهم العلم بادراك الكليات والكليات والمعرفة بادراك البسائط والجزئيات وقيل المعرفة تقال للادراك المسبوق بالعدم واللاخير يشاهد من الادراكين المتعلقين بشئ بعد تخلل العدم بينهما بان وقع الادراك به ثم الذهول عنه ثم الادراك والعلم الادراك المجرد عن هذين الاعتبارين ولذا يقال فى الله عالم ولا يقال عارف (قوله بان اليقين خاص) قال الفنرى فى حاشية المطول واليقين العلم بزوال الشك ولهذا لا يوصف به البارى (قوله حال كونها) أى العلوم (قوله فى الروع) هو بضم الراء القلب وبفتحها الخوف (قوله من عالم الغيب) قال بعضهم الذى هو فرد من مسمى العالم الذى هو كل جنس يعلم به الله سواء كان من ذوى العلم ام لا كالخاتم والطابع لما يختم ويطبع به يقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الملك وعالم الملكوت وعالم الافلاك وعالم النبات وعالم الشهادة وعالم الغيب انتهى وقوله فى صدر القولة الذى هو الخ يفيد ان عالما بفتح اللام وفى الشرح ما يفيد انه بكسرها حيث قدر فيض بين من وعالم والاول هو الرواية ويمكن فتح اللام مع تقدير فيض يعنى من عالم الغيب الفائض أى الكثير وفى قول الشارح فالكل من عالم الشهادة ما يؤيد الرواية فتأمل

ومراده فيه استعارة بالكناية بتبعها استعارة تخييلية والضوء الذى هو اعلى من النور بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا الصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع ان كلا من الضوء أين المعنوى والحسى يهدى الى المقصود وأيضا الكمالات الدينية تنور الظاهر والباطن (ك) لا لغيرك (ذات) اصلها مؤنث ذو المقتضية لمرصوف والملازمة للاضافة غالبا كرجل ذى مال ثم استعملوها استعمال الاسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا اللفظ فقالوا ذاتى وقد تستعمل بمعنى نفس الشئ وحقيقته كما هنا وكما فى قول خبيب رضى الله تعالى عنه وذلك فى ذات الاله (العلوم) جمع علم وهو هنا صفة ينجلى بها المذكور بان قامت به انجلاء تاما والادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض وحد بحدود اخرى كلها مدخولة ايضا وترادفه المعرفة لكن لا يقال لله تعالى عارف لانها تستدعى سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شأنه ان يتطرق اليه شك ولا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتهما يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او بالالقاء فى الروع او بخلق العلم الضرورى او بسماع الكلام النفسى (من) فيض (عالم الغيب) مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اى الغائب وهو ما لم

(قوله بمعنى المعلومات) ربما يشير بذلك الى ان فى كلام الشارح استخداما فان الضمير راجع الى العلوم بغير هذا المعنى كما أشار الى ذلك الشارح سابقا وقد علمت ما فيه (قوله بالسكون) أى للدال وبالفتح أى فتحها واما الهمزة ففيها مضمومة فيهما (قوله لادم الارض الخ) لانه خلق منه كما فى حديث نفرجت ذريته على ألوان الارض وطباعها فمنهم الابيض والاسود والاحمر والسهل بفتح فسكون أى الرفق واللين والحزن بفتح فسكون أى العنف والغلظة والطيب والخبيث فمن سهلها سهل الخلق ومن حزنها اضده ومن طيبها المؤمن الذى هو نفع كلاسه ومن خبيثها الكافر الذى هو ضرر وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة ومجزته ومذاكيره من السادسة ورجلاه من السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان طينة آدم من ست ارضين وأكثرها من السادسة وليس فيها من السابعة شئ لان فيها نار جهنم وروى عنه انه قال خلق من أقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من الدهناء وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وكان طوله ستين ذراعا وعاش ألف سنة وذكر بعض

الائمة انه وردان الله لما أراد خلق آدم أمر جبريل ان يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض فهبط فلما أراد قبضها أقسمت عليه الارض فقالت بالذى أرسلك لا تقبض منى ما يخلق منه من يعصيه فوق ظهرى فبر قسمها فارسل لها ميكائيل فحصل مثل ذلك فارسل لها اسرافيل فحصل مثل ذلك فارسل لها عزرائيل فلما أقسمت عليه قال لها اطاعة ربى خير من طاعتك ثم هز الارض فاختلط بعضها ببعض ثم قبض من ترابها الوانا مختلفة فقال الله تعالى من قبض شيأ فعليه تسليمه ثم قابض الارواح وناشرها من الاشباح ثم أمر الله الملائكة بتجنين التراب بماء الرحمة ثم بالتئم فقال صبوا عليه من ماء الحزن فصبوا عليه فاتجن فقال تعالى قد سبق فى علمى أنه وذريته يعيشون فى الدنيا فى حزن فمن صبر واطاعنى فله الجنة ومن لم يصبر على قضائى وعصانى انتقل من حزن الى حزن اكبر منه ثم خمرت اربعين سنة قبل أن يصور بشرا ففضلت من الطين فضلة صورها الله بخلة ثم أوقف روحه بين يديه سبحانه وأمرها بالدخول من بافوخه فاستضيقته فقال لها ادخلى كرها وتخرجى كرها فلما وصلت الى انفه عطس فلما وصلت الى فمه الهمه الله ان يقول الحمد لله رب العالمين فقالها فقال له الله يرحمك ربك يا آدم ولرحمتى خلقتك ثم وصلت لسرته فنظر الى سرادق العرش فرأى مكتوبا بيد القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فقال ومن محمد يارب فقال تعالى ذلك سيد أولاد لولاه ما خلقتك فقال آدم اشهد لك انى أقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وصلت الروح الى قدميه نهض ليقوم عريانا فمنع وألبس ثوبا ولباسا وتاجا وعمامة ولما نفخت فيه الروح كان نورا الى فى ظهر فصارت الملائكة خلفه صفوفا متعجبين من ذلك النور فسأل الله ان يجعله فى مقدمة اتباعه فتقبله الملائكة فجعله فى جبهته فسأل الله أن يجعله فى محل يراه فكان فى سبابته فسأل ربه هل بقى

يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول اى المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الآية لان العلم به انفهم واظهر ولان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلت علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التى قال فيهن صلى الله عليه وسلم فى خمس لا يعلمهن الا الله تعالى لانهن اجزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء من ذلك ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وسيأتى بسط جملة مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات فى شرح قوله وكم اخرج خبأه الغيوب خباه وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب (ومنها) اى العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسماء (لآدم) أبى البشر صلى الله عليه وسلم وأصله أأدم لكنهم لينوا الهمزة الثانية تخفيفا وجعلوها فى التصغير واوا نظرا للتليين منها من الادمة بالسكون أو الفتح أو من أديم الارض كما صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وورد عن على وابن مسعود رضى الله عنهما وأديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد ومن قال

يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره وردبان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب وأجيب بان الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطبقوا على ان التفرقة بين اللفظ العربي والمعجمي بصحة الاشتقاق وصح خبر ان آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسرياني (الاسماء) مبتدأ موخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم الى هذا التفصيل مع العلم به مما قبله لان آدم ميزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التي علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه بذمه ومدحهم انفسهم بقولهم أتجعل فيها من يفسد الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان آدم عليه الصلاة والسلام لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقائقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا أعلى واجل من العلم بمجرد اسمائها لانها انما يرقى بها لتبيين المسميات فهي المقصود فالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير ذلك ان المقصود من خلق آدم صلى الله عليه وسلم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجود الملائكة لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبينه ثم ما سلكه الناظم من ان آدم انما علم أي بأحد الطرق السابقة آنفا الاسماء فقط أي الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعاني هو الوارد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليه فقيل علم الاسماء الموضوعة بكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوى ما هو الاصح في الاصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالوضع ويقابل ما سلكه الناظم قولان احدهما انه انما علم مدلولاتها الان المزية في العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أي لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح في الاسماء فقط ومعنى ثم عرضهم أي الاعيان لانها التي تعرض دون الاسماء انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها ولا تأييد فيه لكون العلم بالمسميات خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى * ولما ذكر شرف ذاته وترقيه صلى الله عليه وسلم بما يبهر العقول انتقل الى ذكر نسبه كذلك فقال مستأنفا (لم تزل) حال كونك (في ضمائر الكون) أي الوجود وضمائره

= منه شيء في ظهري فقال نعم فورا خياه اصحابه فقال يارب اجعله في بقية اصابعي فكان نور الاربعة في اصابعه الاربع (قوله انما سجد الملائكة الخ) قال عمر ابن عبد العزيز لما امرت الملائكة بالسجود لآدم كان اول من سجد منهم اسرافيل فجازاه أن كتب القرآن في جبهته انتهى من البداية لابن كثير (قوله فبالوضع) اي من الهمهم الله وضع تلك اللغات

مستوراته المختفيات من الاصلاب والارحام (مختار) أى تصطفى (للامهات) جمع أم وهى الوالدة وان علت واصلها امهة لجمعه على أمهات وقيل أمهات للادميات وامات لغيرهن (والآباء) جمع أب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه وخففا أى تطابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن فى أمهاتك من لدن حواء الى امك آمنة ولا فى آبائك من لدن آدم الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وحديث الترمذى باسناد حسن ان الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم ثم خير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا أى روحا وذاتا وخيرهم بيتا أى اصلا وحديث الطبرانى ان الله اختار الخلق فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم * واعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام ولد من حواء أربعين ولدا فى عشرين بطنا الا شيثا وصيه فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفى وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضع هذا النور الذى كان بجبهة آدم ثم انتقل الى شيث الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها الى القرون الى أن وصل ذلك النور الى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الاحاديث كحديث فى سنن البيهقى ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبى عن أبيه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم مائتى اما فما وجدت فيهن سفاحا لا شيئا مما كان فى أمر الجاهلية * والطبرانى وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدنى ابى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ * وابو نعيم لم يلتق ابواى قط على سفاح ولم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما * وابن مردويه قرأ صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم أى بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح * (تنبيه) * لك ان تأخذ من كلام الناظم الذى علمت ان الاحاديث معبرة عنه لفظا فى اكثره ومعنى فى كله ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وامهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال فى حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما فى آية

اعلم يرجع الى امه عليه الصلاة والسلام وام أبيه وام كل اصل من الطرفين من جهة الآباء والامهات انتهى (قوله نسبا) قال العزيزى يعنى قرابة النسب وصهرا النكاح انتهى تلسانى على الشفاء

فيها نبى قلت السنون أو كثرت قرن ومنه الحديث خيركم قرنى يعنى اصحابى ثم الذين يلونهم يعنى التابعين باحسان واشتقاقه من الاقتران وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون وقيل القرن مائة سنة دل على ذلك ما روى فى الحديث انه مسح رأس غلام فقال عش قرنا فعاش مائة سنة (قوله أربعين ولدا) مقتضى قوله الا شيئا ان قول تسعة وثلاثين ويزيد بعده قوله بطنا كل بطن اثنين الخ تأمل (قوله الا شيثا) قال النووى الفصيح صرفه ويجوز تركه وكذا كل اعجمى ثلاثى ساكن الوسط انتهى قال السيد النسابة فى شرح منظومة ابن العماد ودفن شيث فى غار أبى قبيس مع ابيه آدم عليهما الصلاة والسلام (قوله وسفاحهم) قال ابن الاثير فى النهاية مأخوذ من سفحت الماء اذا صببته ودم مسفوح أى مراق (قوله مائة أم) كذا فى نسخة المؤلف وفى بعض النسخ خمسمائة قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقدمت الجواب عن استشكاله بان أمهاته لا تبلغ ذلك بان مراده الجدات وجدات الجدات من قبل الابوين انتهى وقال التلمسانى فى شرح الشفاء هذا العدد والله

انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختار ون وان آباء كرام والامهات طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل كانوا من اهل الفترة وهم فى حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا من بين كل رسولين وايضا قال تعالى وتقلبك فى الساجدين على أحد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ فهذا صريح فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من اهل الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه أن الله تعالى احياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القرآن والاجماع ليس فى محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله فى غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها اعادا لوقت حتى صلى على رضى الله تعالى عنه العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم فى صحة هذا مما لا يجدى أيضا وخبر ان تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الاستغفار لامه اما كان قبل احيائها له وايمانها به أو ان المصلحة اقتضت تاخر الاستغفار لها عن ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ * فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم الحقوا بالمسلمين فى مجرد السلامة من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم معزل عنها فاتحفا بعزيتة الايمان زيادة فى شرف كما لهما لحصول تلك المراتب لهما وفى هذا مزيد ذكرته فى الفتاوى ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم ابا بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد تساهل واستروح وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله اين ابى قال فى النار فلما قفا دعاه قال ان ابى وابالك فى النار يتعين تاويله وأظهر تاويل له عندى انه اراد بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمى العم ابا وقرينة المجاز فيه الآية الآتية الشاهدة بخلافه على اصح محامليها عند اهل السنة وان عمه الذى كفله بعد جده عبد المطلب او امه انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد للوقوع فى سمعه اولا أن اباه فى النار بدليل انه انما قاله له بعد ان ولى او كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اطفال المشركين فقال هم من آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم فى الجنة واما قول النووى رحمه الله تعالى فى حديث مسلم ان من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهم فى النار وليس فى هذا

(قوله فى الاستغفار لامه) ما وجه المنع من الاستغفار قبل ذلك مع الحكم عليهم انهم فى حكم المسلمين وانهم غير معذبين انتهى طيلاوى واعل وجه المنع انه لم ينزل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكان قبل علم بان أهل الفترة غير معذبين كما سأتى الجواب بذلك فى الشارح عن نظير ذلك (قوله أو انه انما قصد الخ) ان كان مراده بهذا ان المراد ابو النبى حقيقة فغير ظاهر لان مجرد مراعاة تطييب خاطره خشية ما ذكر مع علمه بانه ناج من النار لا يجوز ذلك فكان الظاهر ان يجعل ذلك عذرا لارتكاب ذلك المجوز من رسول الله وقصده بذلك الخ تأمل (قوله قبل ان ينزل الخ) أى وقبل احيائهما والايمان به (قوله من آبائهم) فى نسخة مع آبائهم

مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى فبعيد جدا للاتفاق على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسمعيل اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الاوثان الذين ورد فيهم انهم في النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي ثم رأيت الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بان كلامه متناف لحكمه عليهم بانهم اهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني ثم قال ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما احسن قول بعض المتوقفين في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات انتهى واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يرد دون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء من ان اهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا في الغلام الذي قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله تعالى وحده فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله تعالى ورسوله فلا يرد هؤلاء نقضا على ما استفيد من الآية ومشى عليه اولئك الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم أخبار آحاد فلا تعارض القطعي بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور في الاحاديث متصور على من بدل او غير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وكأن قائل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب بعقل ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق بين من غير وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقتصر ذلك عليه لانه لا قياس في ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة هم القائلون ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنون مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فلك رده بان أبا حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم مؤمنون ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم ائمة اهل السنة قائلون به قصور وراى قصور وتساهل وراى تساهل (ما مضت فترة) وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدرها والمشهور انه ستمائة سنة اى زمن خال (من الرسل) جمع رسول ومر تعريفه اول الكتاب اى ما مضى زمن خال من الرسل نسي فيه ذكرك (الا) جددته و (بشرت) من البشارة وهي الخبر السار (قومها) ليس فيه اضمار قبل الذكر لان مرجع

بقوله فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء لا ينافي فرض الكلام في الفترة فانه ليس المراد دعوة ابراهيم وغيره لهم بل لغيرهم فهم اهل فترة اذ لم يدعهم رسول فلا يؤاخذون على المعاصي لكنهم يعذبون على عبادة الاوثان لانهم بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره بالمنع منها وان كانت الدعوة لغيرهم لان المنع منها مما اتفقت الانبياء عليه ثبت في حق كل أحد وان لم يكن مدعوا منهم ومنشأ الوهم انه فهم ان المراد دعوة ابراهيم وغيره لهم وهو غلط كما تقرر انتهى سم (قوله وقول ابي حيان) أي في البحر (قوله بأن اباحيان الخ) هذا لا يحوج الى الوقيعة في أبي حيان فان نسبته ذلك للرافضة غير ضار وكأنه ترك النقل عن غيرهم ممن ذكر لزيد شهرته بنص القرآن وكيف يقال مثل ذلك في أبي حيان مع تفسيره القرآن التفاسير العديدة ومعلوم ان التفسير يحتاج لعلوم كثيرة من اصول وغيرها فكيف يكون عن الاصول بمعزل (قوله آنفا) بمد الهمزة والنصب على الظرفية أي اول وقت يقرب مني وهو الآن انتهى قسطلاني وقيل منصوب على الحال (قوله ما مضت فترة) فلو قال ما مضى مرسل من الرسل لكان احسن ليشمل آدم صلى الله عليه وسلم فانه ليس قبله نبي انتهى دنوشري

الضمير الفاعل وهو مستقدم الرتبة وان تاخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة اى الاربشرت الاقوام الكائنين فى تلك الفترة (بك) اى بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك (الانبياء) اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وهذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على السنة الرسل وانه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم واممهم وشاهد ذلك قول الله عن عيسى صلى الله عليه وسلم ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابى ابراهيم أى فى آية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اى واممهم وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع لما فتوحة توطئة للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن به سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية ومكتوبة اى لاجل ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية * وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله على وابن عباس رضى الله عنهم وتبعهم الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله انه تعالى اخذ على كل نبى بعثه من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ان من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به وينصرنه ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بأنهم ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه ودعوى أن هذا هو معنى الآية دون الاول مردودة ولا ينافى الاول العلم بان الانبياء لا يتركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم فى آخر الآية بالفسق على من تولى عن ذلك لان التعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى الى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين والمقصود انه لو فرض انه بعث وهم أحياء لزمهم ذلك كما ان المقصد من هاتين الآيتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم قال الامام التقى السبكى دلت الآية على انهم لو أدركوا زمنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء واممهم من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله وارسلناك للناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم وأممهم بانه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر فى الآخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان بكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه * ثم بين الناظم بعض فوائد تلك البشارات فى تلك الفترات فقال (تتباهى) اى تتفاخر (بك) اى بوجودك (العصور) اى الازمنة الطويلة من لدن آدم الى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك فيه بكمال اعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم شق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر دعائك الخلق الى دين الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر

(قوله بقرب بعثتك) لو حذف القرب لكان احسن فلفظ القرب فيه بعد التهى دنوشرى (قوله التابعون) نعت مقطوع عن التبعية والا لقال التابعين (قوله وجواب ما الشرطية) أى التى هى مفعول آتيتكم ومن كتاب تفسير لما آتيتكم ماض أريد به المستقبل والآية مما اجتمع فيه القسم والشرط فالجواب للسابق منهما وهو القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه فتنبه قول الشارح سد مسد جوابه وجواب القسم فيه نظر ولعله أراد بيان المعنى لا بيان الاعراب والا فالشرط يقتضى جوابا يعمل فيه جزما والقسم ليس كذلك ومحال ان يكون لشئ واحد موضع من الاعراب ولا موضع له (قوله لاجل ما آتيتكم) أى الذى آتيتكموه فالعائد محذوف وكذا من قوله ثم جاءكم أى به أى بنظيره (قوله ان هذا) اى اخذ الميثاق على كل نبى دون الامم والاول اخذه على الانبياء والامم (قوله أى تتفاخر) يعنى تمدح بذكر هذا الامر الجميل الذى لا يدانيه جميل

(قوله ليغان) قال في المختار غين على كذا غطى عليه ومنه الحديث انه ليغان على قلبي (قوله هذا غين انوار الخ) نقل الشيخ زروق في بعض شروحه عن الحكم العطائية ان ابا الحسن الشاذلي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال انك قلت انه ليغان على قلبي قال نعم قال ماهذا الغين فقال له صلى الله عليه وسلم هو غين

انوار لاغين اغيار يامبارك فسماه مباركا واجابه بهذا الجواب (قوله غفل عنه) ما وجه نسبة الشارح للغفلة مع ان كلامه مفيد له ومقرر لما افاده المتن ومنه قوله لكل عصر من العصور به افتخار لوجوده فيه ولو كان في عالم الاصلاب والارحام واعظمها افتخار اعصر ميلاده الى قوله ولا ينبغي ان يتوهم من هذا انقطاع تفاخر العصور بوفاته صلى الله عليه وسلم بل ذلك باق الى يوم القيامة نظرا الى ازمنة استقامة شريعته وحسن العمل على سنته فان ذلك باق الى يوم القيامة لقوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وايضا فان ثواب كل عامل على عمله من امته لاحق به صلى الله عليه وسلم اخذا من قوله من استن بسنة حسنة فله أجرها وأجر العامل بها الى يوم القيامة فهو في كل عصر متزايد الكمال متميز الشرف والجلال وله كمال ليس فوقه كمال الاجلال الله جل جلاله ولا ينقطع أيضا بقيام الساعة بل يفتخر به ذلك اليوم ايضا لوجود علو مرتبته فيه من المقام المحمود والشفاعة العظمى ورجوع الناس كلهم الى شفاعته صلى الله عليه وسلم وفي الجنة لما يعطاه من الوسيلة والفضيلة وما لا عين رأت ولا اذن سمعت صلى الله عليه وسلم ولا منافاة فيما قرره الشارح بل هو موقوف بجميع ما قرره في معنى البيت فتأمله بانصاف واما التصريح بقوله وفي قول الناظم الخ فهو مستغنى عنه لظهوره لا سيما في المقام وتقرير الكلام

معارجك ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر مراياك وبعوثك وفتوحك ثم عصر دخول الناس في دين الله تعالى افواجا ثم عصر حجك ثم عصر أنباءك على تفاوتهم الى يوم القيامة كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طائفة من امتي فزاياه تتزايد في كل عصر من أعصار حياته صلى الله عليه وسلم على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصر اتباعه يتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه فيفتخر كل عصر على غيره بحسب ذلك أيضا وانما لهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال لكل ومن دل على خير له مثل اجر فاعله بكل حال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر عن ادراك كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى في فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته فكل هذه العصور تفتخر وتسمو به بحسب ما يتسع فيها من كماله لان الازمنة والامكنة تشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها انما هو لاجله أيضا (وتسمو) اى تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت وعليت (بك) أي بتلبسها بك مرتبة (عليا) تأنيث الاعلى (بعدها) في الزمان والعلو مرتبة أخرى (عليا) أي أعلى منها أي الث في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلي هذا غين أنوار لا غين أغيار أي لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها فيستغفر الله تواضعا طلبا للتزايد كما له وفي قول الناظم وتسمو الخ من المدح ما لا يخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر أنه الذي يسمو ويرتفع بها هو الحق انه تعالى خلقه في عالم الامر على أكمل كمال لم يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق مندرجا في تلك المراتب لتتشرف به لا يتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها فتأمل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح رحمه الله

(قوله منها ما يكون الخ) قال الدلجي ومنها ما يكون بيانيه تجريدية في المنتزع منه كما في لئن سألت فلانا لتسألن به البحر بالغ في وصفه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها وما يكون بيانية في المنتزع كما في قوله وشوهاء تعدو بي الى صارخ الوغا * بمستلئم أي تعدو بي ومعي من نفسي لابس لأمة اي درع لكمال استعدادي للحرب بالغ في وصف نفسه باستعداده للحرب حتى انتزع منها مستعدا مثله لابس لأمة قال في المختار وفرس شوهاء صفة ممدوحة فيها قيل المراد به سعة اشداقها وقوله صارخ الوغا أي المعلن بالصوت للاستغاثة في الوغا اى الحرب ٣٠ وما يكون بقي في المنتزع منه كما في قوله تعالى لهم فيها أي في جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها فيها تم ويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار وما يكون بلا حرف كما في قوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة
تحوى الغنائم أو يموت كريم

أي الا ان يموت كريم بالغ في وصف نفسه بالكرم حتى انتزع منها كريما (قوله من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم) كان الظاهر ان يزيد ومن لدن حواء الى آمنة لان المراد بالآباء ما يشمل الامهات كما صرح به على الاثر ثم يعبر بناء التفريع بدل الواو في قوله وأراد (قوله تحسب) قال في المختار وحسبته صالحا بالكسر احسبه بالفتح والكسر محسبة ومحسبة بفتح السين وكسرها وحسبانا بالكسر ظننته اه وقوله والكسر فيه ان فعل بكسر العين لا يأتي مضارعه على يفعل بكسرها قياسا فيكون كسرها في المضارع شاذا والفتح هو القياس كما يؤخذ من شرح الاشموني على الخلاصة في باب ظن (قوله تحسب العلا بحلاه الى آخر البيت) حاصله ان المراد بالحلى نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكأنه اى قال تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها الخ والعلا هي المراتب الشريفة ويكون الشارح ناظرا لبيان الحلى في الاصل لا للمراد بها هنا ويصح ان يراد بالحلى الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الشارح ظاهرا وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى في النجوم حيث شبه افراد النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها في زمانه حتى صار كأنه النجم في علو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم لتلك الافراد الثانية =

تعالى (وبدا) اى ظهر (للوجود) اى لهذا العالم (منك كريم) اى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد الذي هو من ادق انواع البديع وهو اعني التجريد ان ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر في تلك الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو انواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لي من فلان صديق حميم اى قريب بهتم لامري اى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه فلان آخر مثله في الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله في صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي ظهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد (من) اصل اب وام (كريم) أي سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر ويأتي وهذا ظاهر في اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم ومر ما في ذلك (آباؤه) اى جميعهم كما افادته الاضافة من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم واراد بالآباء ما يشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم ما لهما واحد (كرماء) اى سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم * (تنبيه) * قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا لكن قال البيهقي الاصح ان هذا من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اى لانهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين اسمعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم انكر مالك رضي الله تعالى عنه على من يرفع نسبه الى آدم وقال من اخبره بهذا اى ان ذلك من كلام المؤرخين الذي لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة هذا (نسب) عظيم بل لا اظهر ولا أجل منه في الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها (تحسب) ايها المخاطب

= فى الجوزاء حيث شبهه بمجموع تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب اسم لمجموع افراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين أفرادكل والشهرة الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب الثالثة فى قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب افراده للمراتب العلية لتتزين تلك المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منها قلدتها بمعنى أعطتها فتكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب أيها المتأمل فيه بسبب الزينة القائمة به ان مراتبه العالية القائمة بأفراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها فيكون فى هذا البيت قد جرى على اسلوب ماسبق فى قوله وتسمو بك علياء بعدها علياء حيث جعل هنالك ٣١ المرتبة العالية هى التى تعلو به على خلاف المعتاد من ان الشخص يعلو ويرتقى بالرتب العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هى التى تتزين وتتقلد بالافراد فأفراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه قال تحسب العلا تقلدت بأفراد النسب لكن على هذا فى الكلام اظهار فى مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها ههنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيهه بالجوزاء وادعاء انه هى (قوله جمع عليا) بضم العين كبرى وكبر وهى كل فعلة عالية توجب لصاحبها الشرف والرفعة اه (قوله نطاق) قال فى القاموس المنطقة كمكنسة ما يتنطق به وكمنبر وكتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر على الارض ليس لها حجزة ولا يتفق ولا ساقان واتنطقت لبستها والرجل شد وسطه بمنطقة كتنطق اه وقال فى نفق ينفق السراويل بالفتح أى فتح النون الموضع المتسع منه فبكسر النون من لحسن العامة (قوله وان مجموع هذا النسب الخ) وفى الدلجى شبه مجموع النسب لشرفه وسموه محله بمجموع نطاقها المشبه بالقلادة استعارة مكنية خيل لها بقوله قلدتها فكان نسبه صلى الله عليه وسلم قلادة فى عنق العلا المشبهة على طريقة الاستعارة المكنية بذوات ثلاثة مقلدة بها (قوله وما قرر) أى بطريق الاشارة من قوله قلد اذ التقليد انما يكون للعقد وتقدم ان المراد بالنجوم نسبه الشريف واما بطريق التصريح فما يقرر من قوله عقد (قوله أى صار حبيبا) اى محبوبا فهو كطرف وقوله لاحبب بالفتح أى لانه بمعنى صار محبوبا وليس بمراد هنا

اى نظن (العلا) جمع عليا تأنيث اعلى كامر (بجلاه) بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله أى بسبب حلى ذلك النسب (قلدتها) أى العلا فى محل مفعول ثان حسب الثانى والاول العلا (نجومها) اى بنجومها (الجوزاء) اسم لبرج فى السماء كما فى القاموس وعلمه فنجومه هى الآنية وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها وحينئذ لا بدع ان ينسب الى الشئ من حيث هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد التى اشتمل عليها او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حوالها من النجوم التى تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء كما قال القائل

لولم تكن قبة الجوزاء تخدمه * لما رأيت عليها عقد منتطق

أى من كمال هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها اى جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد من اولئك الآباء الكرام قد ارتفع فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته فى مبحث الاستعارة من انواعها ما فى هذا البيت من المبالغة البالغة الغاية فى البلاغة كاستعارة نجوم الجوزاء المتتابعة لتتابع ذلك النسب فى الشرف وعلو المراتب العلية ولما قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذى تقلدته تلك المراتب العلية أخذ فى مدح ذلك فقال (حبذا) هى كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب بالضم اى صار حبيبا لاحبب بالفتح ثم ادغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير ولان فيه حذفا تقديره فى نحو حبذا هند حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا

(قوله شائع) انظر ما فائدته (قوله عقد سودد ونخار) قال الدلجي وعقد سودد ونخار تشبيه بليغ لاضافته الى ما يليه فاخرجهما من سلك الاستعارة ولولاه لانتظم افيه ولذا ٣٢ أثبت فيه التتيمة اللهم الا أن يكون واردا على تناسي التشبيه مع ذكر طرفيه فيكون استعارة وان كانت مبنية على طي ذكر المشبه اذ قد يتناسى مع ذكرهما كما في قدرزر أزراره على القمر

بادعاء ان المشبه نفس المشبه به لا غيره مشبها به انتهى فقول الدلجي تشبيه بليغ أي سودد ونخار كالعقد والسودد بضم السين كما في المختار وقوله تشبيه بليغ الخ اضافته لما ذكر لا تعين ذلك فلا يحتاج لما تكلفه في تقرير الاستعارة بل هي جارية في العقد وما بعده تجريد (قوله انت فيه) قد يقال لا تظهر الظرفية لان النسب المعبر عنه بالعقد اسم لاصوله عليه الصلاة والسلام فهو ليس منه فكيف يظرف اللهم الا ان يقال راعى كونه نورا في الاصلاب والارحام ونظر فيه بهذا المعنى ظاهرة فان روعي جسمه احتيج لتكلفه جعل في بمعنى من أي انت اليتيمة العصماء حالة كونك كائنا منه أي منفصلا منه (قوله التي لا شبيه لها) في القاموس اليتيم الفرد وكل شيء يعز نظيره اه ثم ان كان المراد بقوله الفرد أي المنفرد عن النظير ساوى قول الشارح لا شبيه لها وقوله فيما يأتي العديمة النظير ويكون قوله وكل شيء الخ مفيدا لمعنى آخر لليتيم أي اثبات النظير لكنه عزيز تامل (قوله ومحيا) معطوف على عقد فهو معرب اعراب فتى وكالشمس صفة اولى له ومضى صفة ثانية فما تكلفه الشارح من الاعراب التابع فيه للبوجري لا داعي له

امره وشانه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر اثما حذف واقيم المضاف اليه مقامه اولانه على ارادة جنس شائع اقوال والا كثرون على الاول وقيل حيذا كانه فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم هل هو مبتدأ خبره المخصوص او عكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل والمخصوص مبتدأ الجملة هي خبره والرابط ذا وقيل مبتدأ محذوف الخبر وقيل عكسه وكانه قيل من المحبوب فقيل زيد اى هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص حيذا عليها وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عنها فلا تساويها في تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل المخصوص أو بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حيذا الصبرشيمة وحيذا رجلين الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف منتشر فيه والناظم حذف هذا الدلالة المقام عليه والتقدير حيذا كمالا وتدخل عليها الاقتساوي بئس في العمل والمعنى مع زيادة ما تقدم ضده في حيذا وهي غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في الاخيرين وتجرد من ذا فيضم اولها ويجوز بقاء فتحه وجر فاعلها بالباء كحب بها وانما أطلت في هذا الان كلام الشارح فيها غير موف بالمراد مع انه لا يخلو كالنظم في حذف ما مر من ايهام فتأمله (عقد) بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر (سودد) أي سيادة (ونخار) أي تمدح بالخصال الجليلة (انت فيه) أي ذلك العقد وفي نسخ فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة (اليتيمة) التي لا شبيه لها في حسنها (العصماء) من العصمة أي الحفظ او المنع لان من شأن هذه الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها عن ان تصل اليها ايد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة لعقد او حال منه لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أي حيذا نسبك الذي اذا ذكر وعد من معه آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واغلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها التميزها بلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول ويفوق الوصف وشاهد هذا مامر من الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين والخلقة الاكبر عن رب العالمين ولما تم مدح كماله ونسبه أخذ في مدح ذاته فقال (و) حيذا أيضا (محيا) أي وجه (كالشمس منك) حال من محيا (مضى) مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا أو حال منه لتخصيصه بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت مسعود لو رأيته لقلت الشمس طالعة وحديث أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس

(قوله كان وجه) أى أكان فهمزة الاستفهام مقدرة (قوله سهولة خديه) أى قلة لحمهما قال فى القاموس رجل سهل الوجه قليل لحمه ويقال اسيل الخدين ناعمهما مع طول قليل انتهى (قوله يملأ نوره ٣٣ الارض) قد يقال الشمس يملأ نورها الارض فلا فرق نعم بالضمام المعطوف لذلك يحصل الفرق تأمل (قوله تعشى البصر) أى تضعفه كما فى المختار (قوله غراء) أى بظهور فيها ان قلنا ولد ليلا او عنها ان قلنا ولد نهارا وهو الاصح (قوله أو لكونها من الغرر) أى الذى هو جمع غرة بمعنى اول الشهر بقرينة مابعده والا فالغرة بمعنى البياض الذى ذكره وجعله المراد هنا جمعها غرر ايضا تأمل (قوله وبفتحهما مكانها) اسم الزمان والمكان من الولادة كلاهما على وزن مفعل بكسر العين لا غير فانظر كلام الشارح انتهى دنوشرى قال أبو الفضل فى شرحه المولد بالكسر زمن الولادة ومكانها انتهى (قوله وازدهاء) قال الفاضل الدلجى وأصل ازدهاء ازتهاء من الزهو أعنى التكبر والفخر وقعت تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد زاى شديدة فثناء فرتا فابدلت دالا ثم أبقيت بلا ادغام ويجوز ادغامها بعد قلبها زايا أو الزاى دالا فى الاخرى وقد شبه الدين على طريقة الاستعارة المكنية بمن يتأتى له ان يسر ويفرح وخيل له بالسرور لورود نبيه صلى الله عليه وسلم

تجرى فى وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف فى الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفى حديث على عند الترمذى والبيهقى لم يكن بالمطهم أى كعظم السمين الفاحش السمن ولا بالمكلثم أى المدور الوجه كان فى وجهه تدوير أى قليل مع سهولة خديه وهو أحلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر أنهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ماذكر لا مطلقا فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما أخذا من قول أبى نواس

تشبه الشمس والقمر المنيرا * اذا قلنا كاشبههما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير

نعم قول ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ربما يشوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يملأ نوره الارض أحوج ما كانت اليه ويؤنس كل من شاهده فهو يجمع النور من غير أذى ويمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تعشى البصر وتمنع من تمكن الرؤية اليها ولك أن تقول لا نفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى فيه الاشراق والاضاءة وحينئذ فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها أبلغ منه بالقمر قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان مابينهما (أفرعت) صفة أو حال أيضا أى انحسرت وانقضت (عنه) أى عن ذلك الحبا اواضاءت متجاوزة عنه (ليلة) عظيمة (غراء) أى بيضاء بظهور نوره فيها وعمتها وهذا أولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثانى عشر اولكونها من الغرر بناء على انها ليلة ثانى الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة وهى بياض فى وجه الفرس فهو غرة فى وجه الدهر ثم أبدل منها قوله (ليلة المولد) بكسر اللام زمن الولادة وبفتحهما مكانها وكلاهما ههنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمى أى ليلة الولادة (الذى كان) أى دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما (للدين) وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبى الكريم وحد أيضا بانه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود (سرور) أى فرح عظيم (يومه) واليوم فى عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفى عرف الشرع من طلوع الفجر وأضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرف التابع له فكيف بذاته (وازدهاء) أى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وأنت أشرف مولود

موارد الاظهار على الدين كله وانتطاقه الشرف وتوشحه وشاح الاستقامة الى يوم القيامة بشهادة لا تزال طائفة من أمتى الحديث وفى البيت مراعاة النظير ويسمى توفيقا واتساقا وتلفيقا وهو جمع أمر ومايناسبه لا بالتضاد امرين مثل الشمس والقمر بحسبان والسرور والازدهاء هنا أو ثلاثة كقول الشجرى يصف ابلا =

= كالقسي المعطفات بل الاسـ ـهم مبرية بل الاوتار أو أربعة كقوله للمهاب أنت أيها الوزير اسماعيل الوعد شعيبي
التوفيق يوسفي العفو محمد الخلق أو اكثر ٣٤ كقول ابن رشيق اصح واقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا
عن البحر عن كف الامير تميم
فناسب بين الصحة والقوة والسماع والخبر والاحاديث والرواية وبين السيل والحيا وكف تميم مع مافي الثاني من صحة الترتيب في العنعنة حيث جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الاحاديث فان السيول أصلها المطر واصل المطر البحر على ماقيل واصل البحر كف تميم ادعاء من الشاعر انتهى (قوله في الفضائل) قال الكمال بن ابي شريف فاذا ثبت لعمل فضل شرعا على الاطلاق كالصلاة والدعاء والذكر وورد حديث يتضمن فضل دعاء أو ذكر خاص أو صلاة خاصة وذلك الحديث ضعيف استحب العمل بمقتضى ذلك الحديث لا بمعنى اثبات الاستحباب الذي هو حكم شرعي بذلك الحديث بل لدخول ذلك فيما ثبت فضله مطلقا مع احتمال صحة ذلك الحديث الضعيف انتهى (قوله حجة) قيده الحافظ ابن حجر بأن لا يكون شديد الضعف وان يكون مندرجا تحت اصل عام وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته فخرج بالاول من انفرد بالكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه وبالثاني ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا وقوله في الثالث وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته المشهور
أي لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله انتهى

فلاجل ذلك سر الدين وأهله اليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام * (تنبيه) * أضاف الناظم كلا من اليوم والليلة الى المولد فاحتمل ان يكون من القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فانشئ انظر اليه من البيت الانور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول يقعن علي ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم وبتصريح عائشة رضي الله عنها ايضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بأنه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الآتي * يوم نالت بوضعه آمنة وهب * وهذا هو الاصح كما صرح به حديث مسلم وغيره لكن بعد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضائل والمناقب حجة اتفاقا فمن أطلق انه ولد ليلا أراد بالليل ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجازا المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الآتية ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها حينئذ بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم * وعلى انه ولد ليلا قيل ليلة مولد أفضل من ليلة القدر واستدل قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما بينته الواقف عليها ان حققت ودققت وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع الاول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو يوم عاشوراء أقوال والاصح انه في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره أكثر أهل الحديث وغيرهم بل أجمع عليه أهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه صلى الله عليه وسلم لو دفن فيها لكان بفضل تبعا لها فانفرد صلى الله عليه وسلم بموضع مفضول عند أكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا للمزيد اكرامه على ربه واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل بل حكى الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك أقوال أخر خمسة وخمسون شهرا أربعون شهرا عشر سنين خمس عشرة سنة وأيد كونه بعده بانه ارهاص لنبوة هذا الذي ولد بمكة ومقدمة لظهوره صلى الله عليه وسلم وفي مكانها والصواب انه ولد في مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد

(قوله بل قيل الخ) قد يدعى ضعف هذا القيل لعدم تسليم دليله الذى ذكره اذ لا يلزم من عدم علم محل دفنه وولادته انكار وجوده عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى (قوله بشارة) بضم الباء وكسرها ٣٥ (قوله والمراد هنا أعم) فيشمل ما يرى شخصه كالاحبار

المشهور الآن بالمولد وزعم انه بعسفان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض أئمتنا ان أول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل ان انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو محمد (وتوالت) أى تتابعت (بشرى) أى بشارة (الهواتف) للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه أى صوته وقيل صوته الخفى ولا يرى شخصه والمراد هنا أعم من ذلك لان البشارة به جاءت فى كتب الله تعالى وعلى السنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه أهل السير وجمع أكثره ابن ظفر فى كتابه البشر بخير البشر (أن) أى بأن متعلق ببشرى (قد ولد المصطفى) أى المختار على الخلق كلهم (وحق) أى ثبت (الهناء) أى الفرح والسرور لكل الخلائق به قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاءه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال

فاقسم ما أنثى من الناس انجبت * ولا ولدت أنثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر * مجنبة لؤم القبائل ماجده

وهتف آخر على جبل أبى قبيس بأربعة أبيات فيها معنى ذلك وزيادة * ومنها ان سواد بن قارب الدوسى لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه أخبره ان رئيه أنشده أبياتا ثلاثا لبال متوالية وذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حث سواد ابن قارب على المجىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه * ومنها ما جاء بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك أن يولد منكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب وتملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه وقد طلع نجمه البارحة فاسمعته قال محمدا وروى الحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بمكة يهودى فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد هذه الليلة نبى الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس فاد خلوه على امه وأخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا مالك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل وذكر الحافظ أبو سعيد النيشابورى ان نور النبى صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد الله بن عبد المطلب وكان يضىء فى غرته ويفوح من فمه رائحة المسك الاذفر وكانوا يستسقون به فيسقون نام فى الحجر فانتبه ملحوما مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فتحير فيمن فعل به ذلك فانطلق به أبوه الى كهنة قريش فقالوا له ان الله السموات

(قوله فى كتب الله) كان الظاهر أن يقول جاءت فى ألسنة الخ بحذف الكتب لانه علق قوله ان قد ولد بقوله بشرى والبشارة بوقوع الولادة بالفعل لم تأت فى كتب الله القديمة وانما اتت فيها البشارة به صلى الله عليه وسلم فتأمله (قوله الاحبار) جمع حبر اى عالم والرهبان جمع راهب أى متعبد اى علماء النصارى وعبادهم (قوله وحق) قال ابن السبكى حق يحق بالضم والكسر انتهى وحق بفتح الحاء وقوله أى ثبت قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أى ثبتت وهو من أسمائه تعالى بهذا المعنى لانه الثابت أزلا وأبدا لذاته ويقال الحق لما يقابل الباطل لانه جدير بالثبوت كما ان الباطل جدير بالزهوق انتهى من شرح منهاج البيضاوى لابن السبكى (قوله الحجون) بفتح الحاء جبل باعلى مكة (قوله رئيه) أى جنبه قال فى القاموس الرئى كغنى ويكسر جنى والحية العظيمة تشبيها بها بالجنى انتهى (قوله وذكر الحافظ الخ) ما ذكره الشارح من هنا الى المتن غير مناسب للمقام لان الكلام فى البشارة بولادته وليس فيما ذكره بشرى بأنه ولد وانما يدل على مناقب وكرامات لعبد الله والد رسول الله بركة أسعد الخلق (قوله الاذفر) الذفر بفتحتين كل ريح ذكية يقال مسك اذفر بين الذفر وبابه طرب انتهى من المختار

(قوله كلما خرجت القرعة) اى على ابنه عبد الله (قوله شقا) وهذا الشق باق الى الآن كما نقله ابن الجوزى (قوله ايوان) أصله إيوان قلبت احدى واويه ياء لكسر ما قبلها وقوله بكسر الهمزة أى بوزن الديوان وجمعه أواوين كديواوين وايوانات انتهى طبلاوى وقد بناه سابور ذو الاكتاف ولم تمه أحد ابرويز بن هرمز الملقب بكسرى فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع وسمكه أى ارتفاعه كذلك وعرضه خمسون ذراعا مبنى بالجص والآجر ولما ملك المسلمون المدائن حرفوا هذا الايوان وأخرجوا منه الف الف دينار (قوله كسكاب) وجمعه على هذا اوان كغوان وخون بوزن دون انتهى طبلاوى (قوله ذو شرافات) جمع شرافة ويقال فيها شرفة وجمعها ٣٦ شرف كغرف وغرفة وطول كل شرفة خمسة عشر ذراعا (قوله كسرى) ذكر

قد اذن لهذا الغلام أن يتزوج وينام مرة أخرى فى الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والارض وليكونن فى الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم كانت اندرست فرأى عبد المطلب مارله عليها الحفرها فاذا سفها قريش ولم يكن له الاولاد الحرث فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن أحدهم لله تعالى فلما قاموا عشرة بنين رأى من يأمره بوفاء نذره فانتبه وذبح كبشا فرأى انه لا يجزئه وهكذا حتى أمر ان يذبح أحد بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله فجاء به ليذبحه عند باب الكعبة فمنعه سادة قريش وأمروه بمشاورة كاهنة فاشارت ان يقرع بينه وبين عشر من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليها يزاد عشرة فلما بلغت مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم اقر من قال له ذلك والثانى اسمعيل وعليه الاكثرون فقد مر أن العرب تسمى العم أبا (و) من عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انه (تداعى) أى تهادم أى اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى خرابه (ايوان) بكسر الهمزة ويقال فيه اوان كسكاب وفسره الجوهرى بانه الصفة العظيمة كالزج وغيره بانه بيت مؤزج أى مبنى طولا غير مسدود الوجه أى فهو صفة طويلة واسعة باوالها عقد واسع بابه قال رهو فارسى وقيل هو البيت العالى وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرافات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما (كسرى) أنوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب قسرى أى واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشى لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك (ولولا) حرف امتناع لوجود

الدميرى ان كسرى هذا اول من اقتص من قاتله وذلك انه قال لمن حموه انك تقتل فقال والله لاقتلن قاتلى فعمد الى سم ناقع فوضعه فى حق وكتب عليه دواء للباءة صحيح مجرب اذا استعمل منه وزن كذا وكذا الفظ وجامع كذا وكذا فلما قتله ابنه قباذ فتح خزانته فوجد ذلك الحق مختوما فقرأ ما كتب عليه فقال بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء ففتحه واستعمل منه ماذ كر فمات وكان لكسرى ثلاثة آلاف امرأة انتهى وكان كسرى مجوسيا (قوله أنوشروان) معناه بالعربية مجد الملك انتهى من نور النبراس (قوله معرب قسرى) فى الجوهرى وهو معرب خسر والنسبة اليه كسروى وكسرى كحرى وجمعه أكاسرة على غير قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون بفتح السين انتهى (قوله وتبع) كان رجلا صالحا حاز النبى صلى الله عليه وسلم عن سبه لانه آمن به قبل المبعث بسبعمائة سنة (قوله وفرعون) فقوله تعالى وقال موسى يا فرعون فيه محاورة من موسى لفرعون حيث خاطبه باحسن ما يدعى به واحبها اليه اذ كان من ملك مصر يقال له فرعون وفى تفسير القرطبى ان فرعون كان علجا من همذان قاله الحسن وعن مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أهل اصبهان طوله أربعة أشبار انتهى قال فى المختار العلج بوزن العجل الواحد من كفار العجم والجمع علوج واعلاج وعلجة بوزن عنبة وقوله من همذان بفتح الهاء والميم والذال المعجمة ومن خاصيتها ان لا يكون الانسان بها جزينا ولو كان ذا مصائب كذا فى عجائب البلدان للقزوينى

(قوله آية) نقل أبو الفضل في شرحه عن سيبويه ان أصلها أوية قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها (قوله ثم قتل في زمن عثمان) بذلك تعلم رد ماذكره بعض أهل السير من قتله في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله فلا كسرى) أي فلا كسرى مثله (قوله وقال لسراقة الخ) أي حين أراد الانصراف عن النبي صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة وقد خاص فرسه بعد ان خسف به الى الركبتين وطلب من رسول الله كتابة أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتبه له في ورقة أخرجها لسراقة لما جاء يوم حنين فأمنه وكل من يلوذ به فعلمت ان النبي لم يقل له ذلك في حفر الخندق وان توهمه بعضهم في عبارة الشارح لان سراقة لم يكن في حفر الخندق لانه انما أسلم بالجعرانة بعد الانصراف من غزوة حنين وذلك بعد حفر الخندق وبعد فتح مكة كذا ذكر بعضهم ثم رأيت في الاصابة نقلا عن رواية البخاري قصة سراقة انه أسلم يوم الفتح وقد أنشد بعد اسلامه رضي الله عنه مخاطبا لابي جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(قوله الموبذان) بضم الميم ثم واو ساكنة ثم موحدة مكسورة ثم ذال معجمة وهو للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين والجمع الموابذة (قوله عربا) هي خلاف البرادين والفرس ان كان أبواه عربيين فهو عتيق وان كانا أعجميين فهو برذون وان كان الاب عربيا والام عجمية فهو هجين وان كان بالعكس فهو مقرف (قوله فدلهم الخ) أي لان كسرى قال له هل عندك علم بما أريد ان اسألك عنه قبل ان أسألك فقال هذا

لوجود أي امتنع حوابح الوجود تاليها (آية) صادرة (منك) الى الوجود أي علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له رأس وفيه التفات من الغيبة الى الحضور والاصل منه أي من المصطفى صلى الله عليه وسلم (ماتداعى البناء) أي هذا المبني المذكور مع ماهو عليه من العظم والاحكام الذي كان يظن به انه لا تهدمه الانفجة الصور فاذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرافة حينئذ فليس ذلك الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم للوجود على نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا ملك ولا عزيز في الارض لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرافة الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر فملك عشرة في أربع سنين وأربعة الى زمن عثمان وقد فتح في زمن عمر رضي الله تعالى عنه أكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتتبعه قرا قرا الى اقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أموالهم وكنوزه تنفق في سبيل الله تعالى فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم أمته في حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء الصحابة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما اياه أي اظهارا للمعجزة وذلك عذر صحيح وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ولما رأى كسرى ماوقع بابوابه ورأى تلك الليلة الموبذان أعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها أفزع كسرى ذلك فسأل الرائي فقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب كسرى الى النعمان ابن المنذر ملك العرب ان يرسل اليه اعلم من في أرضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا فأخذ يسأله عن ذلك فقال علم ذلك عند خال لي فدلهم على خاله سطيح وهو بالشام فامره كسرى بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشفيا على الموت فاخبره سطيح بعلمه خال لي سكن الشام يقال له سطيح فبعثه كسرى اليه فاتى اليه فاخبره سطيح بما ذكر من غير ان يذكر له شيئا منه (قوله سطيح) السطيح المستلقي على قفاه من الزمانة واسمه ربيع عاش ستمائة سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وروي انه هلك عند ما ولد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ان الله خلق سطيحا الحما على وضم وكان يحمل فيؤتى به حيث شاء ولم يكن فيه عصب ولا عظم الا الجمجمة والعنق والكفين وكان يطوى من ترقونه كما يطوى الثوب ولم يكن فيه شئ يتحرك الا لسانه ولا يتكلم الا بالسجع والوضم كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب أو نحوه يقيه من الارض والمراد هنا انه لحم خلقه الله من غير عظم يوضع على شئ يقيه من الارض (قوله مشفيا) وفي نسخة مشرفا

(قوله مشيح) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية وحاء مهملة أى مسرع (قوله الضريح) أى القبر (قوله الهراوة) بكسر الهاء هى العصا الضخمة والجمع ٣٨ الهراوى بفتح الواو ومثل المطايا (قوله بحيرة ساوة) ويقال لها عين ساوة وبحيرة

بما من جملته عبد المسيح على جمل مشيح الى طيح وقد أوفى على الضريح بعنه ملك ساسان لارتجاس الايوان أى تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى السماوة أى قرية بين الكوفة والشام وليست من العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وسمى صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك فى يده القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا يصلى اليها قال القاضى وأراها العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن أى لاجلهم ليتقدموا ويسمى أيضا صاحب القضيب أى السيف كما فى الانجيل فهو صاحب العصا يرمى بها الاخيار والقضيب بيديه الاشرار (و) من العجائب التى ظهرت ليلة ولادته أيضا ليلتبه وا ويسألوا عن سبب ذلك انه (غدا) أى صار فى تلك الليلة (كل بيت نار) أى كل واحد من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويشتد ايقادهم لها حتى ان لها ألف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء (و) هى للحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال لا بوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشرى وأبو البقاء والجزولى وابن عصفور فجعلوه خبرا سواء كانت بمعنى صار او بمعنى وقع بقلة فى وقت الغدو او الرواح وجعلوا من ذلك اغدا عالما وحديث تغدوا خماصا وغدا زيد ضاحكا أى صار فى حال ضحك (فيه كربة) بضم أوله أى غم يأخذ الانفس وربما اهلكها (من) اجل (خودها) أى سكون لهبها من غيران يطفأ جمرها والا قبل همدت (وبلاء) عظيم صبه الله عليهم صبابا زالة ما يعتقدونه الههم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان فى اقليم الفرس من بيوت النار الموقدة المئات من السنين ما تحيل العادة انطفاءه فى الزمن الكثير فاذا انطفأت تلك النيران كلها فى ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كما مر (و) من تلك العجائب أيضا (عيون) فهو مبتدأ سوغه وصفه بقوله (للفرس) بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم وهم أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح أى الشجاعة وكسرى من اجل ملوكهم (غارت) فى الارض حتى لم يبق منها قطرة * ومنها بحيرة طبريه التى كان فيها من كثرة المياه وسعتها ما تحيل العادة غيضها ولذا قيل طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة لبلد معروف بينها وبين الرى اثنان

طبريه وساوة بلد معروف وطول تلك العين ستة أميال وعرضها كذلك كانت تحيل العادة ان يغيض ماؤها لكثرته وبحيرة بصيغة التصغير وهو تصغير تعظيم لما علمت من عظم سعتها (قوله وخمدت) بفتح الميم من باب دخل (قوله قال القاضى الخ) قال النووى هذا ضعيف لان المراد بوصفه بالهراوة تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدلون بها على صدقه وانه المبشر به فى الكتب السابقة ولا يصح تفسيره بعصا تكون فى الآخرة (قوله اذود) أى اطرد من لا يستحق الشرب (قوله ليتقدموا) أى أى مجازاة لحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام (قوله وفيه) أى فى أهله على حد قوله واسأل القرية (قوله فجعلوه خبرا) فيه ان الواو هنا مانعة من الخبرية لان الخبر لا يقترن بها فتأمل (قوله أو الرواح) يعنى اذا كان الفعل راح (قوله تغدو الخ) فى التمثيل بذلك نظر لان الظاهر ان تغدو بمعنى تذهب وتروح بمعنى ترجع فليس بمعنى صار وعليه فانتصاب ما بعده ما على الحال ليس الا (قوله خماصا) جمع خميص البطن وهو الضامر (قوله همدت) بابه دخل وكذلك خمد (قوله طولها ستة أميال) كانت تسير فيها السفن الى ما حولها من البلدان فاصبحت ليلة مولده يابسة كان لم يكن بها ماء ثم بنى محلها مدينة ساوة (قوله الرى) مدينة مشهورة قيل أول من بناها ازين خراسان ولهذا كانت النسبة اليها رازى كذا فى عجائب البلدان للقزوينى

وعشرون

(قوله من المولد) أى فى قوله اليلة المولد (قوله أى فى نحو الخ) حمل ماذكر تفسير القوله فى طالع الكفر ولم يظهر ذلك والظاهر ان ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى فى الكفر الطالع اه دنوشرى ثم رأيت فى ابن عبد الحق فى طالع أهل الكفر الذى يطلع به على ما يحل بهم من نجم أو رؤيا أو غيرهما وبال أى مكروه عظيم ثم رأيت بخط بعض الفضلاء ما هو أوضح من ذلك حيث قال الطالع فى الاصل اسم النجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على أمور تحدث فى العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلانى يحصل كذا وأضيف للكفر من حيث تعويلهم عليه واستعير هذا للامور التى دلت على وقوع الوبال والوباء بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على أمر خفى وان كانت دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقق وعلى هذا فالظرفية من ظرفية المدلول فى الدال فان الوبال مدلول كما علمت

والطالع باعتبار المراد منه دال وتنوين وبال ووباء للتعظيم لان سببهما أكبر الكبائر اذهو الركن الاعظم فى حصولهما ومن ثم جعل طالعه ظرفا (قوله الجناس اللاحق) وهو اختلاف اللفظين فى حرفين متباعدى المخرج فخرج اللام بعيد من مخرج الهمزة وأما المضارع فيخالفه كقوله وهم ينهون عنه ويأتون عنه فالهاء والهمزة متقاربان مخرجا وبسط ذلك فى فن البديع (قوله هنيأ) قال الاشمونى أى ثبت الخير هنيأ أو يهنؤك هنيأ انتهى وكتب من حشاه أى هى مؤسسة على الاول مؤكدة على الثانى (قوله مؤكدة لعاملها) فيه نظر فان المؤكدة هى ما يستفاد معناها بدون ذكرها نحو ولى مدبرا ولا تعثوا فى الارض مفسدين

وعشرون فرجحا وقيل موضع بالشام (فهل) استفهام للتعجب من حالهم أو لتوبيخهم وتقريعهم (كان لنير انهم بها) أى بتلك المياه التى غارت (اطفاء) أى لا بل لم يطفئها الا سر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل لهو وباطل ولذا قال (مولد) عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف (كان) أى صار على الدوام (منه) أى من اجله ومن لابتداء الغاية (فى طالع الكفر) أى فى نحو النوم أو الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر وغايات أهله المترتبة عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح السابقين آنفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه اطلع كل ذى بصيرة على ان الفرس أو الكفار يحل بهم (وبال) أى وخم عظيم (عليهم) أى على أهله الذين هم الفرس بدليل السياق أو اعم بدليل الواقع (ووباء) ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وهما نوعا الجناس اللاحق كليتان عما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم على الزوال ومما حل بهم من البوار والهوان والوبال والنكال (ف) بسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولا تأنه ولامها انه صلى الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حق ان يقال فى شأن أمه (هنيأ به لآمنة الفضل) اى ثبت لها الفضل أى الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيأ أى لا آفة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال المبرد انه مصدر كالعاقبة واصل ذلك انهم أنابوا عن المصدر صفات كعائذا بك وهنيأ لك قال بعض المغاربة وهى موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازم صنعة وهنيأ اسم فاعل من هنئ أو هنؤ كشريف من شرف وهو ما أتاك بلا مشقة (الذى شرفت به حواء) فمن دونها من أمهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها اليمن بواسطة ولآمنة بدونها فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد فى مدحها بانها شرفت بما

بل هى مؤسسة لعدم استفادة معناها من عاملها فتأمل أى لان حل الشارح يقتضى ان الحال من الفضل أو من ضميره فى الخبر وان العامل ثبت ويمكن تصحيحه بان الحال هو الجملة وان هنيأ حال من محذوف دل عليه السياق والعامل من مادته والمعنى هنئت بالفضل حالة كونه هنيأ وعلى جعل الجملة حالا التقدير ثبت الفضل حالة كون الفضل هنئت به هنيأ أى مهنئا لها فقول الشارح حالة كونه هنيأ أى مهنئا ليكون وصفا مأخوذا من الجملة المجعولة حالا ويرشح هذا التصحيح قوله مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره فتدبر (قوله اسم فاعل) مراده به ما يشمل الصفة المشبهة (قوله من هنئ أو هنؤ) كفقه وفقه هناءة بالمد أى صار هنيأ لا آفة فيه

(قوله حملت) قال فى القاموس حملت المرأة تحمل علقت ولا يقال حملت به اوقليل انتهى وقال أبو الفضل المالكى الحمل بفتح الحاء ما كان فى بطن أو رأس شجرة والحمل ٤٠ بكسر الحاء ما كان على رأس اوظهر (قوله بالتنوين للضرورة) هو سمق نظر والصواب عدم التنوين لانظم فهو على اصله (قوله ابن زهرة) قال فى الصحاح زهرة بضم الزاى وسكون الهاء حى من قريش وهو اسم امرأة كلاب بن مرة نسب ولده اليها وهم أخوال النبى صلى الله عليه وسلم وزهرة بفتح الهاء نجم (قوله بيانية) أى لما فى قوله مالم تنله النساء (قوله على المبين) احتراس ويسمى تكميلا وهو ان يؤتى فى كلام موهم خلاف المقصود بما يدفعه اما فى اثناء الكلام كما مر كثيرا وكما فى قوله

فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمة تهمى

لان نزول المطر قد يكون سببا لخراب الديار وفسادها فدفعه بتوسط غير مفسدها او فى آخره كما فى قوله أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اذ لو اقتصر على وصفهم بالذل على المؤمنين لتوهم انه لضعفهم فأتى على سبيل التكميل بقوله اعزة على الكافرين دفعا للوهم واشعارا بأن ذلك تواضع منهم لهم ومن ثم عدى الذلة بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وهذا دفع توهم ان مانالته آمنة من الفخار بوضعه صلى الله عليه وسلم قد نالته امهاته بقوله مالم تنله النساء انتهى (قوله مزية) هى على فعيلة اى فضيلة ولا فعل لها يقال له عليه مزية وفى الاساس فزيت عليه اى فضلت (قوله ثم خرج ومر الخ) غير خاف ان عرضه عليها لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها الى بذل كثير من الابل فى مقابلته على خلاف عادة النساء مع الرجال وبذلك =

شرفت به ثم البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفى الولادة الاول والاخر ولينبه على ان حواء امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حواء بذلك (من) استفهام استبعادى بمعنى النفى (لحواء) أى من ذا الذى يفرح لها بأنها أو يشفع لها فى (انها حملت أحمد) بالتنوين للضرورة أى حملت به وهو من غرر أسمائه صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام كما فى الحديث وعيسى صلى الله عليه وسلم كما فى القرآن وهو مشتق من الصفة التى معناها التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه يفتح عليه يوم القيامة عند سجوده تحت العرش ليسأل فى الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بما لم يفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه (او أنها به نفساء) أى اصابها انفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة سمى بذلك لانه تنفس اى وبانها اولدته بلا واسطة اى لو قدر لها أن تحمله وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الشرف لكن لم يقدر ذلك لها بل لامة لما سبق فى علم الله تعالى انها الفائزة بشرف الانتماء وهو أفضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال (يوم) بدل من مولد اسم زمان (نالت) أى اعطيت (بوضعه) اى بسببه آمنة (ابنة وهب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهى تلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم من جهة آبائه فى كلاب وكان وهب سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وام آمنة مرة ابنة عبد العزى بن قصى بن عبد الدار بن قصى بن كلاب (من) بيانية (فخار) وهو التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية (مالم تنله النساء) حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضى افضليتها على حواء مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة او مزايا لا يقتضى الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام فى حق حواء على ايمانها الكامل وآمنة وقع الخلاف فى ايمانها بل وفى نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمهما ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما يدل له ما أخرجه أبو نعيم والخرائطى وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤيا التى رآها وقد مرت رآته كأنه قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه ومن ثم كان أجمل رجل رئى فى قريش فسألته ان يقع عليها وتعطيه مائة من الابل فأبى وقال « اما الحرام فالممات دونه » فمر به أبوه حتى أتى به وهبا أبا آمنة فزوجه بها وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها لم لم تعرضى نفسك الآن

على قالت فارقك النور الذى سألتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش فى جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودى فى الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر وقد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها أفضل قومها حسبا وأزكاهم أصلا وفرعا وفى حديث ابن اسحق انها حدثت انها لما حملت به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ماشعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما أى فى الابتداء ولرواية انها وجدته وحملت على غير الابتداء جمعا بين الاحاديث وأتانى آت وأتا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام ثم أمهلنى حتى دنت ولادتى أتانى فقال لى قولى

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت أبيات أخر مشهورة ولا أصل لها كما قاله الزين العراقى وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال كان فى دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت قد حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذا أهل البحار بشرت بعضهم بعضا وله فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء ان ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم سيدنا مبارك وروى أبو نعيم ان آمنة أتاها آت بعد ستة أشهر من حملها وقال يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك ثم لما أخذها الطلق وكانت وحدها رأت كالنسر طائرا أبيض قد مسح فؤادها فذهب روعها ثم أوتيت بشربة بيضاء فتناولتها فاضاء لها نور بمال ثم رأت نسوة كالنخل طوالا فحدقن بها فقالت من أين علمتن بى وفى رواية فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء الحور العين ثم رأت دبيا جا أبيض مدبين السماء والارض ورجالا بايديهم أباريق فضة وقطعة من الطير أقبلت حتى غطت حجرتها من قيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت ورأت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة أعلام منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذها النفاس فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء غشيته فغيبته عنها فسمعت منادیا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمى الماحى لانه لا يبقى شئ من الشرك الا محى فى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم انجلت عنه فى أسرع وقت وروى الخطيب البغدادى بسنده انها لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور عظيم يسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت منادیا يقول

تعلم رد قول بعضهم كانه تندم على امتناعه منها اولا فتعرض لها لتعاوده اذ ذلك لا يليق بهذا المطهر المختار ليكون أبا لسيد الكائنات كما سبق (قوله ماشعرت) بفتح العين شعرا بكسر الشين علمت ومنه مشاعر الانسان حواسه وأصله العلم الدقيق المستنبط كذا قاله الكواشى فى تفسيره عند قوله تعالى وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون قال البرماوى فى شرح ألفيته الشعور هو اول مراتب وصول العلم الى القوة العاقلة مأخوذ من الشعار وهو ما يلى الجسد ولهذا كان وصف الكفار بأنهم لا يشعرون أبلغ من نفى العلم ونحوه عنهم (قوله أيات أخر) منها

وكل خلق رائد

أى متقدم بمكروه وأصل الرائد الذى يتقدم القوم يلتمس لهم الكلأ ومساقط الغيث كذا فى الغريبين للهروى (قوله فاحدقن) أى طفن بها وأحطن بها (قوله الزمرذ) هو بالذال المعجمة آخره كما فى الصحاح

(قوله روحانى) قال الشارح فى النعمة الكبرى روحانى بضم الراء نسبة للروح بضمها واما بفتحها فنسبة للروح وهو نسيم الريح الطيب والالف والنون من زيادات النسب اه وفى الشافية وشرحها الشيخ الاسلام وروحانى بفتح الراء نسبة لروحاء بلد وهو المراد هنا أى فى عبارة الشافية وبضمها فى النسبة الى الملائكة والجن ويقال لهم الروح للطافتهم واستتارهم عن الناس وعليه فلا تظهر زيادة الشارح الانس والطيور والوحوش وان كان ذلك هو المراد هنا وزادوا الالف والنون للفرق بينه وبين المنسوب الى روح الانسان اه (قوله بيضاء) قال فى المواهب خضراء وقد يقال انه قبض عليهما فلا مخالفة (قوله بخ بخ) فيه لغتان اسكان الخاء وكسرها ٤٢ منونا وهى كلمة تطلق لتفخيم الامر وتعظيمه فى الخير اه شرح مسلم للنووى وقال فى الصحاح هى كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ فان وصلت حفضت ونونت فقلت بخ بخ وربما شددت كالاسم اه وقال الهروى فى غريبه وسكنت الخاء كما سكنت فى هل ويل ويقال بخ بخ بالخفض منونا فمن فعل ذلك شبهها بالاصوات كصه وما أشبه ذلك وقال ابن السكيت بخ بخ وبه به بمعنى واحد اه (قوله فغسله) نسخة الشارح فقبله بدل فغسله (قوله اسم جنس) فى شرح الاشمونى على الخلاصة آخر باب جمع التكسير ذكر الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس ومثل لاسم الجمع بقوم ورهط فقول الشارح اسم جنس غير مسلم (قوله على العاقل) الاولى العالم للتمثيل بقوله وما بناها الخ فانها واقعة على الله وانما يقال له عالم لا عاقل (قوله مطلقا) أى بقرينة وغيرها فالاطلاق فى مقابلة قيد لاحق (قوله بنت عمران) واسم أمها وخنه بالمهملة وتشديد النون (قوله بنص القرآن) حيث قال وامه صديقة (قوله للخلاف) كان الظاهر أن يقول وللخلاف بواو العطف على العلة السابقة اذ مراده الاستدلال على فضلها على جميع النساء بدليلين فكأنه قال حينئذ ففضلت على من ذكر للخبر الصحيح وللخلاف الخ وبدون واو العطف لا يظهر ذلك المراد تأمل ثم ان هذا الدليل فيه نظر لان حواء وآسية اختلف فى نبوتهما فالدليل لا يثبت فضلها عليهما الذى اقتضاه قوله على جميع النساء نعم الحديث الصحيح الذى ذكره يثبت فضلها عليهما بحرر (قوله والعذرة البكارة) بضم العين وتطلق أيضا على معان منها الشاصية وهى الخصلة من الشعر وقلفة الصبى والشعر على كاهل الفرس (قوله ومعجزة له صلى الله عليه وسلم) فيه ان تعريف المعجزة المشهور يقتضى عدم تسمية ذلك معجزة =

طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه فى اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها حتى لم يبق أحد من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته ثم رأت ثلاثة نفر يبد أحدهم ابريق فضة والثانى طشت من زبرجد أخضر والثالث حريرة بيضاء أخرج منها خاتما يحار الناظرون دونه فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين أخمصته ساعة ثم رده الى أمه (و) يوم (أتت) آمنة (قومها) اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النساء تبعا كما هنا (بـ) مولود (أفضل) بالاجماع (مما) أوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان نادر الوقوعه فى القرآن نحو لما خلقت بيدى والسماء وما بناها الآيات ولا أنتم عابدون ما أعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولو رد وهذا وامثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وأبو عبيدة ومكى وابن خروف وقوعها على آحاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلى لا تقع على أولى العلم الا بقرينة وتقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الآية لان من بصفات من يعقل الحمل المذكور فى قوله (حملته) ه (قبل) أى قبل آمنة وهران بينهما نحو ستمائة سنة امه (مريم) بنت عمران الصديقة بنص القرآن قيل هى من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم بينها وبينه أربعة وعشرون اباوفى الصحيح خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع النساء للخلاف فى نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى الى السماء كان منها ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين (العذراء) أى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى صلى الله عليه وسلم انما هو من نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلى الله عليه وسلم

= لانه غير مقرون بالتحدي وانما يسمون مثل ذلك ارصاصا من كل خارق للعادة متقدم على النبوة وسيأتي الجواب عن ذلك في الشارح عند قوله وبدت في رضاعه معجزات فراجعه (قوله بشريعة نبينا) فهو مستند في حكمه الى كتاب أو سنة أو اجماع وقد يجتهد ولا يخرج في اجتهاده عن مذهب امام من الائمة الاربعة وغيرهم وليس هنالك وحي لانقطاعه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الجزية مع ان شريعتنا قبولها غير خارج عنها الان نبينا انما قبولها بنزوله فيكون عدم قبوله لها من شرعنا والسر في ذلك ان المسلمين قبل نزوله محتاجون للمال فوسع لهم واما بعده فالمال كثير لا يلتفت اليه أحد وهذا أظهر من توجيه الشارح كغيره بقوله لانتفاء مالهم الخ لانه انما يظهر بالنسبة لقومه دون نحو اليهود ٤٣ وحكمة نزول عيسى دون غيره من الانبياء

وخصه بهذا مع تصريحه قبل بانه أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء على منارة جامع بني أمية البيضاء شرقي دمشق كما رواه مسلم في آخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام وولادته من غير أب وان كان لنبينا عليه الصلاة والسلام ما هو مثلها أو أبهر منها كما يأتي انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل ونزوله عليه الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفاء مالهم من نوع شبهة تمسك بكتاب يتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلي وراء المهدي اولا ثم يتقدم بعد اعلامه بانه صلى الله عليه وسلم لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولخبر البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبي أصحاب الرس ولخبر الصحيحين من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفي خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه الشيطان فيصيح الا عيسى عليه الصلاة والسلام قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافي هذا أفضلية نبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما ينغمر هذا في جنب ادونها وقد تكون في المفضول مزية أو مزايا ليست في الفاضل لكن فيه ما يخالف ذلك ويفوقه (شمتته) من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة والمهملة أي دعا له بالسلامة من الشوامت أو بقاء سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا للتعويج نحو العنق (الاملاك) جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه كجمل وأجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة ويقال لها مألكة فالاصل فيه مألك ثم قلب فصار ملأك كما

الرد على اليهود في زعمهم انهم قتلوه فبين الله كذبهم وانه الذي يقتلهم وقيل حكمته دنو أجله ليدفن في الارض اذ كل مخلوق من تراب لا يموت في غيره اه ملخصا من افتاء ابن قاسم (قوله ومنها) أي من شريعة نبينا لانه عليه الصلاة والسلام غيا قبولها بنزول عيسى فاندفع ما عساه يقال اعتراضا على قولهم بنزوله بشريعة نبينا ان قبول الجزية منها رهو لا يقبلها (قوله انا اولى الناس الخ) أي أخص به (قوله كان بينهما الخ) وقال بعض الناس ان الحواريين كانوا رسلا الى بعض الناس بعد عيسى وهذا قول أكثر النصارى لعنهم الله (قوله أصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر غير المطوية

فانهارت تخسف بهم وبديارهم وقيل غير ذلك كما في تفسير البيضاوي فراجعه ان شئت وقوله غير المطوية أي غير المبنية بالحجارة والآجر وغيرهما (قوله الاعيسى) ظاهر الحديث اختصاص هذه الفضيلة بعيسى وامه وأشار القاضي الى ان جميع الانبياء يشاركونه فيها فقوله ولا ينافي الخ لا حاجة اليه على ما ذكره القاضي وهو الحق ان شاء الله (قوله من التشميت) في القاموس التشميت التسميت كذا في فصل الشين من باب التاء وذكر في فصل العين منه ما نصه والتسميت ذكر الله والدعاء للعاطس (قوله من الشوامت) جمع شامت وهو الذي يفرح بيلية عدوه قال في القاموس شمت كفرح شماتا وشماتة فرح بيلية عدوه (قوله مشتق) أي مأخوذ فلا يرد ان ملكا ليس فعلا ولا وصفا فكيف يقال فيه مشتق (قوله مألكة ومألك) بضم اللام فيهما صحاح وقول الصحاح ومألك اى الذي هو بمعنى الرسالة واما مألك الذي هو أصل ملك فبفتح اللام كما يدل له قول الشارح ونقلت حركة اللام فقول =

= الشارح والاصل فيه أى فى ملاك مألك أى بفتح اللام (قوله على وزن مفعل) الرسم يقتضى انه بتقديم الفاء وهو غير ظاهر لان الهمزة فاء الكلمة فى اصله فلا تتغير فى الفرع فالصواب على وزن معفل بتقديم العين على الفاء (قوله وزن فعل) كان الظاهر وزن معل لان الهمزة التى هى فاء الكلمة قد حذفت والميم زائدة بدليل قوله آنفا على وزن مفعل على ما فيه كما علمت آنفا وذلك هو مذهب الجمهور الآتى واما كون وزنه فعل فانما يلائم مذهب غير الجمهور الآتى أيضا فى قوله وذهبت طائفة الخ تأمل (قوله من مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار (قوله كالثالث) أى آدم (قوله تأويل الاولين) اى انهما ليسا من النور والنار حقيقة بل اشدة جلالة الملائكة واشراقهم جعلوا كأنهم من نور واشدة قوة الجن وسرعة حركاتهم جعلوا كأنهم من نار (قوله الاولين) أى الملائكة والجن (قوله أى فرحتنا وسرتنا) لم نجد الشفاء بهذا المعنى فى اللغة وقد ذكر فى القاموس اطلاقه على الدواء ولاشك ان قولها الآتى دواء للقلوب ٤٤ نافع فيلزمه الفرح والسرور فيكون فيه تجوز قال فى القاموس الشفاء هو الدواء والجمع اشفية وشفاء يشفيه برأه أو طلب له الشفاء كاشفاه اهـ فقول الشارح يحصل بها الشفاء أى الدواء (قوله وسرتنا) عطف تفسير قال فى المختار فرحه تفريحا أى سره والفرح أيضا البطر ومنه قوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين (قوله أو من الشفاء) فيه ان هذا التعبير يوهم انه على التفسير الاول ليس مأخوذا من ذلك مع انه ليس كذلك فكان الظاهر ان يقول من الشفاء بمعنى فرحتنا وسرتنا أو بمعنى الرقية لانها الخ وفى البيت جناس الاشتقاق بالجمع بين شفتنا والشفاء وحقيقته أن يجمع بين الفاظ مشتركة فى المادة وأصل المعنى واما تجنيس المشابهة فالشرط فيه الاشتراك فى المادة لا فى أصل المعنى كما سيأتى عند قوله قصور وقصير وقد يقال الشفاء علم فمعناه غير مشارك لمعنى شفتنا فيكون من شبه الاشتقاق اللهم الا أن يقال هو ناظر لاصل قبل العلمية كما فى محمد وأحمد فى البيت الآتى ومثاله فى التنزيل قوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم بناء على ان المراد بقوله أقم استقم لتبليغه والدعاء اليه لوجود اشتراك اللفظين فى أصل المعنى فلا ينافى عد الصفى الحلى له من شبه الاشتقاق لانه نظر الى ان المعنى أفرغ وسعك فى صرف جميع أزمنتك فى نشره والعمل به كما سيأتى ذلك فى الشرح عند قوله قصور وقصير وقوله يمحق الله الربا ويربى الصدقات ومثاله من الشعر قول الزفتاوى فى بديعيته محمد أحمد اشتقت محامده * من حمد حامده المحمود فى القدم (قوله الغليل) فى الصحاح الغلة حرارة العطش وكذلك الغليل (قوله الشفاء) قيل هو اسمها وقيل لقب واسمها ليلى وقيل صفية كما ذكره الشيخ عبد السلام اللقانى فى مولده (قوله بالفاء المشددة) هذا الضبط متعين هنا لاستقامة الوزن وفيها ضبط آخر بكسر الشين وتخفيف الفاء والوزن معه غير مستقيم

على وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا على وزن فعل وحينئذ فقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم رحمه الله تعالى وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملأك بعد القلب وقبل أن يخفف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميمه زائدة وهو رأى الجمهور وذهبت طائفة الى انها أصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بالفتح أى القوة لقوتهم أو بالكسر بمعنى مملوك قولان قيل وأحسن من الجميع قول النضر ابن شميل انه غير مأخوذ من شئ وهو التحقيق الذى دلت عليه الآثار وقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وزعم ان نوعا من الملائكة يسمون بذلك ليس فى محله لتوقفه على صحة خبرية ان ابليس ابو الجن كما ان آدم أبو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان المصحح للاستثناء فى الآية التغليب لكونه كان فيهم أو هو منقطع وفى خبر مسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متشخص من النور والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهم ما ذلك وزعم تأويل الاولين بانه على التمثيل ليس فى محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا أحاديث السؤال فى القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بمخالفتهم للسنة الغراء قبحهم الله (اذ وضعته) أى فى وقت وضع امه له (وشفتنا) أى فرحتنا وسرتنا أو من الشفاء لانها رقية والرقية كثيرا ما يحصل منها الشفاء لان قولها الآتى يشفى العليل ويبرد الغليل (بقولها الشفاء) بالفاء المشددة وهى ام عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضى

(قوله البنته) فى نسخة البسته وهذه النسخة ظاهره واما نسخة البنته بمعنى سقيته اللبن بارضاعى له فغير ظاهرة لان مرضعاته كما سيأتى أربع ولم تعد منهن الشفاء وهى أمه آمنة وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن (قوله عطس) بفتح الطاء وكسرها كما فى كتب اللغة (قوله الذى لا يطلق الخ) قد سبق عن القاموس ان معناه ذكر الله والدعاء واما تخصيصه بالذى يقال عقب العطاس فمعنى شرعى وفى حين الولادة لم يكن تشريع وبذلك يندفع قول الشارح الآتى وعلى ما قاله الخ فتدبر (قوله يحتاج فيه لسند الخ) فى شرح الدلجى فاستهل أى عطس بشهادة قولها فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك اذ هو شرعا قول القائل للعاطس رحمك الله واغة كل دعاء بخير اه وقصده ان استهل استعمل فى عطس مجازا بقرينة رحمك

الله تعالى عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما أخرجه أبو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت آمنة محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله يرحم بك قالت الشفاء واضاءلى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم ألبنته واضجعته فلم البث ان غشينى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث منى على بالى حتى بعثه الله تعالى فكنت فى أول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه وسلم عطس حتى عبر بشمتته الذى لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس يحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من أحوال المولودين فخلافه لا يصار اليه الا بتصريح ممن يعتمد عليه ولم أره وقولها فسمعت قائلا يقول حمله على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة الى ان عصمة الملائكة توجب ان الفعل المسند الى أحدهم كأنه مسند الى الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم فى مهده وان كان صلى الله عليه وسلم عدهم ولم يذكر نفسه منهم (رافعا) حال من مفعول وضعته (رأسه) الى السماء كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة قالت لما فصل منى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج منى نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء (وفى ذلك الرفع) الذى هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبره مقدم (الى كل سودد) أى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذى هو (ايماء) اى اشارة الى ان شأنه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس (راغما) حال مما منه الاولى وتعدد الاحوال جائز كتعدد الاخبار أو من ضمير رافعا فهى من الاحوال المتداخلة

الله واستعماله مع القرينة جائز ولا يخفى ان ما نقله من اللغة ربما يمنع هذه الشهادة لا سيما وما تقرر فى الشرع متأخر عن ذلك ودعوى موافقة شرعه صلى الله عليه وسلم لما قبله وسبق استعماله يحتاج لدليل اذ الاصل مخالفة كل شرع لما قبله فتأمله وفى القاموس ان التشميت ذكر الله والدعاء للعاطس كما سبق وظاهره انه لا فرق بين ان يحمد اولا والتقييد بحمد العاطس أمر شرعى وقولنا وقصده الخ قد يرد بأن الاستهلال رفع الصوت وأخذ من قول الملك رحمك الله انه رفع الصوت بالعطاس فيكون استعمال استهل فى عطس حقيقة وتعلم منه رد قول الشارح وحمل الخ اذ دليل الناظم قول الملك رحمك الخ الذى يدعى به للعاطس تامل الآن يقال ان رحمك الخ لا يختص بالعاطس فمن أين جعل استهل بمعنى عطس فاذكره الشارح ظاهر ثم ظهر ان التشميت يطلق على ذكر الله والدعاء للعاطس لغة كما تقدم عن القاموس فيحمل كلام الناظم على هذا المعنى ولا شك ان قول الملك رحمك الله الخ دعاء له وفيه ذكر الله تأمل (قوله قبضة) قال الشارح فى النعمة الكبرى اى اشارة الى انه يملك الارض كلها وانه ينثر التراب يوم بدر وغيره فى وجوه أعدائه فيكون سببا لهزيمتهم وهلاكهم (قوله الذى هو اول فعل) فيه ان اول فعل كما علم من الرواية السابقة آنفا وقوعه على الارض ثم اعتماده على يديه ثم قبضه التراب بيده ويجاب بان عطف الرفع فيها وقع بالواو فيحتمل أن يكون الرفع قبل الفعلين المذكورين

(قوله طرفه) مفرد لاجمع له وهو فاعل رامقا والسماء مفعول وفيه اشارة الى انه علوى ليس من جنس من فى الارض بل صفاته البشرية كلها ملكية منزهة عن الشهوات الدنيوية مطهرة من الآفات البشرية (قوله خفيا) لان الرمق النظر الخفى لا مطلق النظر كما فى اللغة (قوله كما علم الخ) فيه ان الذى علم من روايته مارفع رأسه الى السماء ولا يلزم منه الرمق بطرف اليها فتدبر (قوله وسبقت رواية الخ) يجمع بين الروايات بأن وقت اتصاله واتصاله بالارض وقع منه جميع ماذكر فتارة

(طرفه) أى بصره (السماء) أى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا كما علم من حديث عطاء وابن عباس المذكور وروى الطبرانى انه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل (و) سر هذا الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ (مرمى) وفى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه البصر (عين من) موصول (شأنه) أى قصده (العلو) ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمى (العلاء) بالفتح والمد أى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اى كان رفع رأسه ايماء الى مامر فكذلك رمقه ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شأنه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذى هو مفادهما له اعتبارات مختلفة (و) يوم (تدلت) اى قربت ودنت فهو عطف على قالت (زهر النجوم) من اضافة الصفة الى الموصوف اى الكواكب المضيئة (اليه) صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن ابى العاص عن امه فاطمة الثقفية رضى الله تعالى عنها انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها تقع على (فسبب هذا التدلى (أضاءت بضوئها) اى تلك الكواكب المضيئة (الارجا) أى نواحى البيت او نواحى السماء او نواحى الوجود باسره (و) يوم (ترامت) من رأى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل الفعل كيخادعون الله وعاقبت اللص اى ربيت (قصور قيصر) ومر انه لقب لكل من ملك الروم (بالروم) أى فى بلاد الروم وهو ابن عيصو بن قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماء قوم كالسكاكى وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى اصل واحد كقوله تعالى أزفت الآزفة يا أسفا على يوسف اسلمت مع سليمان فأقم وجهك للدين القيم وزعم الحلى ان هذا ليس من أصناف التجنيس وان عد أكثر المؤلفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة فبينوا انه أشبه التجنيس وليس فى الحقيقة تجنيسا وسيمر بك كثير منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وماذكر

(طرفه) أى بصره (السماء) أى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا كما علم من حديث عطاء وابن عباس المذكور وروى الطبرانى انه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل (و) سر هذا الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ (مرمى) وفى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه البصر (عين من) موصول (شأنه) أى قصده (العلو) ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمى (العلاء) بالفتح والمد أى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اى كان رفع رأسه ايماء الى مامر فكذلك رمقه ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شأنه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذى هو مفادهما له اعتبارات مختلفة (و) يوم (تدلت) اى قربت ودنت فهو عطف على قالت (زهر النجوم) من اضافة الصفة الى الموصوف اى الكواكب المضيئة (اليه) صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن ابى العاص عن امه فاطمة الثقفية رضى الله تعالى عنها انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها تقع على (فسبب هذا التدلى (أضاءت بضوئها) اى تلك الكواكب المضيئة (الارجا) أى نواحى البيت او نواحى السماء او نواحى الوجود باسره (و) يوم (ترامت) من رأى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل الفعل كيخادعون الله وعاقبت اللص اى ربيت (قصور قيصر) ومر انه لقب لكل من ملك الروم (بالروم) أى فى بلاد الروم وهو ابن عيصو بن قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكى وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى اصل واحد كقوله تعالى أزفت الآزفة يا أسفا على يوسف اسلمت مع سليمان فأقم وجهك للدين القيم وزعم الحلى ان هذا ليس من أصناف التجنيس وان عد أكثر المؤلفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة فبينوا انه أشبه التجنيس وليس فى الحقيقة تجنيسا وسيمر بك كثير منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وماذكر

وعبارة المالكى والروم من ذرية عيصو بن يعقوب اه وهذا بحسب الاصل والا فقد صار اسما للقطر المعروف فى ولذا قال الشارح قبل لكل من ملك الروم (قوله يا أسفا على يوسف) قال بعضهم فى كون هذين اللفظين يرجع معناهما الى أصل واحد نظر وكذا أسلمت وسليمان اه وفيه نظر لان الرجوع لمعنى واحد انما هو فى المشتقين حقيقة والامثلة التى ذكرها الشارح للمشبهين بالمشتقين لا للمشتقين كما فهم هذا البعض فتأمل

(قوله واصل ذلك الخ) الذي يناسب كونه أصلا لما هنا حديث الشفاء الآتي إذ هو المذكور فيه قصور الروم وما عداه مما ذكره من الروايات انما فيها قصور الشام (قوله دعوة أبي ابراهيم) وذلك انه لما فرغ من بناء البيت ودعا بجعل ذلك البلد آمنا وان افتدة من الناس تهوى اليهم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ٤٧ فاستجاب الله له وجعل نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله وجوزي سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على ذلك ببقاء الثناء عليه في صلوات امته وبأمر محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه (قوله الشام) قال ابن هشام في التيجان اسم أعجمي من لغة بني حام ومعناه بالعربية خير طيب (قوله عند ابتداء وضعه) أي حال كونه حملا (قوله لان تلك الخ) وفي تاريخ ابن كثير ان مارأته حين الحمل كان منامًا ومارأته حين الوضع كان عيانًا (قوله فكيف تواترت) وقد اجيب بان المراد بتواترها اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث كما سيأتي عن القسطلاني نقلا عن امام السير (قوله ان آدم واثنى عشر نبيا) نظمها بعضهم في قوله

تولد مختونا محمد آدم
وشيث شعيب نوح عيسى وحنظلة
سليمان موسى هود لوط ويوسف
كذا زكريا وصالح فادع له

(قوله وسماه محمدا) وسبق ان امه أمرت بان تسميه محمدا ولا مانع انها سمته بذلك سرا وان جده سماه به جهرا وكل ذلك ليطابق تسميته به قبل فقد صح ان آدم رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك انتهى كلام الشارح في النعمة الكبرى (قوله ختن عند حليمة) ختنه جبريل عليه الصلاة والسلام حين طهر قلبه فالحاصل ان هذه الاقوال الثلاثة لم يثبت منها شيء من طريق الاسناد لكن أكثرها طرقا القول الاول وهو الذي جزم به امام السير محمد بن اسحق ولم يذكر غيره انتهى من أمالي الحافظ القسطلاني

في الاخير هو ماذكره الحلبي ولا ينافيه عد غيره له من مجانيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد من أقام وجهك للدين افرغ وسعك في صرف جميع أزمنتك في نشره والعمل به وغيره نظر الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاية اليه حال كون تلك القصور (يراها) رؤية كاملة (من) أي الذي (داره البطحاء) أي مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصباء وأصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات الانبياء يرين وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاء له قصور الشام وفي رواية عنها قالت رأيت كانه خرج من فرجي شهاب اضاء له الارض حتى رأيت قصور الشام وفي اخرى رأيت ليلة وضعه نورا حتى أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وفي اخرى لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر وفي اخرى لما فصل مني خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب وفي رواية الشفاء السابقة وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك عند ابتداء حمله لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة في البشارة بظهوره وظهور دينه وخصت الشام بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته صلى الله عليه وسلم اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السابقة انها دار ملكه اي باعتبار سبقه اليها قبل نظرائها ولذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس منها كما هاجر اليها ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وبها ينزل عيسى عليه السلام وهي أرض المحشر والمنشر *(فائدة)* صح عند الضياء انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة حتى لا يرى احد سوأته زاد الحاكم ان ذلك تواتر به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف تواترت قيل على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبي ان آدم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض الحفاظ بسنده الى ابن عساكر ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مأدبة وسماه محمدا وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة حيث شق قلبه *ولما تم الكلام على عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع في ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته فقال مستأنفا أو عاطفا عطف الجمل (وبدت) أي ظهرت لمن في عصره صلى الله

(قوله بطريق العيان) أى لبعض أهل عصره (قوله فعل) انظر أى حاجة لتقديره على انه يصير الحل من فعل امتصاص اللبن ونحوه تهافت (قوله الحذاء) بضم الحاء والمد ٤٨ ويقال حذا حذو احذوا كغداغدوا كذا يؤخذ من المختار (قوله فالحق الخ) وقد

عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان (فى) فعل وزمن (رضاعه) وهو امتصاص اللبن من الثدى (معجزات) تسميتها بذلك مجازا وجرى على اصطلاح السلف كالامام أحمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط الآتية أم لا ولكن الاشهر الذى عليه أكثر علماء الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم ان لها شروطا أحدها خرقها للعادة بان تحيل وقوعها كانشقاق القمر ثانيها اقترانها بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة مع أمن معارضتها من تحديت فلانا نازعته لاغلبه وهو مجازا ذأصله الحداء يتعارض فيه الحاديان فيتحدى كل الآخر أى يطلب حداءه بخروج الخارق من غير تحد وهو كرامة الولى والخارق المتقدم على التحدى كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهى كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا أى تأسيسا للنبوة لا يقال خرج به أيضا الخارق المتأخر عند التحدى بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم عليه اخراج أكثر آيات الله عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والذراع ونبع الماء بل قيل لعله لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت وزعم أنه لا معجزة الا هذان أقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق أن المراد بالتحدى ليس معناه الاصلى بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارنة لذلك والخارق الذى لا تؤمن معارضته كالسحر سواء أقلنا انه قلب الاعيان أو احالة الطبائع لا نا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية بانه لا يقع من مدعى النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها اصدقا ام لم نقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافى ذلك ما يظهر على يد الدجال من الخوارق العظيمة لانه ليس مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان بروز ذلك على يديه لمحض الفتنة لا غير ثالثها دلالتها على صدق المتحدى فخرج الخارق المكذب له كان قال آيتى نطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغى للناظم رحمه الله تعالى أن يقول آيات أو بينات أو برهان لان هذه هى الواردة فى القرآن والسنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هى وان لم ترد لكن صارت فى اصطلاح المتأخرين أبين وأظهر فلذا خصت بالذكر (ليس فيها) متعلق بخفاء (على العيون خفاء) لوضوحها وهو اسم مصدر لا خفيته لانه الذى بمعنى كتمته لا مصدر خفيته لانه بمعنى اظهرته وبين بدت وخفاء الطباق (اذ) أى وقت اولاجل انه (أبته ليتمه) أى لاجل موت أبيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة أشهر وقيل مات وهو فى المهد وهذا قد ينافى مافى المتن الآتى ان يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع

يجاب ايضا بان المراد بقوله مقرون بالتحدى تصريحا او بلسان الحال كما أشار اليه استاذنا البكرى فى شرحه نقلا عن شارح الدلائل (قوله الطباق) وهو الجمع بين متضادين فكان المتكلم يطابق الضد بالضد ومنه وانه هو أضحك وابكى وأنه هو امات وأحيى ومنه قول الصفى فى بديعيته

قد طال ليلى واجفانى به قصرت ... عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

(قوله لا مصدر الخ) فى القاموس مايقتضى ان خفيته بمعنى ستره وبمعنى أظهرته فيكون مما يستعمل فى المتنافيين وعبارته خفاه يخفيه أظهره كاخفاه وخفى كرضى خفاء فهو خاف وخفى لم يظهر وخفاه هو وأخفاه ستره وكتمه انتهى المراد منه مما اقتضاه ظاهر الشارح من أن خفاء لا يكون مصدر خفيته بمعنى ستره غير مسلم تأمل (قوله قد ينافى ما فى المتن) ان كان مراده به قوله ليتمه لم يظهر لان وصف اليتم لا يتوقف على موت الاب قبل الوضع بل على موته قبل بلوغه وان كان مراده قوله أبته بقرينة قوله يحتمل عليه انه مات عقب الخ المقتضى ان الاباء قبل ان يرضع من أحد حتى من أمه لم يظهر أيضا لانها من جملة مرضعاته الاربع ولم يروا انها أرضعته بعد أخذ حليمة له فيكون ارضاعها قبل له بعد وضعه قبل أخذها وذهابها به نعم سيأتى ان اول لبن دخل جوفه لبن حليمة وهذا لا ينافى ارضاع امه له قبل ذهاب حليمة به والحاصل انه ان لم يثبت طلب المرضعات عقب الوضع فما المانع من أن يكون طلبهن بعد موت أبيه على القول بانه مات بطيبة =

= اوالابواء على القول به و وصفه باليتم صحيح حينئذ لانه صغير لأب له وتكون امه اوغيرها من مرضعاته غير حليمة قد ارضعته هذه المدة قبل موته وطلب المرضعات الرضعاء لكن هذا قد ينافيه ان حليمة أول من أرضعته وقد يقال لا مانع من ارضاعها له اولا حين وضعه ثم أرضعه غيرها ثم رفع أخذها له وذهابها به الى قبيلتها هذا وقد علمت ان الراجح موته وهو ظاهر (قوله وقد تقرر) ان كان المراد من كلام غير مسلم فسلم والا ففي اى محل سبق في كلام الناظم تقريره (قوله وانما يتم) قال في القاموس اليتم بالضم الانفراد أو فقد الاب ويحرك وفي البهائم فقد الام واليتيم الفرد وكل شئ يعز نظيره وقد يتم كضرب وعلم يتما ويفتح وهو يتيم ويتمان ما لم يبلغ الحلم (قوله مثلا يكون الخ) فيه نظر فانه ارتضع من حليمة وان كان له الفضل عليها في ذلك ولو عاش أبوه وامه حتى كبر لكان فضله عليهما اه دنوشري (قوله ماهذا اليتيم) ذكر بعضهم في حكمة تيمه انه لا يجب عليه طاعة لغير الله وأن لا يكون عليه ولاية لغير الله اه وفيه ان الجد أب الاب ٤٩ كالاب تجب طاعته وله الولاية (قوله

قرأن يرضع لكن يرد ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام من عند اخوال أبيه عبد المطلب بني النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه علن يتمه قيل انما سمي عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب ليأتي به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فينادي به بعد المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق (مرضعات) كن يأتين الى مكة يلتمسن الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها عار عندهم (قان) انما تركه لابا انما تبغي الرضعاء رجاء المعروف من آبائهم واما الام والجد فاعسى أن يصنعا و(مافي) هذا (اليتيم) بينه وبين يتمه جناس الاشتقاق (عنا) متعلق بقوله (غناء) بفتح الغين المعجمة أي ليس فيه ليتمه وفقره نفع يغني عنا شيأ وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر (فبعد ان تركنه لذلك (انتهمن آل سعد) بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم أيضا (فتاة) أي شابة كريمة كائنة من بعض هذه القبيلة فقول الشارح ان من بيانية بعيد وفي كونها حليمة السعدية من النأل الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع مالا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب النأل الحسن (قد أبتها لفقرها الرضعاء) جمع رضيع أي أهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة قلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما تعطاه من جمل ربما تصرفه في حوائجها الخارجة فلا يفيدها في دفع الجوع الذي هو المحذور وهو اصل ذلك مار واه ابن اسحق واسحق بن

٧ = هيئة الحروف بان يكون الحرف مشددا في كلمة وغير مشدد في أخرى ومفتوحا في كلمة ومكسورا في أخرى كغدا وغذا في البيت الآتي (قوله فقول الشارح) الذي رأيته فيه ونتاقفا على ومن آل سعد متعلق بفاتته وليس فيه الكلام على خصوص معنى من (قوله بحصول غايات الخ) فيه ان الذي يؤخذ من لفظ حليمة دوام الحلم او كثرته ومن لفظ سعد وجود أصل السعد لكونه ليس صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة فمن اى وجه دلالتها على غايات ماذكروا ما حصولها له في الواقع فسلم عند كل مسلم (قوله يحب النأل الحسن) وفي الاثر في بئر الحديبية انهم نزحوها فقال عليه الصلاة والسلام من يجيء لنا الماء فقال رجل أنا قال ما اسمك قال مرة قال تأخر فقال آخر انا يارسول الله قال ما اسمك قال ناجية قال انزل واخرج الطبراني في معجمه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول ياخضراء فقال لبيك أخذنا فألك من فيك والفأل بالهمز ضد الطيرة كأن يسمع مريض يا سالم او طالب ضالة يا واجد ويستعمل في الخير والشر كذا في القاموس في المهموز وتخفيف الهمزة بقلبها الفا فصحيح

عنا غناء) راعى الناظم الجناس وترك جزالة المعنى ولو قال مافي اليتيم هذا غناء لكان ظاهر المعنى وأشار الشارح الى تصحيح المعنى بقوله يغني عنا شيأ وفيه تكلف فان جعلت عن بمعنى اللام ظهر المعنى وجاز من غير احتياج لذلك التقدير ولا لتغيير عنا بهذا (قوله بفتح المعجمة واما بكسرها والمد فالسماع وبكسرها والقصر فالقياس مقابل الفقر والعسر (قوله على خلاف فيه) يوهم أو يصرح بان بعضهم منع ذلك وفيه نظر والتصحيف راجع للنقط والتحريف باعتبار تشديد النون وعدم تشديدها والنقص باعتبار زيادة الهمزة والتحريف هو اختلاف

(قوله صبيها) واسمه ضمرة أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (قوله ماتبض) بالضاد المعجمة ماترشح وروى بالصاد المهملة أى مايبرق عليها أثر لبن من البصيص وهو البريق واللمعان وكل منهما من باب ضرب (قوله قلت لزوجي) فقال لها زوجها الاعلمت أن تفعلى عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة (قوله يغط) بكسر الغين من الغطيط وهو صوت النائم (قوله فأشفقت ان أوقظه) أى بدون تلطف بقرينة قولها رويدا والافوضع يده على صدره سبب ليقظته الاان يقال هو وان كان سببا لها لكنها لم تقصد ايقاظه فلا ينافى قولها اشفقت ان اوقظه ولو بدون تكلف زيادة تلطف قال فى القاموس شفق واشفق حاذر أو لا يقال الا أشفق اه وقال البيضاوى عند قوله تعالى ٥٠ أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات اختمتم الفقر اه

وهو بمعنى مافى القاموس (قوله وأعطيته ثديى) وأول لبن دخل جوفه قيل لبن حليمة كما ذكره فى شرح تائية السبكى ومرضعاته صلى الله عليه وسلم أربع أمه وحليمة ونويبة مولاة أبى لهب وأم أيمن ولم ترضعه امرأة الا أسلمت كما قاله السيوطى فى خصائصه الصغرى (قوله بما شاء من لبن) انظر معنى هذه العبارة ثم رأيت فى شرح تائية السبكى أقبل عليه ثديا ى والمعنى على ماذكر الشارح ظاهر أيضا اى أقبل ثدىى عليه بالذى شاءه النبى صلى الله عليه وسلم ومن لبن بيان لما (قوله الى شارفنا) قال فى القاموس الشارف من النوق المسنة الهرمة كالشارفة اه فاستعماله فى الشاة مجاز علاقته المشابهة كما سيأتى نظيره فى الشارح فى شمائل (قوله حافل) اى كثيرة اللبن والتحفيل كالتصرية وهو ان تترك الشاة اياما لايحتلب لبنها فى الضرع للبيع (قوله رويدا) بكسر الواو بوزن رضى

(قوله ويحكن) قال فى المختار ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وتقول ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك ان تنصبهما باضمار فعل تقديره ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك وكذا ويحك وويلك وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر (قوله لان معنى لبانها الخ) أحسن من هذا ماذكروه فى اقامة الآلة موضع المصدر من قولهم فى ضربته سوطا ضرب سوط تامل فيه (قوله يختص بلبن الخ) قد ينافيه قوله لان معنى لبانها رضاعها اه دنوشرى وقد يقال لامنافاة لان الاول بيان لمعنى مجازى من اطلاق اسم المسبب على سببه والثانى بيان لمعناه الحقيقى

المخلوقات

راهو به وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم عن حليمة رضى الله تعالى عنها انها قدمت مكة فى نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء فى سنة مجدبة ومعها صبيها وشاة ما تبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله مابقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجى والله انى لاكره ان أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب من صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره صلى الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر اليه فقبلته بين عينيه وأعطيته ثدىى الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله صلى الله عليه وسلم بعد قال أهل العلم أعلمه الله ان له شريكا أمه العدل ثم أخذته فما هو الا أن جئت به رحلى فقام صاحبى نعنى زوجها الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله تعالى يزيدنا خيرا وفى رواية انها لما ودعت أمه وذهبت به على اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم شدت فسبقت دوابهن فصرن يتعجبن ويقلن لها أهذه أتانك التى كانت ترفعك طورا وتخفضك أخرى فتقول نعم فيقلن لها ان لها لشأنا عظيما فسمعت الاتان تقول ان لى: أنا عظيما بعنى الله بعد موتى ويحكن هل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير الاولين والآخرين وأبدل من آتته قوله (أرضعته لبانها) بكسر أوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مفعولا مطلقا لان معنى لبانها ارضاعها اذ يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبن الرضاع (و) بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر

(قوله فيه استعمال الخ) مبني على نسختة التي وقع فيها لفظ لبان وفي عدة نسخ ألبانهن (قوله ومكروا) اى الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا على عيسى من يقتله ومكر الله حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حين قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجاب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج وهو المشاكلة التي عبر بها الشارح وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ومنها وجزاء سيئة سيئة مثلها فليس الجزاء عنها سيئة حقيقة بل لوقوعها في صحبة لفظها أطلق عليها اسمها (قوله ويجوز كونه حالا) ٥١ اى بتقدير قد (قوله تشول) اى بذيلها (قوله وهذا فيه اجتماع) فيه نظر ظاهر اذ كيف يأتي هذا الايهام مع الحكم بوقوع الموت في الماضي الذي هو مدلول كان ثم خلفه الحياة اذ المعنى أو من كان ميتا بالكفر فأحييناه بالهدى فالزمان مختلف البتة والحق المنافاة وأنه مساو لما في النظم كما لا يخفى على المنصف على أن الذي أفاده الفاضل الدلجي في شرح هذا الكتاب أخذا من كلامهم ان المطابقة هي الجمع بين معنيين متضادين لا بمعنى كونهما أمرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل اعم منه بان يكون بينهما تنافٍ وتقابل في الجملة حقيقيا أو اعتباريا تقابل تضاد أو تناقض او ايجاب وسلب أو ملكة وعدم ولا يخفى شموله لما في النظم اه طبلاوي (قوله ويرجحه منها) قد يقال بل الاظهر كون حلمة مرجعا لان غذاءه صلى الله عليه

الخلوقات (سقتها) اى حليمة (وبنيها) وقد كانوا أشرفوا على الهلاك من الجوع لعام ان أرضهم كانت في غاية المحل والجدب (لبانهن) فيه استعمال لبان في غير ابن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك (الشاء) جمع شاة كرامة لذلك المولود صلى الله عليه وسلم وانما سقتهم مع ذلك المحل لالبانها ببركته صلى الله عليه وسلم (أصبحت) فهو من أسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا انظر الصورة تعريفه وصفة نظر الكون أل فيه جنسية تحرر

* ولقد أمر على اللئيم يسبني * (شولا) بالتشديد جمع شائل وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا ابن بها أصلا فاستعملها هنا في الشاة مجازا لعلاقة المشابهة (بجافا) اى هزيلات (وأمست) لم يرد باصبح وامسى معناهما بل أنها كانت في حال فاعتراها نقيضه في أقرب زمن واسرعه فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما (مابها) اى فيها (شائل) مبتدأ أو فاعل الظرف (ولا عجفاء) اى هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا والمراد ان تقول ليس ما هنا على وزان الآية لان الذي فيها نفي العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات في زمن والنفي في زمن آخر وهذا الاتضاد فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد أو ايهامه ولو بيادئ الرأي كما هو معلوم من استقراء أمثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه اذ الفاء تأتي لغير التعقيب فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه أيضا لان ضمير أحييناه للميت فكأنه قال أحيينا الميت وهذا فيه اجتماع الحياة والموت فتأمله (الخصب) من الخصب بكسر أوله وهو ضد الجدب (العاشر) اى كثر قوت الآدميين والدواب (عندها) اى حليمة أو الشياه ويرجحه منها الآتي (بعد محل) اى شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع (اذ) اى ذلك الاخصاب وقت أولا جل أن (غذا) اى صار (للنبي) الاعظم صلى الله عليه وسلم (منها) اى من الشاء (غذاه) بالمعجمة اى لبان يغذيه وبين غدا وغذاه الجناس السابق في عناوعناه

وسلم منها بلا واسطة ومن الشاء بواسطتها (قوله الجناس السابق) تقدم انه المصحف المحرف الناقص والذي هنا المصحف الناقص فقط ثم راجعنا بعض شروح البديعيات فوجدنا المحرف ان تستوي الكلمتان في الخط ويكون الشكل فارقا بينهما فيشمل اختلاف الشكل بالتشديد والتخفيف كما سبق واختلافه بالفتح والكسر كما هنا ومثلوا له بقول الحريري

وقلت للاثمي أقصر فاني * سأختار المقام على المقام اى مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام على المقام في بلده فالاختلاف بين الكلمتين بفتح ميم الاولى وضم ميم الثانية فما ذكره الشارح من وجود الثلاثة هنا صحيح

(قوله مردود) ذكر صاحب المغنى فى قوله الا يا اسجدوا ان بعضهم حمله على حذف المنادى وبعضهم على التنبيه فهو من جملة محالها (قوله والتقدير الخ) يقتضى ان المنادى عاقل محذوف وذلك ينافى قوله آنفا فالنداء الخ وقوله فيه مجاز التشبيه الخ ويجاب بان مراده ان طلب الاقبال لا يكون حقيقة الا للعاقل فلا ينافى قوله والتقدير الخ وفيه نظر فحرر المقام والذى يظهر ان قوله وفيه مجاز التشبيه الخ ينافى قوله والتقدير الخ لان ما قرره فى التجويز يقتضى ان النداء واقع على النعمة المشبهة ولا يظهر لذلك معنى فى تركيب المتن وقوله والتقدير يقتضى ان المنادى محذوف عاقل والمعنى ظاهر عليه وقد علمت عدم منافاته لكون الكلمة للتعجب لانه بيان للمعنى لا للوجه الاعرابى فتأمل (قوله اى نعمة منها عليه) اى ظاهرا لكونها

٥٢

سببا فى غذائه لبنها وأما فى نفس الامر فالمنة له عليها بكون الله تعالى سخره لها لترضعه اذ هو عليه الصلاة والسلام أصل وجود كل خير لكل مخلوق (قوله او التأكيد) اى لمضمون الجملة التى بعدها فى المغنى ان اللام غير العاملة من أقسامها لام الابتداء وذكر من فوائدها تو كيد مضمون الجملة وأنها تدخل باتفاق فى موضعين الابتداء نحو لأنتم أشد رهبة وبعد ان وتدخل على ثلاثة باتفاق الاسم والمضارع والظرف نحو ان ربى لسميع الدعاء ان ربك ليحكم بينهم وانك لعلى خلق عظيم وعلى ثلاثة باختلاف الماضى الجامد والماضى المقرون بقد والماضى المتصرف المجرد من قد اجازه الكسائى على اضمار قد نحو ان زيدا لعسى أن يقوموا انهم الرجل وان زيدا لقد قام ايضا وان زيد القيام واختلف فى دخولها فى غير باب ان على شيئين الاول خبر المبتدا المقدم نحو لقائم زيد الثانى الفعل المضارع نحو ليقوم زيد وقال ابو حيان فى ولقد علمتم هى لام الابتداء مقيدة لمعنى التأكيد ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وأن لا يكون اه ما ذكره فى المغنى باختصار وايضاح وبه تعلم ان قول الناظم لقد ضوعف على حد ما ذكره ابو حيان فتكون للتأكيد بدون تقدير قسم او بتقديره فيصح اجتماعهما اى تقدير القسم والتأكيد خلافا لما اقتضاه ظاهر عبارة الشارح من التعبير بأو (قوله ولان الارواح جنود مجندة) أخرجه البخارى ومسلم قال البيهقى سألت الحاكم اباعبد الله الحافظ عن معناه فقال المؤمن والكافر لا يسكن قلبه الا الى شكله اه

(يالها) كلمة تعجب من هذه الفعلة الجليلة من حليمة وهى ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوى ترجوه ونظير هذا التعجب قوله فى البردة * ياطيب مبتدا منه وختتم * فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل أو المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب وهذا فيه مجاز التشبيه تشبيه ما تعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل وزعم ان يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قيل والتقدير يا متعجبا تأمل طيب مبتدئه ونظيره هنا يا متعجبا تأمل ما استقرها (منة) تمييز اى نعمة منها عليه (لقد) اللام للقسم أو الا كيد (ضوعف الاجر) اى كرر الثواب اذ تضعيف الشئ ان يزاد عليه مثله أو أكثر (عليها) اى توالى وتتابع حال كونه مستولبا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى أو على تلك المنة اى لاجلها على حد قوله ولتكبروا الله على ما هداكم اى لاجل هدايته اياكم وحال كونه (من جنسها) كما علم من قوله فسقتها الخ (والجزاء) من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها وبنيها اشياعها مع انها كانت وقت أخذه صلى الله عليه وسلم من أمه على نهاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل أن غذاءه كان من البانها أزال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ عن تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها النبئ عن سبق سعادتها (و) قد تقرر فى المعقول والمنقول أنه (اذا شخر) اى ذال ووفق (الاله أناسا) لغة فى الناس (لسعيد) اى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه (فانهم) بسبب ذلك (سعداء) جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولان المرء مع من أحبه من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح الحديث به ولان الارواح كما فى الحديث

(قوله جنود مجندة) قال النووي جموع مجتمعة وأنواع مختلفة واما تعارفها فقيل انه موافقة صفاتها التي خلقها الله عليها وتناسبها في اخلاقها وقيل انها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافق لصيقه ألفه ومن باعده نافره اه من بعض شروح البخاري ثم قال الخطابي فيه وجهان أحدهما ان يكون اشارة الى معنى التشاكل في الخير والشر وان الخير من الناس يحن الى شكله والشرير يميل الى نظيره فالارواح انما هي تتعارف بضرائب طباعها التي جبلت عليها من الخير والشر فاذا اتفقت الاشكال تعارفت وتألفت واذا اختلفت تنافرت

وتناكرت * ولا آخر انه روي ان الله خلق الارواح قبل الاجساد وكانت تلتقي فلما التبست بالاجسام تعارفت بالذكر الاول فصار كل منها انما يعرف وينكر على من سبق له من العهد المتقدم (قوله توفيقها للاسلام) قال السيوطي في الخصائص الصغرى قال بعضهم ولم ترضعه مرضعة الا أسلمت قيل ومرضعاته أربع أمه وقد رأيناها وأسلمت وأم أيمن وقد تقدم ذلك في حديث وحليمة السعدية وثويبة وأم ابن وقد تقدم ذلك (قوله وهي مجتمع الحب) قال البيضاوي في قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم الآية اي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف أثبتت اسناد النبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لايقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن والله يضاعف لمن يشاء بفضله وعلى حسب المنفق اخلاصا وتعبا من أجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب اه (قوله والعصف) قال البيضاوي في قوله والحب ذو العصف والريحان ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم وفي المختار ان العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويبس

أيضا جنود مجندة فما تعارف منها في عالم الارواح ائتلف في عالم الاجساد ومن أعظم اجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها بل رد صلى الله عليه وسلم سبي هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها ولذا لا زيد في اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها من جملة من أعتق من سبيهم كما يأتي وهذا من فن البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتي الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول أبي الطيب

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

وهو كثير في كلام الناظم * وأصل ما ذكره بقوله أرضعته الى هنا مار واه ابن اسحق وغيره من قولها بعد ما قدمناه عنها آنفا ثم قدمنا أرض بني سعد ولا أعلم أرضا أجدب منها فكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجد ها في ضرع حتى تؤمر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من بركته صلى الله عليه وسلم الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته * وما قدر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شياهها عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة في قوله ضوعف بلغت مراتب كثيرة فقال (حبة) اي هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها على ذكر المستعار له لئلا يكون في الكلام رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق في صم بكم الآية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه الذي هو صم وقول البهاء السبكي انه استعارة رأي مخالف للجمهور فلا يعول عليه كحبة وأشار الى وجه الشبه الذي هو تضاعف الجزاء ليبين أنه ليس من التشبيه البليغ لان شرطه أن لا يذكر وجه الشبه بقوله (انبتت سنابل) كثيرة جمع سنبلة وهي مجتمع الحب في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء فتمه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين أن العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف (والعصف)

(قوله لبلوغه سنتين) فيه ان كلام الناظم انما هو فى اتيان ثمان بعد بلوغه سنتين وشهرين أو ثلاثة بقرينة قوله اذا حاطت به الخ وأما المقيد بسنتين انما هو فى الاتيان الاول الذى رد صلى الله عليه وسلم فيه على حليمة اطلها الذلك كما سيأتى بسطه فى قولنا وفى الشرح (قوله أصلته) اى اضاعته فلم تعرف موضعه (قوله وبها من فصاله الخ) لايخفى ان مجرد فطامه لا يترتب عليه تألم وانما يترتب على بعده عنها ويجاب بان الفطام يلزمه البعد عنها لاخذ أهله فتألمها لاشئ عما تعلمه من هذا اللازم (قوله فرداه الخ) غيرظاهر لان الرد انما كان فى الذهاب به لهما أولا عقب تمام السنتين وكلام الناظم انما هو فى ذهابها به بعد أن مكث عندها شهرين أو ثلاثة بعد رده لان احاطة ملائكة الله به ٥٤ انما هو فى هذه المرة الثانية ولم يرداه بل أخذاه ولذا قال فارقته

اى والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن (لديه) اى عنده (يستشرف) اى يتطلع (الضعفاء) اى حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب والبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونها (و) بعد أن انتهى امد رضاعه ببلوغه سنتين (اتت) به (جده) عبد المطلب الذى فى الرواية الآتية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل أو لان امه ما كانت تفعل شيأ الا بعد مشاورة جده نعم فى سيرة ابن هشام ان حليمة رضى الله عنها لما أتت به مكة اصلته فى الناس فأتت جده واخبرته بذلك فدعا الله حتى وجده (و) الحال انها (قد فصلته) اى فطمته (و) الحال انه قد لحق (بها من) أجل (فصاله) اى فطامه (البرحاء) اى التألم الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها (اذ) اتت به وقت أولاجل انه (أحاطت) أى احدقت (به ملائكة الله) لاجل شق قلبه الشريف الآتى وهذا ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية أنهم اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة (فظنت) حليمة (بأنهم) البالغ زائدة (قرناه) اى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به الى جده لتسلم من تبعته (ورأى) جده وامه حين ردته اليهما (وجدها) اى شدة محبتها له صلى الله عليه وسلم وتعلقها (به) فرداه معها الذلك ولم يسلم من بها بمكة كما يأتى فى الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه (و) هى للحال المبينة لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها (من) أجل (الوجد) الذى بها (الهيب) اى نار (تصلى) اى تحترق (به الاحشاء) جمع حشى وهو ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استئنافية فمن ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل أو هو حكمة مفيدة ان شأن الوجد انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثى لحالها واطفأ نار ذلك الوجد برده اليها (فارقته)

ويصرح بذلك الشارح نفسه فى شرح قوله ولا الافضاء فتأمل (قوله لكن سياقه يدل عليه) فيه ان مادل عليه من السياق كقوله وقد فصلته غير صريح فى هذه الدلالة فيمكن ان يريد ومضى بعد فطامه الشهران أو ثلاثة فلا يترك لاجله الصريح من سياقه فى عدم الرد كقوله اذ أحاطت الخ وماهو الى الصراحة فى ذلك أقوى كقوله فارقته كرها (قوله من ارسال المثل) وهو الاتيان فى بعض البيت بما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت أو نحوهما كقول أبى الطيب

لان حمالك حمل لا تكلفه
ليس التكحل فى العينين كالكحل

وكقول الصفى الحلى فى بديعيته

رجوتكم نجداء فى الشدائد لى
اضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقول الشارح أو هو حكمة الخ من جملة ارسال المثل كما علمت من بيان حقيقته فكيف يعطف الحكمة المقتضى انها مغايرة بدل

له (قوله فارقته) فيه انهم الم تفارقه وانما رده اليها كما علمت آنفا ويجاب بانها بعد رده عليها مكث عندها شهرين أو ثلاثة خافت عليه وزوجها بسبب ما علماه من شق صدره ولم يعلما انه أمر الهى وظنا أنه من الشيطان فرجعا به الى أمه وتركاه عندها كما سيأتى فى الشرح بابسط عبارة فيحتمل ان الناظم أراد مفارقته فى هذه المرة الثانية وهذا الاحتمال ظاهر بقوله اذا حاطت ويحتمل ان ذلك فى المرة الاولى والمراد بمفارقته ظنت المفارقة لكن ينافيه ما علمت من قوله اذ أحاطت الخ لان المرة الاولى لم تحصل فيها هذه الاحاطة تأمل

(قوله كرها) الكره بالضم المشقة وبالفتح الاكراه يقال قام على كره اى على مشقة واقامه فلان على كره اى اكرهه على القيام وقال الكسائى هما لغتان بمعنى واحد مختار وفى القاموس الكره ويضم الاباء والمشقة أو بالضم ما اكرهت نفسك عليه وبالفتح ما اكرهك غيرك عليه كرهه كسمعه كرها ويضم وكراهة وكراهية بالتخفيف ومكرهة وتضم راؤه اه (قوله اى حال كونهما ذات كراهية) فيه ان الكراهية لم يذكرها فى المختار ولا القاموس من معانى الكره واعل الشارح ذكرها لازم الكره بمعنى المشقة اذ يلزم من المشقة الكراهية وعدم الرضا (قوله شق عن قلبه) اى شق بطنه عن قلبه فاخرج ثم شق (قوله فى زمن الرضاع) فيه انه لم يقع فى الابعد الفطام بشهرين أو ثلاثة ويجاب بان المراد فى قرب زمن الرضاع وسيشير لذلك فى قوله عقب الرضاع تأمل وحاصل مرات الشق التى ثبتت أربع عقب رضاعه وبعد بلوغه نحو عشرين وعند مجئ جبريل له بالوحى بغار حرا وليلة الاسراء كما سيأتى ذلك فى الشرح (قوله ويؤيده الخ) قد تتبعت كلام الشارح فيما يأتى فلم أجده صرح بمجيء جبريل الا فى شق صدره عند مجيئه بالوحى وهو فى غار حرا ولم يذكر فى هذه المرة من مرات الشق الاربع ان جبريل ○○ ختم ولم يذكر الشارح الختم الا فى شق صدره بعد قطمه فان كان الخاتم من الملائكة الثلاثة جبريل رد كلامه هنا وان كان غيره فانظر فى اى مرة من مرات الشق الباقية ختم جبريل ليصح كلامه هنا فانا تأملنا كلام الناظم مع القصة الآتية فلم نر هما ذكر الختم الا فى المرة الواقعة بعد فطامه والحق ان جبريل هو الخاتم فى مرة شق صدره عقب الرضاع كما صرح به الشارح نفسه عند قوله صان اسراره الختام حيث قال الراقع من جبريل فما ذكره هنا مردود (قوله بالنياط) هو عرق معلق بالقلب يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه (قوله والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب) الظاهر أن هذا غير قول الشارح قبله القلب مضغة فى الفؤاد بان يكون كل منهما داخل الغشاء والقلب جزء من داخل الفؤاد تأمل (قوله ألين قلوبا) الذى فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا قال صلى الله عليه وسلم اتاكم أهل اليمن هم أضعف الناس قلوبا وارق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تأويلان أحدهما الفرح لتتابع اسلامهم أفواجا الثانى ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه باهل اليمن وهم الانصار وقوله أضعف قلوبا اى اسرع فهما واقبلهما للخير ولير اجع قوله فرح ربكم هل هو بالجيم اى الذى أزال به الشدة بتتابع الاسلام أو بالحاء المهملة اى السرور الذى خلقه ربكم بكثرة المسلمين لاجل قمع الكافرين (قوله مشتق من التقلب) اى مأخوذ والا فالتقلب ليس فعلا ولا وصفا وقد قرروا ان الاخذ أوسع دائرة من الاشتقاق

(قول الحشى ولير اجع قوله فرح ربكم لعل ذلك وقع فى رواية غير التى ذكرها الحشى)

بدل من اتت (كرها) اى حال كونها ذات كراهية لفراقها لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها (و) الحال انه (كان لديها) اى عندها (ثاويا) اى مقيما (لايل) بالبناء للمجهول (منه) متعلق بقوله (الفوام) وهو الاقامة فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق اى لاتل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس * ولما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضاره بلده وامه المذكور آنفا ولذلك ابدل من قوله احاطت قوله (شق عن قلبه) بالكيفية الآتية فى القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استئناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع وما بعده مما يأتى ويؤيده انه ذكر فى قصته اشياء كون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة شقه عقب الرضاع بل فى شقه الذى بعد ذلك كما يعلم بتأمل كلام الناظم مع القصة الآتى بسطها وهو أعنى القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدى والذى فى الصحاح انهما مترادفان قال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفؤده اى توقده والقلب مشتق من التقلب الذى هو المصدر افرط تقلبه

(قوله كما فى الحديث) وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك وكان اذا شدد اليمين قال لا ومقلب القلوب اه دنوشرى (قوله مضغة) ٥٦ هى المعبر عنها بالعلقة فى الحديث (قوله لأمته الخ) ظاهره ان هذا معنى ختمه

كما فى الحديث ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة فى فلاة يقلبها الريح بطنا لظهر (واخرج منه) اى القلب (مضغة) اى قطعة لحم قدر ما يمضغ (عند غسله) ظرف لأخرج (سوداء) صفة لمضغة وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم خرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها انقص فى البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه صلى الله عليه وسلم بدونها ويأتى فى رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان سودا وان ولا ينافى ما ذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما يأتى فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم أخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة فى تطهيره صلى الله عليه وسلم وتكريمه وذلك يستدعى استقصاء تنظيف جوفه صلى الله عليه وسلم (ختمته) اى ذلك الشق المفهوم من شق وهى استئنافية او معطوفة على شق بحذف حرف العطف اى ثم بعد شقه لأمته واعادته الى ما كان عليه (يمنى) جبريل عليه الصلاة والسلام (الامين) على كتب الله ووحيه (و) الحال ان ذلك القلب الكريم (قد أودع) حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية (ما) اى الذى أو شيأ (لم تذع) بضم التاء وكسر الذال المعجمة اى تنشر (له) اللام زائدة اى مالم تنشره ويحيط به (انباء) أى أخبار لانه لا يعلمه الا مولاه والمتفضل به عليه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم جعل الله القلب فى الانسان هو الذى يعقل عنه وهو أصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التى يودعها قلب من يشاء فأول قلب أودعها قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول خلق وصورته آخر صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو صلى الله عليه وسلم أولهم وآخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى (صان) اى حفظ (اسراره) التى أودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك (الختام) الواقع من جبريل عليه الصلاة والسلام وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين أو نحوه وبينه وبين ختمته جناس الاشتقاق (فبسبب هذه الصيانة (لا الفض) اى الكسر بالتفرقة (ملم) اى واقع (به) اى بذلك الختم (ولا الافضاء) اى الاشاعة واقامة ذلك السر وبين الفض والافضاء التجانس المطلق ومر فيه فى قيصر وقصور زيادة ويجرى ذلك فى قوله يمنى الامين * وأصل قوله واتت جده الخ قول حليمة رضى الله تعالى عنها بعد ما قد مته عنها كما فى السير عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفطمته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن احرص شئ على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وبا مكة ولم نزل بها حتى

واندلا آلة قد ختم بها وسيأتى انه ختم بها فالمراد لأمته بعد ختمه بالآلة النورانية كما سيأتى لكن هذا الختم بالآلة المذكورة انما هو فى مرة الشق قرب زمن الرضاع وقد سبق للشارح ان جبريل لم يختم فيها وقد تقدم الكلام فى ذلك وقد يجاب بان التتمة واعادته من الملك الثالث والختم بالآلة من الثانى كما سيأتى فى رواية ابى يعلى فاذا كان الثالث هو جبريل وافق كلام الشارح هنا وفيما سبق لكنه سيصرح فى شرح صان اسراره الختام ان الختم واقع من جبريل (قوله اى أخبار) قال الراغب النبأ الخبر ذو الفائدة الجليلة يحصل به علم أو ظن غالب وحق الخبر الذى يسمى نبأ أن يتعرى عن الكذب (قوله صان اسراره الختام) قال الجوهرى وضمير اسراره يجوز ان يكون للنبى ويجوز ان يكون للقلب ويجوز جعله للامين وجملة فلا الفض ملم به مؤكدة لجملة صان اسراره الختام (قوله وهو ما يختم به الخ) بيان أصل معناه والمراد به هنا كما سيأتى فى الشارح آلة من نور يحار الناظر دونها (قوله ولا الافضاء) راجع للاسرار المصونة بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب كما أشار اليه ردته

الشارح والمراد بكون الافشاء غير حاصل لتلك الاسرار اى على سبيل الاحاطة والا فبعضها قد اشيع كما لا يخفى (قوله يشب) بكسر الشين فهو من باب ضرب (قوله جفرا) اى قويا على الاكل

(قوله مع أخيه) اى واترب له من الصبيان بقرينة الرواية الآتية والاتراب جمع ترب وهو المساوى فى السن (قوله فى بهم) البهم جمع بهيمة وهى أولاد الضأن اسم للمذكر والمؤنث والسخال أولاد المعز اه صحاح والبهام جمع بهم (قوله يشتد) اى يعدو (قوله رجلان) لا ينافى الرواية الآتية انهم رهط ثلاثة لانه نظر الى من باشر الاضجاع والشق والغسل والختم واخراج العلقة السوداء ومن وقع منه ذلك اثنان من الثلاثة ولم ينظر للثالث الذى ٥٧ وقع منه امرار اليد على الشق للالتئام

ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة الى بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ما شأنك قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم ردآه كما كان فرجعنا به صلى الله عليه وسلم معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى نرده الى أهله قبل ان يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت مارد كابنه فقد كنت حريصين عليه قلنا لمختلى الاختلاف والاحداث فقالت ماذا لك بكما فاصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه الكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما وفى حديث عند ابى يعلى وابى نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا فى بنى ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم فى بطن وادمع أتراب لى من الصبيان فاذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ممتلئ ثلجا فاخذونى من بين اصحابى وانطلق الصبيان هربا مسرعين الى الحى فعمد احدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه ولم اجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح عنه ثم أدخل يده فى جوفى واخرج قلبى وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال اى اشار بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم من نور بحيار الناظر دونه فختم به على قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا الحديث وفى رواية عند البيهقى ان احد الثلاثة فى يده ابريق من فضة وبيده الثانى طست من زمرذة خضراء وورد فى خبر التابوت المذكور فى الآية أنه كان فيه الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به صلى الله عليه وسلم قبل وانما يسلم هذا ان لم يختص الختم به اما اذا لم يختص به

٨ ≠ والروايات قاضية بان الامتلاء قبل الختم (قوله فأمر يده الخ) ظاهره عدم احاطة الشق لكن سيأتى فى التنبيه الثانى عن أنس كنت أرى أثر المخيط فى صدره فيحمل ما هنا جمعا بين الروايتين على ان الامرار بعد الخياطة لزيادة الالتئام والبرء بيركة مس اليد او ان فى بعض مرات الشق لم يكن خياطة وحصل الالتئام بمر اليد على الشق وفى بعضها خياطة وجاء فى رواية انه ذر على الشق ذرور فلعله فى بعض مراته أيضا تامل (قوله من زمرذة) لينظر التوفيق بين هذه الرواية ورواية من ذهب فان ثبت ان الثالث كان بيده طست من ذهب انتفى التعارض

واما الرواية الآتية فنظر فيها اليه فتأمل (قوله كنت مسترضعا الخ) وقد سبق أن الشق انما وقع بعد فطامه بشهرين أو ثلاثة ولم يثبت وقوع شق زمن الرضاع (قوله طست) باهمال السين وابدالها والجمع طساس وطسوس وطسات قال السيوطى فى المزهر وطست جمعه طساس بالسين لانها الاصل وأبدلت فى المفرد تاء لاجتماع سينين فى آخر الكلمة فكره للاستثقال فاذا جمع ردت اذ الفرق الالف اى أو الواو بينهما اه (قوله فعمد) من باب ضرب يعنى قصد اى عمدنى قال فى المختار وعمد للشئ قصد له اى تعمد وهو ضد الخطا (قوله مفرق) بفتح الراء وكسرها اى اعلى صدره (قوله ختم به على قلبى) وهذا غير خاتم النبوة الذى على أعلى كتفه الايسر فلا يعارض ما ذكره هنا ما سيأتى فى التنبيه الثانى (قوله فامتلأ الخ) ظاهره ان الامتلاء عقب الختم

كما مر فالحكمة انه من جملة علامات النبوة ولذا شاركه فيها غيره على أن هذه الكيفية المذكورة فى شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما مع تكرار الشق لان الوارد فيهم عليهم الصلاة والسلام مجرد غسل قلوبهم وهذا لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروى الشق ايضا وهو ابن عشر سنين ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم فى الدلائل ورواها عبد الله بن الامام احمد فى زوائد مسنده بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة امشى ابن عشر حجج اذا نا برجلين فوق راسى يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذانى فاضجعانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما أرى مفلوقا قالا أجد له وجعا ثم قال اشق قلبه فشق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبيه العلقة فنبذ به ثم قال أدخل الرحمة والرأفة قلبه فأدخل شيأ كهيئة الفضة ثم آخر يذر وراكان معه فذر عليه ثم قرابهما ثم قال اغد فرجعت بالم أغذ به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير وروى خامسة ولا تثبت وحكمة شق صدره الشريف فى حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره عن نقائص الصبا ليكون حينئذ على أكمل صفات الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم على أكمل الاحوال قال بعض الائمة ولعل هذا الشق كان سببا لاسلام قرينه المروى عند البزار أو اشارة الى حظ الشيطان المباين له كالعفريت الذى أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه واما قول الرازى وقوعه فى حالة الطفولية مشكل لانه معجزة وهى لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذى عليه أكثر أهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدى فرد وديان هذا من باب الارهاص لا المعجزة ونظائر ذلك كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك * (تنبيه اول) * ثبت شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجىء جبريل عليه الصلاة والسلام له بالوحى وهو صلى الله عليه وسلم بغار حرا كما يأتى وممن رواها الطيالسى والحرث فى مسنديهما وكذا أبو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قالا له اقرأ بسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوى على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوى فى أكمل احوال التطهير وثبت مرة اخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن أنكرها ليلة الاسراء فى البخارى وغيره انه صلى الله عليه وسلم شق قلبه فيه وهو بالمسجد قبل أن يخرج به الى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره الى عانته فاستخرج قلبه فغسل فى طست من ذهب أى لان تحريم الذهب انما كان بعد على أن الغالب فى أحوال تلك الليلة انه من أحوال الغيب فيلحق بأحكام الآخرة مملوءة حكمة وايمانا ثم حشى وتجسم المعانى جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم

(قوله من جملة علامات النبوة) لا الختم على قلبه فقرر (قوله لحلاوة القفا) قال فى الصحاح ووقع فلان على حلاوة القفا بالضم اى على وسط القفا وكذلك على حلاوى القفا وحلواء اذا فتحت مددت واذا ضممت قصرت (قوله من القول الثقيل) أى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتمها ويحملها امته انتهى بيضاوى (قوله ثغرة) بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهى الموضع المنخفض الذى بين الترقوتين (قوله بذبح الموت) هذا مبنى على ان الموت عرض لا جسم وقد وردت آثار تصرح بأنه جسم لا عرض أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة قال الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح وقال مقاتل والكلبى خلق الموت فى صورة كبش لا يمر على أحد الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس لا يمر على أحد الا حيى وأخرج أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله الموت كبشا أملح مستترا بسواد وبياض له اربعة أجنحة أربعة جناح تحت العرش وجناح فى الثرى وجناح فى المشرق وجناح فى المغرب قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز الموت لعزرائيل وبهذه الآثار علم ان الموت جسم خلق فى صورة كبش لا عرض واتضح ما ورد فى حديث الصحيحين يجاء بالموت يوم القيامة فى صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار اعيد =

أعيد وحكمة هذا الشق التهيؤ للرقي الى الملا الاعلى والتقوي على استجلاء ماشاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم لم يطق الرؤية وجميع ماورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز لنا تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة المكفرين عندا كثر العلماء في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله هؤلاء ومن تبعهم وقد رمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه من مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو رأي أهل السنة وبتقديره الذي ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وأمر السكين على حلقه فلم تقطع شيأ وبتقديره فذلك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فأقبل وهو منتقع اللون اى صار كلون النقع اى الغبار وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وماشق عليه انه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه بعد ما فطم مع انفراده عن امه ويئسه من أبيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم أي لانه يقوي القلب ويسكن الروع وأخذ البالتيمي من ايثار الملك له على ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه بما لا يجدي كما بينته في شرح العباب وفي وضع الايمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه أكثر أهل السنة ان العقل في القلب كما دلت عليه الآيات لا في الدماغ * (تنبيه ثان) * قال القاضي عياض رحمه الله تعالى خاتم النبوة أثر شق الملكين بين كتفيه وابطله النووي رحمه الله تعالى بان شقهما كان في بطنه وصدره أي كما في الروايات ومن ثم صح عن أنس رضي الله تعالى عنه كنت أرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم فالصحيح أو الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون مضمومة وقد تفتح فجيمتين أعلاه ورواية الايمن ضعيف قيل ولد به صلى الله عليه وسلم وروى ابو نعيم انه جعل عقب ولادته صلى الله عليه وسلم والذي في حديث البزار وغيره عن أبي ذر يا رسول الله متى علمت انك نبي وبماعلمت حتى استيقنت قال أتاني اثنان وفي رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء أي الثوب الذي يتغطى به ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ولياعني فكأني أرى الامر معاينة وعند الامام أحمد وصححه الحاكم استخرج قلبي فشقاه فأخرج منه علقتين

ولقد ذكرت أمهات الملك غمسه في الماء الذي اتبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب به على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة شرح البخاري للقسطلاني

ثم يقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكل قد رآه هذا الموت فيذبح ٥٩ زاد أبو يعلى في روايته عن أنس كما تذبح الشاة والاملح المختلط بياضه بسواد كما سبق عن وهب (قوله في هوة) الهوة بالضم الوهدة العميقة (قوله مقدمات ذبح) وهي انقياده وانقياد أبيه لذبحه وتله أي اضجاعه على جنبه ووضع جبينه بالارض كما ذكره الله في كتابه العزيز بقوله فلما أسلما وتله للجبين ومازاد على ذلك ليس مذهب أهل السنة ولم يثبت وان أكثر منه كثير من المفسرين كالخازن (قوله وبتقديره) أي الذبح ماذكره عن المعتزلة ليس على تقدير الذبح وانما فيه مجرد الاضجاع وامرار السكين على حلقه ولم تقطع والذبح الذي هو قطع الحلقوم لم يقولوا به وقوله ثانيا وبتقديره أي القطع فذلك الخ (قوله انه صبر الخ) أو معناه ماشق عليه مشقة عظيمة ويدل له قوله الشارح قريبا نوع مشقة (قوله كان عند نغض كتفه الايسر) وقد ورد انه رفع عند موته (قوله الملاء) الملاءة بالضم ممدود الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن اثنتين والجمع ريط ورياط وجمع ملاءة ملاء من غيرهاء فقول الشارح أي الثوب حقه الثياب (قوله وجعل الخاتم بين كتفي) هذا يرد القول بأنه ولد بالخاتم وفي الدلائل لابي نعيم انه صلى الله عليه وسلم لما

(قوله وختم عليه بخاتم النبوة) ظاهره على القلب فتنافى هذه الرواية رواية ابى ذر فان عاد الضمير للنبى وان كان بعيدا التنافى يعنى وختم على كتف النبى ايعضها بازرار الجمال انما يصار اليه ان ورد ما يصرف اللفظ عن ظاهره واما اذا لم يرد ذلك فلا ينبغى صرفه عن ظاهره المتبادر الى هذا الفناء البعيد ورواية كبيض الحمام لا تؤيد ذلك الصرف خلافا لمن زعمه انتهى من شرح الشمائل للشارح (قوله اذا قال قيل كبيضة الحمام) فيه ان البندقة التى قيل بها أقل فكان الظاهر أن يقول اذا قال قيل كالبندقة (قوله لجمع) بضم الجيم واسكان الميم وحكى كسر الجيم والمراد صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضم (قوله مبينا الخ) أى بقوله واذا حلت الهداية الخ لان المراد بها الوصول المرتب على القاء الحكمة والعلم والسكينة فيه بعد شقه (قوله واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله) قال شيخ الاسلام فى حاشية شرح جمع الجوامع للمحلى محل اختلافهم فى فروع اختلفت فيها الشرائع اما الاصول التى اتفقت عليها الشرائع كالتوحيد ومعرفة الله تعالى وصفاته فلا خلاف فى التعبد بها لجميع الانبياء لان دينهم واحد انتهى (قوله ومعنى ان اتبع الخ) أى على القول بتعبده بشرع غير ابراهيم بناء على هذا القول الضعيف (قوله وخص الخ) جواب عما يقال ان غير ابراهيم مثله فى ذلك فما وجه تخصيصه بالامر بالاتباع (قوله الداعى الخ) أى بقوله كما حكاه الله عنه فى كتابه العزيز ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (قوله على ان المراد) =

٦٠ (قوله مردود) أى لان الزرد يأتى بمعنى البيض وحمله على الاستعارة تشبيها

سودا وبين فقال أحدهما لصاحبه ائتنى بماء وثلج فغسله به جوفى ثم قال ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة * (تنبيه ثالث) * اختلفت الروايات فى كيفية تشبيه ذلك الخاتم على أنواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة سلعة شئ يختم به تفاحة شامة خضراء محتقرة فى اللحم شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات زرا لحجلة أى الشحانة وزعم انها هنا هى الطائر المعروف وزرها بيضها مردود قال المحققون ولا اختلاف فى الحقيقة بل كل شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مرادها واحد وهى قطعة لحم بارزة عليها شعيرات اذا قلل قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كجمع الكف أى على هيئته لكن أصغر منه ويشكل عليه رواية محتقرة فى اللحم ويجاب بانه يحتمل ان حواليه احتقارا ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد وفى المستدرك عن وهب ان شامات الانبياء فى ايمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم * (فائدة) * أخرج البيهقى والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضى الله تعالى عنهما قلت يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك امارة النبوة رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك حيث اشرت اليه مال قال انى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته أى سقطته حين يسجد تحت العرش قال البيهقى تفرد به مجهول وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن فى المعجزات حسن وبفرض صحة الاول هو من حيز الضعيف وهو يعمل به فى المناقب قال بعض حفاظ المتأخرين اتفاقا كالقضائل انتهى وقس على ذلك كل حديث ورد فى المناقب ولم يعارضه غيره مما هو مقدم عليه فاستحضر ذلك عند رؤيتك لكل حديث ضعيف وجدته فى المناقب فان هذه القاعدة مما يعظم نفعها جدا ويجهلها أكثر المحصلين ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره صلى الله عليه وسلم ذكر حكم نشأته صلى الله عليه وسلم فى حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الآتى نتيجة ما أودعه الله فى قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات فقال (ألف النسك والعبادة) عطف تفسيرى اعتادهما واستمر عليهما (والخلوة) عن الناس فى حال كونه (طفلا) فما بعده كما نهم بالاولى واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل وعليه قيل كان يتعبد الهاما من الله تعالى ولانه لو تعبد بشرع أحد لظن انه من اتباعه ولاحتج أهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى أن اتبع ملة ابراهيم أى فى التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به الداعى ببعثته مع مدحه له بانه صاحب الكتاب والحكمة البالغين من كمال التزكية ما لم يبلغه كتاب غيره على ان المراد فى كيفية الدعوة من الرفق والحلم الذى لم

= أى ونجرى فى الجواب زيادة عما سبق على ان الخ ولو قال أو فى كيفية الخ عطفا على فى التوحيد لكان أوضح (قوله والذى فى الآية بعدها) اى ومعلوم ان له شرعا انزل عليه مأمورا باتباعه فلا يتوهم انه من أتباع سيدنا ابراهيم ولا يحتج أهل شرعه بما سبق (قوله الى حراء) بكسر الحاء والمد وحكى الاصيلى فتحها والقصر وعزاها فى القاموس للقاضى عياض ويمنع من الصرف ان أريد البقعة ويصرف ان أريد المكان وقباء كذلك أى فيها ماذكر ٦١ فى حراء (قوله والظاهر الخ) أى ليس تنسكه قاصرا على تنسك الجاهلية بل كان يزيد عليهم بالذكر والتفكر وان أوهم كلام الشارح اقتصاره عليهما فانه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق فيكون اطعامه لمن جاءه ممن ذكر أبلغ من اكرام غيره (قوله النجباء) جمع نجيب وهو الكريم المصطفى ونجيب كظرف وانتجبه اختاره واصطفاه (قوله كل ضعيف) برفع كل لا غير أى هم كل ضعيف عن أذى الناس أو عن المعاصى ملتزم الخشوع والخضوع وقوله متضعف قال النووى فى شارح مسلم بفتح العين وكسرها والمشهور الفتح ولم يذكر الاكثرون غيره ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله فى الدنيا وقال واما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل (قوله ذى طمرين) تثنية طمر وهو الثوب الخلق والجمع أطمار (قوله الا أخبركم بأهل النار الخ) وفى الحديث ان رجلا قال يارسول الله من أهل النار قال

يوجد كماله الا لابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وغايته الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمر باتباع الكل فى فبهداهم اقتده مع اختلاف شرائعهم ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول فتعين ان المراد أصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذى فى الآية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القائلين بأنه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه أمر باتباعه فيما لم ينزل عليه فيه شئ فأمره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان يأتيه ويعمل به قبلها والا فكيف يؤمر باتباع مالم يعرفه قال السراج البلقينى ولم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حراء شهرا فى كل عام من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته صلى الله عليه وسلم كانت الذكر والفكر مع اكثاره للخلوة والانفراد عن الناس بحراء وغيره (وهكذا النجباء) أى ومثل هذا الشان العلى شأن الكرام الكمل فما بالك بأكملهم وسيدهم على الاطلاق ويليه فى ذلك ابوه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تعالى منتظرا الفرج مولاه فان انتظاره عبادة كما فى الحديث وفى البيت من انواع البديع ثانى اقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بأن تتناسب معانيها اذ النهاية آخر بنا سبها الف ماذكر لانها السبب فى ذلك وثالث اقسامه أيضا وهو مناسبة اللفظ للمعنى فى الرقة والسهولة او الشدة والصعوبة ومنه حديث الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لابره الا أخبركم بأهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر فأتى من اوصاف أهل الجنة بما يناسب حالهم فى الرقة والانكسار ومن أوصاف أهل النار بما يناسب حالهم فى الشدة والغلظة والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه فى السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها للتأكيد وهو ضربان أحدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور وكما مر (و) انما كان

كل شديد قعبرى قيل يارسول الله وما القعبرى قال الشديد على الاهل الشديد على العشيرة الشديد على الصاحب انتهى هروى فى غريبه ومنه أيضا فى الحديث أهل النار كل جظ قيل يارسول الله وما الجظ قال الضخم (قوله كل جعظرى) قال الهروى فى الغريبين الجعظرى الفظ الغليظ وفى رواية أخرى هم الذين لا تصدع رؤسهم ويقال رجل جعظرى وجعظار وجعظارة وهو الذى ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر والجواظ الذى جمع ومنع (قوله أحدهما الخ) والثانى تعقيب الجملة بأخرى تحققها ولا تزيد على المعنى الاول وانما هى لمجرد التأكيد ولم تجر مجرى المثل كقول بعض العرب ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام اركبه اذا لم انزل =

= كذا فى بعض شرح البديعيات (قوله ماخرج مخرج المثل) أى ليتحقق به ماقبله لما يتضمن من زيادة المعنى (قوله نشطت) نشط كسمع (قوله كلاءة الله) كلأه الله يكلؤه مثل ٦٢ قطع يقطع كلاءة بالكسر والمد حفظه انتهى مختار (قوله التابعة) قال الشامى

هذا شأن النجباء من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم صالحى امتهم لما هو المستقر المعلوم انه (اذا حلت الهداية) وهى هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط ومن الاول انك لاتهدى من احببت أى لا توصله ومن الثانى واما ثمود فهديناهم اى دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذلو وصلوا لم يستحبوا ذلك (قلبا نشطت فى العبادة الاعضاء) لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وهذا من الكلام الجامع الذى مرت نظائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة رضى الله تعالى عنها لما ردته الى امه وجدته كان فى كلاءة الله وحفظه بنيته الله نباتا حسنا وبوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما أشار الى ذلك الناظم بقوله ألف الفسك الخ ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل اثنتى عشرة وشيأ بين ذلك أقوال أحرمات امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكتها م أيمن وأخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما رأى دار التابعة قال ههنا زارت بى أمى واحسنت العوم فى بئر بنى النجار وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون الى قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبى هذه الامة وهذه مدار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون وفى أخرى فى بعض دور مكة كما فى القاموس وحضنته بعدها امتها م ايمن بركة ثم مات جده كافله وله ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل فقيل ست وقيل ثلاث فكفله عمه أبو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى سنة قحط فقالت قريش يا أبا طالب اقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن انجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذ أبو طالب الغلام والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما فى السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادى واخصب البادى والبادى وفى ذلك يقول أبو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى أخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه أسر اليه الاسلام عند موته ويوافق ذلك أيضا ما فى رواية البيهقى الآتية له وأبى طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق

عليه برسول الله صلى الله عليه وسلم طاهرا فى اسلامه وحريصا عليه باذلا فى ذلك جهده مستفرغا ماعنده ولكن عاقت عن =

فى سميرته بالتاء المثناة والباء الموحدة والعين المهملة (قوله بالابواء) تقدم فى الشرح انه محل قريب من رابغ انتهى (قوله بالحجون) جبل بمكة (قوله عرفطة) بضم العين واسكان الراء وبفاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة ثم تاء التأنيث وهى فى الاصل شجر من العضاه الواحدة عرفطة سمى بها عرفطة بن الحباب الصحابى قاموس (قوله كأنه شمس دجن) الدجن الباس الغيم السماء (قوله أغيلمة) اعلم ان المفرد غلام وهو الطار الشارب والاكهل ضد ومن حين يولد الى أن يشب والجمع أغلمة وغلمة وغلمان وهى غلامة انتهى من القاموس فقياس التصغير غليمة تصغير غلمة بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام فقول الشارح فى تصغيره اغيلمة شاذ كما صرح به الاشمونى فى شرح قول الخلاصة وحائد عن القياس كل ماخالف الخ (قوله وما فى السماء قزعة) قال فى الصحاح القزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة (قوله واغدق) اى كثر قال فى القاموس واغدق المطر واغدودق كثر قطره (قوله وبوافقه الخ) قال القرطبى فى المفهم وكان أبو طالب يعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يقوله ويقول لقريش تعلموا والله على ان محمدا لم يكذب قط ويقول لابنه على اتبعه فانه على الحق غير انه لم يدخل فى الاسلام ولم يزل على ذلك حتى حضرته الوفاة فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم طامعا فى اسلامه وحريصا عليه باذلا فى ذلك جهده مستفرغا ماعنده ولكن عاقت عن =

على صحتها ترد ذلك وهي أكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر ان انشاءها كان بعد المبعث وقد يجمع بأنه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث ثم رأيت في شرح المنهاج للدميري في باب الاستسقاء عن الطبراني وابن سعدان عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب يمدحه صلى الله عليه وسلم وأبيض يستسقى الغمام بوجهه البيت وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى به أبو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المتخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان أولها انهم أمروا باستلام الركن ثم برقى أبي قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم عليه ففعل فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين الهيثمي شيخ الحافظ بن حجر وتلميذ الزين العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال لا أعرفهم أي لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب كما مر آنفا على ان صاحب الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وغيره يوافقانها وحينئذ تعين الجمع بما ذكرته وأما الثاني فكون أبي طالب هو الذي انشأ ذلك البيت هو مادرج عليه أئمة السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلي في روضه أمرا مقررا ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الآتي ردهما واما قول الدميري انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب الوهم انه في آخر قصة عبد المطلب ان رفيقة بنت أبي صيفي بن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم أو اليقظة لما تتابعت على قريش سنون أهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث قد أظلكم ايامه وهذا ابان نجومه فخيلا بالحيا والخصب ثم أمرهم أن يستسقوا به وذكر قصة يطول شرحها وحاصلها ما مر فلما قصت الرؤية وهي الرائية المذكورة في القصة انشأت تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرها

مبارك الوجه يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

فكان الدميري لما رأى هذا البيت في رواية قصة عبد المطلب التي رواها الطبراني وهو يشبه بيت أبي طالب اذ في كل استسقاء الغمام به وهو المقصود توهم ان بيت أبي طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين أحدهما نسبته هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرفيقة والحكم عليه بانه عين البيت المنسوب لابي طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتأمل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من الكتب المعتمدة ثم رأيت ما يقطع بغلط الدميري وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وأبيض يستسقى الغمام البيت لابي طالب كما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه لما جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه فقال يا رسول الله أتيناك ومالنا صبي يغط ولا بعير يئط أي مالنا بعير أصلا لانه اذا وجد لابد ان يئط وانشد ابيا تا فقام النبي صلى الله

(قوله وهي أكثر من ثمانين بيتا) قال العيني في شرح البخاري وهي مائة بيت وعشرة أبيات (قوله رفيقة) بالفاء بخطه مصغرا والذي في الاصابة انه بقافين مصغرا انتهى (قوله ابان) بالكسر والتشديد اي وقتها (قوله بالحيا) بالقصر ويمد أي المطر واما بالمد فهو التوبة والحشمة والدرج من ذوات الخف والاظلاف وقد يقصر انتهى من القاموس ورأيت في كلام بعض العلماء ان الحياء انقباض النفس عن شيء وتركه حذرا من اللوم فيه وهو الجبلة التي خلقها الله في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة واياني وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله وهذا القسم مما يكتسبه المؤمن ويتخلق به وسيأتي في الشرح عند قوله ورأته خديجة البيت ما فيه نوع مخالفة لذلك مع بيان ان الملكات تزيد فاظره (قوله عدل) بالكسر المثل وبالفتح أصله مصدر عدلت هذا عدلا انتهى (قوله ولا خطر) قال الجوهري وخطر الرجل قدره ومنزلته انتهى (قوله يغط) الغطيط الصوت الذي يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مساغا (قوله يئط) الأطيط صوت الرجل والابل من ثقل أحمالها وكذلك صوت الجوف من الحوى وحنين الجذع

عليه وسلم بجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فاردينه الى نحره حتى انبعثت السماء بأبراقها وعاد وابيضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

مع ابيات أخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشئ البيت أبو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح * (تنبيه) * تصريحي برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقا آته صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له فالجواب ان أباطالب قد شاهد من ذلك أيضا في حياة عبد المطلب ما دله على ما قاله انتهى ووجه سقوطه ما تقرر ان اباطالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فانشد ذلك حينئذ والعجب من شيخ الاسلام ابن حجر انه غفل أيضا عن رواية ابن عساكر هذه فأجاب عن استشكال السهيلي بقوله ويحتمل أن يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجأ والعصمة الحفظ من الضياع والارامل المساكين رجال أو نساء لكنه في النساء أكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وانى أعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله و بحيرا بفتح فكسر مقصورا ذكر جمع في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل المبعث وصح ان سبعة من الروم أقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورد أباطالب ويعث معه أبو بكر بلالا وقوله وبعث معه الخ وهم من أحد رواته لان أبا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم انهم لما أقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظله من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانحنت عليه أغصانها حتى أظلته وروى أبو نعيم وابن عساكر ان اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة أخرى اتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف وفيه ان أبا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك سبب ايمان أبي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما أقبلوا وهي في علية لها

(قوله للأرامل) مفرده أرمل وامرأة ارملة محتاجة مسكينة والجمع أرامل وارملة والارمل العزب وهي بهاء ولا يقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى وعبارة المختار والارمل الرجل الذي لا امرأة له والارملة المرأة التي لا زوج لها وقد ارملت المراة مات عنها زوجها انتهى (قوله عند غضروف كتفه) الغضروف هو الغض المتقدم معناه اى أعلى الكتف وتقدم انه الايسر (قوله غمامة) أي سحابة قال السيد النسابة في شرح منظومة ابن العماد يقال ان طول الغمامة عشرة اذرع وعرضها كذلك وكان علوها على راسه كذلك (قوله ذكره جمع في الصحابة الخ) قال ابن عبد الحق في شرح بسملة شيخ الاسلام وقد تردد الحافظ ابن حجر في الاصابة في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها له وان يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا انتهى وقد صرح الحلبي في حاشيته على المنهج ان المجتمع بنبينا لا يسمى صحابيا الا اذا اجتمع به بعد رسالته (قوله في علية) العلية الغرفة والجمع العلالي قال بعضهم هي العلية بالكسر انتهى مختار

(قوله فتسترق السمع) يقال استرق السمع اذا اصغى مستخفيا (قوله عند مبعثه) قال فى القاموس وعند مثلثة الاول ظرف فى المكان والزمان انتهى والمراد هنا الزمان و بالمبعث الحدث أى البعث كما ذكره بقوله أى ارساله أى زمن بعثه على تقدير مضاف أى قرب زمن الخ كما اشار اليه الشارح تأمل (قوله او تخبله) قال فى المواهب ثم يصير بعد ذلك أى بعد خبله غولا فى البرارى يضل الناس وسيأتى فى الشرح يقال خبله وخبله واختبله اذا أفسد عقله أو عضوه ٦٥ (قوله ففيه التقديم) هو عبارة عن الاتيان فى النظم او النثر بكلمة اوجملة اذا زيدت فى الكلام التام افادته حسنا ما لحسنه وهو قسمان مقدم المعنى ومقدم الوزن فمثال الاول ماذكره الشارح من الآية وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن بذكرها ثم معنى الكلام ومثال الثانى ما فى المتن وقول المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتى لرأيت فيه جهنما

فأتى بقوله يا جنتى لافادة الوزن مع افادة معنى من انواع البديع وهى المطابقة بينها وبين قوله جهنما (قوله على التشكل الخ) اى بأن يعلهم الله تعالى قولا او فعلا اذا اتى به نقله من صورة الى اخرى لان تصويره لنفسه محال وكذا يقال فى الملائكة ثم رأيت لبعض الفضلاء توجيه التشكل والتطور بأنه من باب تعدد الصور او انه من طى المسافة وانزواء الارض من غير تعدد فيراه الرائيان فأكثر لكن الله تعالى

وفى هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها أربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول الكعبة لشعثها فأمروا باقوم النجار القبطى مولى أحدهم ان يبنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب مبعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى لما فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السماء لكن كانت العرب لا تأتى لذلك بالافاضل دينى مبعثه صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع كما قال (بعث) اى أرسل (الله) علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد من الخلق لذاته (عند) بفتحتين العين اى قرب (مبعثه) اى زمن بعثه صلى الله عليه وسلم أى ارساله الى الخلق كلهم كما قال فى خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة و بين بعث ومبعث جناس الاشتقاق (الشهب) على الشياطين الذين يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما فى الحديث ثم يلقيها للكاهن وهو جمع شهاب وهى شعلة نار تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله (حراسا) جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال أو مصدر اى لاجل الحراسة لشريعته صلى الله عليه وسلم التى سيأتى بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وهو للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الخ ففيه التقديم كعلى حبه فى ويطعمون الطعام على حبه (و) لكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين فى نواحى السماء (ضاق عنها الفضاء) اى المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه و بين ضاق والفضاء الطباق (تطرد) حال من الشهب او صفة له كما فى قوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * لكن ظاهر المقام يرجح الحالية اذ رمى الملائكة التنكير هنا بعيدة (الجن) ومر أنهم اجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة (عن مقاعد) اى امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها (للسمع) أى ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات اما الكون رئيسهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او ان بعضهم يتلقاه من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة وأصل هذا قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع

٩ ج طوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاشراف فظن انه فى مكانين او اكثر وانما هو فى مكان واحد وهذا الجود ما حمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم او انه من باب عظم الجنة حتى ملأ الكون فشوهد فى كل مكان انتهى قال الشارح فى شرحه على المنهاج ونوزع فى قدرتهم على التشكل باستلزام رفع الثقة بشئ فان من رأى ولو ولده يحقل انه جنى تشكل به ويرد بان الله تعالى تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدى لمثل ذلك المترتب عليه الريبة فى الدين ورفع الثقة بعالم وغيره فاستحال شرعا الاستلزام المذكور (قوله اى امكنة قريبة الخ) اى بعد ان منعوا من دخول السماء كما سيأتى فى الشرح

الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ما حكاه الله تعالى عنهم أواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه أهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر أهل السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة قريبة على ليلة من مكة مع اصحابه يصلى الصبح وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفى ذلك نزل قل أوحى الى الآيات واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى أهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرأ تلك الليلة فاستمع جن نصيبين أى مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان فى ابتداء الوحى كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لامر امر أى عظيم قد حدث فبعث جنوده فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض ورواه النسائى وصححه الترمذى قال اعنى ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت عمه أبى طالب وروى ابن أبى شيبة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا أنصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وانما استمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى قومهم منذرين ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا وما بعد قوم انتهى وصح ان الذى آذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد احدكم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف انما كان بعد موت عمه ابى طالب سنة عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة أيام أو خمسة ثم تزوجه بسودة بعد أيام وكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر فى شوال لما ناله من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورواه عقبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا أذلقته الحجارة أى بالمهملة ثم الذال المعجمة ثم القاف اضعفته قعد الى الارض فيأخذون

بالميم وهو الصواب (قوله الوحى) تقدم انهم منعوا عن استماع خبر السماء قبل البعث فانظر قوله يستمعون الوحى (قوله فيزيدون فيها عشرا) تقدم انهم يزيدون مائة واعل بعضهم يزيد مائة وبعضهم يزيد عشرا (قوله وكانت النجوم الخ) هذا يقتضى ان النجوم نفسها يرمى بها وتقدم ان المرمى به الشهب التى هى الشعل المنفصلة من النجوم وسياتى ذلك أيضا وحكاية قول بقيل انها نفسها تنقض ثم ترجع الى محلها فما هنا على هذا القيل ان ابقى على ظاهره فان أويد ترجيعه للاول قدر مضاف أى يرمى بشهبها (قوله فلما بعث صلى الله عليه وسلم) ظاهره يوافق حديث ابن عباس ويخالف ماسبق له عند قول الناظم بعث الله وقد يدفع التخالف كما أشار اليه الشارح فيما ياتى وصرح به فى تفسير الخازن بأن الرمى بالشهب كان موجودا قبل المبعث لكنه اشتد بعده (قوله ما هذا الا لامر امر) قال فى المختار الامر كالاصر الشديد وقيل العجيب ومنه قوله تعالى لقد جئت شيأ امرا وقال البيضاوى أى اتيت أمرا اعظيما من أمر الامر اذا عظم (قوله أرسالا) قال فى القاموس الرسل محركة القطيع من كل شئ والجمع ارسال انتهى فقول الشارح قوما بعد قوم تفسير مراد لقوله ارسالا (قوله وكل بعر علف لدوابكم) أى بعد عوده لما كان عليه من تين وحب

بعضه به

(قوله لم يكن ظاهرا الخ) أى بشدة بقرينة ما يأتى (قوله نعم الخ) ظاهره استدراك على قوله وانما ظهرا الخ لافادة انه رمى بها قبل زمانه صلى الله عليه وسلم وسوابق الكلام ولواحقه تفيد انه انما وجد بعد وجود النبى قرب مبعثه لكن لا بشدة ثم وجد بشدة بعده فيحمل قوله فى الجاهلية على ما قبل بعثه وبعد وجوده صلى الله عليه وسلم ٦٧ يدليل قوله وشددا مرها الخ لتتلاءم اطراف

بعضد يه فيقيمونه فاذا مشى رجوه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه - حتى لقد شج فى رأسه شجاجا * وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لقى منهم أشد مما لقيه يوم احد وان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليأمره فى قومه بما شاء فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيأ وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فمامنهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرار قال الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر أحد قبل زمانه وانما ظهر فى بدء أمره صلى الله عليه وسلم تأسيسا لنبوته صلى الله عليه وسلم نعم جاء عن معمر انه قال للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قال أفرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشددا مرها حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن فى شدة الحراسة مثله بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم ويؤيده رواية ابن عباس الاخيرة ان صحت وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذى ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طردا بالغ جدا (كما) موصولة أو مصدرية (تطرد الذئاب) جمع ذئب بالهمز وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذئاب صرح به الحديث الصحيح (الرعاء) بضم أوله وكسره للغنم اذا أرادت العدو عليها (ف) بسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء (صحت آية الكهانة) مفعول مقدم وهى بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة أى علامتها وهى ما كانت تأتى به الكهان وتذكره من المغيبات التى تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر (آيات من) جملة (الوحى) وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى ولذلك كان الوحى الآتى اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام * الرؤيا الصادقة فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وهو ما يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل

الكلام فتأمل (قوله موصولة) واقعة على الذئاب ويكون قوله الذئاب من وضع الظاهر موضع الضمير وهو كاف فى الربط كقوله * وأنت الذى فى رحمة الله اطمع * (قوله صرح به الحديث) كقوله ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد وحديث فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية (قوله الرعاء) جمع راع كجائع وجياع ويجمع على رعاة كقاض وقضاة ورعيان كشاب وشبان ويطلق على راعى الغنم وغيره والمراد هنا راعى الغنم لذكره الذئاب وهى لا تتعرض غالبا الا للغنم وهذا يقتضى انه اذا ضمت الراء ختم بالهاء واذا كسرت ختم بالهمزة وعبارة الشارح تقتضى الختم بالهمزة مطلقا ويزاد عليه الختم بالهاء مع ضم أوله فحرر (قوله من الوحى) هو هنا ما نزل به جبريل قاله البرلسى المالكى فى شرحه لكن التقسيم الآتى له ليس بهذا المعنى كما لا يخفى بل بمعنى ما القى الى الرسول والاعم أقسامه كلام الله

بلا واسطة ولا يشمل ما ذكره البرلسى (قوله وهو الكتابة) أى اللغة (قوله والكلام الخفى) قال البرلسى كالوسوسة (قوله فى النوم ٢) ذكره بعد الرؤيا المخصوصة بالنوم لزيادة الايضاح أو لدفع توهم ان الرؤيا تطلق على ادراك العين وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر (قوله مثل فلق الصبح) أى ضيائه ومثله فرق (قوله وقلبه) عطف تفسير لان الروع بضم الراء القلب واما بالفتح فهو الفزع

٢ قول المحشى قوله فى النوم ليس فى نسخ الشارح التى بايدينا

(قوله واجملوا فى الطلب) قال ابن عطاء الله الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا يطلبه أى الرزق مكابا عليه مشتغلا عن الله به ومنها ان يطلبه من الله ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا أو وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلب وهو شاكر لله ان اعطى شاهد حسن اختياره ان منع ومنها ان يطلب من الله ما فيه رضاه لا ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفى حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجرى بالمقادير انتهى وقيل الاجمال طلب الرزق من وجه حل بعزة نفس (قوله فى صورة دحية) أى بعد اسلامه رضى الله عنه (قوله خرجت الظعن) جمع ظعينة وهى المرأة ما دامت فى الهودج فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة (قوله كما فى الابدال) قال عليه الصلاة والسلام الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا انتهى وورد انهم بالشام وورد انهم أربعون رجلا واربعون امرأة وجمع بان الحديث الذى فيه انهم ثلاثون أى ممن كانت قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل كما ذكره فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابراهيم انهم يتقلبون فى المعارف الالهية التى بقلبه اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التى هى على ٦٨ قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكروا نما سموا ابدالا لان

رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب * تمثل الملك له رجلا يخاطبه وصح انه كان يأتيه فى صورة دحية أى لانه كان جميلا جدا اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل عليه الصلاة والسلام مع عظم صورته وأن له ستمائة جناح كل جناح منها يسد الافق فى صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكماش فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا أولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة أخرى له وروحه متعلقة بهما أى كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم فى الوجود وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط بأى صورة ارادها الانسان * يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكانت رأسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترتض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشى بعد اليوم على رجلى أبدا يأتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين كما فى سورة النجم * كلام الله له بلا واسطة كموسى واختص بالكليم لان

كل من مات منهم أبدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف اجعل على ظهرك اربعين صديقا كلما مات منهم رجل ابدل مكانه رجلا وقيل انما سموا ابدالا لتبدل سيآتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الأبدال بالمعنى الخاص المقتضى حصرهم فى العدد السابق ولذا قال العارف المرسى كنت جالسا بين يدى استاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت فيهم فلم أرهم ابدالا فصحت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فذلك فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية ومن علامة البدل انه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد نجست له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم (قوله مناط بأى صورة أرادها) وحينئذ ينظر فى النكاح ونحوه للزوجة والامة هل هو خاص بالصورة الاصلية أو بما صارت اليه الصورة عند ارادة النفس لها فليحرر بالنقل الصحيح وقد يقال النكاح من جملة التكاليف الذى صرح الشارح بانه متعلق بالصورة التى يريدها سواء كانت الاصلية أو غيرها (قوله مثل صلصلة الجرس) أى اتيانا مثل أو حالة كونه مشابها صوته صلصلة الجرس قيل هى صوت الملك بالوحى وقيل صوت خفيف اختبته والحكمة فى تقدمه ان يفرغ وسعه للوحى فلا يبقى فيه متسع لغيره والجرس الجلجل يعلق فى رؤس الدواب (قوله تبرك به) بضم الراء لانه من باب دخل (قوله واختص بالكليم) قال فى المواهب اللدنية فان قلت اذا ثبت انه صلى الله عليه وسلم كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى أجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له اسم منه وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له =

= منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا تلخيصه وتحريره كما قاله

ذلك وقع له وهو بالارض وبينما صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كذلك وهو كذاب قوسين او أدنى وصح عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن * ثم وصف آيات الوحي بأنهن (مالهن انمحاء) من محا يمحو ويمحى ويمحا كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه يمحوه ويمحاه أذهب اثره وامحى كاذ عى والمحو السواد في القمر انتهت ملخصة والمعنى ههنا مالهن ذهاب ولا تغير كيف وقد تكفل الله تعالى لهذه الشريعة الغراء بانها باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين اخبر الصادق المصدوق عنهم صلى الله عليه وسلم بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله أي ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة وبين محت وانمحاء جناس الاشتقاق * ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع لانها قبل قوله بعث الله الخ لكان أولى فقال (ورأته) أي علمته وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر (و) هي للحال (التقى) هو البراءة من كل شيء سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خيركم اتقاكم واعلمكم بالله انا وخيركم لا علمكم بالله واشدكم له خشية (والزهد) هو أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا يوقد صلى الله عليه وسلم في ابياته نارا وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير أخذها صلى الله عليه وسلم قوتا لاهله (فيه) كل منهما (سجية) بالسين المهملة أي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق غريزة او مكتسبا يتعين ان يكون محله في غيره صلى الله عليه وسلم ومن قال بانه غريزة بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق ان اصول الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان وانما التفاوت في ثمراتها وهذا هو الذي به التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه ليس في الطاقة نعم من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى وفي غير المحمود

أي يظهر (قوله محا يمحو) والمصدر المحو والمحى (قوله ورأته) أي ابصرته او علمته بمعنى عرفته كما بينه الشارح لعدم وجوده منقول ثان (قوله خديجة) قال العلامة ابن عبد الحق في شرحه بالتنوين للضرورة انتهى ولا داعي لهذا التنوين لان مستقبح لن في بحر القصيدة مفروق الوتد فآخره سبب خفيف فيدخله الكف وغايته ان اجتماعه مع الخبن المسمى أي اجتماعهما بالشكل مكروه قبيح مع جوازه كما هو مصرح به في فن العروض فراجع كلام الشارح الآتي عند قوله فاستبانت خديجة وانظر ما كتبنا عليه يظهر لك المقام (قوله ابن قصي) هو ثالث جد لها رابع جد لرسول الله لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي (قوله تباعا) أي ولاء (قوله في أبياته) جمع بيت ويجمع ايضا على بيوت وابيات عن سيبويه مثل أقوال وأقاويل وتصغيره بيت بضم أوله وكسره والعامة تقول بويت والبيت أيضا عيال الرجل وقول الشاعر

وبيت على ظهر المطي بنيته
باسمر مشقوق الخياشيم يرعف

يعني بيت شعر كتبته بالقلم انتهى مختار وقوله يرعف ماضيه من باب نصر وقطع وكونه من باب ظرف لغة قليلة وهو في الاصل الدم يخرج من الانف والمراد به هنا المداد النازل من القلم (قوله وانما التفاوت في ثمراتها) أي وفي كيفياتها كما يفيده قوله فيؤمر بالمجاهدة

حتى يصير محمودا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فى أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما الله فتردد السؤال وتقريره عليه يشعر بان فى الخلق الجبلى والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وكان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت ولما اجتمع فى نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط به أحد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال مؤكدا لذلك بذكر على الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم لان خلقه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكرم المقتضى للسماحة والدماثة بل عم صنفى الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمؤمنين شديدا غليظا على غيرهم (والحياء) فيه سجية أيضا على اكمل غاياته فى البخارى من حديث أبى سعيد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها وقيد به لان حياءها فيه أشد لانه مظنة ان يظفر منها طامع يدخل عليها فيه بشئ يخلافها بحضرة الناس والحياء بالمدلغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به من الحياء ولذلك سمى المطر حياء لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنعه التقصير فى حق من له حق ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم (وانا ها) الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما (ان الغمامة) وهى السحابة (والسرح) وهو كما فى القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه أو كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة الآتية ان المراد هنا الاول أو الثالث واما الثانى فلم أر ما يدل عليه (اظلتهما منهما) حال من قوله (افياء) جمع فىء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفىء بأن الظل ما نسخته الشمس والفىء ما نسخها ومر ذكرهما تين الآيتين قبيل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته فى تجارة لها ومعه عبد لها ميسرة الى بصرى فنزل تحت شجرة فاظلته فقال راهب ثم مازل تحتها الا نبى وسأل ميسرة أفى عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال له الراهب هو آخر الانبياء ليتنى ادركه اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه فى بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه هو الذى تجده احبارنا منعوتا عندهم فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه فى الهاجرة ورأت خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهى فى علية لها فأرته نساء عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما رأت فاخبرها بجميع ما رآه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط

(قوله والدماثة) أى سهولة الخلق (قوله والحياء بالمد) وقد يقصر (قوله لكنه مقصور) وقد يمد (قوله وأناها الخبر الخ) يقتضى انها لم تبصر اظلاله ما وانما أخبرها به ميسرة عبدها أو غيره والذى رأته اظلال الملكين له (قوله والسرح) قال السنباطى جمع سرحة (قوله انها ارسلته) هذا الذى ذكره الى التنبيه له الامام يتظليل السرح المعبر عنه بالشجرة حيث قال ونزل تحت شجرة الخ وليس له الامام بتظليل الغمام فيكون قوله وحاصلهما الخ بالنسبة الى الاول دون الثانى الا ان يريد بحاصلهما ما ذكره الى قول الناظم واحاديث ان وعد رسول الله البيت وحينئذ فلا اشكال فى ضمير التثنية فى قوله وحاصلهما (قوله الى بصرى) بضم اوله والقصر مدينة بين المدينة ودمشق (قوله فقال راهب) وهو نسطورا كما فى شرح البرلسى (قوله ما حلفت بهما قط) فقال له القول قولك كذا هذه الزيادة فى شرح البرلسى

(تنبيه)

(تنبيه) وردفى تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها مارواه جماعة وهو على شرط الصحيح الاان فى راويته غرابة ان أبا طالب خرج به الى الشام فى اشياخ من قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقى ورسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له ومن اعلمك بذلك قال انكم حين اشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا اذ لا يسجدون الا لنبى وانى اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فقال لهم ارسلوا اليه فاقبل صلى الله عليه وسلم وغمامة تظله فلما دنا الى القوم وجدهم قد سبقوه الى ظل الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال اليه الحديث رواه أبو موسى الاشعرى وهو اما ان يكون تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ عنه صلى الله عليه وسلم أو من بعض كبار الصحابة أو كان مشهورا أخذه بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحق معضلا والبيهقى فى الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها أى مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وورد ذلك عن أخيه من الرضاعة وأشار غير واحد الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة أرهاصا وتأسيسا لنبوته صلى الله عليه وسلم كما يأتى ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضى الله تعالى عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة فى الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى جمرة العقبة وظلل عليه مرة أخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى اسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى شرح قوله واذا مامشى محانوره الظل الخ مالة تعلق بذلك (و) أتاها أيضا (احاديث) الاحبار والرهبان والكهان (ان) أى بان (وعد رسول الله) مصدر مضاف للمفعول أى وعد الله له صلى الله عليه وسلم وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير (بالبعث) أى الارسال الى الخلق كافة (حان) أى قرب (منه) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله (الوفاء) أى قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) بسبب مارأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء تسلسلهما (دعته) أى خطبته (الى الزواج) أى الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك ومن ان سنها حينئذ كان أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله

(قوله ابتعثه الله) أى يبتعثه والافالكلام فى الطوارق قبل البعثة فعبر بالماضى اشارة لتحقق ذلك (قوله من الثنية) هى طريق العقبة كما فى المختار (قوله اذ لا يسجدون) كان انظاهر اذ لا تسجد وقد يقال نزلهما منزلة العاقل لوجود السجود منهما فجمعهما جمعه (قوله فى رعية) بكسر الراء الهيئة (قوله واذا مامشى) الذى سيأتى فى النظم واذا ما ضاحها الخ (قوله الاحبار) علماء اليهود والرهبان عباد النصارى والكهان المخبرون عن المغيبات الملقاة اليهم من الجن حين استراقهم السمع كما سبق (قوله وهو متعلق بقوله الوفاء) لو جعله متعلقا بحان والمتعلق بالوفاء محذوفا أى به أى قرب من رسول الله الوفاء بوعد الله له لكان أوضح تأمل

(قوله منصوب المحل) فيه ان ذلك المصدر منصوب لفظا عند النطق به بدلا عما اوّل به (قوله جمع أمنية) قال فى المختار والمنية واحدة الاماني انتهى فقول الشارح جمع أمنية راجع للاماني لا للمنى وانما فسر المنى بالاماني مع اتحادهما معنى دفعا لتوهم ان المنى مفرد (قوله وتفرسها) التفرس استحضار العلم بالفراسة وهى كما فى الصحاح بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وهو يتفرس أى يتثبت وينظر تقول منه رجل فارس النظر وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن والفراسة بالفتح مصدر قولك رجل فارس على الخيل بين الفراسة والفروسة والفروسية انتهى (قوله فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها الخ) قد تقدم ان مارأته سبب حامل لمن له ذرة عقل ان يغسل قدميه بل ان يستشفى بفضلاته كبوله ودمه أى فلا تحتاج لقوة ذكاء وتفرس لما تؤقر من الآيات البينات وقضية ماذكره هنا انه حصل بقوة الذكاء الخ وهو شبه تناف الا ان يقال كلامه انما هو بالنسبة لما لاحظته منه من السعادة الفاخرة فى الدنيا والآخرة ٧٢ أو انه بالنسبة لما ادركته لذلك وعبارة ابلو جرى دعته الى ان يتزوج بها ليحصل لها الشرف التام والفضل العظيم على نساء عصرها فكان هو المخطوب افرط جلاله والمرغوب فيه لكثرة افضاله فشرفت بزواجه اياها حتى كانت من افضل أمهات المؤمنين وافضلهن ثم تعجب من قوة ذكائها وفرط عرفانها حيث بادرت الى هذا الامر العظيم والفضل الجسيم ولم تمش على عادة النساء فى انتظار ان تكون مسؤلة غير سائلة لما سبق لها من السعادة وكتب لها من الفضل والسيادة وقد يدفع أيضا ماذكر من التنافى بان التفرس كما علمت استحضار العلم بالفراسة وهى الاستدلال بالظواهر على البواطن ولاشك انها قد استدلت بما رأته وعرفته من الآيات على ما منحه صلى الله عليه وسلم فى باطن الامر من الكمالات (قوله كقول أبى الطيب) ومحمد مثال لنحو الحكمة من نعت أو مثل فان ماذكر مثل يضرب لكل من تكلف شيأ وليس خلقيا فيه فنقول لمن تكلف الكرم وليس خلقيا فيه ليس التكحل الخ ومثال الحكمة قول الناظم ولذا اللبيب الخ (قوله عشرين بكرة) البكر الفتى من الابل والانثى بكرة وبكرة البئر ما يستقى عليها والجمع بكر وهو من شواذ الجمع لان فعله لا يجمع على فعل الا شذوذا (قوله وضئضئ) مضاف لمعدو ما بينهما معترض بين المتضايفين للضبط وبيان المعنى وهو بكسر الضادين وبهمزتين (قوله وعنصر) أى اصل فهو بمعنى ضئضئ (قوله الحكام على الناس) أى اشراف الناس فى الجاهلية وهم العرب وعدهم فى اقاموس نحو خمسة عشر حكاما وانما قدرنا ذلك لانهم لم يكونوا احكام جميع الناس كما لا يخفى (قوله فان كان فى المال قل) القل والكثر بضم أولهما وكسره قال فى الصحاح القل القلة مثل الذل والذلة انتهى (قوله حائل) أى متحول أو منقلب من يد الى يد فقد ذكر فى اللغة ان حال يأتى بمعنى انقلب وبمعنى تحول وهو المراد هنا

برجلين (وما احسن) هذا احدى صيغتى التعجب (ما) مصدرية فتؤول مع (يبلغ) بمصدر منصوب المحل على التعجب (المنى) أى الاماني جمع امنية وهى ما يتمناها الانسان (الاذكياء) جمع ذكى كغنى والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد يقظته أى شئ عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل من الكملهم خديجة رضى الله تعالى عنها فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منذ رأته كل ما تمنته وامّلته مما لم تبلغه امرأة من هذه الامة اذهى على الاصح أفضل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وهذا من أنواع البديع المسمى بارسال المثل السائر وهو ان يذكر الشاعر فى بعض بيت مايجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها كقول أبى الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل فى العينين كالكحل

وهو كثير فى كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها منه اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أى الكافلين له وسوّاس حرمه أى المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به وان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل

(قوله ثنتي عشرة أوقية) تقدم قريبا انه اصدقها عشرين بكرة فانظر التوفيق بين الكلامين فان كانت الاواقي المذكورة قيمة العشرين بكرة بان كانت من جياد الابل حصل التوفيق بحمل المذكور اولا هو الصداق حقيقة والمذكور ثانيا قيمته (قوله ومما يدل الخ) الدليل على ذلك اما طاتها الخمار لم تدر ى انه الوحي واما اتيان جبريل في بيتها فلا دخل له في الدلالة

ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها أبوها منه وذكر الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها ثنتي عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية فالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك أربعين درهما (و) مما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه (أتاها) بعد النبوة والرسالة (في بيتها جبريل) كعند لبيب لغة في جبريل ليلقي اليها مأمر به من الوحي وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم في قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تريد هذه المرتبة العلية (ولذي) أي اصاحب (اللب) أي العقل الكامل وخديجة رضي الله تعالى عنها من اكمل أولي الالباب واذكاهم (في الامور) أي الاحوال التي قد تشتبه (ارتياء) أي استبصارا من ارتأيته أي نظرته بالعين أو القلب كما في القاموس وفراسة خديجة تقضي لها على تلك الامور بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لابد لها من نكتة فهي هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا أمر كلي جار مجرى المثل أو الحكمة فهو من ارسال المثل (ف) بسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل (اماطت) أي ازالت (عنها) أي عن رأسها (الخمار) وهو ما يخمر أي يغطى به الرأس (لتدري) أي لكي تعلم علم اليقين (أهو) أي هذا الذي عرض لصلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه (الوحي) أي حامله وامينه الذي كان يأتي به الانبياء قبله ومرت اقسامه (ام) هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبأم التعيين ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في الاول والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها لا يستغني باحدهما عن الآخر وتقابلها المنقطعة وهي ثلاثة أقسام مبسوطة في محلها (هو الاغماء) الذي هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون (ف) بسبب ازالتها الخمار عن رأسها (اختفى عند كشفها الرأس) منعول كشف المضاف لفاعله (جبريل فاعاد أو اعيد الغطاء) يعني الى ان اعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبني للمفعول والغطاء نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد أو التي يصلح موضعها حتى والغطاء فاعل اعيد انتهى وهو سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما صرح به كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعنى الى أن لا تدخل الا

على ما ذكر (قوله علم اليقين) قال الشيخ قاسم في كتابه السير والسلوك علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلي وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد في صفات الحق وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذي يبقى على التحقيق صفاته لا ذاته فحينئذ لا يتم من بقاء عين العبد الفاني فلا تفنى ذاته في ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله بل ان العبد كلما تقرب الى الله بالعبودية واظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية وهبه الله تعالى من فضله منه صفات جميلة حقيقة عوضا عما فني منه من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ فمتى شاء اذهب عن العبد ما فيه من الخبائث وامده بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم فاذا وهب عبده العاجز ما وهبه تصرف في الاكوان بارادة سيده انتهى (قوله ثالث المحبة) أي محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين (قوله الذي كان الخ) فالمراد بالوحي ما نزل به جبريل وقوله ومرت اقسامه أي لا بهذا المعنى بل بمعنى ما جاء به عن الله والا فبعض اقسامه لم ينزل به جبريل كالكلام الله من غير واسطة (قوله غير العاطفة) مردود وحاشا النحاة من دعوى انها غير عاطفة فكلهم مصرحون بانها عاطفة

على مضارع كما فى حتى الغائية المرادفة لالى المذكورة كما صرحوا به وحينئذ فاضطره ذلك الى ماذكره غفلة عن ان اعمد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر مما اشرت اليه واما كونه يبقى أعمد على حاله ويجعل منصوبا بأرفهو جر للفساد لايقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجر رد خول أو الناصبة عليه لما صرحوا به فى حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا أو ماضيا فى حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم أو ماضيا فى حكم المستقبل ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لاتدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان مافيه من المضى يؤول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما اللفظ ماض فلا تدخل عليه حتى الغائية أصلا (فان قلت) كيف هذا مع قوله تعالى حتى أتاهم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفى البخارى حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء (قلت) حتى هنا ابتدائية لا غائية والواو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة ولخصه الجلال السيوطى فى شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة بشرط واما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضى باضمار ان بعدها على تأويل المصدر فغلطه أبو حيان فيه وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له فى ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة وردوا زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا فى موضع جر بها انه خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية فاذا فى موضع نصب بشرطها أو جوابها ثم قال الجلال قال بعض النحويين ضابط حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف أو جملة أى ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لما بعده الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى فى ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى فى القرآن وغيره تكون حتى حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير مالا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل على الماضى فأوالتى بمعناها أولى (فان قلت) لم قست أو على حتى الغائية فى منع دخولها على الماضى ولم تقسها على الى ان أو الا ان اللذين بمعناها (قلت) اما كونها بمعنى الا ان فهو ماذكره ابن مالك وقد ردوا عليه حتى ولده ومن ثم قال ابو حيان قد أغفانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل على الماضى الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل أو قد كما هو مقرر فى محله وأما كونها بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضى لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود فى الى ان بطريق الاصالة فلم يمتنع دخولها على الماضى بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان أو بمعنى الى ان وهذه تدخل على الماضى كما فى الحديث قام الى ان تورمت قدماه فلتكن أو كذلك قلت هذا اشتباه لان

وقوله كما فى حتى الغائية الخ مردود بانها فى قوله تعالى حتى عفوا بمعنى الى ان وهى داخلة على الماضى فلتكن أو بمعنى الى ان كذلك فليجر انتهى دنوشرى أى فجعل الشارح حتى فى المثال ونحوه ابتدائية غير مسلم عند العلامة الدنوشرى (قوله ماضوية) اى مثلا والا فالمضارعية والاسمية كذلك

(قوله فاستبانت) اى فسبب ما ترتب على اختبارها بانه ان كان الملك لم يمكث عند كشف رأسها والا مكث بان وظهر لها بعدم مكثه عند الكشف ظهور عين اليقين انه الكنز الخ (قوله ويرد الخ) فيه نظر ظاهر لان قوله ليسلم الخ هو عين قول الجوجرى وغيره للضرورة لانها ان فسرت بما ليس للشاعر عنه مندوحة فعناه انه لا غنى له عنه فى كون الكلام على الميزان المرضى المقبول بالطبع حتى انه لو ارتكبه لم يقبله الذوق السليم والطبع المستقيم وان لم يخرج عن ذلك البحر بالكلية وان فسرت بما وقع فى الشعر وهو المختار فالامر ظاهر وليس مراد الائمة بالضرورة ٧٥ على التفسير الاول انه لو ارتكبه خرج عن الوزن الشعرى بالكلية والا لزم عليه ابطال حكمهم فى جميع أمثال هذا أو غالبها بالضرورة كما يعلم باستقراء كلامهم ثم رأيت بعض محققى شراح الكافية أشار الى ماذكرته فقال للضرورة اى لامر ضرورى فى الشعر بمعنى انه لو لم يدخله التنوين لزم الخلل فى الشعر سواء خرج من الوزن أم لا قال وأقول تحقيق المقام ان الضرورة الشعرية لا تقتضى الوجوب بحسب النحو بل اذا قرئ الشعر بحيث يظهر الخلل ولم ينون للافساد فى التركيب من جهة النحو لكن يجوز بحسب قواعد النحو فعلى العرب ان يراعى جانب الشعر وينون فالتركيب حينئذ أيضا صحيح الاعراب كما هو مقتضى كلام محقق النحويين فالضرورة الشعرية لا تنافى الجواز ولا تقتضى الوجوب النحوى كما توهمه جماعة المتأخرين فاذا قال ويجوز الصرف قال ولصرف

ان المتضمنة فى أو هى الناصبة وهى خاصة بالمضارع فلم يتوهم دخول أو المتضمنة لها على الماضى واما أن الملفوظ بها بعد الى فهى التى لا يتصور لها عمل وهى تدخل على الماضى فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت بعضهم يقدر او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على أن لا نظر اليها قلت لا يدل ذلك بوجه وانما سبب ذلك أنهم اختلفوا فى ناصب المضارع الداخل عليه أو فالاصح أن أن مقدرة بعدها وقال قوم هى الناصبة نفسها فعلى الاول تقدر بالى ان وعلى الثانى بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم أو على الماضى فى موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه فى ذلك أيضا وأما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى أو انهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على ان او الغائية لا تدخل على الماضى ثم رايت شارحها العلامة ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال فى اوخلت البطاح بها ان او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو او بل او انها على حالها للشك او التخيير وتكلف بيان ذلك ولم يعرج على انها او الغائية بوجه وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضى والا كان معنى الغائة فى البيت اقرب مما تكلفه ولا يتأتى نظير ما تكلفه هنا بوجه والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا الا قسمين عاطفة وناصبة وهى الغائية فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها على الماضى ولا يكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتأمل ذلك كله فهو نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره (فاستبانت خديجة) قبل صرفها للضرورة وبرد بانه انما صرفه وان كان الوزن صحيحا مع عدم الصرف ليسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع الكف والخبن لان من شأنه ان يحذف سببه فيسمى خبنا كما مر وهو على انفراده غير قبيح ويدخل مع ذلك الكف وهو حذف حرفه السابع وهو النون ليصير متفعل وهذا هو الشكل القبيح الذى هو اجتماع هذين وان كان الاول وحده حسنا والثانى وحده صالحا وهو من العجائب اذا اجتماع الحسن والصالح يصير قبيحا عندهم اى ظهر لها أتم ظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة بن نوفل الآتى أو من غيره ان

الضرورة أمثلة مشهورة لم تحتج للبيان نحو أعد ذكرنعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

فانه لو لم ينون نعمان لظهر الزحاف المخل وان صح الوزن فنون وكسر بتبعيته اى تبعية الكسر للتنوين والزحاف المذكور هو الكف وهو فى مفاعيلن حذف السابع الساكن فاستفده (قوله وهو من العجائب) مراده اظهار نكتة ذوقية وهى التعجب من حسن وصالح وكل حسن وحده فعند اجتماعهما يصير شكلا قبيحا وكان القياس زيادة الجمال وانما صناعة فلا عجب كما هو ظاهر

(قوله ما يعرض) ان كان المراد به جبريل كما هو الظاهر مما سبق فى قوله أهو الوحى اى حامله ومن قوله فاخذنى الخ كان المراد بقوله حيازته علمه علما هو عين اليقين كما علمت وان كان المراد به ما نزل به عليه فكذلك وظاهر ابن عبد الحق ان الضمير للنبى حيث قال انه صلى الله عليه وسلم وانما قلنا ظاهر لاحتمال ارادته جبريل لانه كالنبى فى طلب الصلاة عليه وعليه يظهر قوله ارادت حيازته الخ من غير تكلف واما على كون الضمير مجرورا فالمراد حازت علمه علم عين اليقين أو لما جاءه فالمراد حازت علم حامله كذلك (قوله حاولته) قال فى القاموس حاوله حوالا ومحاولة رامه اه فقول الشارح اى اراد تفسير لرامه الذى هو معنى حاول فى اللغة (قوله اى العلم الخ) لكن قال فى القاموس الكيمياء بكسر الكاف الاكسير اه وعليه فاطلاقه على العلم مجاز لانه سبب فى حصول الاكسير (قوله فاستعار الخ) الذى يظهر انه تشبيه بحذف الاداة لوجود الجمع بين طرفى التشبيه اذ مرجع الضمير هو المشبه به (قوله بذكر ما وقع الخ) اى بقوله فاماطت الخ (قوله الصادقة) وفى رواية الصالحة (قوله فلق الصبح) اى ضيائه ومثله فرق بالراء بدل اللام وقد تقدم التنبيه على ذلك (قوله الليالى الكثيرة) فى البخارى الليالى ذوات العدد قال شارحه القسطلانى مع ايام مهن وافتصر عليهن للتغليب لانهن أنسب للخلوة ووصف الليالى بذوات العدد لارادة التقليل كما فى قوله تعالى دراهم معدودة أو لكثرة لاحتياجها الى العدد وهو المناسب للمقام وكانت تلك الليالى شهرا فى رواية البخارى ومسلم جاورت بحراء شهرا وعند ابن اسحق هو شهر رمضان (قوله لمثلها) اى الليالى (قوله فجأه) بفتح الجيم وكسرها اى جاءه بغتة (قوله بغار) حتى الغار والمغارة الكهف فى الجبل (قوله فغطه) اى ضمه وغصره ويقال غته وضغطه وعصره وخنقه وغمره كلها بمعنى اه عراقى (قوله الجهد) بفتح الجيم والدال اى بلغ الغط منى غاية وسعى أو حتى بلغ جبريل فى الجهد غايته ويروى الجهد بالضم والرفع اى بلغ منى الجهد مبلغه وهذا الغط من خصوصيته عليه الصلاة والسلام فلم يقع لغيره من الانبياء (قوله فرجع بها) اى بالآيات المذكورة من قوله اقرأ الى قوله مالم يعلم (قوله يرجف) بضم الجيم اى يضطرب (قوله زملونى) زملونى من التزميل وهو التلفيف قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر والعادة جارية بتسكين الرعدة بالتلفيف

جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأتى محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس (انه) اى ما يعرض للنبى صلى الله عليه وسلم الذى طلبت الوقوف على عين اليقين فيه (الكنز) اى الشئ النفيس بل الذى لا انفس منه (الذى حاولته) اى ارادت حيازته والظرف به (و) انه (الكيمياء) اى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة فاستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى لانه بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بهما حالا ومآلا لا كما ان الوحى كذلك وأيضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحى لا يظفر به الا اكمل البشر وهو فى غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس وأشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ أربعين سنة قيل وكسرا بعثه الله تعالى يوم الاثنين كما فى خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان فى رجب رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق أجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم وأرسلت الى الخلق كافة رواه البخارى وغيره أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدئ بها لان الملك لو فجأه بغتة لم تحتمله قواه البشرية وكان يأتى حراء فيتعبد فيه الليالى الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق اى جاءه جبريل وهو بغار حراء فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى لست بقارئ فالله امتنانا عالانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم أرسله كذلك وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى ما الذى اقرؤه فغطه وأرسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التأهل الى لقاء الملك لما بين البشرية والملكية من التباين ثم الى التلقى منه ثم قال له اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه صلى الله عليه وسلم

(قوله خشيت علي) في نسخة الشارح خشيت على نفسي (قوله الضروري) اي خلق الله في رسوله علما ضروريا علم ان الجائي جبريل وانه ملك من عند الله لا جني كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل له هو ربه لا غيره اه من المواهب (قوله فقالت له كلا) كلمة نفي وابعاد اه (قوله لا يخزيك الله) بضم الياء المثناة من تحت واسكان الخاء المعجمة وبعد الزاي مثناة من تحت أيضا من الخزي وهو الفضيحة والهوان وفي رواية لا يحزنك بالحاء المهملة والنون ويجوز فيه فتح أوله وضم ثالثه وضم أوله وكسر ثالثه فانه يقال حزنه وأحزنه اه عراقي (قوله وتحمل الكل) اي الشئ الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك (قوله وتكسب المعدوم) اي تكسب غيرك المال المعدوم اي تعطيه له تبرعا منك أو تعطي غيرك مالا يجده من النفائس الا عندك فاحد مفعولي تكسب محذوف ٧٧ (قوله وتقري الضيف) بفتح أوله

حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالي وأخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على نفسي اي قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الجائي جبريل عليه الصلاة والسلام أو خشيت أن لا أقدر على حمل اعباء الرسالة أو ان يقتلني قومي ولا بد فانه صلى الله عليه وسلم بشر فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن أخيك فأخبره صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها اي في مدتك جذعا اي شابا بالغا في نصرتك اذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه صلى الله عليه وسلم الى رؤوس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيتبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وأخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا اي لاطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب العبد فاعلم حيث يجعل رسالته فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيأ فلم أثبت له فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر الآية وهذا بعد نزول اقرأ باسم ربك وبعد فترة الوحي اذ أول ما نزل اقرأ على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال انزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه

(قوله فتنصر) اي صار نصرانيا وترك عبادة الاوثان (قوله من ابن أخيك) تعني النبي صلى الله عليه وسلم لان الاب الثالث لورقة هو الاخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالته على سبيل الاحترام (قوله هذا الناموس) هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر ولم يقل الناموس الذي أنزل على عيسى مع قربه وحكمه بشريعته بعد نزوله لان ورقة كان نصرانيا والنصارى لا يقولون في عيسى انه نبي يأتيه الوحي وانما يقولون ان اقنوما من الاقانيم الثلاثة حل في ناسوت المسيح وهو اقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ولهذا عدل الى ذكر موسى لاعتقاده ان جبريل كان ينزل عليه وأيضا موسى متفق على نبوته عند أهل الكتابين واما عيسى فكثير من اليهود ينكرون نبوته وفي رواية الزبير بن بكار بلفظ عيسى (قوله مؤزرا) اي قويا بليغا (قوله ينشب) بفتح التحتية والمعجمة اي لم يلبث وقوله أن توفي بدل اشتمال من ورقة اي لم تلبث ولم تتأخر وفاته عن هذه القصة (قوله لاطلب النبوة) انما يناسب ذكر هذا تعبده بغار حراء قبل نبوته اذ هو وقت توهم طلب النبوة فيتعرض لنفيه واما تعبده فيه في هذه الرواية فكان بعد النبوة والرسالة كما سيأتي للشارح قريبا فكيف يتوهم طلب ما ذكر فكان الصواب ان يذكر الشارح ذلك عند قوله وكان يأتي حراء فيتعبد الخ (قوله لا تنال بكسب) قال الشارح في شرح الاربعين يكفر من قال ان النبوة مكتسبة (قوله فقرن بنبوته اسرافيل) وقرنه كان في مدة فترة الوحي ليؤانسه ويقويه على تحمل اعباء ما سينزل عليه وان كان ظاهر كلامه ان قرنه =

به عقب نبوته قبل فترة الوحي وكانت نبوته متقدمة على رسالته كذا قيل قال الشارح في شرحه للشمائل قال ابن علان في شرح الخصائص الصغرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على أحد من الانبياء والرسل وقال صلى الله عليه وسلم رأيت بين عيني اسرافيل كل شئ أنزل علي قبل نزوله وفي شرحه لها أيضا ان النبوة والرسالة مقترنان (قوله من قيام الليل) قال السيوطي في الاتقان لا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة ذكره ابن عطية وغيره اه (قوله لكن اختلف الخ) هذا الذي نقله عن فتح الباري يأتي في ما نقله قبل عن النووي لاقتضاء ذلك انه أول ما وجب قبل الخمس ما فرض عليه في سورة المزمل واقتضاء هذا ان أول ما وجب قبلها صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها (قوله يقرئك) قال في المختار فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى اه لكن قرأ يتعدى بعلى واقرأ يتعدى بنفسه كما أشار اليه صاحب المختار ستل العلامة الشيخ أحمد البجمي عن قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الله يقرئك السلام ما صورة جوابه له فأجاب بان العلامة السيد السمهودي قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي بعد مجاوزة الحجب ليلة الاسراء حتى ربك فقال التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فأجابه مولاه بقوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وجاء في بعض طرق حديث الاسراء انه قال في جوابه حين قيل له حتى ربك سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فيحتمل انه أتى بهذا بعد فراغه من تحياته فقد جعل ما ذكر جوابا لسلام الله عليه اذ لا يجاب سلام الله الا بالثناء عليه كما صنعت أم المؤمنين خديجة حين من ابتدئت بالسلام من الله على لسان جبريل فبلغه للنبي صلى الله عليه وسلم والنبي بلغه لها فأجابت بقولها ان الله هو السلام ورحمة الله وبركاته فعرفت خديجة ان الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لان السلام من أسمائه تعالى وهو أيضا دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح ان يرد عليه به لعدم مناسبته في مقابلة سلامه وانما يناسب الثناء وبالجملة لم يثبت تعيين صيغة ثناء في كل سلام من الله وانما الثابت ذلك في ليلة الاسراء وفي قصة خديجة كما علمت وقد علما حكم الرد لسلام العباد وأما سلام الله عليهم فانظر ما حكمه هل هو الوجوب أو غيره

بالقرآن على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تهيجه الى الاشتياق للعود وروى أصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر خديجة رضي الله تعالى عنها الخبر قالت له صلى الله عليه وسلم ألا تستطيع ان تخبرني بهذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها به فقالت له اجلس على فخذي الايسر وافعل فقال أتراه قال نعم قالت فعلى الايمن ففعل فقالت أتراه قال نعم قالت فاجلس في حجري وافعل فقالت أتراه قال نعم فألقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت اثبت وأبشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان (ثم) بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ (قام النبي) اي جد واجتهد في حال كونه (يدعو الى) عبادة (الله) والايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لان أول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله عليه من قيام الليل ما ذكر في أول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة قاله النووي رحمه الله تعالى وقال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك أصحابه لكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة أم لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وروى ان جبريل عليه السلام بدأ له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الى الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فأخبرها فغشي عليها

(قوله ثم أمرها الخ) يقتضى ان ذلك بعد الرجوع من العروج وفيه نظر لان أول صلاة صلاها جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد الرجوع صلاة الظهر ولم يعلم انه صلى به ركعتين قبلها فلو قدم ذلك على قوله ثم عرج الى السماء لزال النظر فان ثبت ان جبريل صلى ركعتين به بعد رجوعه من غير الخمس فلا ينافى كون أول صلاة صلاها به الظهر لان المراد من الخمس صح ماذكره (قوله وتحزب عليه) اى تجمع اى اجتمعوا على مخالفته صلى الله عليه وسلم (قوله فاستعار لفظ الشرب الخ) أوشبه الكفر بالماء بجامع السريان والجمع على طريق الاستعارة بالكناية واثبات تخييل (قوله الشرب) كان الظاهر فى التعبير الانسراب لانه المناسب للفظ المتن (قوله بيانية) أو من اضافة المشبه به للمشبه (قوله عياء) قال فى المختار وداء عياء اى صعب لا دواء له أعيا الاطباء فقول الشارح عضال اى شديد صعب تفسير لعياء (قوله السابقون الاولون) قيل هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم جميع الصحابة لحصول السبق لهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ومن الموالى زيد) اى ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين اى أفواجا وفرقا اهمن نور النبراس (قوله حدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين والباء الموحدة قال فى الصحاح يقال حدب عليه وتحدب عليه اى تعطف عليه وتوافقت (قوله يحثوه) قال فى المختار حثا فى وجهه التراب من باب عدا ورمى فكما يقال يحثوه يقال يحثيه

من الفرح ثم امرها صلى الله عليه وسلم فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث (و) هى للحال (فى) اهل (الكفر نجدة) اى قوة تامة وتحزب عليه (واباه) اى امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به (اعما) مفعول يدعو اى جماعاتهم امة الدعوة (اشربت) بالبناء للمفعول (قلوبهم الكفر) اى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ (فداء الضلال) الذى استقر (فيهم) اى مرضه والاضافة بيانية اى فالداء الذى استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى برؤه (عياء) بهمله مفتوحة فتحتية اى داء عضال اعيا الاطباء مداوته وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل فى الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون واتوا لهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان على وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالى زيد ومن الارقاء بلال وروى ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة فى اول من اسلم ثم دخل الناس فى الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله تعالى باظهاره امره بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب آلهتهم سنة اربع من النبوة فأجمعوا على عداوته الا من عصمه الله تعالى بالاسلام او صدق المحبة كابى طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه ابى طالب وبنى هاشم غير ابى لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وابو لهب وراءه يحذرمنه ويرموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه وطلى عقبة بن أبى معيط على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رداءه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم عمه حمزة رضى الله تعالى عنه سنة ست من النبوة فعز به فكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يملكوه عليهم ويبذلوا له من الاموال ماشاء ويترك ماهو فيه فأبى وقال أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم * وفى سنة خمس اذن الله لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضى الله تعالى عنهما بثلاثة ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى الله

(قوله اى ابصر الصحابة) وعلم من بعدهم اما من الجمع بين الحقيقة والمجاز ان كان حقيقة فى أحدهما مجازا فى الآخر واما من استعمال المشترك فى معنييه ان كان موضوعا لهما ومن منع ذلك ذهب الى ان مثل ذلك من عموم المجاز بان يراد به معنى عام يشمل المعنيين كالادراك فتأمل (قوله وعلم من بعدهم) اى عرف فليست قلبية لعدم وجود مفعول ثان وكذا يقال فى قوله بمعنى علم فى الكل اى الصحابة ومن بعدهم (قوله وهو فيمن بعد الصحابة الخ) وعليه فالمعنى أبصرنا معجزاته اى دالها اذ النقوش ليست معجزة بل دال المعجزة وقد أشار لذلك بقوله الدالة الخ (قوله يجعل صدره) اى يصيره لان الانسان يخلق أولا على الفطرة وهى كونه مهيأ لما يلقى اليه ولما يجعل فيه فاذا أراد الله اضلاله أضله وجعله لا يقبل الايمان وقوله ضيقا اى ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقوله حرجا اى شديد الضيق وذلك على قراءة كسر الراء ظاهر واما على قراءة فتحها فمن الوصف بالمصدر على حد مررت برجل عدل والقراءتان سبعيتان وقوله كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة تنبيه به على ان الايمان يمتنع معه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه (قوله اذا ظرف أو عامله لرأى) ان كانت علمية فان كانت بصرية أو عرفانية فهى حال (قوله ابرهة) هو بلسان الحبشة الابيض الوجه قال الواقدى ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من تفسير القرطبى وعبارة البيضاوى ان ابرهة بن الصباح الاشرم قال فى القاموس هو صاحب الفيل سمى =

عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه (ورأينا) معشر امامنا الاجابة اى ابصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعلم من بعدهم بطريق التواتر او الشهرة ويصح انها بمعنى علم فى الكل وهو واضح وابصر فى الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على آيات لا تحصى (آياته) اى معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته (فاهتدينا) اى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع (و) انما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه (اذا الحق جاء) زهق الباطل وبين بجاء ان الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح (زال المراء) اى الضلال والجدال فيه وفى هذا أبلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا (رب ان الهدى) اى اتباع الحق ليس الا (هداك) اى ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له (و) ان (آياتك) التى اقتضادات على صدق انبيائك ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكد لما قبلها وعلى الثانى هى مؤكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بها بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام (نور) كما قلت قد جاءكم من الله نور (تهدى بها من تشاء) هدايته وتضل عنها من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس من الآيتين المذكورتين كما اشرت اليه وايماء الى ان الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لا تجدى شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك ويتعجب به وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يعجز عنه العاقل فقال (كم) اى مرة اى مرارا كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية (رأينا) اى علمنا وابصرنا نظير ما مر واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز (ما) اى شخصا (ليس يعقل) اصلا كالحيوان والجمادات (قد ألهم) من المصالح وهذه الجملة فى موضع ثانى مفعولى راى (ما) اى كثيرا (ليس يلهمه) به (العقلاء اذ) ظرف او عامله لرأى (ابى) اى امتنع (الفيل) المذكور فى الآية من ان يفعل (ما انى) الامر اى عزم عليه (صاحب الفيل) وهو أبرهة ملك صنعاء وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة

= بالاشرم لان أباه ضربه بحربة شرم أنفه وجبينه وقيل غير ذلك اه (قوله من قبل) اى جهة فكان عاملا لاصحمة (قوله أصحمة) بمهملات بوزن أربعة وقيل صحمة بفتح الصاد واسكان الحاء ومعناه بالعربية عطية ذكره ابن قتيبة (قوله بنى كنيسة) ذكر السهيلي ان ابرهة استدل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الخسيسة وكان من تاخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لامحالة وجعل ينقل اليها من قصر بالقيس رخاما واحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا فلما بلغ ابرهة اه وتمزقت الحبشة كان من تعرض لاخذ شئ من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صفنين وهما كعيب واهر أنه وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا نحو السماء وكانا معمورين من الجان فلم تزل كذلك الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضها حجرا حجرا واندرست كذا فى البداية لابن الاثير (قوله النجاشى) بفتح النون والجيم وبالشين المعجمة وتشديد الياء كذا فى تحرير النووى قال ابن الملقن النجاشى تابعى لانه آمن ورأى الصحابة ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم ومن مسائل المعمى صحابى طويل الصحبة كثير الرواية أسلم على يد تابعى وهو عمرو ابن العاص فانه أسلم على يد النجاشى اه من ازهار العروس للسيوطى (قوله فأحدث فيها) اى واطلع قبلتها بالعذرة (قوله المغمس من عرفة) قال فى

الكعبة وبين ابى وائل الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (ولم ينفعه) (ابحجا) اى العقل الوافر (والذكاء) اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والاضلال ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته * وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشى قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بنى كنانة فأحدث فيها فسمع بذلك ابرهة فغضب وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فأمر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل قيل واحد يسمى محمودا وقيل اكثر فخرج عليه ملك فهزمهم واسرهم الى ان قرب من المغمس من عرفة فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل اليه لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم أرسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة فركب فى قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت اثرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم أرسل ابرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتمونى نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله تعالى فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه واجله ونزل عن سريره واجلسه معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال ان تردعلى ابلى فقال له كنت أجللتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى ابلك دون بيت هو دينك ودين آبائك فقال اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد عليه ابله فرجع فأخبرهم فتحرز وا فى شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفى رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما رأى عبد المطلب

= القاموس المغمس كمعظم ومحدث قال الشامى فى سيرته موضع فى طرف الحرم (قوله ونزل عن سريره) اى لانه كره ان يجلسه على السرير وخاف ان تنكر الحبشة عليه اجلاسه معه على سرير الملك (قوله يحميه) فقال له ابرهة لم يكن ليمتنع منى مع كثرة جيوشى فقال له عبد المطلب أنت وذاك فرد اليه الخ (قوله فى شعف الجبال) بشين معجمة فعين مهملة مفتوحة ورسمها الواحدة شعفة والشعاب جمع شعب بالكسر الطريق من الجبل (قوله وخار) قال فى القاموس الخوار بالضم صوت البقر والغنم والظباء والسهام وفى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار

خر ساجدا وقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب *(تنبيه)* مر آنفا امران لا يخلوان عن اشكال وهما النور الذى فى جبهة عبد المطلب والذى فى صلبه وان ذلك نور محمد صلى الله عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت قبل الفيل قبل بخمسين يوما فكل ذلك جرى وهو صلى الله عليه وسلم حمل قريب وضعه وسبب اشكال هذين ما علم مما مر ان نوره صلى الله عليه وسلم كان ينتقل فى اصلاب الآباء وارحام الامهات بحسب ترتيبهم فى الوجود فاذا وجد واحدا انتقل اليه ما كان فى الذى قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر ان النور كله انتقل الى آمنة ولم يبق منه شئ فى عبد الله فضلا عن عبد المطلب ويؤيد هذا مر فى الكاهنة التى شاهدت ذلك النور فى عبد الله فبذلت له مالا عظيما ليتزوجها فينتقل النور اليها فتراخى فى اجابتها ثم ذهب فواقع آمنة فحملت فانتقل النور اليها ثم جاء لتلك الكاهنة فأبت فقال لها لمه فقالت لان النور الذى كنت أشاهده فيك قد انتقل لغيرك فعلم انتقاله لآمنة وقد يجاب عن ذلك بان النور وان انتقل كما ذكر لكن الله سبحانه اكرم عبد المطلب فأحدث فيه كما يدل عليه سياق القصة حتى احتاج الى كرامة عظيمة تخلصه ومالمه من ذلك الملك وجنده الذين طغوا فى العتو والجراءة على الله تعالى وعلى بيته الذى أجمع الامم من لدن ابراهيم على صيانته وتعظيمه وانه لا يحاكى ولا يغالب نورا يحكى ذلك النور الذى استقر فى آمنة بل مع زيادة حتى صار فى جبهته كالشمس ثم اكرمه ثانيا بنور آخر اوجده فى صلبه وأطلع الفيل عليه فسجد ليعلم الخلق بهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع فى قصة الفيل انما هو من كمالات الارهاص لتحقيق نبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده مع الاشارة الى انه سيظهر دينه على الاديان كلها وانه لا يناويه أحدا لا أهلكه الله واستأصل اتباعه حتى لا يبقى منهم أحد الا الشاذ ليخبر الناس عن الكيفية التى أخذهم الله بها والحال ربه سبحانه وتعالى سيعطيه من خوارق المعجزات وباهر الآيات ما لم يعطه لنبى مرسل ولا ملك مقرب لان هذا الامر الباهر اذا وقع لاجله وهو حمل لم يبرز فى الوجود فغالب الملك بما سيقع له بعد وجوده ثم فى تنويع كرامة عبد المطلب لكون أحد ذينك الباهرين ظهر للناس وشاهدوه والثانى بطن فيه ولم يطلع عليه الا الفيل فسجد له الاشارة الباهرة أيضا الى ان الله سبحانه وتعالى سيظهر آيات ذلك الحمل وكراماته الى حد لا يمكن أحد أن يخفى عليه من ذلك شئ والى انه سيطلعه على حقائق علومه الباطنة ما انبأ عنه صلى الله عليه وسلم بعد فى قوله فى الحديث المشهور فعلمت علم الاولين والآخرين والى ان تلك العلوم الباطنة يطلع الله على بعضها خلفاءه ووارثيه ليتم لهم حقائق الخلافة وغاية الوراثة والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان له مقامان باهران ظاهر فى العالم كالشمس وباطن يوجب خضوع سائر الارواح الكاملة من البشر وغيرهم بين يديه وان استمدادهم منه وانه المدد لسائر الكمل من لدن وجودهم الى ما لا غاية له ولا انقضاء ولما أصبح ابرهة بالمغمس وهيأ فيله

(قوله خر ساجدا) اى وكان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر الفيلة (قوله فأحدث) اى الله سبحانه وتعالى فيه اى فى عبد المطلب وقوله نورا الآتى مفعول أحدث

وجنوده

(قوله وجنوده) وكانوا المحو ستين الفا لم يرجع منهم الا ملكهم وشرذمة قليلة (قوله بركه) من باب دخل اى سقط الى الارض وليس من شان الفيلة ان تبرك وقيل ان فيها ما يبرك كالبعير اى يحمل البرك وهو الصدر بالارض (قوله محسر) كمحدث وهو واد بين المزدلفة ومنى (قوله ومراق بطنه) اى مارق من أسفل البطن ولان ولا واحد له من لفظه كذا فى الصحاح والمصباح (قوله أبابيل) اى جماعات ولم تتكلم العرب له بواحد (قوله كامثال الخطاطيف) ٨٣ قال العوفى سألت أبا سعيد الخدرى

وجنوده لدخول مكة بركه الفيل فى محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما بركه لما وصلوا الى وادى محسر ولذا سمى بذلك لان فيلهم حسر اى اعيا فيه فضربوه فى رأسه ومراقبدنه حتى مرقوه بالحديد فأبى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فأبى ثم أرسل الله عليهم طيرا أبابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا قتلته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق وأصيب ابرهة فى جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد والقيح والدم وماتت حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة فى سورة الفيل وافتتحها بألم تر كيف مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكر وان الخبر متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا وانها كانت ارهاصا وتأسيسا لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تأسيسا كما مر فى تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجر والحجارة قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشئ الا سلم عليه سلاما يسمعه بادنيه وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب الشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل ذلك على عظم اعتناء الله بهم وافقد معنى الارهاص بعد مجىء النبوة وثبوتها بالدلائل القطعية أملى للحجاج قبحه الله حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشئ * ولما ذكر ما يتعلق بالانام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال (والجمادات) وهى ما لا روح فيه (أفصحت) اى اظهرت ونطقت بكلام بين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلقه الله تعالى فيها حينئذ من غير حياة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق الله فيها حياة وانسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتى فى حنين الجذع وأنينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وأن ولا يعارضه ان مذهب الاشعرى ان خلق الصوت فى محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه لانا لم نأخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه حن وأن ومذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام النفسى يستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى بالتزامه كما يلتزم الغائب أهله بالشهادة (بالانباء والارسال

فقال حمام مكة منها اه من تفسير القرطبى فليتأمل فيه مع ما سيأتى فى قصة الغار من ان حمام مكة من نسل الحمامتين اللتين عششتا فى الغار وهما حمامتان وحشيتان (قوله ثلاثة أحجار) قال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده فكان ذلك أول الجدرى (قوله أملى للحجاج) قال فى المصباح وأملى الله له اى امهله (قوله لا تلعثم فيه) يقال تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى اه مصباح (قوله فى حنين الجذع وأنينه) قال فى القاموس الحنين الشوق وشدة البكاء والطرب والانين التأوه (قوله بالشهادة) اذا تأملت ما سيأتى لم تجد التصريح بالشهادة بالارسال الا فى حديث الشجرة وحديث على الذى فيه فما استقبلنا شجر ولا حجر الخ وحديث البزار وأبى نعيم اذ ليس المراد بالشهادة بالارسال خصوص لفظها حتى يختص بحديث الشجرة بل الاقرار بالرسالة ولو بغير لفظ الشهادة وفى حديث العذق على أحد

التقريرين الآتيين فيه واما فى غير ذلك فانما فيه خوارق للعادات تدل على رسالته كتسبيح الحصى والطعام تأمل (قوله بالانباء) قد تتبعت كلام الشارح فلم أجد فيه ذكر الشهادة بالانباء من جماد من الجمادات وانما جميع ما ذكره قاصر على الاخبار بالارسال اللازم له الانباء فكان الظاهر حذف الانباء لايهامه انه ذكر ما يفيد الشهادة به مجردا عن الارسال

(قوله من في الحلقة) قال في المختار الحلقة بالسكون الدروع وحلقة الباب وحلقة القوم والجمع الحلق بفتحتين على غير قياس وقال الاصمعي الجمع حلق كبدرة وبدر وقصعة وقصع وحكى يونس عن ابي عمرو بن العلاء حلقة في الواحد بفتحتين والجمع حلق وحلقات قال ثعلب كأنهم يجيزه على ضعفه قال ابو عمرو الشيباني ليس في الكلام حلقة بالتحريك الا في قولهم هؤلاء قوم حلقة للذين يحلقون الشعر جمع حالق اه وقوله بفتحتين على غير قياس اي والقياس الحلاق والحلق كقصاع وقصع في جمع قصعة (قوله وبنيه) اي العباس رضي الله عنه وسيأتي في شرح قوله ومن حوته العباء التصريح بهذه الرواية ويذكر روايات فيمن حوتهم العباء فراجعه (قوله اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء وهي عقبة الباب السفلى (قوله أو صديق الخ) أو في الموضعين بمعنى الواو (قوله العذق) قال في المصباح العذق بالفتح النخلة بحملها ومنه قول الحباب بن المنذر انا عذيقها المرجب وبعضهم ضبطه بالكسر ثم رأيت في المختار العذق بالفتح النخلة بحملها والعذق بالكسر الكباسة ولعل المراد بالعذق هنا بعضه كحمله أو شيء منه لقوله من هذه النخلة وقوله فسقطت ثم رأيت في القاموس ما لا يحوج لتكلف حيث قال العذق النخلة بحملها الجمع اعذق وعذاق وبالكسر اللون منها والعنقود من العنب اذا أكل وما عليه والجمع اعذاق وعذوق اه فالظاهر انه هنا بالكسر القنو فيلا ثم قول الشارح من هذه النخلة وقوله فسقطت (قوله فدعاها الخ) ليس فيه شهادته بالرسالة فلعل الاعرابي اكتفى بسقوطه وعوده أو هناك حذف اي فشهد انه رسول الله ثم قال الخ

(الذي أخرس عنه لاحد) متعلق بأفصحت (الفصحاء) نائب فاعل أخرس وفيه اطباق اي ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت ألسنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهد له بذلك الجمادات الصم بأفصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى في يديه ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنهم ما يسمع تسبيحهن من في الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف وصح عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح أيضا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان بمر صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه أهل مكة سلمنا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحي مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وأبو نعيم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاستر بهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فقالت اسكفة الباب وحيطان البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد فتحرك وصح أيضا على حراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الارض خدا اي تشقها شقا فقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فسقطت عروقها ثم جاءت تخد الارض خدا تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك فقال لو كنت آمر احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم أعرف انك رسول الله قال بان ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد بانى رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابي *(تنبيه)* علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلائل نبوته ما وجد في كتب الله تعالى من نعته وخروجه بأرض العرب

وماظهر بين يدى مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل بأصحابه وخمود نار فارس وماذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة بأوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجائب التى ظهرت ايام رضاعه وبعده الى مبعثه صلى الله عليه وسلم واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة فى الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات لانجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء نعالهم النظر فى عاقبة ولا خوف لائمة فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم وهجروا أوطانهم وأهاليهم فى محبته صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف فى اعزاز كلمته بلادنيا افاضها عليهم فى العاجل ولا وعدهم فى الآجل بما أطمعهم فى نيله يتحروته بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغنى فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلى أو تدبير فكرى لا والذى بعثه بالحق نبيا انما ذلك أمر الهى وتأييد سماوى تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا الذى ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله (ويح) منصوب بفعل محذوف أو بحرف النداء اى ياويح على حد ياحسرة على العباد اى احضرى هذا وقيل كذا قيل والذى صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردا أو مضافا قولهم ويح فلان وويحاله قال ابن طاهر متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لاخبر له ومتى افردته جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوى لانه مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن أبى الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع المازنى عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما وردبان ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم فتقال لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها فى هذا المحل لان الجانين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدائم وقد يجاب بان كثيرا منهم أسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا فى هلاك أصلا فالاحسن الجواب بأن الترحم من حيث النظر الى القرابة التى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من

(قوله وشن الغارات) قال فى الصحاح شن الماء على الشراب فرقه عليه ومنه قيل شن عليهم الغارة وأشن اذا فرقها من كل وجه (قوله بفعل محذوف) فيكون مفعولا مطلقا والفعل المقدر هو اهلكهم الله ونحوه وقوله أو بحرف النداء فيكون مفعولا به ونصبه بعامل مقدر لا بحرف النداء تأمل دنوشرى (قوله لا خبر له) قد يقال ان الخبر محذوف تقديره ويح زيد حاصل فامتناع الرفع لاجل ذلك ممنوع وهو القول الاول (قوله والنصب فيه) اى ويح وينبغى ان يكون مثله ويل (قوله ومن ثم غلب الخ) ينظر الفرق بينهما على كلام ابن أبى الربيع (قوله على تب) التباب خسران يؤدى الى الهلاك (قوله اتفقوا) اى اتفق غالبهم ليصح قوله وقيل هما بمعنى (قوله فالاحسن الجواب الخ) يقتضى ان الجواب الاول حسن وان احتاج لمعونة بان يقال هم فى حال كفرهم واقعون فى مهلكة بحسب ظاهر حالهم فالترحم باعتبار الباطن وما يؤل اليه الحال من اسلامهم على ان الجواب الذى جعله أحسن فيه نظر لان أقاربه ان أراد بهم من أسلم توجه عليه رده الذى رد به الجواب الاول وان أراد بهم من لم يسلم فهم فى مهلكة يستحقونها وقد شرط فى استعمال ويح عدم استحقاقها فتدبر

(قوله ان اعرابيا) نسبة لاعراب اسم جمع لعرب لا جمع له لان الاعراب سكان البوادى من العرب والعرب خلاف العجم وان لم يسكنوها فلو كان جمعا له لكان المفرد اعم من الجمع وهو ممتنع (قوله وكلمات اخر) هى وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه (قوله رسول رب العالمين) تقتله وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك (قوله الحديث) وتمامه كما فى شرح تائية السبكى لا اثر بعد عين والقد جشتك وما على وجه الارض ابغض الى منك وانك اليوم احب الى من نفسى وولدى ووالدى وانى لاحبك بداخلى ٨٦ وخارجى وسرى وعلانيتى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله

فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام وهداك الى هذا الدين بى فرجع الاعرابى الى قومه فاخبرهم بالقصة وكان من بنى سليم قال الماوردى فاتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الف انسان منهم فامرهم ان يكونوا تحت راية خالد بن الوليد قال الماوردى ولم يؤمن من العرب ألف فى وقت واحد غيرهم اه (قوله خشفان) الخشف مثلث الخاء ولد الظبى أول ما يولد أو أول مشيه اه قاموس (قوله فذهبت) فى الحديث فقال لها أولادها وقد اختفت عنهم ثلاثة ما غيبتك فذكرت لهم القصة والضمانة فقالوا اجعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامنا فوالله لا نرضع منك قطرة حتى توفى ضمانته فرجعت (قوله فاطلقها) لا يقال اطلاق الغزالة يشبه سوائب الجاهلية فلا يجوز لانا نقول ان فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم فجاز أو أن ذلك كان لغرض سبق أولادها أوان ذلك خصوصية اه دنوشرى (قوله فتعجب) حيث قال العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس صلى فقال الذئب أنت أعجب وقفت على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينتظرون الى قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله قال الراعى فمن لى بغنمى فقال انا ارعاها حتى ترجع فأسلم الراعى اليه غنمه ومضى فوجد النبى يقاتل وأسلم فقال له النبى عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها واحدة وقوله واشرف أهلها الخ لعل المراد بأهلها الحور والولدان والافذوات الانس ونحوهم لا تدخلها الا يوم القيامة

عهود نسبه وجلالته والترحم لهم من هذه الحيثية لا تحذور فيه (قوم جفوا نبيا) بلغ من مراتب الجلال والتعظيم ما لم يبلغه نبى اى ابغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر آنفا مبسوطا (بارض الفته ضبابها) جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقى فى أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزنى لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا اومن بك حتى يؤمن بك هذا فقال له ياضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وكلمات أخر قال من أنا قال رسول رب العالمين فأسلم الاعرابى الحديث بطوله قيل وهو موضوع وردبان نهايته الضعف لا الوضع وفى معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أبلغ من هذا (والظباء) جمع ظبى روى حديثه من طرق كثيرة أبو نعيم والطبرانى وساق الحافظ المنذرى حديثه فى الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب وردبانه ورد فى الجملة فى عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكى وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه بغيره أو لعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء اذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك قالت صاد نى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فأرضعهما وارجع قال صلى الله عليه وسلم وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار ان لم افعل فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال يا رسول الله ألك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ولم يرد الناظم الحصر فى هذين فقد صح ان الذئب ألفه واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم أيضا كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال الا أخبرك بأعجب من ذلك محمد

(قوله وله عواء) يقال عوى الكلب والذئب وابن آوى يعوى بالكسر عواء بالضم والمد أى صاح اه مختار (قوله عطش) ضد روى وبابه طرب اه مختار (قوله ودخل الحائط) اى البستان سمى بذلك لانه حائط لاسقف له (قوله كالكلب الكلب) قال فى الصحاح الكلب شبيه بالجنون والكلب الكلب الذى يكلب بلحوم الناس يأخذه شبه جنون فاذا عقر انسانا كلب (قوله فحن اليه) الحنين الشوق وتوقان النفس كما فى المختار ويطلق على البكاء ٨٧ الشديد وهذا هو المناسب هنا اى اشتد

صلى الله عليه وسلم يخبر الناس بأنباء ما قد سبق وفى رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن فأتى الراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأمر صلى الله عليه وسلم ان ينادى الصلاة جامعة ثم أمر الراعى فأخبرهم وفى رواية عن سعيد بن منصور فى سننه ان الذئب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئاب جاء يسئلكم ان تجعلوا له شيأ من أموالكم قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ما مه فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب * وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما روى فى حديث طويل لكن قال ابن الجوزى انه موضوع وكلمه أيضا الجمل كما جاء فى عدة طرق بعضها سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب اى عضوضا فقال ليس على منه بأس فلما نظر الجمل اليه أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى أدخل فى العمل الحديث وفى رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فرآه جمل حن اليه وذرفت عيناه فمسح قربب رأسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه اى تتعبه وجاء بسند صحيح ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم (وسلوه) اى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية تنزاهته ونهاية كماله (و) الحال انه قد (حن جذع اليه) كما جاء من طرق صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوى الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوى يحمل قول التاج السبكى والصحيح عندى ان حنينه متواتر وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية أخرى حتى تصدع وانشق وفى أخرى فجعل يئن أنين الصبى وفى اخرى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله

بكاء هذا البعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذرفت عيناه) قال فى المختار ذرف الدمع سال وبابه طرب وذرفانا أيضا بفتح الراء وذرفت عينه اى سال دمعها (قوله التواتر) وهو خبر جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس لا عن معقول لجواز الغلط فيه كخبر الفلاسفة بقدم العالم فان اتفق الجمع المذكور فى اللفظ والمعنى فهو اللفظى وان اختلفوا فيهما مع وجود معنى كلى فهو المعنوى كما اذا أخبر واحد عن حاتم انه أعطى دينارا وآخر انه أعطى فرسا وآخر أنه أعطى بعيرا وهكذا فقد اتفقوا على معنى كلى وهو الاعطاء اه محلى على جمع الجوامع ولا شك ان ما هنا كهذا المثال فقد روى صاح وروى خار وروى يئن انين الصبى وروى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها وفى رواية بكى وهذا ظاهر ان أريد باختلاف المعنى ما يشمل كونه متقاربا فان خار الذى هو بمعنى صاح ويئن وحن وبكى متقاربة المعانى والمعنى الكلى المتفق عليه صوت صوتا صادرا عن قلق وشوق (قوله المسقوف الخ) لعل المراد قبل زمن فراقه بقرينة قوله الآتى وأمر به فدفن ولو كان السقف باقيا عليه لم يظهر الامر بدفنه الا أن يقال أمر بدفنه بعد انفصاله عن السقف ولا يخفى ان المراد بكونه مسقوفا عليه ان وضعه كان كالعمود طرفه الاعلى عليه السقف والاسفل بالارض فحرر (قوله خار كخوار الثور) قال فى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقد سبق ذلك مع زيادة فى قصة الفيل

(قوله ثم أصغى اليه) أى ليستمع ما يقول فقال بلى تغرسنى فى الجنة فيأكل أولياء الله منى وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال صلى الله عليه وسلم اختار الخ وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه (قوله أبغضوه) فى القاموس ٢ ان أبغض لغة رديئة والفصيحة بغض كنصر وفرح فكان الاولى ان يقول بغضوه من باب نصر وباب كرم لازم (قوله والحنو) كان الظاهر والحنين لان الحنو مصدر حنا عليه اى عطف من باب غدا ومانحن فيه من حن يحن من باب ضرب وان تقارنا فى المعنى (قوله وكأن المراد الخ) اى داع لهذا فقد تقدم ان السلو النفرة وفى المختار ان الحنين الشوق وتوقان النفس اللازم له الالفة وبين النفرة وماذكره التنافى (قوله الموسم) وموسم الحاج مجمعهم (قوله عند العقبة) وهذه العقبة الاولى وستأتى الثانية والثالثة (قوله أسيد بن حضير) بضم الهمزة والحاء المهملة وفتح السين والضاد المعجمة

٢ قول المحشى فى القاموس ان أبغض الخ الذى فى القاموس وأبغضه وبغضنى بالضم لغة رديئة اه فقوله بالضم اى للغين المعجمة فما فى المحشى الى آخر القولة سهو فتامل

عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفى رواية فمسحه بيده وامره فعل به الامرين وفى أخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفى أخرى والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل أشار الشافعى رضى الله عنه الى انه أبدع من احياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم بخلاف هذا وفى رواية عند الدارمى انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه فى الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن وهو فى شرح قوله والجمادات افصحت الى آخره ماله تعلق بذلك (وقلوه) اى أبغضوه (و) الحال انه قد (وده) اى احبه وبين السلو والحنو والقلا والود الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الآتيين وكان المراد فى الاولين ان السلو يدل على سوق المحبة والالفة والحنو يدل على البغضاء والايذاء كما مر (الغرباء) الذين هم ليسوا من عشيرته ولا من قومه ولا عرفوا اما عرفته قريش من كمال الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الموسم الذى لقيهم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى بعض الخزرج عند العقبة فقال من أنتم قالوا من الخزرج فقال الا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا انه لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا انا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففشا فى العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج أيضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هى العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحدا فيوم احد ولم يكن فيهم اعنى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم فى العام القابل فى الموسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه بما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها يقول من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضى الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام ينتظر الاذن له في الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تفعل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر في ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر أمره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه أو يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس لعنه الله في صورة رجل جميل واظهر لهم انه يريد نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال أبو جهل لعنه الله ارى ان تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله دره هذا هو الرأي فأجمعوا عليه فأتاه جبريل عليه السلام فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل ببابه يرصدونه ليناموا فيثبوا عليه وثبة واحدة فأمر صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه بأن ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق منهم أحد الا أخذ الله على بصره فلم يروه ونثر على رأس كل منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما أصاب احدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية * ثم اذن الله تعالى لنبيه في الهجرة كما قال (اخرجوه) بدل من جنوه (منها) اى كانوا السبب في خروجه من تلك الارض التي هي مولده ومربأه ووطنه ووطن آبائه وأحب أرض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ولولا اني أخرجت منك ما خرجت وبقولي كانوا السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه بما الغتهم في ايذائه وايذاء أصحابه لا سيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظاره الاذن له في الخروج مدة حتى وجد فتسببهم سبب للاستئذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك أظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون الاول سببا للثاني أيضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول أو الخميس الذي يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا رضي الله عنه ليؤدي ما عنده من الودائع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال انه قد أذن لي في الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن اى لتتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال (وآواه غار) ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه فوجدا الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله على

(قوله أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين أى أفواجا كما سبق (قوله الصحبة) أى أسألك الصحبة (قوله احدى راحلتي) وهي القصوى وكان الثمن عنها أربعمائة درهم وقد بقيت بعده وماتت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وقد ورد انه ابرأه من ذلك الثمن (قوله ولا يكون لاحد فيها منة) لعل المراد بحسب الظاهر والعرف والا فالمنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق وعلى غيره ثابتة ولو بذل له ما بذل فخرجا ليلا وكان مال أبي بكر حين أسلم أربعين ألف درهم فخرج الى المدينة للهجرة وليس له الا خمسة أو أربعة آلاف درهم فبعث ابنه عبد الله فحملها الى الغار اه ع ش (قول وآواه غار) وهو ثقب في الجبل وهذا الغار يمنى مكة في مسافة ساعة كذا في شرح استاذنا قدس الله سره العزيز (قوله وبعثوا القافة أثره) قال في المختار وخرج في اثره بكسر الهمزة اى في أثره والاثر بفتحتين وقال في القاموس وخرج في إثره وأثره بعده اه

(قوله حمامة) المراد الجنس لان ما كان بفم الغار حمامتان كما ذكر (قوله عنكبوت) قال فى حياة الحيوان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها الامن جوفها وعن على كرم الله وجهه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر (قوله أى الاعداء الذين الخ) عبر عنهم بما التى أصلها لغير العاقل تنزيلا لهم منزلته (قوله فاستعاره الخ) غير ظاهر فكان حق التعبير ان يجعل المتن من باب التشبيه المحذوف اداته أى الحمامة التى هى كالحصداء أى كالشجرة الحصداء بجامع كثرة ما على كل من الريش فى الاولى والورق فى الثانية أو من باب الاستعارة بالكناية بتشبيهها بالشجرة تشبيها مضمرا فى النفس واثبات لازم المشبه به وهو الحصداء فتأمل (قوله الخفاء) مصدر خفى كرضى خفاء فهو خاف وخفى لم يظهر وخفاه هو واخفاه أظهره واستخرجه كاختفاه انتهى من القاموس ببعض تصرف (قوله من الفن) كان الظاهر من النوع لان التورية نوع من أنواع فن البديع (قوله والايهام) بالمثناة من تحت وعطفه على التورية من عطف أحد المترادفين على الآخر وتسمى توجيها وتخييلا قال العمادى وأولى الاسماء التورية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراء بحيث لا يظهر وتسميتها بالايهام لان المتكلم يوهم السامع أول وهلة انه أراد المعنى القريب وليس كذلك (قوله التواطئ) المتواطئ هو المتساوى الافراد ذهنية كانت أو خارجية فى حصوله وصدقه عليها كالانسان والشمس وسمى متواطئا التوافق الافراد فى معناه من التواطئ وهو التوافق

بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال (وحفته) منهم (حمامة) فيه جناس سبق نظيره (ورقاء) وهى مافى لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتها له ان قتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم يتطرق فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما ار بكم فى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفى مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم (وكفته بنسجها عنكبوت) يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (ما) أى الاعداء الذين (كفته) اياهم (الحمامة الحصداء) أخذه من قولهم شجرة حصداء أى كثيرة الورق فاستعاره للحمامة الكثير ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين أو مختلفين وروى أن الحمامتين باضتا فى أسفل الثقب ونسج العنكبوت على أعلاه فقالوا لو دخلا لانكسر البيض وتفتح نسج العنكبوت قال الائمة وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه أحد لما جرت به العادة انهما متوحشتان مهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما أراده تغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان أبا بكر قال يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم (واختفى) صلى الله عليه وسلم أى استتر والاحسن عطفه على وآوا غار (منهم على) أى مع (قرب مرآه) أى محل رؤيته وفى ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة (و) حكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه لرآه كما تقرر ان (من) جملة (شدة الظهور) عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له (الخفاء) عنهم الذى حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعماله الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته بالخفاء يوهم انه أراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو التواطئ أو الحقيقة أو المجاز أحدهما بعيد فيقصده ويورى عنه بالقريب ليتوهمه السامع من أول وهلة وهو هنا ضد الخفاء الموهم له قوله واختفى قال الزمخشرى لا ترى بابا ادق ولا الطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله

(قوله نحو الرحمن الخ) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل في مجيئه الى بدر فقيل له ممن أنتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء اراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه قول أبي العلاء المعري

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فان هذا البيت يوهم انه اراد بدال وراء حرفي الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحرف واتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب والمراد بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيهها به في تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلى اذا رفق في السير وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر (قوله المتبادر منه) أي الخفاء انه ليس المراد الخ اذ لو كان المراد ضد الخفاء لزم اجتماع الضدين تأمل (قوله لازم أحدهما) الذي ذكره شراح بديعية ابن حجة كشرح العمادي الدمشقي ان المرشحة ما ذكر فيه لازم المورى به كمثال الشارح هو يقتضي ان ذكر لازم المورى عنه لا تكون التورية به مرشحة وظاهر كلام الشارح حيث عبر باحدهما الصادق بكل منهما انها تسمى مرشحة وليس كذلك فكان عليه أن يقول فان ذكر لازم المورى به الخ ويدل لذلك تقريره تأمل (قوله أن يؤتى الخ) كقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا الخ فالاستخدام في لفظ الصلاة فاحد المعنيين الاقوال والافعال والآخر موضع الصلاة ويدل للاول حتى تعلموا ما تقولون وللثاني ولا جنبا الا عابري سبيل وكقول بعض البلغاء في تكلمه على صلاة الجمعة ويصلي الجمعة بها وبالمنافقين فاستخدم بها تين اللفظتين القصيرتين منهومي الجمعة وسورة الجمعة ولا يخفاك ان المثال الاول لا يلائم أشهر العبارتين الذي ذكره الشارح لعدم ضمير عائد على

الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى أريد من الاستواء معناه البعيد الذي هو الاستيلاء دون القريب الذي هو استقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شئ من لوازم المورى به ولا المورى عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافآ حينئذ ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى وبالخفاء اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفاء فان ذكر لازم أحدهما سميت مرشحة نحو والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به ورشح له بذكر البنا ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم في حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في آية الاستواء والبناء ولعله أراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي هو ضد الخفاء هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المرئي من العين توجب عدم ادراكها له فكذلك هما لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادي والثاني خارق للعادة وكالتورية في كونه أشرف أنواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها ولهم في حده عبارتان اشهرهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره ويراد به المعنى الآخر وروى ان أبا بكر رضي الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يعتد الخفاء فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه حيات فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تتحدر وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك قال لدغت فتثقل عليه

لفظ الصلاة بالمعنى الآخر الذي هو المكان وقد يقال الضمير محذوف من جملة المتدرا التقدير ولا تقربوها جنبا الخ تأمل (قوله انه دخل الخ) فتثبت به ما فيه من جحر فبقي جحرا فالقمه عقبه فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تو بلك يا أبا بكر فاخبره بالذي صنع فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة فاوحى الله اليه قد استجاب لك (قوله فلدغ) اللدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وعكسه للنار وأما الهما والعامهما فمن المهمل الذي لا معنى له (قوله فتثقل الخ) قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه ولما نقل في عقبه سرت في العقب بركته سراية الحياة في الجسد ويقال انه دعا فقال بارك الله في عقبك الى يوم القيامة وفي الحديث ما اعطيت فضيلة الا وقد اعطيت شطرا منها حتى الشهادة فاني أعطاها باسم أكلة خيبر وتوثاها باسم اخي ليلة الغار وفي الحديث ما طيب مالك منه بلال مؤذني وناقتي التي هاجرت عليها وزوجتي ابنتك وواسيتني بمالك كاني انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتي وفي حديث رحم الله أبا بكر زوجني ابنته =

وحمائى الى دار الهجرة وصحبتى فى الغار وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر (قوله وهى أمنة) يقال أمن من باب فهم وسلم أمانا وأمنة بفتحتين من الامن ضد الخوف فهما بمعنى انتهى من المختار (قوله ثم يدلج) بتشديد الدال وهو السير آخر الليل وأما يدلج بسكونها من أول الليل قال فى المختار ادلج سار من أول الليل والاسم الدلج بفتحتين والدلجة والدلجة بوزن الجرعة والضربة وادلج بتشديد الدال سار من آخره والاسم أيضا الدلجة والدلجة انتهى (قوله راحلتيهما) اضافهما اليهما لركوبهما لهما أو باعتبار الماكل ان أريد اضافة الملكية بالنسبة لناقة رسول الله والا فهما وقت دفعهما لابن الاريقط كانتا ملكا كثيرا للصديق ثم اشترى منه رسول الله احداهما كما سبق (قوله أم معبد) قال شيخنا الحلبى وفى كلام ابن الجوزى ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها حنيس بن الاصغر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك انتهى ع ش وام معبد اسمها عاتكة (قوله ان احلبها) بضم اللام (قوله حلب فيه) الضمير للاناء المعلوم من المقام وفى بعض الشروح ذكر الاناء بعد قوله فدعا بها وقبل قوله فاعتقلها حيث قال فدعا بها وبانا فاعتقلها الخ (قوله علل) العلل الشرب الثانى والنهل الشرب الاول يعنى ليشرب منه أولا والا فظاهر عبارة الشارح انه لم يقع شرب ثانيا بالفعل بالمدينة حيث قال وتركه الخ (قوله فجاء زوجها) قيل لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بن أبى الجون ويقال ابن الجون انتهى من المواهب (قوله وهذا محمول الخ) ذكر ابن العربى ان أقوى الاجوبة انه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم انتهى فتأمل فيه فان دليله خاص بالمؤمنين فلا يطابق المدعى ان كان سيد العبد كافرا كما هو مقتضى الجواب الذى نقله الشارح

فذهب ما يجده وروى ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أى بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه أى أبى بكر لانه الذى انزعج وهى امنة تسكن عندها القلوب وأيده أى رسوله صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها أى ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معى ربى سيهدين ما بين مقاميهما اذ كمال الاصداد للاتباع ليس الا لنبينا فانه أبا بكر بشهود المعية أيضا وقصرها موسى على نفسه وأيضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبى بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يأتيهما كل ليلة بمما يغذيهما من لبن وامنا جر عبد الله بن لاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما طريق البحر (ونحى) أى قصد (المصطفى) على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم (المدينة) المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت فى طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تسقى وتطعم من يمر بها وكانت فى سنة جدباء فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا فلما زوجها فتعجب منها فذكرت له القصة وأوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته وأخرج ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها الى ان نهارا الى زمن عمر رضى الله عنه ثم تعرض لهما بقديد سراقة كما يأتى وروى البيهقى انهما اجتازا بعبد يرعى غنما فاستقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى أبا بكر ثم الراعى ثم شرب وهذا محمول على علم بسيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربى غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الابانة التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون

(قوله الى الحرة) هى أرض ذات حجارة نخرة سود (قوله جدكم) بفتح الجيم (قوله بقباء) ممدود وضع بالحجاز يذكر ويؤنث انتهى مختار (قوله ولذا كان الاصح الخ) ومقابله ماقيل انه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من أول يوم) أى من أيام وجوده (قوله يوم الجمعة) هذا يشكل على ماتقدم انه نزل يوم الاثنين واقام اربع عشرة ليلة اذ مقتضاه ان يكون ركوبه يوم الاثنين والاقيموم الجمعة ثانى عشر يوم نزوله فلا يلائم مدة اقامته التى ذكرها والاشكال ظاهر على ماذكره من اقامته بقباء اربع عشرة ليلة وهو قول ذكره النجم الغيطى أيضا فى مولده ثم ذكر قولا آخر لا اشكال معه حيث قال والمشهور عند أصحاب المغازى ماذكره ابن اسحق انه أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ثم خرج منها ضحى يوم الجمعة فادركته صلاتها فى الطريق فصلاها فى بنى سالم بن عوف فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة انتهى بحروفه ثم ان كان بطن الوادى الذى صلى به داخل المدينة كما هو ظاهر قوله فكانت أول جمعة فلا اشكال على مذهبنا وان كان خارجها ولم يكن فى ابنية بها أربعون مقيمون اشكل عليه (قوله ان قلنا ان الانحناء الخ) انظر القول المقابل لذلك ما هو (قوله ورد العجز على الصدر) ويسمى التصدير بان يأتى الشاعر بكلمة فى صدر بيته ثم يعيدها فى

بالمدينة بقدمه صلى الله عليه وسلم صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا يهودى على اعلى موضع عال فرآه فصاح هذا جدكم أى حظكم يا بنى قيلة أى الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ان أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أسرع اليه الشيب مع انه أصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا أصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل أول ربيع وقيل ثانى عشره وقيل غير ذلك فادركه على كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة أيام ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وأقام بقباء أربع عشرة ليلة كما فى مسلم واسس مسجدها وهو أول مسجد بنى فى الاسلام ولذا كان الاصح انه الذى أسس على التقوى من أول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أى ناقته فانها مأمورة وارخى زمامها فاستمرت الى ان بركت بموضع باب المسجد ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب أبى أيوب رئيس بنى النجار اخوال عبد المطلب ثم سارت منه وبركت فى مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى (واشتاقت) من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع فى ميل الجمادات له صلى الله عليه وسلم حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شئ الا يسبح بحمده لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية وتسبيح الحصا وتأمين أسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما مر اذ الاصح فى مثل ذلك مما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما فى حديث ما بين منبرى وقبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم أرسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة (اليه من مكة) التى هى مولده وام القرى وافضلهن عند اكثر العلماء (الانحناء) اى الجهات والنواحى لانها كانت معمورة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين فحا والانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى ناحوة اى مقصورة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت والغناء وناداه والنداء الآتيان (وتغنت بمدحه) اى اظهرت اوصافه الجميلة

آخره بلفظها ومعناها أو بلفظها دون معناها أو يعيد ما يوافقها فى المادة وان اختلفا صورة ومنه قوله الشاعر

يسار من يحيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار ومنه قول الصفى الحلى فى بديعيته فمن يحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث فمى

وبقولى تبعا لبعض أهل البديع أو يعيد ما لا يدخل بيت الناظم ومنه قول

ضرائب ايديهم فى السماح * فلسنا نرى لذا فيه ضريبا والضرائب جمع ضريبة أى طبيعة والضريب المثيل والضرب المثل

(قوله فى صورة الغناء) فى القاموس ان الغناء الصوت المطرب (قوله ذا الغناء) بكسر الغين والمد وما يفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها والقصر فمعناه اليسار مقابل الفقر (قوله فيما اقصى) أى ادعوكم لا تعجب منكم فيما اغفلتموه من حظكم واضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم ويلى هذا البيت بيت وجدته فى شرح نائية السبكى وهو قوله فاحملت من ناقة فوق ظهرها * ابرو اوفى ذمة من محمد (قوله مازوى) بفتح الزاى والواو أى جمع وقبض (قوله به) أى بخروجه من بين اظهركم بحذف المضاف العلم به (قوله من نخار) وفى نسخة من فعال بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكرم وبكسر الفاء جمعا انتهى

(قوله لا يجارى) ضبط بالراء والزاى (قوله وسودد) بضم السين واسكان الواو مصدر يقال ساد سيادة وسودا (قوله ليهن بنى كعب) أى الذى أم معبدهم لانها كعبية خزاعية (قوله بمرصد) المرصد بوزن مذهب موضع الرصد يقال رصد الشئ أى رقبه اذا راصد الراقب للشئ وبابه نصر فالمصدر رصد بسكون الصاد ورصد أيضا بفتحتين كما فى المختار (قوله فغادرها) أى تركها (قوله رهنت) أى ثابتة تقول رهنت الشئ عنده أى اثبته وبابه قطع (قوله فى مصدر) أى فى مكان رجوعها يقال صدر عن الماء وعن البلاد أى رجع وبابه نصر ودخل وقوله مورد من الورود ضد الصدر أى مكان ورود الماء (قوله ولما وصل الخ) فيه ان اقتفاءه أثره كان قبل وصوله من حين جاءه رسل قريش (قوله سراقة) هو الذى ألبسه عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وهو صحابى اسلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف وكان شاعرا مجيدا توفى رضى الله عنه فى أول خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان اه شرح الشفاء قال فى نور النبراس والصحيح الاول وقد تقدم فى الكتابة على شرح قول الناظم وتداعى ايوان كسرى ما فيه زيادة على ذلك فيما يتعلق بسراقة رضى الله عنه فراجعه ان شئت (قوله ابن جعشم) بفتح الجيم والشين المعجمة وكقفذ وجعفر الوسط وكقفذ وجعفر القصير الغليظ الشديد والطويل الجسيم ضد اه قاموس

فى صورة الغناء الذى تتولع به النفس ولا يصير فيها مع لغيره (الجن) المؤمنون ومرت قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن أمر معلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما اجمع عليه الامة (حتى اطرب الانس) المؤمنين بل وغيرهم (منه) اى الغناء (ذا الغناء) الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن أو سرور ذكر أهل السير عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقام أبى أبو بكر قلت والله لا أدرى فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى ولم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وأنشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد

الضرة لحمة الضرع والصريح بهما ملتين أوله وآخره الخالص أى بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة

فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

أى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر فقالت أسماء فلما سمعنا قول الجن علمنا أين توجه النبى صلى الله عليه وسلم (و) لما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى قديد محل قريب من رابغ (اقتفى) أى تبع (اثره سراقة) بن مالك بن جعشم المدلجى قال جاء نا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا ديتين فركبت مستخفيا فلما دنوت منهما عثرت

عثرت بى فرسى فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فبكى أبو بكر وقال يارسول الله انينا قال كلاودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات (فاستوته فى الارض صافنا) أى طلبت أن تهوى به فيها هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل السين لمجرد التأكيد لان الذى فى القصة انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه فى الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة كان لاثر يديها اغبار ساطع فى السماء كالدخان والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاثة قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر (جرداء) أى رقيقة الشعر قصيرته وهى صفة مدح فى الخيل وأصله للشجرة التى قل ورقها فاستعير للفرس (ثم ناداه) أى سراقة النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه وقال الامان يا محمد (بعدما) مصدرية (سيمت) الفرس (الخسف) بفتح أوله وضمه قال الشارح فى موضع أى أوليته ذلا وقال فى آخر أى بعد اسامة الخسف للفرس أى بعد حصول الذل للفرس المذكورة وكأن الحامل له على هذا ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوائمها غاصت فى الارض فحصل لها الخسف الحقيقى لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت الخسف بالنظر الى كلها أى سيمت أن يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج الى ما قال الشارح فتأمله ثم رأيت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سمته خسفا أوليته ذلا أو كلفته مشقة ويحتمل أن يراد بعدما قاربت أن يخسف بها (و) من الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه (قد يجد الغريق الندا) أى الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله عليه وسلم قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لا باتهام عليه فنادى فى الظلمات الآية والنداء رفع الصوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم تخليصه اولا يعبأ به احد فاذا رفع صوته ونادى وصاح تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما على فادعوا لى ولكما على ان أردا الناس عنكما ولا اضر كما قال فوقف لى فركبت فرسى حتى جئتهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى اى لم يأخذا منى شيأ وقالا اخف عنا فسألته كتابا آمن به فامر عامر بن فهيرة فكتب لى فى ورق وقيل فى عظم وقيل فى رق والرق على قول من قال من أدم اخرجها له يوم حنين فنفذها وأمنه ومن يلوذ به * (تنبيه) * ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسراء وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة لموافق الترتيب فى الذكر الترتيب فى الواقع ولعله اهتم بشأن الهجرة فقدمها لتنبه النفس الى حكمة ذلك

نصر ودخل انتهى وفى القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم عثرا وعثارا وتعثر كما ثم قال والعثور الاطلاع كالعثر واعثره اطلعه وعثر كذب انتهى (قوله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات) وهى اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وانى شئت (قوله أى طلبت الخ) سيأتى تذكيرها فى قوله الذى يقوم الخ فيفيد انها تذكر وتؤنث قال فى القاموس والفرس للذكر والانثى (قوله فاستعير للفرس) كان الاولى شبه به الفرس لوجود الطرفين وقد يقال مراده أطلق عليها لا الاستعارة الاصلاحية (قوله ثم رأيت بعضهم) هو شارحها أحمد بن الاقطع المالكى أى بقوله ويحتمل أن يريد الخ والا فصدر عبارته كعبارة الشارح التى نقلها عن الشارح فتأمل (قوله أى نضيق عليه) والا فظن فى القدرة عليه لا يتوهمه مؤمن فضلا عن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومغاضبا من بناء المغالبة للمبالغة أولانه أغضب قومه بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا انتهى من البيضاوى وقال على قوله أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه أولن نعاقبه بالعقوبة من القدر وبعضده انه قرئ مثقلا أولن نعمل فيه قدرتنا انتهى (قوله فلم يرزآنى) بتقديم الراء المهملة على الزاى المعجمة بعدها همزة فالف لينة هى ضمير التثنية

(قوله استأصل شأفتهم) الشأفة قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته أى أذهبه كما أذهب الله تلك القرحة بالكى انتهى مختار وهى بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية (قوله كما طويت الخ) هذا يقتضى ان وصوله الى المدينة على خلاف العادة كوصوله لمكان سمع فيه الخطاب من غير واسطة ورأى فيه ربه بعين بصره ليلة الاسراء وفى مولد النجم الغيطى ما يقتضى خلافه وان سيره فى الهجرة الى المدينة على العادة حيث ذكر انه خرج من مكة يوم الخميس هلال ربيع الاول ودخل قباء يوم الاثنين ثانى عشره فتكون مدة سيره عشرة ايام كاملة وبعض يوم دخوله ويمكن ان يجاب بان الطى لا يلزم ان يكون سيرا على خلاف العادة قال فى القاموس طوى البلاد قطعها وطوى الله البعد لنا قربه انتهى وما هنا من الاول بخلاف طى السموات المشبه ٩٦ به فانه من الثانى فتأمل ثم ان قوله كما طويت قد غير به اعراب المتن فكان الاولى ان يقول كما طوى مع ما علمت فيه اول القولة من عدم ظهور التشبيه (قوله مسيرة) مصدر ميمى بمعنى السير كالمعيشة بمعنى العيش فليست التاء للوحدة (قوله ثمانية آلاف) فيه ان سمك السموات السبع وما بينها وما بين الارض والسماء الاولى سبعة آلاف فقط وسيأتى فى الشرح فى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب انه زج به فى النور فخرق سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة حجاب (قوله والمعاريج ليلة الاسراء عشرة) فى معراج الشهاب القليوبى التصريح بنصب جبريل المعراج من الارض الى فوق سدرة المنتهى فيه ايضا ان درجاته ثمان الاولى صعد عليها رسول الله وهو جبريل فارتفعت بهما الى السماء الاولى وهكذا الى الثامنة ثم قال فيها صعدت بهما الى الكرسى ثم الى فوق سدرة المنتهى قيل بدرجة تاسعة وقيل بلا درجة وهو اقرب لانها داخل الكرسى ثم زجه اى دفعه جبريل فى النور فخرق الله له سبعين الف حجاب الى آخر ما ذكره وظاهر كلامه انه ليس هناك ما يعرج عليه بعد سدرة المنتهى وكلام الشارح يقتضى وجود ذلك فحرر والمعراج من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ (قوله الى المستوى) بفتح الواو اى المصعد اى المكان العالى كما فى ق والنبراس (قوله صريف الاقلام) اى صوتها (قوله والرفرف) قال فى القاموس الرفرف شئ يشبه الطراق (قوله بالمكالحة) اى المباشرة من غير واسطة (قوله الى بيت المقدس) بفتح الميم واسكان القاف وكسر الدال ويقال البيت المقدس بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اى المطهر وعلى اللغة الاولى يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان والمعنى على الاول بيت الطهارة وعلى الثانى بيت مكان الطهارة وتطهيره =

وهى انها انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استأصل شأفتهم اى بقيتهم وقطع جادرتهم (فطوى الارض) فى حال كونه (سائرا) عليها (و) هذا كما طويت له قبل ذلك (السموات العلى) لما كان (فوقها له اسراء) ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعا فى اسرع وقت فقطع مسيرة ثمانية آلاف سنة فى اسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا بالنسبة الى السماء السابعة واما ما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فيالها من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء اظهر الله عليه فيهما عظم قدره فى سيره واسرائه وافضلية تقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه قال بعض الائمة والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالحة والكشف الحقيقى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة العشرة ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت بوفاته التى فيها لقاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى المنزلة التى لا ارفع منها كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس (فصف) ايها الناظر فى شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما أكرمه الله به تلك (الليلة) وهى ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووى فى الروضة او الحجة او ثالث عشر ربيع الآخر وجرى عليه النووى فى فتاويه او من ربيع الاول وجرى عليه فى شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى او بعشر او باحدى عشرة او ثنتى عشرة او فوال ربيع كالقوم (التى) وقع ذلك الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس

ثم منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله وما رأى من آيات ربه الكبرى أو اذكر صفاتها الجليلة بما يمكنك والا فمحال أن تستوعبها او ان تأتي بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق الانباء واعظم الآيات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم في اليقظة من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح اخرى مردود والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تأويله تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها على انها أولات و (كان للمختار) صلى الله عليه وسلم (فيها) عجائب منها انه جاءه جبريل وفي رواية وميكائيل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب أو بيته او بيت ام هانئ بعد ان انفرج سقفه وروايات جمع بينها بانه بات في بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع لا ثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت يقظته ورواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه انصب من السماء انصبابة واحدة بازاء محله الذي هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة في المناجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير مبعاد ولا ظهر انه مراد ووقع في موسى بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج سقف البيت والتمامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة وانه لا بأس عليه فيه ومرت قصة شقه هناك عند ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه (على البراق) فكان له عليه (استواء) اي استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الآدميون وهو كما صح به الخبر دابة اي يشبهها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوته عند أقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقاء اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ معناه أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير أي يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصره الذي في الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سمع خطوات انتهى وهذا انما يأتي على رواية فحملت عليه أي البراق حتى انطلق بي جبريل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السماء والمشهور انه استمر عليه

= اخلاؤه من الاصنام او المراد الطهارة من الذنوب (قوله على انها اولات) ومما اولت به ان المراد بالبعثة قبل ان يوحى اليه في شأن الاسراء والمعراج اي وقع ذلك بعثة قبل ان ينذر به انتهى غيطي في معراجه (قوله جمع بينها الخ) الجمع ظاهر بالنسبة لغير القول بالمجيء والنزول بالحطيم اذ لم يكن نزوله ومجيئه له به بل قبله فتدبر (قوله الى المسجد) اي الى الحطيم منه ليتم الجمع (قوله اي تشبهها اذ هو الخ) فيه انه لا يحتاج لذلك الا ان كانت التاء للتأنيث وليس كذلك بل هي للوحدة (قوله يضع خطوته) وفي نسخة حافره وهي واضحة لان الخطوة بالفتح هي نقل القدم وبالضم ما بين القدمين وذلك المعنى غير ظاهر هنا ولذلك احتاج الشارح الى حمل اللفظ على غير ظاهره بقوله معناه انه يضع الخ

(قوله فارفض) اى سال وجرى والمعنى فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب (قوله وكانت تسخر للانبياء) نعم كونه مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى من معراج الفيطى (قوله ومدين) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية بلد بالشام تلقاء غزة سميت باسم مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله بالحلقة) بسكون اللام على اللغة الفصحى وحكى فتحها وجمعها على الفتح حلق وحلقات وعلى السكون حلق بفتح الحاء وكسرها (قوله أى مع أجسادهم) سيأتى له قريبا أقوال ثلاثة ولعله اقتصر على هذا القول هنا لجوابه عنده (قوله ثم اذن الخ) ان كان المراد بالاذان والاقامة المعروفين ففيه انهما لم يشرعا الا بعد فرض الصلاة (قوله فقدمنى فصليت بهم) تقدم للشارح فى شرح قول الناظم ثم قام النبى يدعو الى الله نقلا عن فتح البارى انه افترض قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فراجع ما هنالك وما كتبناه ثم (قوله قيل الصبح بناء الخ) فيه ان أول صلاة صلاها بعد العروج الظهر وقوله وقيل العشاء بناء الخ فيه ان الصلاة لم تكن فرضت حينئذ والتأويل ممكن (قوله مرقاة) بكسر والفتح أى درجة فمن كسر شبهها بالآلة التى يعمل بها ومن فتح جعلها موضع الفعل (قوله وهم فى النار) كان الظاهر ان يقول وهم فى الجنة والنار ليشمل أرواح المؤمنين (قوله أى انتهاؤهما) أى انتهاء اضافيا والا فانتهاؤهما الحقيقى فى الارض

الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتى وفى رواية لابى يعلى والبزار اذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفى رواية شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كقوائم الابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره من ياقوتة حمراء وفى رواية صحيحة اتى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا مارك عليك قط أكرم على الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائى وابن مردويه وكانت تسخر للانبياء قبله ان الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم الفة الركوب بل لبعد عهده به او لمظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم وانما علت على سائر المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه فى سلم وأمن لا حرب ولا خوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافى كونه فى خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره أن ينزل ويصلى وبمدين فامره بذلك وبيت لحم الذى ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام فأمره بذلك واراه عجائب اخرى الى ان وصل الى بيت المقدس فنزلا وربطه اى جبريل كما مر فى رواية لكن فى اخرى النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التى كانت الانبياء تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبياء فصلى بهم وصح فى رواية أتى بارواح الانبياء أى مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم وفى رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفى حديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم بهم فى بيت المقدس بعد العروج أيضا وتلك الصلاة قيل الصبح أى بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقيل العشاء أى بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما فى رواية ابن هشام والبيهقى وغيرهما ووضعت له مرقاتان من فضة ومرقاتان من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة ورأى فى السماء الاولى آدم وعن يمينه أرواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى اى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى هى مستقر أرواحهم والنيل والفرات أى انتهاؤهما

(قوله وفى الثانية يحيى وعيسى) وحكمة قرن عيسى بيحيى مع ان فى كل سماء نبيا واحدا ان السيد عيسى ينزل فى آخر الزمان فيبقى يحيى فلا تخلو سماء من نبى انتهى شرح منظومة ابن العماد (قوله وحكمة تخصيص الخ) لم يذكر حكمة لقاء

والافابتداؤهما من سدرة المنتهى وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى حديث البيهقى وغيره فاذا أنا برجل أى يوسف أحسن ما خلق الله وقد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب والمراد غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذى ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا اعتمده النووى فى موضع واعتمده آخرون أيضا ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد اعطى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هرون وفى السادسة موسى وفى السابعة ابراهيم وهذه مقدمة على رواية لم تضبط بها منازلهم وعلى رواية ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهرى فالاولى التى فيها انه ضبطها على انه يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك بانه رآهم فى الصعود على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات أخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى وبكاؤه ليس بحسد حاشاه الله من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة أجور نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له او رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا أو لان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة تخصيص هؤلاء بالقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكعادة اليهود له أو اول الهجرة كما عادوا عيسى وأرادوا قتله ويحيى وقتلوه وكرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هرون الى محبته وكعبادة امته لتومه كما عالج موسى قومه ولتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بها كما وقع لابراهيم ومن ثم رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى بحيال الكعبة ويدخله من يوم خلق الله الخلق الى يوم الابد كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون اليه وأخذ منه ان الملائكة اكثر المخلوقات * واختلفوا فى رؤيته لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقيل لا رواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف قائلوه هذا فى الذين صلوا معه فى بيت المقدس فقيل الارواح أيضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله لهم الحجب حتى رأى كلا فى قبره من المحل الذى اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها من أمر الله ما غشى حتى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من اصلها ورواية انهما من الجنة

ادريس (قوله البيت المعمور) ويسمى الضراح بالضاد المعجمة واهمالها غلط وآخره حاء مهملة أى البعيد سمى بذلك لبعده عن الارض وسمى بالمعمور لكثرة عمارته بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده كذا فى المفهم للقرطبى (قوله ويدخله الخ) وفى تفسير الكواشى يدخله كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك انتهى والدحية بالكسر رئيس الجند وابن خليفة الكلبى ويفتح كذا فى القاموس (قوله سدرة المنتهى) ومغرسها يحتمل انه فى الهواء وانه فى الجنة (قوله والفرات) بالتاء الممدودة فى الخط وفى النطق وصلا ووقفا فجعله بالهاء خطأ ومعناه الماء العذب جدا وهو نهر بالكوفة (قوله وسيحان) وعبارة الوافى بالوفيات ما نصه سيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء جيحون مما يلى بلاد الترك وجيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون نهر عظيم فاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وما داناها فكل

من كان من تلك النواحى فهو ممن وراء النهر اذ النهر فى كلامهم هو جيحون وهذان النهران مع عظمهما يجمدان فى زمن الشتاء وتمر القوافل عليهما ويقيمان على ذلك بمقدار ثلاثة أشهر

(قوله الى مستوى) هو بفتح الواو كذا قيده النووى وهو ياصل عما عنا بالبخارى ومسلم منون وهو المصدر وهو المكان العالى انتهى من نور المبراس (قوله صريف الاقلام) أى تصويتها حالة الكتابة والمراد بالكتبة الملائكة يكتبون اقضية الله والقدر المكتوب قديم والكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم عما فيه قبل السموات والارض وانما فيه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكره فى الاثر انتهى من المواهب (قوله ما بين مقبضه) بكسر الباء كمجلس كما فى المختار (قوله فى الآية قاب) ليس المراد بالقلب التقديم والتأخير بل المراد تبديل المفرد بالمثنى والمثنى بالمفرد كما أشار اليه بالتفسير (قوله بانه لا يتعين ذلك) أى التقرير المؤدى الى دعوى

القلب (قوله بل المراد) أى فى الآية كما هو ظاهر عبارته وهذا مناف لما سيأتى له فى قوله واعلم ان التدلى الخ حيث جزم بان الدنو والتدلى فيها فى حق جبريل وسيأتى ذكر خلاف الائمة فى ذلك باختصار فلو جرى على ماسيأتى له لقال بل المراد تشبيهه قرب جبريل من النبى بقرب الخ فتدبر ماسيأتى يظهر لك المقام ثم ان أصل هذا التشبيه ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما منظاهران يحاج كل منهما عن صاحبه (قوله بقرب قاب القوس) أى فيكون قاب مفردا مضافا فيعم القابين أى قابى قوسين فغايرة هذا المراد لما قبله فى الشارح واضحة (قوله أى مقدار قوسين) وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس انتهى من تفسير الخازن (قوله وقاب القوس الخ) هذا من جملة قول بعضهم مشيرا به الى تقدير مضاف وهو طول فعلى هذا القول القاب بمعنى المقدار وفى الكلام مضاف محذوف (قوله وقيل قدر الوتر منها) هذا كقول بعضهم المذكور وانما خالفه فى بيان المضاف فى ذلك لفظ طول وفى هذا لفظ وتر فتلخص من كلام الشارح تقرير رابع لقوله قاب قوسين (قوله لكن صحت الاحاديث الخ) هذا هو المشهور والمعتمد فتحمل رواية البخارى على ان راويها اسقط منها ما وافق بها رواية غيره ويمكن على بعد ان يجعل ضمير به فى كلام الناظم راجعا للاسراء وضمير ترقى للنبى صلى الله عليه وسلم أى ترقى المختار بسبب الاسراء ووجه بعد ذلك بعد الراجعين للضميرين

لا تعارض ذلك لان ذلك ينبع منه تلك الانهار فى الجنة فلا ينافى ما قيل اصلها فى السماء السادسة وعليه تحمل رواية انه رآها فيها واعلاها فى السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهى اليها علم الخلائق ولم يتجاوزها أحد الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله النووى ويتعين حمله على انه لا يتجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتى من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف أقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى حتى ظهر بمستوى أى بمحل عال يسمع فيه صريف الاقلام أى تصويت أقلام الملائكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب ثم زج بى فى النور زجا فخرقت بى سبعين ألف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب يفرض صحتها انما هى بالنسبة الى المخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شئ وصح عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار أى بقربه المعنوى كما أرشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى كما قال الناظم (وترقى) أى صعد البراق (به الى قاب قوسين) وقاب القوس ما بين مقبضه وآخر وتره ولكل قوس قابان ومن ثم قيل فى الآية قلب أى قابى قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من ربه بقرب قاب القوس اذا ألصق بقاب قوس آخر ثم رأيت بعضهم قال قاب قوسين أى مقدار قوسين وقاب القوس مقدار طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى تقول بينهما قاب قوس أى قدر قوس * (تنبيه) * ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية البخارى ولفظها فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قال ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم

(قوله وعلى مقابله المنصور) أى عنده والا فقد صرح الشربينى فى شرحه على أبى شجاع بان الاصح تفضيل السماء وعبارته وبدأ المصنف بالسماء لشرفها على الارض كما هو الاصح انتهى وكتب عليه محشيه الاجهورى ما نصه قوله كما هو الاصح اعتمد هذا الشهاب الرملى فى حواشى الروض والخلاف فى غير البقعة التى ضمت اعضاءه صلى الله عليه وسلم فانها افضل حتى من العرش والكرسى انتهى بحروفه وعبارة النووى فى التحرير نصها وجمع السموات ١٠١ لشرفها وهذا يؤيد المذهب الصحيح المختار الذى عليه الجمهور ان السموات أفضل من الارضين وقيل الارض أفضل لانها مستقر الانبياء ومدفنهم وهو ضعيف انتهى (قوله فتعظيما) أى فذهب من غير ركوب تعظيما الخ (قوله بما وقع لآدم) أى صورة اذ الواقع له صورة معصية لان الانبياء جميعا معصومون من ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها (قوله فان هذا فى حق جبريل) وهو الذى صدر به البيضاوى ثم قال وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس انتهى قال فى القاموس الشراشر النفس والاثقال والمحبة وجميع الجسد انتهى أى جذبه بجميع جسده أو بسبب محبته الى آخر ما ذكر قال فى الخازن وكونه أى جبريل شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة

ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لاغير ولهذا التنا فى ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السماء لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنا فى وانما الذى ذكر ذها به عليه من مكة الى السماء اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخارى السابقة صريحة فى انه لا معراج وانه استمر راكبا البراق الى السماء الدنيا ثم التى بعدها وهكذا وجرى عليها الناظم كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل فى المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا اعنى رواية البخارى الظاهرة فيما فى النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التى عليها المعول يظهر عذر الناظم فى ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن فى جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله الى السماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا على البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جىء به له ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شيئ تعظيما للسموات ومن فيهن اذهن افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله المنصور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الارض وهى مدفنهم ومستقرهم وهم أفضل من الملائكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة لا يقال السماء لم يعص الله فيها احد بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد يكون فى المفضول مزايا على ان ذلك متنقض بما وقع لآدم وحوا وابليس وادعاء انهم لم يكونوا فى السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فيكون المعصية تقع فى محل دون محل يقتضى افضلية الثانى لذاته غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الخ ولم نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات فى هذا الامر الجزئى لا يقتضيه على ان ما وقع تلك الليلة من فرض الصلوات وغيره ذكر فى كل من رواية السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح فى اتحاد الاسراء وعدم تعدده فتأمل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلى والدنو المذكور فى حديث انس وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلى فى اول سورة النجم فان هذا فى حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره فى صورته التى خلق عليها الا

مرتين فصعقا جميعا وكان هبوطه بالوحى على الانبياء اسرع من رجعة الطرف (قوله وصح أيضا الخ) عبارة البيضاوى قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض انتهى وجزم فى الخازن بعدم رؤية أحد من الانبياء غير نبينا له على صورته الاصلية وذكر قبل ان المرة التى فى السماء عند سدرة المنتهى والتى فى الارض بالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق فسد الافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل

= فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى أى دنا جبريل بعد استوائه فى الافق
الاعلى من الارض فتدلى الى محمد ١٠٢ صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وهو أحد معنيين

فى الآية ذهب اليه ابن عباس والحسن وقتادة والمعنى الثانى وهو ماذهب اليه الضحاك ثم دنا محمد من ربه فتدلى أى هوى للسجود فكان منه قاب الخ (قوله الى ربه) أى الى مكان حدد له ان ينتهى اليه فكان ذلك الترديد بين ذلك المكان وبين موسى (قوله لامته) فالحجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى لانه عليه الصلاة والسلام يطيق اكثر من ذلك فتوله بعد حط عنه أى عن أمته ولذلك قيل ان الخمسين لم تنسخ فى حقه قال ع ش على م ر المعتمد ان الخمسين صلاة نسخت فى حقنا وفى حقه صلى الله عليه وسلم ولكن كان يفعلها على وجه النفلية انتهى المراد منه واعتمد الحلبى فى حاشيته على المنهج والبرماوى فى حاشيته عليه انها نسخت فى حقنا لا فى حقه وارتضاه شيخنا الشهاب الخليفى لان أصحاب القولين متفقون على فعله صلى الله عليه وسلم للخمسين غير ان القائلين بالنسخ فى حقه يقولون ان فعله لها على وجه النفلية وهذا يحتاج لدليل اذ الاصل بقاء الفرضية حتى يثبت خلافها وقد علمت ان سؤال التخفيف عن الامة يؤيد ذلك أيضا تأمل (قوله حط عنه)

فى هذه المرة المذكورة فى الآية ومرة أخرى عند اوائل البعثة كما مر (وثالث) المرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هى (السيادة العظماء) اى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها انقص ولا تغير ولا زوال وما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذى لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى أمته فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض الله تعالى عليه وعلى امته فاخبره فأمره ان يرجع الى ربه ويسأله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بنى اسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربى وفى رواية علمت انها عزمة من ربى فلا ارا جعه فقال تعالى هن خمس اى فى الفريضة وهن خمسون اى فى الثواب لا يبدل القول لدى وحكمة فرضها فى هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها اراد ان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود أعطاه الله ذلك كله لامته فى ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وآدابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم أمتى فقال له الله تعالى تلك أمة محمد فقال اللهم اجعلنى منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفى رواية كان أشد هم على حين مررت به وخيرهم لى حين رجعت * (فائدة) * اختلف العلماء قديما وحديثا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فى هذا المقام الذى وصل اليه دون غيره من الخلق بعينى رأسه أو بعين قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية انه رآه بعين بصره وفى أخرى انه رآه بعين قلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية وفى رواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح ويتسلمها فالاثبات مقدم على النفى وجاء عن أنس باسناد قوى رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما تنصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى يحلف انه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر وآخرون وهو قول الاشعرى وغالب اتباعه وانكرت عائشة وابن مسعود الرؤية قال النووى لكن خالفهما غيرهما من الصحابة والصحابى اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لهما فيما فى مسلم عنها ان مسروقا قال لها لم أنكرت الرؤية ألم يقل الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقال

أى عن أمته وكذا فيما بعده بقرينة قوله ويسأله التخفيف لامته (قوله لانه اطلع) قال بعضهم أى ولانه يا رسول
كليم فنصبه الكلام والمراجعة بخلاف ابراهيم فانه خليل فمقامه التسليم وان كان افضل واقرب اذ هو فى السماء السابعة

(قوله فقال نورانى أراه) بتنوين نور وفتح الهمزة فى انى وتشديد النون المفتوحة وأراه بفتح الهمزة كذا فى شرح مسلم للنووى فكيف أراه ثم قال قال المازنى استفهام على جهة الاستبعاد قال النووى فى شرح مسلم معناه بحجابه نور الضمير فى أراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور منعنى الرؤية كما جرت العادة باعشاء النور الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائى وغيره قال وروى نورانى أراه بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء أى خالق النور المانع من رؤيته فيكون راجعا لما سبق قال القاضى عياض وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى شئ من الاصول انتهى وقال القرطبى ليست هذه الرواية بصحيحة النقل ولعلها تصحيف (قوله فقد أعظم على الله الفرية) أى الافتراء وهى اختلاق الكذب وما يقبح التحدث به (قوله من حسر) يقال حسر البصر أعيا وحسر بصره كل وانقطع وبابه جلس كما فى المختار (قوله سقطت امنياتهم) أشار الى جمع آخر لامنية (قوله وتخلفت طلباتهم) جمع طلبة بكسر اللام الشئ المطلوب كالكلمة وكلمات (قوله وتصرع) كان الظاهر وصرع أى طرح أى على الارض قال فى القاموس الصرع ويكسر الطرح على الارض (قوله فسلم عليهم) ان كان فيهم مسلم وقصد السلام عليه فظاهر والا فالسلام غير مشروع على الكفار أو ذلك قبل النهى عنه عليهم (قوله النعماء) بالفتح ممدودا الجمع أنعم وأنعم جمع نعمة وتجمع أيضا على نعم كذا فى القاموس وفى شرح ابن عبد الحق على بسملة شيخ الاسلام انه جمع نعمة بمعنى منعم به وفى شرح الشنوانى عليها ويصح كونه اسم جمع للنعمة أو الانعام

يارسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل وذلك لانها انما سألت عما فى الآية فاجابها بانه لم يره أى فى قصة الآية وقد مر انها غير قصة المعراج وان التدلى والدنو الذى فى قصة المعراج غيرهما فى الآية ولا حجة لها فى لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العين بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا للتساوى بينهما بالنسبة للمرئى وسؤال موسى اياها فى الدنيا أظهر دليل على ذلك اذ لا يجوز على نبى ان يسأل محالا وانكار المعتزلة قبحهم الله لها حتى فى الآخرة من بدعهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها فى الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح فى مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابى ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نورانى أراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف يراه مع ذلك وقد مر انه مرة رآه ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور فلا ينافى وقوع الاولى وسئل احمد رضى الله عنه عن قول عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ربى وقول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر واذا تأملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من الكرامات التى تميز بها على سائر الخلق علمت انها (رتب) جليلة (تسقط الامانى) جمع امنية (حسرى) جمع حسير من حسر اعيا (دونها) ظرف لتسقط أى لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم وآمالهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها ولم لا وهى (ماوراء من وراء) أى ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر على عير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ورأى بعيرا اضل وجمعه واحد منهم (ثم وافى) مكة قبل الصبح فاصبح (يحدث الناس) بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (شكرا) أى من جهة الشكر اولاجل قيامه بشكر ربه أو حال كونه شاكرا لانعمه (اذ) أى لاجل أو وقت (أتته من ربه النعماء) أى فى تلك الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون لابى بكر رضى الله عنه وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوة ورروحة فلذلك سمى الصديق رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه رواه الحاكم فى مستدركه وابن اسحق وزاد

كذا فى القاموس وفى شرح ابن عبد الحق على بسملة شيخ الاسلام انه جمع نعمة بمعنى منعم به وفى شرح الشنوانى عليها ويصح كونه اسم جمع للنعمة أو الانعام

(قوله ورفعه) مبتدأ وقوله رواه البخاري خبره (قوله فكربه) كربه الامر شق عليه حتى ملأ صدره غيظا وبابه قتل انتهى مصباح (قوله في مكان كذا) أي بلد بالرحاء على نحو اربعين ميلا بالمدينة (قوله يقدمهم) بضم الدال وماضيه بفتحها (قوله آدم) أي اسمر والادمة السمرة (قوله مسح) بكسر الميم ١٠٤ بوزن ملح وهو البلاس انتهى من المختار وفي القاموس البلاس كسحاب المسح (قوله فارتاب كل مريب) قال البرلسي المالكي في شرحه أي حصلت له الريبة في دينه والشك في كفره وضنه يؤخذ جواب عما عساه يقال ان المتن يحمل الى حصلت الريبة لكل ذي ريبة وفيه تهافت وحاصل الجواب ان الريبة المفهومة من مريب متعلقة بنبوة النبي ورسالته والريبة المفهومة من ارتاب متعلقة بدينهم وكفرهم اي حصل لهم شك في كفرهم ودينهم بعد ان كانوا في شك في نبوة النبي ورسالته فتأمل (قوله مريب) اي ذي ريبة قال في المختار واراب الرجل صار ذا ريبة فهو مريب انتهى فهو من اراب اللازم كقسيم من اقام الرجل في مجلس كذا فليس اسم فاعل فعل متعد كاكرم والا لصار المعنى موقعا غيره في ريبة وهو غير مراد هنا فتأمل (قوله وجحدوا بها) اي بالآيات واستيقنتها اي وقد استيقنتها الان الواو للحال انفسهم ظلما وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا انتهى بيضاوي ومعلوم ان هذه الآيات في حق قوم موسى عليه الصلاة والسلام ولما كان قوم نبينا من الكفرة حصل منهم مثل ما حصل من قوم موسى مع مشاهدتهم آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الآية لتشبههم بقوم موسى فيما ذكر فتأمل (قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي) اي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده في التركيب ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شئ حي بسبب الماء لايحيا

ان أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جئته فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر اليه ويصفه وأبو بكر يصدقه وقوله له صفه انما هو ليزيد به علي من تشكك في ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخاري وكذا مسلم وزاد انه سألوه عن اشياء فيه لم يثبتها فكربه كربا ما كرب مثله قط ورفعه له اما بحمل مثاله ووضعه له قريبا منه وعليه تحمل رواية فجيء بالمسجد أي بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا اظهر لما مر في واشتاقت اليه من مكة الانحاء ونظيره مجيء عرش بلقيس الى سليمان صلى الله عليه وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما تقرر ان فيهم من رأى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط أوضح آية على صدقه صلى الله عليه وسلم في جميع ما اخبر به من أمر السماء وعما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم اني مررت بعيركم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم يتزلون بمكان كذا ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفي رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء ففي يومه كادت الشمس ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على واو قوله (وتحدى) صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر اي طلب منهم ان يعارضوا ما جاءه شاهدا على نبوته بابداء نظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين (فارتاب) أي شك وخرس (كل مريب) فانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن معارضته ايضاح أمره صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقي عنده من ذلك شك (أ) يتضح ذلك الامر (ويبقى) معه ريب لا بل اتضح وما بقي معه شك أصلا وكيف يبقى (مع السيول) حال من قوله (الغثاء) وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات فكما ان هذا الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما أتى به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء

كل شئ حى كما ان ماجاءه الحياة المعنوية والغناء بما تخيلوه لانه أمر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وفى اراتاب ومريب جناس الاشتقاق وفى الخلق بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل يجازى الا الكفور *(تنبيه)* ماقدرته بعد همزة الاستفهام هو رأى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ماعليه سيبويه والجمهور فيقدر فى نحو أولم يسيروا فى الارض أمكثوا ولم يسيروا وفى أفلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون وفى أثم اذا ماوقع آمنتم اتكفرون ثم اذا ماوقع آمنتم به فالهمزة فى الكل فى محلها الاصلى والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تأخير ورد أبى حيان لذلك بانه تقدير مالا دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهى ان المعنى معه أقوم واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة أصل ادوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربى فى المواضع الثلاثة أى اهذا ربى وفى وتلك نعمة تمنها على أى أوتلك نعمة تمنها على وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق أخرى وهل تختص بالثانى والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتأخر عنه وبانها تدخل على الشرط نحو افائن مات أوقتل وعلى الاثبات والنفى (وهو يدعو) حال من فاعل تحدى أى تحدى الناس والحال انه صلى الله عليه وسلم مع انكارهم وارتيابهم لا يتقرعما أمر به من التبليغ والدعاء (الى الاله) أى المعبود بالحق المذى لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفى الى واله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم جنس فى الاصل لكل معبود لان الائمة أعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه فى المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاءه الى الله تعالى (وان شق عليه كفر به) اى الاله او النبى (وازدراه) اى احتقاره وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاءبه *اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وابولهب وراءه يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابى معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا واجذبوا رأسه وليته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه قائلا اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وصح ان عقبة بن ابى معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فقام ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد فى مسنده أول من أظهر

ماهو حى مخلوق من غير النطفة كآدم وعيسى والملائكة والجان واجاب بان المراد الغالب اى وجعلنا من النطفة غالبا كل شئ حى (قوله وفى الى واله الجناس الناقص) ويسمى المذيل ايضا بان تنقص احدى الكلمتين حرفا من آخرها عن الاخرى بخلاف المطرف فهو ما نقص احد ركنيه عن الآخر حرفا فى طرفه الاول نحو التفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق (قوله واستعملوه الخ) اى فهو علم على الذات (قوله بالغلبة) اى الصحيحة بخلاف لفظ الجلالة فانه علم عليها بالغلبة التقديرية واما المجرد عن الالف واللام فهو اسم جنس لكل معبود بحق أو باطل كما صرح بذلك ابن عبد الحق فى شرحه على بسملة شيخ الاسلام نقلا عن السيد وغيره اه والفرق بين الغلبتين ان الاولى بالنظر الى الاستعمال بأن استعمل اللفظ فى غير ماغلب عليه أولا ثم ترك ذلك الاستعمال وصار لا يستعمل الا فيما غلب عليه والثانية بالنظر الى القياس بأن يقتضى القياس استعماله فى غير ماغلب عليه لكنه لم يستعمل فيه وانما استعماله من اول الامر فيما غلب عليه تأمل (قوله الوليد) هو والد خالد رضى الله تعالى عنه (قوله

المجموع للنووي ثم قال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية صحابيون رضي الله عنهم وكانوا ممن تقدم اسلامهم في أول الامر وكانوا يعذبهم الكفار على الاسلام فيمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول صبرا صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة وسمية أول شهيد في الاسلام (قوله وصهروهم) اى ادنوهم منها يقال صهره وأصهره ومنه المصاهرة في النكاح وهي المقاربة اه هروي والمراد هنا ادخلوهم في الشمس فتأمل ثم رأيت في القاموس مايوافق المراد هنا حيث قال وصهرته الشمس كمنع صحرته وقال في الصاد مع الحاء صحرته الشمس آلمت رأسه (قوله وهو يقول أحد احد) اى أنت أحد أنت أحد ويجوز نصبه من غير تنوين اى يا أحدا أحد (قوله وأما بقية الجمادات) كان الاولى ان يقول واما الجمادات لانه لم يذكر قبل بعض الجمادات ليظهر اتيانه بالنقط بقية وقد يجاب بأن الاضافة بيانية (قوله واشادة ذكره) اى رفعة قدره (قوله وهو الحجة البيضاء) اى كالحجة البيضاء فشبه تشبيه العلم المذكور بالطريق النيرة بجامع الوصول الى المقصود من غير ضرر (قوله واصله اليه) مقتضى مايأتي في قوله فبسبب رحمة الله لهم وفي قوله انما هو بواسطة الخ ان يقول هما اليهم وان كان ماذكر احسانا عليه أيضا صلى الله عليه وسلم تأمل

الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اى من القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد احد أى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وأخرج البيهقي عن عروة ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزبير بكسر الزاي وتشديد الموحدة المكسورة فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ماهو كذلك فرد الله عليها بصرها (و) هو مع ذلك أيضا (يدل الورى) اى الخلق وكأن الناظم أخذ هذا من الحديث الصحيح وأرسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر وأما الملائكة ففي الاصح عند جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا يشهد لذلك اذ العالم ماسوى الله واستعمال هذا في العقلاء انما هو لتغليبهم افضلهم وقول الرازي أجمعنا على ان المراد الانس والجن مؤول بل مردود وأما بعثه للجمادات ففي مذهب اليه بعض محققي المتأخرين ومعنى ارساله الى الملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره وللجمادات انه يركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شئ الا يسبح بحمده اى حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه (على الله) اى على العلم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكل مالم يصل الى اعلى غايات الكمال مما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التي لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر في محله (بالتوحيد) اى بطلبه منهم توحيده تعالى بأن يقروا بأنه تعالى واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباء في بالتوحيد باء الآلة الاستعانة نحو كتبت بالقلم ويوجه بأن العلم بالتوحيد كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله كما تقرر (وهو) اى العلم بكل ذلك والدلالة عليه (المحجة) اى الطريقة الى رضا الله تعالى التي مر بها وحث عليها (البيضاء) اى النيرة المضيئة الواضحة التي لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما أشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه الخ أطاع الله له اكثرهم حتى صار وا من أكابر اتباعه كما قال (فبما) الباء زائدة (رحمة) واصلة اليه (من الله) اى وهي في الاصل ميل وعطف نفساني غايته التفضل والاحسان والانعام او

ارادتهما

ارادتهما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القرآن والسنة لله تعالى واستحال عليه معناها يراد بها غايتها اى فبسبب رحمة من الله لهم وعطفه عليهم لين رسوله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه هذا أيقظ قلوبهم وازال مانهما من كبر وحمية فحينئذ (لانت صخرة) هى الحجر العظيم (من) بيانية وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة مع كون من بيانية بعيد (ايتهم) اى امتناعهم (صماء) اى صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد أيضا وهو ان يجمع بين متقابلين متقابلين فى الجملة بتضاد أو نفى واثبات أو عدم وملكة أو نحو ذلك اى زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فأطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التى فى غاية الصلابة لابائهم عنه أولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والايذاء له صلى الله عليه وسلم وليونتها وزوال صلابتها لاتباعهم له صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه آخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (و) بعد أن لانوالله صلى الله عليه وسلم ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى (استجابت له) اى أجابت دعوته وامتثلت اشارته (بنصر وفتح) اى مع أو بسبب ما أعطاه الله من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب فى القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم واستئصال شأفتهم (بعد ذلك) اى الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وبأتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعداء وتصميمهم على مناوأته ومعاداته لقوة شركتهم وكثرة عددهم وعددهم (الخضراء) اى السماء سميت بذلك لانهم اذا رأى كذلك فقد قال القاسم بن أبى برة ليست السماء مربعة لكنها مقببة يراها الناس خضراء وبين الثورى سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض خضراء كما فى حديث البزار وغيره منها خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك للحديث انهم قالوا يارسول الله ما هذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضى الله عنهما السماء من اى شئ فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول على رضى الله عنه وكرم وجهه فى حلفه والذى خلق السماء من ماء ودخان وقال كعب السماء أشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسى رحمه الله تعالى لكن يسندوا السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهبة حمراء والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور (والغبراء) اى الارض سميت بذلك لان جميع طباقها من طين كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما أراد الله ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا أرض ولا سماء خلق الله الريح فسلطها على

الاصل تأمل (قوله ومعاداته) عطف تفسير (قوله اكنها مقببة) قال الهروى فى غريبه والسماء مقببة اى مضمومة ولا تقل مقببة ولكن مقببة اه ولعل المراد هنا مقوسة قال فى القاموس التقبب التقويس الشئ ويكون المراد بتقويسها كونها كرية كما هو مذهب اهل الهيئة تأمل (قوله منها خضرة السماء) فيه أن جرم الارض يمنع ظهور الخضرة فى السماء سواء قلنا السماء كرية أم لا (قوله اى وليست فى الحقيقة الخ) اى على غير رواية سلمان الفارسى الواهية الآتية اذ عليها هى خضراء حقيقة (قوله قال هذا موج) قال فى القاموس الموج اضطراب امواج البحر اه ولعل المراد هنا دخان ناشئ عن اضطراب ماذكر بدليل خبر ابن عمر الآتى قريبا اى دخان مشوب بماء ليوافق قول الامام على رضى الله تعالى عنه (قوله مكفوف) اى ممنوع من السيلان بقدرة الله عزوجل (قوله مرمرة بيضاء) قال الجوهرى المرمر الرخام (قوله من ذهبة) هى القطعة من الذهب كما فى الجوهرى (قوله على الماء) ليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ما تحت العرش ويحتمل ان يكون على البحر بمعنى ان

ارجل حملته على البحر كما وردت فى الآثار اه من بعض شروح البخارى

قوله تعالى زبدا رابيا اى عاليا والزبد وضر الفليان قال فى القاموس الوضر محركة وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء اه المراد منه والمراد هنا وسخ الماء الذى يعلو الماء عند اضطرابه (قوله والفتح عليه) فيه ان غزوة بدر كانت قبل الفتح وعليه فالبعدية بالنظر للمجموع اى النصر واما على تفسير السماء بالرفيع والارض بالوضيع فتقييد النصر والفتح بالبعدية واضح فحرر (قوله أطاعت) ضمن اطاع معنى انقاد فعداه باللام (قوله وحذفه لفهمه مما ذكره) على حد سرابيل تقيكم الحر أو جرد الامر عن بعض معناه وهو قوله بلفظ افعل فيكون المراد به القول الدال على الطلب وذلك يشمل طلب الفعل وطلب الترك فيكون شاملا للنهى تأمل (قوله العرب المستعربة) ضبطها السيوطى بكسر الراء (قوله كليل أليل) اى شديد الظلمة ومثله ليلة ليلاء وليل لائل مثل شعر شاعر (قوله متعلق) اى مرتبط به ارتباط الحال بصاحبها لا التعليق الاصطلاحى بجمود الآية تدبر (قوله الا أن الثانى) فيه انه اول تأمل (قوله لا آية من تقدمه) اى الذى يوهمه تعلقه بتوالت وان صح كان ايما بعيدا لان الظاهر وتوالت له آياته (قوله الغارة) فيها ما سبق فى الآية

الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه فاخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء ما مر فى لانت وصماء لكن هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة أهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اى أجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من أهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم أو مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة أهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابة أهل السماء بها فهو بمعنى انهم لم تنزل الملائكة لنصرته الا بعد بدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء رعبه صلى الله عليه وسلم فى القلوب والاذن له فى الجهاد والفتح عليه (و) من جملة استجابة أهل الارض له بعد ذلك انه (أطاعت لامره) وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه وانهيه وحذفه لفهمه مما ذكره (العرب) بضم فسكون أو بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم (العرباء) ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفى القاموس والعرب بالضم والتحريك خلاف العجم اى بالضم والتحريك أيضا كما ذكره فى مادته وهم سكان الامصار أو عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعاريب وعرب عاربة وعرباء وعربة صرحاء اى خلص ومتعربة ومستعربة دخلاء وقال ويعرب بن قحطان ابو اليمن قيل أول من تكلم بالعربية وفى النهاية الاعراب من العرب ساكنو البادية الذين لا يقيمون فى الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس أقام بالبادية او المدن وفى الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اى لان الجمع لا يكون أخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابى هو البدوى والعربى هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمى الذى لا يفصح وان كان بدويا والعجمى المنسوب للعجم اه وبين المبرد فى كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبى صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء بينه وبين اسمعيل ثمانية آباء وقحطان قال الكلبى هو الهميسع ابن بنت ابن اسمعيل عليه السلام (والجاهلية الجهلاء) هو كالعرباء فيه تجنيس الاشتقاق وشبهه التأكيد اللفظى كليل أليل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما (وتوالت) اى تتابعت (للمصطفى) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (الآية) مفرد محلى بال فيكون فى معنى الآيات وأيضا فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لمقولوه وافتروه عليه وعلقه الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثانى فيه افادة ان ما توالى له انما هو آياته الخاصة به لا آية من تقدمه (الكبرى عليهم) كالقرآن وانشقاق القمر (و) توالت له عليهم أيضا (الغارة)

(قوله وهي اسم مصدر لاغار) قال في القاموس أغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل (قوله حتى صار) لعل الظاهر حذف حتى ليستقيم المعنى بتعلق بعد بصار (قوله ولما رآها أبو سفيان) اى ابن حرب اسلم وحسن اسلامه وأصيبت عينه يوم الطائف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال له ايما احب اليك عين في الجنة او ادعو الله ان يردها عليك فقال بل عين في الجنة (قوله ويرجع) ترجيع الصوت ترديده في الحلق كقراءة أصحاب الالحان اه مختار (قوله المستهزئين) قال الحافظ ابن حجر فيما لخصه من السيرة المستهزئون به صلى الله عليه وسلم لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص وكان

على بلادهم وأموالهم وانفسهم وذراريهم وهي اسم مصدر لاغار (الشعواء) بالعين المهملة اى الفاشية المستغرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب التي لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا أهلكته (و) بعد ان استجاب له أهل السماء والارض ودخل الناس في دين الله أفواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار (اذا ما) زائدة (تلا) اى قرأ (كلاما) أنزل عليه (من الله) وهو القرآن (تلته) اى تبعته لاجل القراءة معه أو استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه صلى الله عليه وسلم لاسيما (كتيبة) بالفوقية اى جيش (خضراء) اى يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لانه لكثرة شجره من بعيد يرى اسود وهي كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين أبي بكر وأسيد بن حضير ولما رآها أبو سفيان رأى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى البخاري عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وقال لولا أخشى ان تجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع صلى الله عليه وسلم وبين تلاوته وكلام وكتيبة تجنيس الاشتقاق او شبهه (وكفاه) صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقياء الذين زادوا في ايذائه والعتو عليه (المستهزئين) به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذائه والسخرية به اى تولى اهلاكهم من كنيت فلانا المؤنة اذا تولتها له فلم تحوجه اليها ومع توليه تعالى لهلاك المستهزئين به سلاه فأعلمه بأن هذا ليس خاصا به بل الانبياء قبله كانوا كذلك بقوله عز قائلا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قوله (وكم) مرات كثيرة (ساء) اى أحزن (نبيا) بينهما الجناس المصحف كقوله تعالى استهزئ برسل من قبلك الآية (من قومه) متعلق بقوله (استهزاء) اى سخرية وايذاء ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة أو شعر أو مثل سائر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته في كلامه لانه هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتناء بها وفيه أيضا

السبت فلم يحل قتالهم فيه فدعا الله في اعتياف الشمس فوقفت حتى فرغ من قتالهم ومثال الاشارة الى شعر وقصة أيضا قول الحويري في المقامة السابعة والعشرين مسجعا فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية أشار الى قول النابغة

ابيت كاني ساورتني ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع قوله ساورتني أخذت برأسي ضئيلة اى حية رقيقة من الرقش اى فيها نقط سود وبيض ناقع بالغ ثابت والى قصة يعقوب ومثال الاشارة الى مثل قوله في المقامة الثالثة والاربعين فكنت كمن ضيع في الصيف أشار بذلك الى المثل المشهور وهو الصيف ضيعت اللبن

(قوله فى الجملة الاستفهامية) فيه ان الجملة خبرية لانه فسر كم بمرات كثيرة وهو يقتضى ان كم خبرية لا استفهامية تأمل (قوله لكن فيه دقة الخ) انظر وجهه (قوله مع كل) اى من فى ومن (قوله ثم فصل ذلك الداء الذى أهلكهم) اى معينا الخمسة المستهزئين الظالمين باسمائهم (قوله لانه حقت عليه الكلمة) يحتمل كلمة العذاب المذكورة فى الآية ويحتمل ان المراد بها دعوة النبى صلى الله عليه وسلم بفناء البيت (قوله وبما تقرر) انظر التقرير الذى علم منه هذا الاعراب فانه لم يظهر لى (قوله ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد الخ) انظر ما المانع من جعله نعتا سببيا للعمى على حد قوله رعزة ممطول معنى غريمها (قوله فيكون رأيا ثالثا) انما يظهر ذلك اذا قال الكوفيون بعدم استحسان الاعتماد فى تجويزهم عدمه والا فالاستحسان مذهبهم فليس هنالك مذهب ثالث ثم رأيت عن المغنى انهم يقولون باستحسان الاعتماد وحينئذ فما ذكره الشارح غير ظاهر (قوله ولاحجة لهم) اى للقائلين بخبرية ميت على تقدير وجود قائلين بذلك وانما قلنا على تقدير الخ لعدم وجود قائل بالفعل فتدبر (قوله خبر بنو لهب) تمامه

فلا تلك ملغبا*

مقالة لهى اذا الطير مرت

اى ان بنى لهب عالمون بالزجر والعيافة فلا تلغ كلام لهبى اذا زجر وعاف حتى يمر عليه الطير والزجر والعيافة الاصل ضرب من التكهن كذا فى المختار وقال فى القاموس وزجر الطائر تفاءل به وتطير فنهره ثم قال والزجر العيافة والتكهن

التذييل والمثل السائر فى الجملة الاستفهامية (ورماهم) اى أصابهم (بدعوة) منه عليهم وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه (من) اى بدعوة كائنة فى (فناء البيت) اى حوالى الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال أمرت ان أكفيكهم ثم أشار الى كل بما أصابه وذلك لانا فى دعاء عليهم لان دعاءه كان سبب الاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق من برمى وانها لابتداء الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة أيضا بقوله (فيها) اى تلك الدعوة (للظالمين) متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم وا ظلم وضع الشئ فى غير محله (فناء) اى استئصال لهم حتى لم يبق منهم أحد وبين فناء وفناء جناس محرف لاختلاف حركة الفاء (خمسة) بدل من المستهزئين أو الظالمين ويصح رفعه اى هم وخصه مع ان من المستهزئين أبا لهب وزوجته وعقبة بن أبى معيط والعاص بن العاص لانهم أشدهم ولذا عجلت عقوبتهم (كلهم أصيبوا بداء) عظيم (والردى) اى الهلاك (من) جملة (جنوده) المعينة عليه (الادواء) جمع داء وهو المرض وهذا اساقه مساق الحكم المناسبة لما قبله فانه كالتعليل له اى انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادواء جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الداء الذى أهلكهم الله به فقال (فدهى) مر الداهية وهى الامر العظيم المهلك (الاسود بن مطلب) بن أسد بن عبد العزى فهو أسدى (اى عمى) اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الا عمى البصيرة (ميت به) اى بسبب ذلك العمى (الاحياء) اى هم فى حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة فى هلاك ذلك اللعين فانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم ان ميت مبتدا وما بعده سد مسد الخبر اى ان من شأن هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به فى حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة مؤكدة لما أفاده تنوين عمى اى انه عمى بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوى ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع بين رأى البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رأيا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبر المال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة فى قوله خبر بنو لهب ان خبر خبر مقدم لان فعيلا لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحياء الطباق (ودهى) ايضا (الاسود بن عبد يغوث) بن وهب بن عبد مناف بن زهرة فهو زهرى ويغوث فى

الاصل اسم صنم (ان سقاه كأس الردى) اى الموت (استسقاه) حصل له فى جوفه واستمر به حتى أهلكه وهو داء خبيث على أنواع المراد منها هنا الربقى وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للعرارة الغريزية المفضى الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقاه جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية (وأصاب الوليد) بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومى (خدشة سهم) اى أثر جرحة بأسفل رجله من شخص فى يده نبل وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان يهوى لقلعها فضربها بالسوط فأصاب رجله فتأكلت ومات منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح أسرع لى هلاكه وأشنع من سم الافاعى فلذلك قال (فصرت عنها) اى عن تلك الخدشة (الحية الرقطاء) اى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى أعظم الحيات اذى ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة حتما لانها أثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رأيت ان بعضهم قال وانما كان الذى أصاب الوليد أعظم لان الحية انما تلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة اه وما ذكرته أوضح وأحسن كما لا يخفى (وقضت شوكة) دخلت فى أخمص رجل العاص (على مهجة العاصى) بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمى اى قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال (فلله) هذه (النقعة) من قولهم الناس نقائع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة (الشوكاء) من قولهم بردة شوكاء اى خشنة الملمس اى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فلله در هما من شوكة نخرته فى أمرع وقت (و) قضت (على) مهجة (الحرث) اى مولى الطلاطلة بالموت الفظيع (القبوح) جمع قبيح وهى المدة البيضاء التى لا يخالطها دم (و) الحال انه (قد سال بها رأسه وساء) اى قبح ذلك الرأس الذى هو (الوعاء) لتلك القبوح القاتلة لصاحبه وبين سال وساء جناس ناقص وفى الختم بساء الوعاء التذييل وهو لاء الملاعين (خسة طهرت بقطعهم) اى هلاكهم (الارض) اى مكة ونواحيها ومطلقا لان ضررهم يسرى الى جميع البلاد (فكف الاذى) الذى كان يصل للناس لاسيما للنبى صلى الله عليه وسلم منهم (بهم) اى بسبب فقدهم اومع فقدهم (شلاء) اى فاقدة الحركة نعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح (فديت) بالبناء للمفعول يقال فداك بفتح أوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء متضمن للتعظيم فهو من حيز الانشاء اى لو أمكن ان أحدا يكون فداء أحد من

(قوله وقيل أصابت الخ) والملايم للمتن ما صدر به لان السوط ليست بسهم (قوله دخلت فى أخمص) الاخمص بفتح الميم مالم يمس الارض من باطن القدم والمرأة خمصانة فوقه بالتاء (قوله الجناس الناقص) فيه نظر اذ هذا من الجناس اللاحق لاختلاف الكلمتين بحرفين متباعدى المخرج فان كانا متقاربين فالجناس المضارع ومنه قوله تعالى وهم ينهون عنه فالهاء والهمزة متقاربا المخرج فتأمل

(قوله اسألت ان يكون الخ) غير ظاهر لسبق موت الجميع زمن تكلم الناظم بذلك فلا يتأتى فداؤهم من الموت وان كان للكرام فداء حتى يسأله تأمل (قوله يدل على المعنى الاول) غير ظاهر لما علمت بل الظاهر الثاني و يكون المراد فداءهم من المؤذيات العذابية فلا يسأل لهم ذلك فتدبر وسيأتي ان ثلاثة من الخمسة الساعين في نقض الصحيفة كانوا كفارا وأما الاثنان الباقيان وهما هشام وزهير قدماتا مسلمين فلا مانع من سؤال فداء الكفار لهما من العذاب (قوله بعمارة) بضم

الموت اسألت ان يكون هؤلاء فداءهم أو المراد اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله ان كان للكرام فداء يدل على المعنى الاول (خمسة الصحيفة) الآتي بيانهم (بالخمسة) الملاعين المار ذكرهم اي جعلت هؤلاء جميعهم فداء اكل واحد من أولئك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب ركب القوم دوابهم (ان) جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه (كان للكرام فداء) وأولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم في أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم بأمره في سنة خمس من النبوة بضعة عشر من أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام و بفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد اعز فتى فيهم ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع بني هاشم و بني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوا لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك أجمعوا وتعاقدوا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم و بني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدا في حفظها و بقائها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم و بنو المطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش لعنه الله وأقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا حتى ان حكيم بن حزام حمل غلاما حبا ير يد عمته خديجة رضي الله عنها فالقيه أبو جهل اللعين فتعلق به وأراد ان يفضحه فانتصر له أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد وقال خل سبيله فأبى فأخذ له لحي جمل فضربه به فشجه و وطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام أولئك الخمسة في نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن الحرث لقربه بعمه الذي هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعر وعليه الطعام الى فم الشعب

فيخلع

الكاتب النضر بن الحرث فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل النضر كافرا قال ابن كثير والمشهور ان كاتبها منصور بن عكرمة وقد شلت يده وقيل كتب منها نسخ والذي كتب المعلقة في الكعبة هو الذي شلت يده وهي التي أكلتها الارضة كذا في السيرة الحلبية (قوله ابن الحرث) نسبة لجده اذ هو ابن عمرو بن الحرث

فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعزة هشام بغمه هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنجاه حتى قال لو وجدت رجلا قال انا قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير بن أبي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري واستنجاه ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة واستنجاه فقال هل من احد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يبدأ بكلام فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انانأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل اعنه الله كذبت والله لا تشق فقال له زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وقال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها وبما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل اشتور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان الله سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم فأخبرهم أبو طالب بذلك وقال أنزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فننظر وها فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك انه لا مانع انهم لما رأوا ذلك وازدادوا شرا قام أولئك الخمسة في اذهابها من أصلها فسعوا في نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان أبا طالب انما أخبر بعد سعيهم في نقضها ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم (فتية) اى كرام جمع فتى وهو السخي الكريم وفيه تصريح بما أومأ اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق (يبتوا) اى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا (على فعل خير) وهو نقضها وا لخاطر دون بالنفوس اشدة قريش في ابقائها مع كثرتهم وعتوهم (حمد الصبح) اى الفجر او الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذي هو من الزوال الى الغروب (أمره) اى شأنه وغايته (والمساء) واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دل على شدة المبالغة في وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فما ثم العقلا فأولى واحرى بذلك وبين الصبح والمساء الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما يأتي وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لا يتأتى على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كما مر مبسوطا (يالاهر) بفتح اللام هو نقضها وناداه على

(قوله فيخلع خطامه) بكسر الخاء حبل يقاد به البعير (قوله بنت عبد المطلب) فهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ابغنا ثالثا) اى اطلب قال الكواشي في تفسيره يقال ابغني بكسر الهمزة اى اطلب لي وبفتحها أعني على طلبه (قوله واستنجاه) اى استفتاه اى مدحه كما في القاموس (قوله فذهب الى ابي البختري) بضم الباء والتاء بينهما خاء معجمة ساكنة كذا في شرح ابن عبد الحق وسيرة الحلبي وبعضهم قال بالخاء المعجمة وبعضهم قال بفتح الباء والتاء وبينهما خاء معجمة والراء مكسورة (قوله بحلة) اى منجملا بلبس حلة (قوله فقال أبو جهل الخ) ذكر في السيرة قبله ما نصه وقال هشام بن عمر وبحوا من ذلك اه وهشام بن عمرو هو هشام بن الحرث أحد الخمسة فالشارح نسبه لجده وصاحب السيرة نسبه لابيه كما سبق (قوله فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها الخ) في السيرة الى الصحيفة فشقها وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا (قوله فازدادوا شرا) اى غالبهم والا فبعضهم ندم وقال بغينا على اخواننا وظلمناهم (قوله أوما) بالهمز ولا يقال اوميت بالياء كما في المختار

(قوله لكونه أول من كذب أبا جهل) تعليل لمحذوف اى وثنى به لكونه (قوله كعامر) الذى مر انه رد عن زهير لا عن هشام ولم يتقدم فى الشرح لهشام كلام حين اجتماعهم مع ابى جهل وقومه (قوله أكل منسأة) والحكمة فى الاكلين سواء منسأة سليمان ليعجز الجن عن علم الغيب اى عن ادعائه والصحيفة لاذهاب مافيها من القطيعة والبين ليظهر عجزهم عن بقاء مرادهم من دوامها وعن نفاذ مافيها (قوله من الاعمال الشاقة) اى بناء بيت المقدس لان داود عليه السلام اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط اى خيمة موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله وأعلم به فأراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا اى قصرا من قوارير اى زجاج ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه واراد وا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الخ (قوله ان لهم سنة مسخرين) وسبب معرفتهم ان المدة سنة انهم وضعوا الارضة على العصى فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة كما فى تفسير البيضاوى

طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم يا للدواهى اذا تعجبوا من كثرتها (أتاه بعد هشام) بن الحرث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤى فهو عامرى وقدمه لما مر انه أول الخمسة والسبب فى اجتماعهم (زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد (انه) بالكسر استئناف فيه معنى التعليل لكونه أول من كذب أبا جهل اللعين وورد عن هشام كعامر (الفتى) اى الكريم فى قومه (الاتا) صيغة مبالغة من أتى ففيه مع تاه جناس الاشتقاق كما فى فديت وفداء (وزهير) بن ابى أمية بن المغيرة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (والمطعم بن عدى وأبو البخترى) وأتى هؤلاء الخمسة النقض لا عن اتفاق ومواطأة بل انما أتوه اتيانا كائنا (من حيث) ظرف مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحه وجره وحاث وحوث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائى وعدم اضافتها بالكلية اندر فتعوض ما وتصرفها نادر بل أنكره أبو حيان والغالب كونها فى محل نصب على الظرفية أو خفض بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسى رحمه الله تعالى انها فى قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته مفعول به اذا المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيأ فى المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اول بعالم (شاؤا) اى من المكان الذى قصدوه لتدبير أمرهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه ونتج الانتاج الذى دبروه (نقضوا) بدل من فعل خير من نقض العهد أبطله (مبرم) اى محكم وأصله كالبريم الحبل الذى جمع من مفتولين فتلا اى حبلا واحدا (الصحيفة) التى توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا أن يسلموها هم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم (اذ) اى وقت اولا جل ان (شدت) اى صمت (عليه) اى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة (من العدا) بيان لقوله (الانداء) جمع نادوهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر سمى من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه (اذ كرتنا) بعد نسيانا جملة استئنافية لبيان الاكل الارضة للصحيفة نظيرا وهو اكلها العصا سليمان عليه الصلاة والسلام (باكلها) اى تلك الصحيفة والضمير للارضة الآتية التى هى الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وهو سائغ (اكل) مفعول أذكرا الثانى (منسأة) اى عصا (سليمان) بن داود صلى الله عليه وسلم لما مات وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيداومون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة ولما علموا موته لا اكل الارضة لمنسأته فخروا فعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين فى العمل وانهم كانوا كاذبين فى ادعائهم علم الغيب ولذا قال تعالى عز قائلا فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن

(قوله وهي دويبة الخ) واذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام (قوله ذريعا) اى سريعا (قوله الغيوب) جمع غيب ١١٥ وهو ما غاب من العيون (قوله اما بوحي الخ) فمن حصل له ذلك في جزئية او جزئيات لا يقال فيه انه يعلم الغيب وقد يحصل لغير الاولياء معرفة ذكورة الحمل وانوثته بطول التجارب وقد يخطئ الظن وتنخرم العادة والعلم الحقيقي عند الله سبحانه وتعالى وظاهر آية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها ان الغيب الذي لا يعلمه الا الله مكان الوفاة لا وقتها ويوافق ذلك ما روي ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شئت انبأتك عن نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة أيام وانك لا تموت حتى تعمى وأنا لا يحول على الحول حتى أموت قال أين موتتك يا يهودي قال لا أدري قال ابن عباس صدق الله جل جلاله وما تدري نفس بأي أرض تموت فرجع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة أيام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس أعمى اه من شرح الترتيب للعراقي (قوله متصل) سيأتي له في مبحث الولاية آخر الكتاب ان الاستثناء منقطع فراجعه (قوله بكتاب حاطب) قال في المواهب ولفظ الكتاب الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له

ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (الارضة) بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة تأكل الخشب اكلا ذريعا (الخرساء) فيه تعجيب من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير وانيات الخرس لها مجاز اذ الخرس حقيقة فقد النطق عما من شأنه النطق (وبها) أي ويا كلها للصحيفة (اخبر النبي) صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا كما مر مبسوطا (وكم) مرات كثيرة (اخبر) صلى الله عليه وسلم اى اظهر (خبا) اى شيأ مخبأ (له الغيوب خباه) اى ساترة وبين خبا وخباه الجناس المحرف وفي كم الخ التذييل * (تنبيهان) * أحدهما يجب على كل مكلف أن يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما حصل لرسله وأوليائه منه فهو اما بوحي من الله او الهام والاستثناء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى الخ متصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة أولياء اتباع من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي * (ثانيهما) * في بيان ما أشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات * وحاصل شئ من ذلك مما يدل على كثرة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب ما في القرآن منها ما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كما انظر الى كفي هذه وخبر أبي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والآخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فألبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس بيدر يعتركه بمكة من المال عند زوجته وليطلع عليه أحد غيرهما وأخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقتها حين ضلت وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد أمراء الجيش الذي أرسله لمؤتة بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة بجعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وبان بنته فاطمة رضي الله تعالى عنها أول أهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية أشهر أو ستة وبان اشقى الاولين والآخرين قاتل علي كرم الله وجهه يضربه في يافوخه فيبتل من دمها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك فمات منها وبان معاوية رضي الله عنه يلي أمر أمته وبأنه لم يغلب رواهما ابن عساكر ومن ثم قال

الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له فانظروا لانفسكم والسلام (قوله لموتة) بضم الميم ثم همزة ساكنة وبجوز ترك الهمز كما في نظائره (قوله وبان اشقى الاولين) اى من العصاة المسلمين والا فأبو جهل وأبو لهب واضرابهما اشقى منه أفاده الدنوشري

(قوله القيصوم) بالقاف والصاد المهملة اسم نبت النافع منه اطرافه وزهره مجرب لداخانه يطرد الهوام شرب صحيفة نافع لعسر النفس والبول ويقتل الدواب اه ١١٦ من القاموس (قوله عالم المدينة) الاضافة على معنى في (قوله هو مالك بن أنس)

لا يقال علماء المدينة كثير منهم الفقهاء السبعة وغيرهم من مشايخ مالك لان مذاهبهم لم تنتشر في الاقطار كانتشار مذهبه وكذا يقال في عالم قريش (قوله وابو حنيفة) قال اشهب بن عبد العزيز رأيت ابا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي امه قال الذهبي وهذا يدل على حسن ادب ابي حنيفة مع كونه أسن من مالك بثلاث عشرة سنة اه من طبقات المناوي قال الملا علي قاري في شرح عين العلم الذي هو مختصر الاحياء ما نصه وقد أورد بعضهم حديثا في مدح أبي حنيفة وهو أبو حنيفة سراج أمتي وهو حديث موضوع كما قاله الصاغاني وغيره بل قال السيوطي وما يورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث باطل لا اصل له نعم أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في انه هل روى عن الصحابة أم لا وما يصلح للاستدلال على عظم شان أبي حنيفة ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكوردري هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان =

علي كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته و بان عثمان يقتل مظلوما و رواية تقتل وأنت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعة و بوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس أهلها وابضاعهم وأموالهم وقتل سبعمائة ممن يحفظون القرآن منهم ثلثمائة صحابي وانقض منها ألف عذراء و بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير على رضي الله تعالى عنهم ولذلك قال علي للزبير لما بارزه بعد أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته انه مخطئ وهو له اجر بنص الحديث الصحيح ويجاب بان أصل الظلم وضع الشيء في غير محله وان لم يكن فيه اثم فالمراد وانت قد وضعت القتال في غير محله خطأ منك لا تعمدا أو فأنت له ظالم حقيقة لو نظرت في الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان المجتهد المخطئ له اجر و بقوله في الحسن بن علي كرم الله وجهه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد أبيه فمكث خليفة ستة أشهر ثم سار لمعاوية بأربعين ألفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك ابتغاء لوجه الله كما جاء عنه رضي الله عنه ثم أرسل لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فأرسل اليه قرطاسا أبيض وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية من يومئذ خليفة حقيقة و بقتل الحسين بن علي كرم الله وجهه بالطف وأخرج يده تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحمه فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل فيه فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلاء وفي رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل وأخبر ابن عمر انه سيعمى لما رأى جبريل معه في صورة رجل وأخبر أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها ستلده و بانه أبو الخلفاء و بان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم و بقوله يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلوا ومن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام اهل مصر وأبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد وذو النون المصري

المصرى والفضيل وابن المبارك وابن أدهم رحمهم الله وبعالم قريش وانه يملأ طباق الارض علما قال أحمد وغيره نراه الشافعى لانه لم ينتشر فى طباق الارض القرشى صحابى اوغيره ما انتشر للشافعى اى والذى انتشر لعلى وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصغانى ان الحديث موضوع تهور منه وانما فيه نوع ضعف ذكر له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلانى طرقه فى كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علىّ كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود احد عضديه مثل ثدى المرأة فقاتلهم علىّ واخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس بالوصف الذى وصفه به صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجئة وبان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها تكون كلها فى النار الا الفرقة التى تكون على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة اى قربه بتقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقى ومما وقع منها النار التى قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضىء لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة وتقدمتها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتعلى كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم واحد ثمان عشرة زلزلة لكن بركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد وريثت من مكة وجبال بصرى وانطفأت ليلة الاسراء سابع عشرى رجب وقد اوسع المؤرخون فى اخبارها بما يطول استقصاؤه واذا تأملت ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لاسيما ما يتعلق بأمر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عنايته به تعالى به وانه لا يضيعه أحد قط ومن ثم عقب الناظم ذلك بقوله (لا تخل) بفتح التاء الفوقية والمعجمة من خلت الشئ خيلا ومخيلة ظننته (جانب) هو فى الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية (النبى مضاما) اى مضيعا (حين) وفى نسخة حيث والاول اظهر اذ هو ظرف لمضاما (مسته) صلى الله عليه وسلم (منهم) متعلق بقوله (الاساءة) اى الايذاآت الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى فى مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الآيات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من ايذاآتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله اذ أصابهم من ايذاآت أممهم مثل ذلك او اكثر منه لكن (كل أمر) من

=== فى مناقب أبى حنيفة النعمان

وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته اه وقوله وقد ثبت الخ غير صحيح لان الامام عليا مات قبل تمام سنة أربعين من الهجرة والامام أبو حنيفة انما ولد سنة ثمانين منها فقد مات الامام على قبل ولادة أبى حنيفة بأربعين سنة الا أشهرا وقد ذكر الشعرانى فى طبقاته انه لم يكن فى زمن أبى حنيفة من الصحابة الا أربعة انس بن مالك وعبد الله ابن ابى أوفى وسهل بن سعيد وابو الطفيل وهو آخرهم موتا ولم يأخذ عن احد منهم اه كلام الشعرانى فعنده انه لم يأخذ عن الصحابة ولم نعلم من اجتمع به من هؤلاء الاربعة (قوله ومنه) التهور الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة اه مختار (قوله مضيعا) اى لا انتصار بعده (قوله الاساءة) جمع سوء وساءه اى فعل به ما يكره

الامور العظيمة (ناب) اى اصاب (النبيين فالشدة فيه) التى تحصل لهم منه (محمودة) لانها لرفع درجاتهم العلية (والرخاء) اى السعة فيه محمودة ايضا لانه لتكثير اتباعهم وتفنى اعداؤهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه ان من المقرر فى العقول انه (لو يمس النضار) اى الذهب (هون) بالضم اى هوان (من) ادخاله الى (النار) لاختبار خلوصه من الغش والنقص (لما اختير للنضار الصلاء) اى العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من ادنى نقص يصيبه فالانبياء كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما أن النار لا تزيد الذهب الا خلوصا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة وفى لا تخل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه * ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب النبى مضاما يرهن عليه بقوله (كمبد) اى جارحة (عن نبيه كفها الله) اى منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء قصد به صلى الله عليه وسلم (و) الحال انه قد وجد (فى الخلق) اى المخلوقين الذين هم أعداؤه المريدين لاهلاكه (كثرة واجتراء) اى شجاعة وتهورا واقداما على فعل ما خطر فى النفس من غير نظر فى عاقبته (اذ) ظرف لكف اى وقت ان (دعا) اى طلب حال كونه (وحده العباد) كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات (و) ان (امست) اى حصلت اذ أمسى يستعمل كثيرا فى ذلك (منه) فى كل الازمنة (فى كل مقلة) منهم وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد (اقذاء) جمع قذى وهى ما يستقط فى العين مما يؤلمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى اندية هم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقرب أقاربه كعمه ابى لهب فى ايذائه والتجرئ عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه معتمد على ما هو فيه غير ملتفت لايذائهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيأ فشيأ الى ان مكنه الله تعالى من نواصى أعدائه فاذاق من بقى منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم العزة مأمن البقاء والامان ومما ينبئك بعظيم ايذائهم له ونصره عليهم ما ذكره أهل السير ان عمرو بن العاص قال للزبير ما اكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فاساءوه ثم مر بهم فاساءوه فوقف فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم فالانوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه بسب آلهتهم فأخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام اليه أبو بكر وحال بينهم

(قوله فالشدة فيه محمودة) اى لانهم أجل من يتحلى بمقام الرضا وشهود الشدة منه سبحانه والتلذذ بذلك الشهود (قوله لرفع درجاتهم) قال القاضى عياض وليعلم انهم من البشر يصيبهم محن الدنيا وما يطرأ على أجسام البشر فيتيقن انهم مخلوقون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات اه (قوله الصلاء) بكسر الصاد اه ابن عبد الحق (قوله مكلوء) اى محفوظ بكلاءته بالكسر والمد اى حفظه (قوله وارتعدت منها فرائصهم) جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكبد اى التى لا تزال ترعد من الدابة (قوله يؤنبونه) قال فى الصحاح أنبه تأنيبا عنفه ولامه

(قوله واما قول بعضهم) وهو شارحها المالكي الشهاب بن الاقطع البراسي (قوله فأبي السيف) في نسبة الاباء اليه مجوز (قوله وصح ان غورث) بضم الغين المعجمة وفتحها أسلم وصحف النبي صلى الله عليه وسلم ١١٩ ومات بعد ذلك (قوله اخترط سيفه)

وبينه كما مر *(تنبيه)* قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى في العين مستعار لما حصل لهم في عيون بصائرهم من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم كما مر آنفا وأما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالقذى ما على أعينهم من الغشاوة المانعة من النظر في أمره الحاجبة لهم عن اتباعه أو يريد ما على قلوبهم من الران والصدا الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة مما يعلوها من الران والصدا اه فهو غفلة عن سياق المتن اوعدم تأمل له بالكلية لانه انما حكم بأنه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى بكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح تفسير القذى بشئ مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتأمله والدليل على تلك الحراسة الباهرة انه (هم قوم) يدخل فيهم النساء تبعا (بقتله) بالسيف (فأبي السيف) اى امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه (وفاء) اى لاجل وفائه بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير ماهر فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة تظله فنزلها تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك مني قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث بن الحرث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده في يده صلتا فقال من يمنعك مني قال الله عز وجل فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها اغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فأنكروا عليه فقال نظرت الى رجل أبيض طويل دفع صدري فوقعت اظهري وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك واسلمت (وفاءت) اى رجعت على راميها وبينه وبين وفاء الجناس اللاحق (الصفواء) اى رجعت الحجارة عن اصابته بل جدت في يد راميها الذي هم بقتله أيضا (و) هم (أبو جهل) بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان من أشد الاعداء على رسول صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه احلامهم وسب آلهتهم فاظهروا له شدة الاباء والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ماترون وانى اعاهد الله تعالى انى لاجلس له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشئ ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون

(صلتا) بفتح الصاد وضمها اى مسلولا اه شرح مسلم للنووي (قوله مع رجل) هو غورث بن الحرث كذا في شرح الشهاب البراسي (قوله الجناس اللاحق) فيه ان الجناس بين قوله وفاء وقوله وفاءت وحينئذ فهو جناس ناقص ويسمى مطرفا حيث وجد النقص في الطرف كما هنا فلها سمان اذوا والعطف وتاء التأنيث حرفان مستقلان (قوله اى رجعت على راميها) فيه انها لم ترجع عليه وانما جدت في يده فالظاهر ما ذكره بعد من رجوعها عن الاصابة تأمل (قوله الصفواء) قال في القاموس والصفاة الحجر الصلد الضخم لا ينبت الجمع صفوات وصفا جمع الجمع اصفاء وصفي كالصفواء والصفوانة جمعها صفوان ويحرك اه (قوله بل جدت) من باب دخل ونصر (قوله وهو ابو جهل) هذا التقدير لا يناسبه واحد من الاعرابين الآتيين وكانه لمجرد بيان المعنى فقط اه طبلاوي والضمير راجع للرامي في قوله جدت في يد راميها ولعل هو محرف عن هم فيكون قد قدر ما يوافق الاعراب الاول من الاعرابين الآتيين تحرر وقد وجدت في نسخ ذلك ويعين ذلك قوله بعد ظرف لهم الخ وقد يقال بعدم تعيين ما يأتي بعد لذلك * فقال أن يراد بقوله ظرف لهم المقدر على احد الاعرابين الآتيين له لا على ما قدره قبل ويكون ما يأتي له حل اعراب وما ذكره هنا حل معنى كما علمت من المنقول عن الطبلاوي تأمل

(قوله وضمها) والضم هناك متعين للنظم (قوا والطائر العظيم المعروف) قال استاذنا في شرحه نقلا عن الجامع الكبير عازيا اى الجامع للسيط المسعودى في مروج الذهب عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى خلق طائرا في الزمن الاول يقال له العنقاء فكثر نسله في بلاد الحجاز فكانت تخطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان وهو نبي ظهر بعد عيسى اى على قول تقدم رده فدعا عليها ان يقطع نسلها فبقيت صورتها وفي المثل طارت به العنقاء وفي المختار العنقاء الداهية وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ١٢٠ (قوله جناس الاشتقاق او شبهه) ان كان المراد بالاشتقاق الاشتقاق النحوى وبشبهه مجرد المشاركة في المادة فهذا من شبهه وان كان المراد بالاشتقاق المشاركة في المادة أعم من الموافقة في المعنى فهذا منه لكن رأيت في كثير من شروح البديعيات ان الاشتقاق ان يشتق من الاسم العلم معنى لمدح أو هجاء كقول ابن دريد في تقطويه النحوى

لو أوحى النحو الى تقطويه
ما كان هذا النحو يعزى اليه

أحرقه الله بنصف اسمه

وصير الباقي صراخا عليه اه وعليه فعنق وعنقاء ليس من هذا القبيل وانظر المراد بشبهه الاشتقاق على هذا المعنى حتى يكون هذا منه وفي مواضع من الشرح سابقا ولاحقا ما يدل على ان المراد بالاشتقاق الاتفاق في المادة مع المشاركة في أصل المعنى وبشبهه مجرد المشاركة في المادة من غير مشاركة في أصل المعنى كما في بديعية الزفتاوى وسيأتي في شرح وكم سام الشقوة الاشقياء وفي الكتابة عليه ما يصرح بأن المراد هذا وتقدم أيضا ما يؤيده عند قوله وشفعنا بقولها الشفاء ينبعه

وقوله قصور وتقصير واعلم الاشتقاق عند أهل البديع قسمان القسم الاول ما نقلناه عن كثير من شراح البديعيات والقسم الثاني ما ذكرناه عن الزفتاوى فتدبر وحرر (قوله وظاهر قول القاموس) لم يقل ويعين لاحتمال ان تقاضاه في القاموس المراد به تقاضى منه فيكون على نزع الخافض (قوله مع هذا الرجل وغيره) يشير بذلك الى ان الناظم أراد ذم بيعه وشرائه من حيث هو لا بخصوص الواقعة لكونه أبلغ في الذم ومن ثم حسنت مراعاة النظير

احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما مقهقرا لانه مر هو باقدم يبست يداه على الحجر حتى قذف فقاموا اليه وقالوا له مالك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه لفحل قط فهم بي ان يأكلني وذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا مني لاخذه (اذ) ظرف لهم المقدر قبل ابو جهل لانه معطوف على هم قوم يقتله بالحجر اى وهم ايضا ابو جهل يقتله بالحجر الذي حمله وقت ان (رأى عنق) بسكون النون وضمها (الفحل) وقد برز اليه (كأنه العنقاء) اى الداهية العظيمة او الطائر العظيم المعروف وبين عنق وعنقاء جناس الاشتقاق او شبهه وما ذكرته من ان ابو جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما ذهله والحق انه معطوف على الصفواء اى رجعت الصفواء عن الوصول اليه صلى الله عليه وسلم ورجع ابو جهل عن الرمي بها وقت رؤية الفحل فاذ حينئذ ظرف لفاءات مع فاعلها وما عطف عليه (واقتضاه) معطوف على هم قال الشارح وكأنه على نزع الخافض اى اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلان طلب اليه ان يقتضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اى طلب (النبي) صلى الله عليه وسلم من ابي جهل اللعين ان يؤدي (دين) كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث (الاراشي) بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على نادي قريش فقال هل من رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له يخلصك منه الا ذلك الرجل اى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد سألت أولئك القوم فأشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف (وقد ساء بيعه) ذكر مع ان الكلام ليس الا في الشراء لانه نظيره فهو من مراعاة النظير (والشراء) اى وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه أمروا احدا منهم ان

يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه فدخل فأخرجه اليه فجاء الى أوائك واخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا له ويلك والله ما رأينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابى فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا صورته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلنى (و) من ثم (راى) ابو جهل البعير محمدا (المصطفى) صلى الله عليه وسلم وقد (اتاه بما) اى بفحل ابل (لم ينج) بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ولا يجوز كما هنا لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو أو انجى ينجى فهو ناج ومنج (منه دون الوفاء) لذلك الدين الذى للاراشى (النجاء) بوزن الضراب مبالغة فى ناج فالوفاء مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا فالوفاء ممدود وفى القاموس نجا نجوا ونجاء ونجاة ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفا مقصور وعلى كل هو فاعل ينج ونظيره فى المصدر قول الحاجرى ملأ الوجـ * ـد فؤادى وبرح التبريح أى ذلك الفعل لا ينجى أولا ينجو منه النجاء بالمبالغة اى من تكررت نجاته من الامور الصعبة الان وفى ذلك الدين أولا ينجو منه النجاء بالتخفيف الابعد ذلك الوفاء (هو) اى الفعل المرئى فى هذه الواقعة (ما) أى الفعل الذى (قدرآه من قبل) أى فى الواقعة السابقة فى قوله وفاءت الصفواء الخ (لكن) لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين (ما على مثله) فى العتق والتهور السالبين لادراكهما الموجبين لاهلاكه وهو أبلغ من عليه لانه لحصر اثبات الحكم عليه بينة على حد مثلك لا يخل (بعد الخطاء) لان خطأه لا ينحصر فلا يعد ومد الخطاء لغة شهرة *(تنبيه)* قد يسئل عن الحكمة فى كون أبى جهل منع فى هاتين الواقعتين من أن ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمؤذ مطلقا أشد المنع ولم يمنع من القاء سلى الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلى قلت كان السر فى ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفى أمثاله ممن كانوا أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم بدعوته والقائهم فى القليب على أخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه ومختصر تلك القصة أنه صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى كان يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها فيجئ به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم وهو عقبة بن أبى معيط فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا اى لانه لم يعلم بخصوص ما وضع له وانما لم يقل انه أعاد لاحتمال انه كان فى نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما فى

بالمباشرة فكان أشقاهم ولذا قتلوا فى الحرب وقتل هو صبرا وفيه ان عمارة لم يمت فى الحرب كما سيأتى

(قوله عليك بقريش) اى باهلاك كفارهم أو من سمى منهم فهو عام أريد به خاص ثم سمى اى عين وفصل ما أجمل قبل (قوله وقدمه لانه اشقاهم) اى اشقى من دعا عليهم لشدة تعنته فى كفره وشدة أذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما ذكره سابقا من ان عقبة بن ابى معيط اشقاهم اى الجمع من كفار قريش ومنهم أبو جهل لان ذلك من جهة مباشرته لرمى القذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل اشقى من جهة (قوله والوليد بن عقبة) كذا بالقاف فى صحيح مسلم أيضا واتفق العلماء على انه غلط وان الصواب عتبة بالتاء كما ذكره مسلم فى رواية أبى بكر بن أبى شيبة وقد ذكره البخارى فى صحيحه على الصواب والذى بالقاف هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط ولم يكن فى ذلك الوقت موجودا أو كان طفلا صغيرا جدا فقد أتى به النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقد ناهز الحلم ليمسح على رأسه اه من شرح مسلم للنووى (قوله ثم سحبوا الى القليب) اى تحقيرا لشأنهم ولئلا يتأذى الناس برائحتهم والا فالحربى لا يجب دفنه (قوله الورقاء) اى التى فى لونها بياض الى سواد كما فى المختار ولا يخفى ان ذلك معناها بحسب الاصل والمراد هنا تشبيهها بها فى الاسراع كما ذكره الشارح (قوله أو سورته) قال فى المختار سورة الغضب وتوبه وسورة الشراب وتوبه فى الرأس وسورة الحمى وتوبها وسورة السلطان سطوته واعتداؤه (قوله من أحمد) بالتنوين للضرورة (قوله اما حقيقة) وهو

سورة المزمل وهو صلاة الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وقدمه لانه أشقاهم وأشدهم اذية له صلى الله عليه وسلم وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم وأتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم فى القليب وقول عبد الله بن مسعود رأيتهم صرعى فى القليب مراده أكثرهم فان عمارة انما مات بأرض الحبشة لكن على أشهر قولة فانه تعرض لزوجة النجاشى فأمر ساحرا فنفخ فى احليله من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات فى خلافة عمر وأيضا عقبة بن ابى معيط انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وألقى ثم وامية بن خلف وان قتل ببدر لم يطرح فى القليب (وأعدت) عطف على هم اى هيأت ام جميل بنت حرب بن أمية (حمالة الحطب) لقبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها عنهما الله (النهر) اى الحجر الذى يملأ الكف لما أنزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا أبى لهب السورة (و) الحال انها قد (جاءت) اليه وهو فى المسجد وأبو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهى فى غاية الاسراع والعجلة (كأنها) الحمامة (الورقاء) اى الشديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة (يوم) ظرف لأعدت (جاءت) فى حال كونها (غضبى) من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وفى نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد يؤججها طروّ السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شئ فى المغضوب عليه سمى غيظا كذا قيل وفى القاموس الغيظ الغضب أو اشده أو سورته أو أوله وحال كونها (تقول أفى مثلى) وأنا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بيقال (من أحمد) حال من الهجاء (يقال الهجاء) اى السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير آلهتهم فمن ابتدائية نعم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هؤلاء فمن تعليلية اى يقول الههه ذلك لاجله (وتوات) عطف على أعدت (و) الحال انها (مارأته) اى وكيف تراه

كذا بخط المؤلف رحمه الله تعالى وكأنه حذف المقابل اكتفاء بقوله نعم الخ

وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهى أعنى تلك المرأة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة (ومن أين ترى الشمس مقلة) اى عين (عمياء) ولما رآها أبو بكر رضى الله عنه قال يارسول الله انها امرأة بذية فلو قمت قال انها لن تراني فجاءت فلم تره فقالت ياأبا بكر أين صاحبك كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت أنت عندى تصدق وانصرفت فقلت يارسول الله لم ترك فقال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية قد أخذ الله ببصرها عنى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم *(تتمة)* قرأ صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فحينئذ ألقى الشيطان فى امنيته اى فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتن لترجى وفى رواية ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده آخر السورة سجد المسلمون وسجد المشركون معهم لتوهمهم انه مدح آلهتهم وفى رواية ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية فنشا ذلك فى الناس واظهره الشيطان حتى بلغ المسلمين فى الحبشة فاقبلوا سراعا ما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى أشدما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق أو غرنيق وهو طير الماء شبهت بها الاصنام لاعتقادهم انها تقرب بهم الى الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو فى السماء وترتفع *(تنبيه)* كثر كلام العلماء رحمهم الله تعالى فى هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ فى انكارها وبطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازى وسبقهما لنحو ذلك البيهقى وأيد وابان البخارى وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوز على نبى تعظيم وثن فقد كفر وبأنها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابى حاتم والطبرانى وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحق فى السيرة وموسى بن عقبة فى المغازى وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة لانه لم يرها مسندة من وجه صحيح اه وردعليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بأن طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور وزعم ابن العربى وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس فى محله اذ لا يمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ

(قوله من عمى البصيرة) فيه ان المقام لعمى البصر ولذا قال الناظم مقلة عمياء وقال فى الرواية الآتية لم يزل ملك الى آخرها وفى الرواية الثانية قد أخذ الله ببصرها عنى (قوله اذ كرت هجوا الخ) فى نسخة وذكرت بتاء التأنيث هجوا قبيحا قال الشهاب البراسى المالكى وهو قولها مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا * اه لكن قوله فقلت لا يؤيد نسخة أذكرت بهمزة الاستفهام وضمير المتكلم وقوله يسبون ويهجون مذمما ربما يؤيد النسخة الاخيرة لذكرها مذمما فيها نقل عنها البراسى اللهم الا ان ثبت ان مذمما وقع فى كلام غيرها من الكفار

يتعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد فى القرآن عمدا او سهوا واختلفوا فى تأويله فأخرج الطبرى عن قتادة انه اصابته سنة فجرى على لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه آياته واعترض بأنه لا ولاية للشيطان عليه فى النوم ويجاب بأن هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما رآه اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رأيت من اجاب بما يؤيد ماذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربى وايدوه بما جاء عن ابن عباس فى تفسير تمنى بتلا فعنى فى امنيته اى فى تلاوته وفى ذلك اخبار منه تعالى بأن رسله اذا قالوا او لا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا لهم بين الله تعالى بطلانه فعلم ان هذا نص فى ان الشيطان زاد فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم ما قاله لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبرى مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة مساعدته فى العلوم نصوبه وارتضاه واما الجواب بأن الشيطان ألجأه الى التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بأن الشيطان لو قدر على ذلك لم يمكن احدا من طاعة او بأنه علق بحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح آلهتهم فجرى على لسانه سهوا فهذا افسد مما قبله او بأنه قاله تقية لكفارهم وبعيد وان ارتضاه عياض كما اقلانى فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام فى الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بأنه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان يأتى بذم آلهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد او بأن المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فسوق ذكرهم ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا فنسخ الله تلك الكلمة واحكم آياته فهو ابعد مما قبله (ثم) بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع له كرامة اخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه (سمت له) زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم (اليهودية الشاة) اى جعلت له فيها سما قاتلا لو قته لانها شاورت يهود فى سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه فى الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع (وكم) مرات كثيرة (سام) من السموم الذى هو مقدمة الشراء او الذى هو الرعى وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق (الشقوة) اى ثابر عليها وتحلى بها (الاشقياء) الذين صاروا كالانعام بل

(قوله فجرى على لسانه) كان الظاهر ان يقول فألقاه الشيطان بصوت كصوته ليلائم الجواب قتأمل (قوله سنة سبع) صوابه سنة ثمان لان غزوة حنين عقب فتح مكة والفتح كان سنة ثمان وسيأتى التصريح بذلك فى كلام الشارح عند قوله من فضه لا على هوازن (قوله لما قيل لها الخ) انما يقتضى اكثارها السم فى الذراع مع ان المدعى انها أكثرته فيها وفى الكتف واعل اكثارها فيه ملاحظتها احتمال فراغ أكله الذراع فيأكل منه الغير بعده فيزيد تأثير السم (قوله يحب الذراع) اى لنضجها وسرعة استمرائها مع لذتها وحلاوة مذاقها (قوله الشقوة) بالكسر وفتحه لغة اه صحاح وقال فى القاموس هى الشدة والعسر وفى المختار انها خلاف السعادة (قوله اى ثابر عليها) المثابرة على الامور المواظبة عليها اه مختار

(قوله وقول الشارح ان سام وسمت من هذا) اى من جنس الاشتقاق تساهل اى وانما هو شبه اشتقاق لانهما وان اشتركا فى غالب الحروف لم يشتركا معنى فتأمل (قوله فقال اخسؤا) قال فى القاموس خسأ الكلب كمنع طرده خسأ وخسوأ والكلب بعد كالخسأ وخسئ والبصر كل والخاسئ من الكلاب والخنازير ١٢٥ المبعد لا يترك ان يدنو من الناس اه والمعنى هنا ابعدوا ولا تدنوا منا واوضح من ذلك ما ذكره البيضاوى فى تفسير اخسؤا فيها حيث قال اى اسكتوا سكوت هوان ثم قال من خسأت الكلب اذا زجرته خسأ (قوله مصلية) اى مشوية بالنار (قوله اعنى انه) اى الذراع وذكره مع انه مؤنث بدليل قوله فى الحديث أخبرتنى نظرا للتسمية عضوا (قوله واحتجم صلى الله عليه وسلم) اى بأمر جبريل له بالحجامة لحديث الحجامة فى الرأس هى المغيثة أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية وهذا صريح فى ان احتجامه لا كله طعام اليهودية المسموم كان فى الرأس والذى فى الشارح انه احتجم على كاهله فان ثبت انه احتجم فى الموضعين فلا اشكال تأمل (قوله فانتهش منها) قال فى الصحاح النهش أخذ اللحم بمقدم الاسنان وهو ينتهش بالسين والشين جميعا (قوله دفعها الى أوليائه الخ) فيه انه قد ذكر سابقا ان أصحابه الآكلين ماتوا فلم اختص دفعها لاولياء بشر دون أوليائهم ولعل لعدم تحقق موتهم بالسم بخلاف بشر فتأمل (قوله يجرحها البهاء) فيه تلميح الى قولهم البهاء جرحها جبارا اى لا قصاص فيه ويحكى ان خطافا رادوخطافة فى قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فسمعه يقول بلغ من حبك انك لوقدرت اهدم القبة على سليمان فعلت فاستدعاه عليه الصلاة والسلام فقال لا تجهل ان للمحبة لسانا لا يتكلم به الا المجنون والعاشقون ما عليهم من سبيل فانهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل فضحك منه صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه وقال هذا جرح جبار ذكره الاكبرى

هم افضل سبيلا ومنهم ثلاث المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا تساهل وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الى من هنا من اليهود فجمعوا له صلى الله عليه وسلم فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ذلك قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك او نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى النبى صلى الله عليه وسلم فأكل منها واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال صلى الله عليه وسلم سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتنى هذه الذراع ومن ثم قال (فالذراع) اى اظهر له صلى الله عليه وسلم (الذراع ما فيه من سر) اى سم (بنطق) معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك اعنى انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتنى هذه الذراع (اخفاؤه) عن الحاضرين (ابداه) له صلى الله عليه وسلم اى هو وان خفى عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال صلى الله عليه وسلم لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها او توفى اصحابه صلى الله عليه وسلم الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل منها وفى رواية غير ابى داود انها جعلت تسأل اى الشاة أحب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى عنزلها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موح اى يقتل لوقته فسمتها به وأكثرت منه فى الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فأداروا لقمتيهما وأكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى انها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى أوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطى ورواية انه قتلها تعارض رواية البيهقى عن ابى هريرة وجابر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها ومن ثم قال (وبخلق من النبى كريم) بل لا أكرم منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اى بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح (لم تقاصص بجرحها) بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر

(الجهاء) اى المرأة ويقال للبهيمة أيضا وقال الزهرى أسلمت فتركها وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت استبان لى الآن انك صادق وانى أشهد لك ومن حضر أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقى بأنه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السهيلى وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر أحدا من الصحابة روى عنه انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء فى رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسه ان يقتلها بسموم كما ان اليهودى الذى رض رأس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك الحجر اشعارا للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب فى قتل القصاص كما يصرح به كلام ائمتنا لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما أمكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ائمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب فى غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذى نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت قلت الذمى اذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق فى احكام لا يبعد ان يكون هذا منها على ان ذلك صار كحربى واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت قولكم ايثارا للمماثلة الخ انما يتأتى على القول بتعينها فى القود واما المخير بينها وبين السيف فيما ليس بمحرم او المخير بينها وبين السيف فى القتل بسموم فلا يتأتى عليه ذلك البحث قلت بل يتأتى على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمل ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتأخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود أيضا لاحتمال انه لتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما فى هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول أئمتنا من أضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فأكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله باختياره والمضيف لم يلجئه الى أكله وذلك لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذى قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات المخالفة فى ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصح عدمه قلت هذا يحصل منه مدعانا أيضا لان ثبوته اذا لم يصح من أصله او بذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه ويخلق من النبى كريم (من) فهو معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استئناف اى انعم نعمة عظيمة (فضلا) مفعول مطلق كفرحت

= عند قولهم مما تعتوا به المحب انه كالدابة جرحه جبار (قوله اى المرأة) ظاهر تفسيره يدل على ان اطلاقه عليها بطريق الاشتراك وليس كذلك بل فى البهيمة حقيقة ويطلق على المرأة تشبيها بها فحق التفسير ان يقول اى كالبهيمة اه دنوشرى (قوله وجمع البيهقى بأنه الخ) اى فقولهم لم يقتلها اى فى الحال وقولهم قتلها اى بعد ذلك (قوله بنقضها العهد) انظره مع ما سبق عن مغازى التيمى انها أسلمت وفى شرح مر عند الكلام على التضييف بسموم ان قتلها لنقض العهد كما ذكره الشارح هنا واعله لم يثبت عندهما ولم يصح ما روى من اسلامها فحرر (قوله ان يقتلها بسموم) لان من قتل بسم يقتل بمثل السم الذى قتل به ما لم يكن مهريا يمنع الغسل والظاهر ان ما هنا لم يكن مهريا ومن ثم تأخر موت بشر مدة عن أكل السم اه ع ش على مر (قوله ان ما فى هذه القصة) فهى واقعة حال فعلية طرقها الاحتمال فسقط بها الاستدلال على كون قتلها قصاصا تأمل (قوله من اضاف انسانا) اى مميزا بقرينة قوله لانه تناوله باختياره اما غير المميز فقد القود كما هو مصرح به فى الفروع (قوله فهو معطوف) اى بحذف حرف العطف

(قوله اى رفع الرق عنهم) اى باعتاقهم لان مالى السبى نساء وذرارى وهم يرقون بنفس الاسر فقول النبى فيما يأتى اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم اى مسلم لكم بعد عتقه وكذا يقال فيما بعد فيحتمل ان العتق فى غير ما للنبى قد فوض اليه ففعل ويحتمل ان كل من سمح بماله من الغانمين تجز عتقه بقى ان طرو الرق على النكاح يفسخه فان كان رد النساء لهوازن من غير عود لازواجهن فلا اشكال والا أشكل الا ان ثبت تجديد عقد وانما لم يذكرهم النبى ذلك لكونهم عالمين بالحكم وفيه أيضا ان ثلاثة اخماس الخمس التى للمتامى والمساكين وابن السبيل لم يذكر فى القصة تبرعهم بها على انهم غير محصورين فلا يتأتى نزولهم عن حقهم الا ان يقال للامام ان يحصر حق بعض المستحقين فى بعض أنواع الغنيمة ويكون قد حصر حق هؤلاء الثلاثة من غير السبى كالابل فحرر (قوله وايهما قصر فضلا) فيه نظر فان النص على الشئ لا ينفى ماعداه دلالة ولا ايهما اه دنوشرى (قوله قريب من ذى الجاز) قال فى الصحاح وذو الجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية اه انظر مع قول الشارح بين ذلك الوادى الخ اذ ليس بين مكة ومنى هذه المسافة تأمل (قوله فى اثنى عشر أفنا الخ) عشرة جاءهم اى الفتح مكة والفان من طلقاء مكة اى الذين اسلموا من أهل مكة يوم فتحها أطلقتهم اى خلى سبيلهم ولم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول (قوله وقام رجل من نخذ حلية) قال فى القاموس

جزلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء فمن بتخلية سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والعلة التى تليها المستفادة من اذ كان له معال بشيئين هو م احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء أعلق على هوازن بمن او بفضلا اكتفاء بقرينة السياق (على هوازن) قبيلة حليمة السعدية رضى الله تعالى عنها وهم أهل حنين المذكورون فى القرآن وهو واد قريب من ذى الجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر الفا عشرة آلاف بهم والفان من طلقاء مكة والباقى هم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف واما ان يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس والابل أربعة آلاف وعشرين الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة آلاف أوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضع عشرة يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا مما من الله عليك وقام رجل من نخذ حليمة فقال يا رسول الله ان مما فى الحظائر عماتك وخالاتك اى من الرضاع لانهن قرابات حليمة أو حاضنات اللاتى كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحرث بن ابى شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه ابناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ام اموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فاذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسأل لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب

الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر وحى الرجل اذا كان أقرب من عشيرته والجمع الفخاذ اه (قوله انما فى الحظائر) جمع حظيرة قال فى المختار والحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها البرد والريح (قوله قرابات حليمة) كان الظاهر ان يزيد وقرابات زوجها الا جل قوله عماتك اذ قرابات الام من الرضاعة خالات وقرابات الاب من الرضاعة عمات كالنسب (قوله الحرث) اى ملك الشام (قوله أو النعمان) اى ملك العراق

فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من أول سبي يصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من بقي عندهم ومن صلى الله عليه وسلم عليهم بذلك (اذ) اى لاجل انه صلى الله عليه وسلم (كان له قبل ذلك) اى وهو طفل (فيهم رباء) بفتح الراء والمد اى تربية من ربوت فى بني فلان وربيت فيهم اذا نشأت بينهم اوطول باعتبار ما وصل اليه من ابن حليمة وتربيتها *(تنبيه)* جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الآية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هى حينئذ حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى الثانى فى الآية اشكالان ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضى وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا أو مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث أخبارها وقال الاقلون تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وكذا المذكورة أو كل القصص كلها بتقدير اذكر او بدلا منه بدل اشتمال أو كل من كل ورده الجمهور بأن المفعول أو المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشرى انها تكون فى محل المبتدا مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا ومعنى واجيب بأنه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع (واتى) ذلك (السبى) أصله الاسر والمراد به هنا المسبى اى المأسورون الى الجعرانة بأمره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها على المسلمين وكان ذلك السبى (فيه أخت) النبى صلى الله عليه وسلم من (رضاع) واسمها الشماء كما مر وما شقوا عليها عند سبيها قالت والله انى اخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها لكن (وضع) اى خفض (الكفر) القائم بها (قدرها و) كذلك وضع قدرها (السباء) اى الاسر القائم بها أيضا فاضمحل فى جنب ذلة هذين ما فيها من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى جنب الكفر ما فى نحو أبى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء بكل طريق امكنته ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم لها (فحباها) اى أعطاها ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها (برا) اى لاجل برها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول الثانى ويؤيده انه أبدل منه قوله وبسط الخ كما يأتى ولما أتته بسط لها رداءه واجلسها عليه ثم خيرها وقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان أمتعك وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها كما هو شأنه وردها الى قومها وأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلهما بقية (توهمت الناس) الذين رأوا ذلك البراى وقع فى وهمهم اى ذهنهم واسناد

(قوله واسمها الشماء) اى من غير ياء ويقال الشيماء بالياء (قوله وما علامة ذلك) بكسر الكاف لانه خطاب لمؤنث (قوله السباء) بكسر السين وفتحها (قوله مالم يكن فى حسابها) هذا المفعول الثانى المحذوف على جعل برا مفعولا لاجله (قوله وأعطاها غلاما له) الذى فى النعمة الكبرى فاعطاها نعما وشاء وثلاثة اعبد وجارية

ذلك اليوم باعتبار ما من شأنه (به) اى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه (انما) بفتح الهمزة اداة حصر كسورتها (السباء) اى المسبيات او النساء لانهن يسبين سباء ففى القاموس والسبى مايسبى وجمعه سباء والنساء لانهن يسبين القلوب او يسبين فيملكن وحينئذ تصح قراءة النظم بسبين ثم باء وبنون ثم سين اذ المعنى صحيح على كل منهما كما يعلم من تقريرى الآتى فتأمله وبينه وبين الناس الجناس المقلوب (هداء) بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الناس اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى ليسبين اعظم ما قابلهن به من الاكرام وانما جئن لاكرام هداء عروس وجملا شاعليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله لنساء مهديات عروسا لا النساء مسبيات *(تنبيه)* استعمال الناظم لانما هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فقالا انما للقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية وقول ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بأنه حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر أنه (بسط) فهو بدل من برا كما مر ويصح كونه بدلا من حبى (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (اهامن) الظاهر انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة (رداه) كان عليه أى نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهنيأ لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء (اى فضل) اى شرف عظيم لاغاية له (حواه) اى جمعه (ذالك الرداء) بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقرير من ان اى فضل الخ جملة نعت لرداء ومن زائدة او تبعيضية هو المتبادر كما لايخفى ويصح ان تكون اى مفعول بسط وأن فضل بمعنى فضيلة فمن تبعيضية وانه على حاله فمن تعليلية داخلة على مضاف اى نشرها من أجل فرش رداءه لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اى تميزا ظاهرا على بقية نساء هوازن وفى رداء والرداء رد العجز على الصدر (فغدت) اى صارت منفرجة (فيه) اى فى ذلك الفضل (و) الحال انها (هى سيدة) اولئك (النسوة) اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التميز الظاهر الباهر عليهن (و) ان اولئك النسوة هن (السيدات) قبل اسرهن (فيه) اى فى ذلك الفضل (اماما) اى صارت كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات اماما لها وبين السيدات والاماما طباق وهذه مؤكدة للجملة الاولى التى هى حال من فاعل غدت كما علم مما مر ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقى الى مالم يصل اليه مخلوق ومايتعلق

(قوله نعت لرداء) فيه انها انشائية واعل المراد من حيث المعنى أو المراد معمولة نعت لان القول فى مثل ذلك مقدر اى مقول فيه اى فضل الخ تأمل (قوله وفى رداء والرداء رد العجز على الصدر) هو عبارة عن أن يأتى الشاعر بكلمة فى صدر البيت متقدمة كانت او متأخرة ثم يأتى بها بلفظها فى عجزه وأحسنه ما كانت اللفظة افتتاحا للبيت والاخرى ختاما له كقوله

فى يحدث من سرى فاظهرت
سر الغرام القلب الامن حديث فى

وقد تقدم

(قوله وذباب القرى) الذبان معروف الواحدة بهاء والجمع أذبة وذبان بالكسر وذب بالضم انتهى قاموس (قوله ومد البحار) المد بالتحريك شدة حر الليل انتهى صحاح وفى القاموس المد محركة الحر الشديد مع سكون الريح او ندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر ١٣٠ (قوله واستعمال التنزه الخ) قد يقال يمكن اجراء كلام الناظم على قانون اللغة لا على العرف بأن يجعل فى ذات الخ متعلقا بمحذوف وصله تنزه محذوفة اى فتنزه اى تباعد عن العفونات ونحوها متلذذا فى اوصاف الخ (قوله وبه يظهر) اى بقوله اجتليتها حيث عداه بنفسه (قوله ان من زائدة) قال سيبويه يشترط لزيادتها أن يتقدم نفى او شبهه وان يكون مجرورها نكرة والاخفش لا يشترط ذلك قال ابن مالك وبقوله اقول واستدل بقوله يحلون فيها من اساور من ذهب وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وسيبويه أن يدعى انها فى الآيتين تبعيضية وكذا نظائرهما فيقال فى النظم ان عز اجتلاء بعضها ويعلم بالاولى طلب التنزه فيما ذكر ان عز اجتلاء كلها تأمل (قوله لان مفرده حسن) قال فى المختار الحسن ضد القبيح والجمع محاسن على غير قياس (قوله الانشاد) قال الهروى فى غريبيه والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر اى رفع الصوت به وقولهم نشدتك الله اى سألتك بنشدى اى رفع صوتى (قوله من شجى الصوت) اى الصوت الشجى او من شخص شجى صوته فهو من اضافة الصفة للموصوف او الوصف لفاعله اى صوت شجى اى مطرب قال فى القاموس شجاه حزنه وطربه كأشجاه فيهما ضد (قوله وأريحية) اى خفة يقال راحت يده بكذا اى خفت له (قوله وطربا) الطرب خفة تصيب الانسان لشدة حزن او سرور انتهى مختار فعطف طربا على أريحية مرادف

بذلك من صفات تنقطع اعناق الاطماع عن أن تمتد اليها وخصال لم يعول آمال الكمل الا عليها طلب من كل سامع فانه مشاهدة رؤيته صلى الله عليه وسلم أن ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال (فتنزه) قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض اه وكأنه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف اى الخصب والزرع وعمق الماء وذبان القرى ومد البحار وفساد الهواء ثم قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح (فى) أوصاف (ذاته) صر الكلام عليها فى لك ذات العلوم (ومعانيه) اى صفاته الخارجة عن أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم (استماعا) اى من جهة اصغائك الى استماع أوصاف ذاته وجميل صفاته الآتية فى هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجتلاء الآتى (ان عز) اى فقد (منها) متعلق بقوله (اجتلاء) من جلوت العروس جلاء وجلوة وأجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة اى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم وعلى صفاته وبه يظهر أن من زائدة فى الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحلون فيها من أساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتأمله (و) لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل (املأ السمع) بأن تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما سمعته شئ محسوس وان سمعك اناء واسع لملأت ذلك من المحسوس (من محاسن) اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق أحد آثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا (عليها) من أملية الكتاب ويجوز أملته (عليك) من هذه القصيدة وغيرها (الانشاد) لها من شجى الصوت بأتم الاعراب فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا واريحية وطربا وذلك يحدث عندها بسببين احدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته فى القلب واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى فى اللذة من عناق

الثواب وقد ذكر الامام أحمد رضي الله عنه وغيره أن الله تعالى يقول لداود في الجنة
مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته بالموت
فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ
نعيم اهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لاسيما ان
انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة
ولا تحيط به الاشارة (والانشاء) من ناظمها واسناد الاملاء اليهما مجاز وبما يحملك على
استفراغ وسعك في ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان
محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف و (كل وصف له) من صفاته الذاتية
والمعنوية (ابتدات) انت وانا (به) في الذكر او ابتدات بذكره تحيط بغايته (استوعب
اخبار الفضل) مفعول مقدم اى جميع اخبار الفضائل والكمال (منه) متعلق بقوله
(ابتداء) اى كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا
وايماء وجدت ذلك الوصف المبتدا به جمع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك
فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق
كمال وصف من صفات الانسان كالعلم مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم
والشجاعة واخلاق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على
ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سبرذلك رتأمله
وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة
متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم
الشهير سيدي ابي العباس المرسي وارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور
ضريحهما وبما قررته في شرح هذا البيت يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه
لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى
الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده
في آدمي مثله صلى الله عليه وسلم وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع
الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها
غيره في كل من ذينك ومن ثم قال الناظم في بردة المديح * فهو الذي تم معناه وصورته *
البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كمالات فيه وحده ولم تتقاسم بينه وبين غيره لانه
الذي تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما أحسن قول بعضهم لم يظهر لتمام
حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما طاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدأت وابتداء جناس
الاشتقاق * (تنبيه) * شرح الناظم بيار تمام معناه بما مر ويأتي ولم يشرح تمام حسن ذاته
كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤية وجه الخ ضحكه التبسم الخ وبتقبيل راحة الخ فتعين
علينا ان نشير الى شيء من ذلك فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البراء انه صلى الله عليه

(قوله ويمجده) اى فيرفع صوته
لزبور (قوله والانشاء) قال تعالى
وهو الذي أنشأكم اى ابتدأ
خلقكم وكل من ابتدأ شيأ فقد
أنشأه فهو مجازا ى لان الذي يملي
هو الشخص المنشد والمنشئ فهو
على حد واسأل القرية و بين
الانشاد والانشاء الجناس اللاحق
لبعد مخرجي الدال والهمزة (قوله
بحجز بقية تلك الاوصاف) قال
الجوهري وحجزة الازار معقده
وحجزة السراويل التي فيها التكة

وسلم كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت شيأ احسن منه صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم وعن البراء انه قيل له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اى لم يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة والاستدارة وجاء عن علي رضي الله تعالى عنه لم يكن بالمكاثم اى شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو أحلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان أسيل الخدين اى فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة ومد وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر اى عند التفاته وقيل احترازا عما في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر رضي الله تعالى عنه وغيره له بدارة القمر وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر صار وجهه كالمرآة فيرى خيال الجدر فيه وفي رواية يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده ينظره كمال النظر ويستأنس به ولا يتأذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون للقائه حين مرجعه من تبوك

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا محدث يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية وأما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه اى رؤية ادراك كهي بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه كما زعم أن صورهم كانت تنطبع في قلبه او انها رؤية قلب او ان المراد بها العلم بوحي او الهام وحديث اني لأعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبتقدير وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي او الهام ومن ثم قال لما صلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله اني لا أعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا استيبستها شجرة بخطامها فاذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبتقدير التعارض فما مر في حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت التفت جميعا اى لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وان جل نظره التفقد بلحاظه صلى الله عليه وسلم وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وانه صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العينين بحمرة وروى مسلم

(قوله كان الشمس تجري) قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس انتهى مواهب (قوله وصح انه كان في الصلاة) في الامداد استظهر عدم الفرق بين الصلاة وغيرها لاطلاق حديث الصحيحين

أشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية أدعج العينين اى شديد سوادهما أهدب الاشفار اى طويلها * واما سمعه صلى الله عليه وسلم فحسبك فيه خبر الترمذي اني ارى مالا ترون واسمع مالا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وفي رواية لابي نعيم واقائم * واما شعره صلى الله عليه وسلم فصح انه كان بين شعرين لا رجل اى بفتح فكسر وهو ما يتكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط وكان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى النفي كثيرها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى اسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما ترك تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان اذا افرق افرق بنفسه والا تركه معقوصا واعل هذا كان اولا والا فالذي صح انه كان صلى الله عليه وسلم يسدله اى يرسله ثم فرق ثم رأيت ان العلماء قالوا ان الفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته صلى الله عليه وسلم وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور ووقار لرواية ماشانه الله بالشيب اى لان النساء يكرهنه غالبا ومن كرهه صلى الله عليه وسلم شيأ فقد خاب وكفر واختلفت الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم اشيبه بنحو الحناء ولا مخالفة لانه صلى الله عليه وسلم فعله كثيرا وتركه أكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه صلى الله عليه وسلم كان كثير شعر اللحية الكريم وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن شعر رأسه وتسريح لحيته وكان أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ولم يرد فيه أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه في غير حج أو عمرة ورواية انه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية أعفوا اللحى فمن ثم أخذ بها أئمتنا رضي الله عنهم وورد انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر في المرآة اذا سرح لحيته وانه صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم * وأما جبينه صلى الله عليه وسلم وحاجباه وأنفه ورأسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين اى شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بأنهما كانا كثيري الشعر كما في رواية سابغين كما في أخرى دقيقين كما في أخرى فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى آخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كأنهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الرأس ضخم الكراديس اى رؤس العظام وجاء انه صلى الله عليه وسلم أقنى الانف اى طويله مع دقة أرنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بأنه سائل مرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين اى أعلى الانف وان من لم يتأمله يحسبه أنه أشم اى لطويل قصبة الانف * وأما فمه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده وانه صلى الله عليه وسلم أشنب اى لا سنا نه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه وانه صلى الله عليه وسلم مفلج الاسنان اى متفرقها وفي رواية انه مفلج الثنيتين

(قوله أطت السماء) اى صوتت من ثقل ما عليها كاطت الابل اى صوتت لثقل احمالها (قوله كان يسدله) بضم الدال وكسرها (قوله يكره نه) فعصم من ذلك رفقا بهن وقال بعصمهم فيه نظر لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية ولك رده بأن ذلك يجر الى الكراهة الاختيارية وهي كفر فنع الله تعالى ما يجر هن الى الكراهة الداعية لذلك انتهى شرح الخصائص لابن عملان (قوله الحناء) بالمد والتشديد (قوله كان ينظر في المرآة) فيندب النظر فيها اقتداء به صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن جماعة نقلا عن المحب الطبري (قوله مكحلة) هو احد ما جاء على الضم من الادوات (قوله دقيق العرنين) عرنين كل شئ أوله وعرنين القوم سادتهم وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانين

اى أكثر من البقيه * وأما ريقه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه يوم حنين نفل فى عينى على كرم الله وجهه ورضى عنه وكان به رمد فبرئ منه لوقته وأعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه صلى الله عليه وسلم بزق فى بئر ففاح منه رائحة المسك وانه صلى الله عليه وسلم بزق فى أخرى فلم يكن فى المدينة أطيب ماء منها وانه صلى الله عليه وسلم كان فى يوم عاشوراء يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجزئهم ريقه الى الليل وانه صلى الله عليه وسلم مضغ قطعة لحم وأعطاها لخمس نسوة فمضغها كل فتن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف وكان فى أفواههن نتن * وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فأمر أظهر من أن يذكر وأشهر من أن ينشر كيف وقد ارتقى فى كل ذلك الغاية التى لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن * وأما صوته صلى الله عليه وسلم فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى غنم فجلس مكانه وابن سعد انه صلى الله عليه وسلم خطب بنى فتح الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم * وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه (سيد) للعالمين الاولين والآخرين كما مر مبسوطا أول الكتاب (ضحكه) اى الذى يظهر به سروره هو (التبسم) كما رواه البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخارى أيضا فى المواقع أنه فى رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهى لا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة رضى الله تعالى عنها انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى وقوع غير التبسم منه نعم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان أكثر أوقاته صلى الله عليه وسلم هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة أم لا ومن ثم روى البخارى فى أدبه وابن ماجه النهى عن كثرته وانه يميت القلب والفرق أن التبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة * وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملا وربما سمع لصدره أزيز اى غليان يبكى رحمة للميت وخوفا على أمته ولرقة من خشية الله تعالى وعند سماع القرآن وأحيانا فى صلاة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاؤب بل جاء ان كل نبى كذلك * وأما يده صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كما فى عدة طرق بأنه شثن الكفين اى غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف أيضا

(قوله ريح خلوف) اى وكان فى افواههن نتن كذا فى بعض النسخ وعبارة المواهب ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هى واخواتها يبايعهن وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبرانى (قوله حتى أسمع العواتق) قال فى الصحاح وجارية عاتق اى شابة أول ما أدركت فخدرت فى بيت أهلها فلم تبن الى زوج من البينونة اى لم تبن من اهلها الى زوج (قوله وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم) يقال ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا أربع لغات والضحكة المرة الواحدة ورجل ضحكة اى كثير الضحك وضحكة بالتسكين يضحك منه والاضحوكة ما يضحك منه وامرأة مضحاك كثيرة الضحك اه صحاح (قوله حتى بدت نواجذه) جمع ناجذ وهو ما يظهر عند الضحك من الاسنان وقيل هى الانياب وقيل الاضراس وقيل الدواخل من الاضراس التى فى أقصى الحلق (قوله حتى تهملان) يقال هملت عينه اى فاضت وبابه نصر (قوله من التثاؤب) بهمزة بعد الالف وأما بالواو فغلط اه قسطلانى على البخارى ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس

بأن يده صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير والديباج وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر آنفا لانه جمع له مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعي الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه أنه قيل له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم أنه لين الكفين فأقسم أن لا يفسر شيأ في الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة في كفيه من جهاد أو عمل في مهنة أهله وتفسير أبي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما جاء انه كان سائل الاطراف فالتحقيق أن الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر روى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح يده الشريفة الدم عن وجهه وصدره من جرح في وجهه فكان أثر يده الشريفة غرة سائلة كغرة الفرس وصح أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأس لحية أبي زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولا في وجهه انقباض وروى أحمد وغيره أنه مسح رأس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب * وأما بطاه صلى الله عليه وسلم فكانا أبيضين كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لكن تعارضه الرواية الصحيحة كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض في الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم أنه لا شعر بابطيه ورد بأنه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بل في رواية له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره * وأما بطنه وظهره صلى الله عليه وسلم فجاء انه مفاض البطن اي واسعه وقيل مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه صلى الله عليه وسلم كالقراطيس المطبق بعضها على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر * وأما قلبه صلى الله عليه وسلم فهو أول قلب أودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه أول الخلق كما مر وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فهو أولهم وآخرهم في حيازة أعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما ينبئك بأن قلبه أودع ما لم يودعه غيره تكرر شقه وملؤه ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه * وأما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن أنس كما تحدث انه صلى الله عليه وسلم أعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي أنه أعطي قوة أربعين رجلا زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي وقال غريب واربعون في مائة بأربعة آلاف ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من تقليل الغذاء ليخرق الله له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة رضي الله عنها يصبح صائما جنبا من جماع

(قوله لكن تعارضه) في الحقيقة لا تعارض

غير احتلام انه يحتلم ويتسلمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع لان هذا هو الذي من الشيطان بخلاف مجرد نزول المني في النوم * وأما قدمه صلى الله عليه وسلم فجاء عن غير واحد انه شئن القدمين اى غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه أطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما منتظاهرة وكانا لا الخمص لهما اى ليس في باطنهما كبير انخفاض بحيث يطأ به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق * وأما طوله صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده او مع قصير والا طال على من ماشاه وهو صلى الله عليه وسلم ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة * وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفأ تكفئا كأنما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب ارادبه انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد الناظم بقوله (والمشي) الكائن منه (الهوينا) تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو قول الشاعر

وكل اناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ما رأيت اسرع من مشيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كان الارض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية ذريع المشي اى واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى تقلع وانقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية أولي العزم والهمة وهي أعدل المشيات وأروحها للاعضاء فكثير من الناس من يمشي دفعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على ذلة عقل صاحبها لا سيما اذا أكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهري للملائكة وكان اذا مشى في قمر أو شمس لا يظهر له ظل وسره قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا وأما لونه صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض نعم قد ينافيها رواية ابيض شديد البياض الا أن يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اى أحمر ليس بأبيض وقول عياض

(قوله مجرد نزول المني) عبارة ابن علان في شرحه للخصائص وجوز بعضهم عليهم الاحتلام الناشئ من امتلاء البدن وترك الجماع لانه امر طبيعي ليس للشيطان فيه مدخل وفي قوله من امتلاء البدن نظر اذ الانبياء حاشاهم ان يملؤا أجوافهم وقد علمت قول الشارح قريبا كان على غاية من تقليل الغذاء وبقية الانبياء مثله في ذلك كما هو اللائق بمقامهم عليهم الصلاة والسلام (قوله تصغير الهون) والهوني تأنيث الاهون كقولك الاكبر والكبرى وفي الحديث المسلمون هينون لينون قال ابن الاعرابي العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم بالهين اللين مثقلا وقال غيره هما شئ واحد والاصل فيه التثقيل فخففوا هو الهروي في غريبه قال البيضاوي عند قوله يمشون على الارض هونا هينين أو مشيا هونا مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع (قوله الخطوة) بضم الخاء ما بين القدمين واما بفتحها فنقل القدم (قوله قدمهم أمامه) لعله غالبا بدليل قوله قبل لان عجزهم عن لحوقه اذ هو ظاهر في مشيهم خلفه

رحمه الله تعالى انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالادم اى وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بأن المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد فى رواية وتوافقها رواية ابيض بياضه الى السمرة وفى رواية احمر الى البياض او المراد انه صلى الله عليه وسلم كان تحصل له السمرة اذا سافر لتأثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية الى أن من زعم انه صلى الله عليه وسلم كان أسود كفر وفى رواية يقتل اى لان السواد يشعر بالنقص *وأما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فكان فى ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبرانى ان رجلا استعان به فى تجهيز ابنته فاستدعى صلى الله عليه وسلم بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق فوراء الناس منه وجدوا رائحته وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه أو من عرق جبريل أو من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب ان ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وايده الحافظ عبد الغنى بان أحدا من الصحابة لم يذكر انه رآه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كدمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم اختار جماعة من أئمتنا رضى الله تعالى عنهم طهارة جميع فضلاته صلى الله عليه وسلم (و) اما (نومه) فهو (الاغفاء) أى أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه صلى الله عليه وسلم ويقظته ودوام شهوده لربه عز وجل ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى نائمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل فانه صلى الله عليه وسلم نام قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا فى شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت من تلك الواقعة كسهوه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه أيضا وهو الذى كان حينئذ وورد وما به لم يثبت فهو مردود على قائله كتأويل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبى بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على شئ من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التى لم يخلق الله تعالى ذاتا أشرف منها فلنذكر شيأ مما يتعلق بمحاسن أخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله تعالى أشرف منها أيضا فنقول (ماسوى)

(قوله موضوع) قال السيوطى فى حسن المحاضرة ما ورد فى الورد رويت فيه أحاديث كلها موضوعة منها حديث على رضى الله تعالى عنه مرفوعا لما أسرى بى الى السماء سقط الى الارض من عرقى فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتى فليشم الورد أخرجه ابن عدى فى كامله وحديث أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا الورد الابيض خلق من عرق ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق خرجه ابن فارس فى كتاب الريحان والحديثان أوردهما ابن الجوزى فى الموضوعات (قوله تبتلعه الارض) اى ويشم منه رائحة المسك وكذلك الانبياء اه من الخصائص الصغرى للسيوطى (قوله أشرف منها) بل ولا مساوية لها وكذا يقال فيما يأتى (قوله وهذا مقتبس الخ) فيه أن قول ابن عباس ليس فيه ذكر النسيم فلا يظهر الاقتباس ويجاب بأن الريح فى كلامه أل فيه للاستغراق فيشمل سائر أقسامه ومنها نسيم الصبا وفيه أيضا ان المشبه فى كلام ابن عباس الجود لا الخلق وقد يجاب بأن الجود من ثمرات الخلق الحسن فاذا شبه الفرع بالنسيم فالاصل أولى

أى ليس غير (خلقه النسيم) أى الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها خلق أحدا لا خلقه الكريم العظيم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ثم قال أيضا فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه صلى الله عليه وسلم أفضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه صلى الله عليه وسلم قلت هذا لا يؤذن انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه به الافضل بالمفضول لنكتة كما فى قوله كما صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يقيت الروح ويحيى القلب ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت لا يشبهها الخ لا بين أن هذا المراد من العبارة لا انى هى به وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه صلى الله عليه وسلم لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه صلى الله عليه وسلم لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفى بغير وعبارة غير تقال على أوجه الاول ان تكون للنفى المجرد من غير اثبات ممنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتى فى شرح قوله وما سواى هو العاصى ما له بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم أو سكون قال الراغب هو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخارى ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم والحق ان أصله غريزى وقامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كانا فى أم حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله فتردد السؤال وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزى وبعضه مكتسب ويدل له أيضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وما صح انه كان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت فهو جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه أو كماله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يسهل على ذويها الفعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكريم الغالب فى وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية

(قوله المرسلة) اى المطلقة يعنى انه فى الاسراع بالخير أسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بخيره كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه وانما قلت يعنى الخ لان اصطلاحهم فى التفسير انه اذا كان المعنى لا يحتاج لعناية بأن أفاده جوهر اللفظ عبروا بأى والا عبروا بيعنى (قوله لا يفيد الخ) بل ولا يفيد أصل مشابهة خلقه لها على ما نقله عن الراغب فاذا قلت ما مررت برجل غير قائم لا يستفاد مرور له بقائم فضلا عمن حضر مروره به فتدبر (قوله بمعنى واحد) كالشرب والشرب (قوله فقال للاشج) لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لاثر فى وجهه واسمه المنذر بن عائذ (قوله والاناة) بزنة قناة أى التثبت وترك العجلة (قوله والدماثة) الدماثة سهولة الخلق انتهى قاموس

الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وبانهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية الموطا بالاعا بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فكل خلق جميل اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردي رحمه الله تعالى ونفع به في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للعال بلطيف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه صلى الله عليه وسلم أعظم خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها ان كمالات خلقه صلى الله عليه وسلم لا تتناهى كما ان معاني القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان في أصل خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه الى ان وصل لاعظم غاية وأنهى نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه الذي به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصيرة وفي القاموس بعد الاشارة الى الخلاف في تعريفه والحق انه روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد في احدى وتسعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة والمتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا في رضاه أوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحدثين وفي هذا ما في الذي قبله مما مر آنفا (ولا غير محياه) أي وجهه صلى الله عليه وسلم (الروضة الغناء) أي الكثيرة النبات والازهار والثمار أي ليست الروضة الغناء الا وجهه صلى الله عليه وسلم لانه أحسن الخلق وجها كما مر مبسوطا هو (رحمة) وهي عطف وميل نفساني غايتها التفضل والانعام أي عينها مبالغة أو ذوها وهو خبر مقدم واخبر بهذه وبما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته صلى الله عليه وسلم واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكأنه هي أي ركب منها وطبع عليها وخلق منها (كله) كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

(قوله خلقه القرآن) أي كان يتخلق بما فيه من محمود الاوصاف ويجتنب ما فيه من ممنوعها ويحتمل ان تريد بقولها القرآن الآيات التي اقتضت الثناء عليه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم انتهى من المنهم للقرطبي (قوله من سبحات الجلال) بضم السين والباء أي عظمته (قوله لانه الذي به الخ) ولذا فضله بعضهم على العلم لانه يدرك به والمعتمد ان العلم أفضل لان الله سبحانه يوصف به ولا يوصف بالعقل (قوله أي ليست الروضة الخ) مقتضى قوله في نظيره سابقا وانما قلت يعني الخ ان يقول هنا يعني ليست الخ (قوله هو رحمة) كان الظاهر عدم تقديره بجعله رحمة خبرا مقدما أي وكله مبتدأ فتأمل

ويجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل أو مفعول لاجله وعلى حذف مضاف أى ذا رحمة والعالمون قيل الانس والجن وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل له أيضا قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ونقل الفخر الرازى وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود بل أخذ بعض متأخرى أئمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لانه بوجهه يستسقى الغمام وبدعائه ينزل الغيث من السماء فينبت النبات فيكون لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن عباس رضى الله عنه رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى يوم القيامة واما من صدقه فله الرحمة فى الدنيا والآخرة فعلم ان ذاته الشريفة رحمة للمؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وروى الدارمى والبيهقى حديث انما أنا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال آخر الانبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينقع فيه وعظ ولا ارشاد ومن أوصافه تعالى الرحمن والرحيم والجبار والمنتقم وفى الشفاء حكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا له لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى اغفر لهم هذا الشئ المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله يملأ قبورهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء لله لاحظ نفسه صلى الله عليه وسلم (وحزم) كله أى كل جميع أحواله التى تصدر منه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك (وعزم) كله من عزم على الشئ قطع به أى جميع ما يفعله بوحى أو اجتهاد وانما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته (ووقار) كله لان الله تعالى ألقى عليه من المهابة مالا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه أبو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة

(قوله للمؤمن والكافر) قال ابن علان ولحوق عذاب الكفر بهم ليس من نقصان الرحمة بل لعدم استعدادهم للتأهل لاثرها (قوله وانت فيهم) ان قلت قد عذبهم ببدر والنبى فيهم قلت المراد وأنت فيهم مقيم بمكة وتعذيبهم ببدر انما كان بعد خروجه من مكة أو المراد ما كان الله ليعذبهم العذاب الذى طلبوه وهو امطار الحجارة وانت فيهم اه من فتح الرحمن لشيخ الاسلام زكريا (قوله مهداة) أى هدية من الله للخلق (قوله وكلامه فصلا) بالصاد المهملة أى بينا ظاهرا ينفصل بين الحق والباطل وفى المواهب بعد فصلا لا نذر ولا هدر ثم ضبط النذر بسكون المعجمة والهذر بفتحها

(قوله كانما على رؤسهم الطير) قال الشارح فى شرح الشمائل وأصل ذلك ان سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان اذا أمر الطير بان يظلل أصحابه غضوا ابصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فقيل للقوم اذا سكتوا مهابة كانما على رؤسهم الطير أومن سكونهم متلذذين بكلامه وأصل ذلك ان الغراب يقع على رأس البعير يلتقط عنه صغار القراد فيسكن سكون راحة ولذة ولا يحرك رأسه خوفا من طيرانه عنه (قوله القرفصا) مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بالضم ممدودان يجلس على أليته ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه يضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه (قوله وسهوها) فان قلت امتناع الصغيرة والكبيرة سهوا يشكل عليه تسليمه عليه الصلاة والسلام سهوا من ركعتين من الرباعية مع حرمة السلام فى الفرض قبل محله لانه قطع له وهو محرم اتفاقا قلت يمكن ان يقال محل امتناعها سهوا مالم يترتب على السهو تشريع والا فيقع أو بان المنع من السهو ومعناه المنع من استدامته لا من ابتدائه أو بان محله فى القول مطلقا وفى الفعل اذا لم يترتب عليه حكم شرعى لانه صلى الله عليه وسلم بعث لبيان المشروعات وقد يشكل تفرقته بين القول والفعل مع ثبوت السهو بالسلام الذى هو قول الا ان يحمل القول على المتعلق بتبليغ الاحكام

لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم أطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وجاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك ولا جبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس انى أوحى الى ان تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفتخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا ولم أته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه ما قدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم لما قدر أحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاشار لجبريل يستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية (وعصمة) كله أى حفظ يستحيل عليه شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه ورضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسى به فى كل ما يفعله من قليل وكثير صغير وكبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف حتى أعماله صلى الله عليه وسلم فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم صلى الله عليه وسلم أو لم يعلم ومن تأمل أحوالهم معه استحياء من الله كما قاله الامام المجتهد التقى السبكى ان يخطر له تشكك فى انه معصوم فى كل ما ذكرناه وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون كما ذكروحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله فى غير الجهل بالله تعالى وصفاته أما هذا فهم معصومون منه اجماعا بل لا ينشأ الا على أكمل الاحوال من الايمان بالله تعالى ومعرفته كما ينبغى وحكى فى عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف أيضا وهو فى غاية الضعف بل ألزم قائله بخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم ومحله فى غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفى غيرها مما يتعلق بطرق التبليغ أما هذا فهم معصومون منها اجماعا وأما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه أقوال كثيرة وأحسنها ما جاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وآخرين من صحابة وتابعين ان معناه ووجدك ضالا عما أنت الآن من معالم النبوة فهداك اليها ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدرى أى قبل الوحى ما الكتاب أى القرآن ولا

(قوله اذا الايمان يطلق عليها حقيقة) أى شرعية والافهو لغة التصديق (قوله أعباء النبوة الخ) أى المعبر عنها بالاوزار على طريق التشبيه بجامع المشقة (قوله أو المراد عصمناك) قال البرماوى غفر ذنبه صلى الله عليه وسلم المراد الجزء بينه وبينه بجائز العصمة فلا يلابسه أصلا وغفر ذنب غيره الجزء بينه وبينه بجائز العفو والغفر وهو كلام حسن وقال السيد الصفوى فيما كتبه على الشفاء وقد سبق لى معنى ليس بابعد من ١٤٢ كثير مما ذكروه وهو ان العبد لا يأتى بما هو اللائق بجلال كبرياء الله تعالى ومنه

ما عبدناك حق عبادتك فسمى هذا القصور بالنسبة الى كمال القرب مجازا ذنبا مبالغة وتخويفا ثم شرفه بتشريف لم يحم حوله أحد وهو ستر ذلك القصور بأن تعد عبادته على الوجه اللائق بجلاله ويجازى عليها كذلك وأى مرتبة فوق ذلك ولا يستبعد تسمية القصور مما هو فى كمال القرب ذنبا لشرفه (قوله عفا الله عنك) قال الرازى فى شرح أسماء الله الحسنى العفو ابلغ من المغفرة لان الغفران يشعر بالستر والعفو يشعر بالمحو والمحو أبلغ من الستر (قوله من خلاف الاولى) وهو الاذن للمنافقين فى التخلف عن غزوة تبوك فالعفو لا يستدعى سبق ذنب بل قال بعض المفسرين ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى (قوله فأرادا ربد) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها دال مهملة هو آخو لبيد ابن ربيعة لامه بعث الله عليه

الايمان أى الدعاء اليه أو ولا الفرائض والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جاء مرفوعا أى وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه أو هو من ضل الماء فى اللبن اذا انغمر فيه أى وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على أقوال كثيرة منها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق آنفا ومن أحسنها ان المعنى خففنا عنك أعباء النبوة التى أثقلت حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض أى صوت أو المراد عصمناك من الوزر الذى لو حملته صوت ظهرك من ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا ورفعنا عنك أوزارا منك التى أثقل ظهرك خوف غائلتها حتى أمنك الله ذلك فى العاجل بقوله عز وجل قائلا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأعطاك الشفاعة فيهم فى الآجل وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاختلفوا فيه كذلك وأحسن ما فيه أيضا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان أو المراد بالذنب ذنوب أمته على وزان ما مر أو ترك الاولى والاحرى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم أى محا عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين فى بعض هذه الآيات ما لا ينبغى من التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظ أيضا صلى الله عليه وسلم من أعدائه الحريصين على قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشى عليهم ثم تواعدوا مرة أخرى فلما رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينهم وبينه وواعد أبو سفيان قريشا ان رآه ليطأن عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا فكدت أهوى فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد أربد قتله فلم يرالا عامرا (وحياء) كلاه

صاعقة فاحرقته كافرا وليد صحابى كما فى مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر ابن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول يا بنى عامر أغدة كغدة البكر فى بيت من بنى سلول ثم خرج أصحابه حتى واروه بالتراب ثم قدموا أرض بنى عامر فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ماورا ءك يا اربد قال لا شئ والله لقد دعانا الى عبادة شئ ولوددت انه عندى الآن فارميه بالنبل حتى اقتله فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين وهو جل يبيعه فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما انتهى من سيرة ابن سيد الناس

كما يصرح به خبر البخارى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء فى خدرها يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها فى خدرها الاحيث تكون وحدها فيه والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف مايعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم لحيائه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول لهم انصرفوا ومن ثم كان لايواجه أحدا بما يكره بل اذا بلغه عن أحد شئ قال مابال اقوام ولم يقل مابال فلان قالت عائشة رضى الله عنها مارأيت منه ولا رأى منى ومنها حياء المحبة وهو مايخطر بقلب المحب فى غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحيى منه لامحالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كان له نفسين يستحيى باحداهما من الاخرى وهذا اكمل مايكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لايأتى الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخارى وجعل من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزى غير ان من كان فيه غريزة منه فانما تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم أوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لايحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره على مايكره لاسيما فى الشدائد حتى انه (لاتحل الباساء) أى الشدة وان أفرطت لاسيما فى الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها (منه) متعلق بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو بتحل (عرا الصبر) وهو حبس النفس على ماتكره أى أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة فى اشقالها على من قامت به حتى ضعفته من وقوع نادرة منعند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شئ واحكمت فى عرا فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولانقضها فذكر العرا استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب الصانع ذى الازرار والعرا المحكمة استعارة بالكناية وذكر لاتحل ترشيح وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه فى يوم أحد فى أشد مانالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يارسول

الخدر ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر (قوله وجعل من الايمان الخ) قال ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الايمان فجاز ان يسمى ايمانا لان العرب تسمى الشئ باسم ماقام مقامه أوكان شبيها به (قوله وقد استعرت نيرانها) قال فى المختار سعر النار والحرب هيجها وبابه قطع ثم قال واسعرت النار وسعرت توقدت والسعير النار (قوله واصطلمت) الاصطلام الاستئصال قال فى القاموس اصطلمه استأصله (قوله عرا الصبر) الصبر له ثلاث درجات ترك الشكوى الى غير الله وهى للتائبين والرضا بالقضاء وهى للزاهدين ومحبة مايصنع الرب به وهى للصديقين (قوله من وقوع بادرة) قال فى المختار البادرة الحدة بدرت منه بوادر غضب أى خطا وسقطات عند ما احتد (قوله فذكر العرا الخ) أى وذكر الحل ترشيح (قوله وتشبيه الصبر) لعل الواو بمعنى أو أى اما ان تشبه الاسباب المعبر عنها بالصبر أو تشبه نفس الصبر فتأمل وذكر الحل ترشيح والعرا تخييل (قوله من كسر رباعيته) هذا ماقبل نزول آية العصمة وهى والله يعصمك من الناس لان سورة المائدة آخر ماتزل من القرآن أو المراد العصمة من القتل

الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون أي لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب واصناف العقاب وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال بابي وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قبورهم نارا الان الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه صلى الله عليه وسلم لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو من اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حتى نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف به لان اخالطه فأعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى أجل فأعطيته التمر فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فأخذت بمجامع ردائه وقميصه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا احاذر فرقه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكر له ما مر وقد عرفتهما فأشهدك أني قد اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا جاء اليه فجذبه برداءه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني في جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير قمرا وبعير شعيرا وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فضحك ثم امر له بعطاء وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخاري أن رجلا استأذن عليه فلما رآه قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه

(قوله ان انتهكت) الانتهاك المبالغة في خرق محارم الشرع وانتهاكها (قوله يسبق حلمه جهله) الاولى جهل من جهل عليه لانه صلى الله عليه وسلم لا جهل له أو يقول يسبق حلمه الجهل تأمل ورايت في نسخة بدل جهله غضبه ويؤيد هذه النسخة ما سيأتي قبيل قوله وسع العالمين من تصريح الشارح عند الاشارة لهذه القصة بقوله غضبه (قوله فرقه) أي خوفه (قوله فجذبه) قال النووي في التحرير الجذب والجبذ لغتان بمعنى وهو مد الشئ اليك يقال جذب وجبذ واجتذب (قوله وكررها ثلاثا) وقال المال مال الله وأنا عبده (قوله حتى تقيدني) أي تمكنني من القود (قوله لا أقيدك أبدا) سيأتي في الشرح انه صلى الله عليه وسلم قال له لم فقال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر الخ (قوله فحاشا) اي منزوبا للفحش فليس للمبالغة بل للنسب على حد قوله

وليس بذي سيف وليس بنبال

اي ذي نبل

فلما مضى سألته عائشة رضى الله تعالى عنها عما قال وعما فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتنى فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألفه لانه رئيس قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهى بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصن الفزارى وقد كانت منه أمور فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد فى زمن الصديق وحارب ثم أسلم فى زمن عمر رضى الله عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من علامات النبوة ولا ينافى ما مر انه لم يلتقم لنفسه أمره بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فأيس من ايمانهم ومن ثم لما طمع فى ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من أعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما أشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا تتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وصح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وان أهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابى طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا ما رأينا من بأس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطا لا معروفين بانهم لم يصرعوا فصرعهم صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن البراء بن عازب انه قيل له أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وثبانه حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله عليه وسلم فى نحو ألوف مؤلفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك يركضها الى وجوههم ويثوبه باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعلناه بيننا وبين العدو وقد خانه محتمين به ولما قال اللعين أبى بن خلف يوم أحد أين محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان أرادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه فى عنقه طعنة كان فيها انفلات نفسه الخبيثة اللعينة (ولا تستخفه) أى لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره (السراء) أى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى مضها فى أواخر حياته صلى الله عليه وسلم بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح فى تلك الجيوش الهائلة التى لما رآها أبو سفيان

(قوله وفيه جواز الخ) وفيه أيضا جواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه ومن يحتاج الناس الى التحذير منه اه شرح مسلم وفى الحديث رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس اه وهى ان تلاينهم ولا تتقرهم عن نفسك وأصله من دريت للصيد اذا استترت عنه بشئ ثم ترميه لئلا ينفر ولا يعارض ذلك أمره بالاغلاظ على الكفار وبعثه بالسيف لانه أمر بالمداراة ولا فان لم يفد فالاغلاظ فان لم يفد فالسيف كما ذكره المناوى فى شرح الخصائص (قوله لا تتحدث الناس) جواب قوله لا اقتلهم فتتحدث الناس الخ (قوله اذا احمر الباس) احمرار الباس كناية عن اشتداد الحرب (قوله فطعنه فى عنقه) ولم يخرج من طعنته دم فرجع الى قومه وجعل يقول قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى وكما عنه انه قال لو كان هذا الذى بأهل ذى المجاز لما وسعهم لما فى الصحاح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية

قال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة قال نعم وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء في كتيبته الخضراء بين أبي بكر وأسيد بن حضير وجاء انه وضع رأسه تواضعا لله تعالى لما رأى ما أكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذ أذل له بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه صلى الله عليه وسلم (كرمت نفسه) لان الله تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم أعلمه الله تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل والارواح والاجساد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر محمد الهافي عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو صلى الله عليه وسلم وان تاخر وجوده جسمه متميز عن العوالم كلها بارفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني ومحتد نفوذ الامداد الرحماني (ف) بسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها عن كل رذيلة ونقيصة (ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء) كيف وقلبه قد طهره الله تعالى بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار الختانة كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي ذلك ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا الملك به عليه صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى مع انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام مقام اطناب واذا تاملت ما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مما مر من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد (عظمت نعمة الاله عليه) عظمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل أحد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها (ف) بسبب هذه العظمة المذكورة (استقلت لذكره) أي عند أو وقت ذكر ما أنعم الله به عليه ونظيره أقم الصلاة لذكرى (العظماء) أي جميع ما أنعم الله به عليهم لانه صلى الله عليه وسلم أوتي غايات الكمالات الباهرة التي لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كماله وقطعوا بان ما عنده أعظم وأجل وأفخم وأعدت ضمير ذكره وحملت العظماء على ما ذكرته لان المتن صريح في ذلك باعتبار انه نزع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا من انى لو لم أفعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لاسيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا تطمع مع ذلك الى قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشيء عده قليلا حتى في العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه

(قوله في كتيبته الخضراء) الكتيبة الجيش كما في اللغة (قوله ونظيره الخ) اى في كون اللام للتأقيت اى وقت ذكرى وهي مواقيت الصلاة كذا في البيضاوي وذكر رضي الله عنه لها معنى آخر وهو العلية حيث قال اى لتذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أولان اذكرك بالثناء أو لذكرى خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري (قوله لذكرى) ومثله أقم الصلاة لدلوك الشمس وقولهم لثلاث خلون

كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى على ماذكرته لان اضافة استقلال الى النعم توهم احتقارها وهو محذور أيضا قلت عموم لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة أخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا أصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها اذلا يستعمل الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا نعم قرينة المقام لاسيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام كما هو جلي وبين عظمت والعظماء تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على من آذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم قال (جهلت قومه) أي قريش وغيرهم (عليه) أي آذوه أذى لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان أدموا رجله فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا الاجلى بني هاشم وبني المطلب في شعبهم سنين حتى كادوا أن يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك وفي رواية البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه (فاغضى) عنهم حلما وتكرما سيما وقد جاءه ملك ان اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق آنفا فانه قال بعد ان ذكر ما آذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت أبي طالب يدعوهم الى الله تعالى ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب أي ميقات أهل الحجاز فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بامرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ وكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم (واخو الحلم) اى التأني في الامور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم أي الذي طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه (دأبه) أي شأنه وعادته المستمر هو عليها (الاغضاء) أي التغافل عن ان يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه وفي كلامه المقابلة لما قررته ان المراد بالجهل لازمه من ايذائه بما لا يطاق ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون أي علما ينتفعون به اما لجهلهم أي اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا

(قوله والجنون) فان قلت ما اصل تهمتهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون مع جودة عقلهم ومعرفتهم بان ذلك كذب لم يوجد منه شيء من آثاره فالجواب انهم تعلقوا بصورة خيالية وهي ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم عند نزول الملائكة من الاستغراق لتلقي الوحي وحمرة وجهه وكثرة غطيطه وعميت قلوبهم عن طلب الفرق بين هذا وبين ايحاء الجنون ونزول الشياطين اه خصائص الحبضري (قوله بقرن الثعالب) قال القاضي قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير اه شرح مسلم للنووي (قوله ان اطبق عليهم الاخشبين) هما بفتح الهمزة والخاء وبالشين المعجمتين وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله اه شرح مسلم

يعتقدون حل ايذائه صلى الله عليه وسلم ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم اليه أدنى التفاتة من معجزاته صلى الله عليه وسلم لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما العناد هم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فنزل عالمهم منزلة الجهل بل هو أضر منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان فى تعبير الناظم بالجهل تضمينا الجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وفيه المقابلة أيضا بين الامساك والاعطاء والتحقيق والظن الآتيين وفيه أيضا جناس الاشتقاق بين اغضى والاغضاء والتذييل بالمثل السائر وأصل الاغضاء اطباق العين عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذى تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقائق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عن ظلمك وكل من أثر له حلم واحتمال عرفت له زلة أو هفوة تنافى الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده على كثرة الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط الا أن تكون حرمة من محارم الله تعالى أى المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مبسوطا فى شرح قوله لا تخل البأساء منه عرى الصبر ومنه قصة الاعرابى الذى جذبه برداؤه حتى اثر فى عنقه الشريف وقال له أعطنى من مال الله لا من مالك ولا من مال أبيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وأنا عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك وأمر له بحملين بعير بن ومر فى قصة اليهودى الذى أسلم ان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ان حلمه يسبق غضبه وانه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد أجلسوا فى المسجد الحرام وأصحابه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال لهم ما تظنون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء (وسع) بالكسر (العالمين) جمع عالم وللمحققين فيه فى الآية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم أدل على الشمول والاستغراق اذا الجمع قد يحمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له أجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم

(قوله وجحدوا بها) اى الآيات المتقدمة فى قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اى بينة اى كذبوا بها واستيقنتها اى والحال انهم قد استيقنتها انفسهم ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان واتصابها على العلة من جحدوا وأنت خبير بان هذه الآية متعلقة بفرعون وقومه لا بقوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر سياق الشارح وقد يقال مراده ان حال قوم رسول الله معه كحال فرعون وقومه مع سيدنا موسى فتأمل (قوله والاستغراق الخ) فى بعض النسخ وساقطة من نسخة المؤلف

استغراق بعض أفراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف هنا كلام متباين هذا أحسنه وغلب في جمعه بالواو والياء والنون العقلاء اشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحياء من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف كل عالم منهما والانسان كذلك فالمشابه للاول اجزاء بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة في الحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن (علما) تمييز أي وسع علمه صلى الله عليه وسلم علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الاولين والآخرين ما كان وما يكون كما مر وحسبك في ذلك القرآن الذي أوتيه صلى الله عليه وسلم ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرآنية ومثلها الذي أوتيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم أحاط بعلوم الاولين والآخرين وأن علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم (وحلما) تمييز أي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم وكل من صدر منه هفوة في حقه صلى الله عليه وسلم ولا غضب ولا انتصر لنفسه قط كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة أو هفوة تخدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلما وعلما الجناس المضارع (فهو) بسبب جمعه لتلك المعاني التي لم تجتمع لغيره (بحر) أي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ أو استعارة على قول مردود أي كالبحر الذي هو خلاف البر والنهر سمي بحرا لاتساعه وعمقه (لم تعبه) من أعيا فلان في مشيه أي تعب أو وقف (الاعباء) جمع عب بكسر أوله وبالموحدة والهمز وهو الحمل والثقل من أي شئ كان أي لم يكدر بحر علمه شئ ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء وجهالة فاستعار الاعباء للكدورة المشرب والاعباء للشبه والجهالات واذا تاملت ما تقدم من أوصاف كماله الباهرة وعصمته وتزاهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في يمه والحليم والكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن التلفت لما سوى الله تعالى (مستقل) أي محتقر (دنياك) أي الاموال التي هي من

(قوله وبين علما وحلما الجناس المضارع) لتقارب مخرجي العين والحاء (قوله دنياك) لم يقل دنياه لانه صلى الله عليه وسلم لم ينسبها الى نفسه فقال حبب الي من دنياكم ثلاث ولم يقل من دنياي

جملتها اذهى فى الاصل اسم لما بين السماء والارض (ان ينسب الامساك منها اليه أو) ان ينسب اليه أيضا (الاعطاء) منها لانم الفنائها وكثرة الاشتغال بها عن المعالى حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو استحقتها احتقارا لشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والافهو عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وروى الطبرانى باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن أمر اسرافيل ان ينزل الملكين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أردت ان أسير معك جبال تهامة زمردا أو ياقوتا أو ذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فأعرض عنها وأباها مع انه لو أخذها لم ينفقها الا فى طاعة الله تعالى لكن اختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زاكية كريمة ما ابهاها وقد أشار الناظم الى ما هنا بقوله فى بردة المديح ورادته الجبال الشم من ذهب * الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهى وما فيها انما خلقت لاجله كما صح به الخبر السابق * (تنبيه) * قوله هنا مستقل الخ أحسن من قوله ثم وأكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء أنكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا أنكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب أولى وفى السيف المسلول للتقى السبكى عن الشفاء وأقره أن فقهاء الاندلس أفتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم بالفقر فى أثناء مناظرته باليتيم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها وذكر البدر الزركشى عن بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفى أمر دنياه فى نفسه وعياله وكان يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة التى هى أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك اه ولو قال لا المسكنة المرادفة للفقر والمقابلة له لكان أنسب بغرضه وأما خبر الفقر فخرى وبه افتخر فوضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم

قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى ان أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمن عثمان اه بيضاوى وأين هذا من عبد الرحمن بن عوف فقد روى انه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم اه بيضاوى

وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى * (فائدة) * أكثر القرآن يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف وهى عدوة لله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فأخذ لتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة فى قصة ثعلبة بن حاطب الذى أنزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله تعالى يرزقه مالا فقال صلى الله عليه وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبى الله اما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفى الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وصح ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دعا بشراب فأتى بماء وعسل فبكى حتى أبكى أصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان افلت منى لم يفلت منى من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم انما أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم * (تنبيهان) * أولهما المراد بالدنيا المذمومة فى الاحاديث وغيرها ما فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ويجمع ذلك كل مالك فيه عاجل حظ أو شهوة من غير ان يعين على عمل اخروى ولا يقصد به * ثانيهما تعارضت الاحاديث فى ذم المال ومدحه لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفى الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والصيانة والاحسان والزكاة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفى حديث البيهقى وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبرا للهم من آمن بى وصدقنى وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بى ولم يصدقنى ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فأكثر ماله وولده واطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة منها وهى صحيحة على شرط الشيخين ان أبا ذر

(قوله فأعدّ للفقر تجفافا) قال النووى فى شرح مسلم التجفاف بكسر التاء هو ثوب كالجل تلبسه الفرس ليقيه السلاح وجمعه تجافيف ويروى جلبابا قال العينى معناه ان ترفض الدنيا وتزهد فيها وتصبر على الفقر والتقلل فكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر ان البدن (قوله فالمال ليس خيرا الخ) هذا كله مع ما تقدم من الآيات والاحاديث مما يرجح القول بتفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر سيما ما تضمنته من اعراضه عن خزائن الارض مع انه سيد الشاكرين فترجيح بعضهم للغنى الشاكر يحتاج الى مزيد نظر وقوة دفع وتحقيق جمع (قوله تحقق الخ) حال مؤكدة لاستفادة ما افادته من قوله شمس فضل وصاحب الحال ضمير صلى الله عليه وسلم وسيأتى ذلك فى التنبيه فى شرح البيت الآتى بعد هذا (قوله من حق بمعنى ثبت) وقال ابن عبد الحق اى صار الظن فيه تحقيقا اه ١٥٢ فابقى الظن على حقيقته وجعل مطابقة الواقع مستفادة من تحقق تامل

(قوله مراعاة النظير) النظير هو ضم الشئ الى ما يناسبه من أحد الوجوه ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فالنجم هنا هو النبت الذى لا ساق له لما ذكر الشمس والقمر اختار لفظة النجم على لفظة النبت مراعاة للنظير وسماه قوم من أهل البديع التوفيق وبين الصفى شاهد له تجار لفظ الى سوق القبول بها من بلغة الفكر تهدى جوهر الكلم (قوله على أحد الاوجوه) اعلم انه يحتمل رجوع التشبيه للصلاة على سيدنا محمد وآله فيشكل بان المشبه أعلى من المشبه به والواجب عكس ذلك وأجيب أولا بمنع كون الواجب العكس بل قد يكون المشبه أعلى ومراعى فى المشبه به جهة تكون مصححة لتشبيه الاعلى بغيره وهى هنا كون الرحمة والبركة لم يجمعا لغير ابراهيم وآله فطلب للنبى السببية وآله مثلهما زيادة على ما اعطيته عما لم يصل اليه أحد وأجيب ثانيا بالتسليم ويجعل التشبيه راجعا لآل رسول الله دونه ولا شك ان الخليل وآله لكونهم رسلا أفضل من آل النبى فالصلاة المتعلقة بهم أفضل من المتعلقة بآله صلى الله عليه وسلم (قوله حيث بين صلى الله عليه وسلم انه أعلى الخ) أى بقوله وقد أثبت الخ وأما قوله فاذا ما ضحا الخ فقد يقال انما يظهر به بيان شئ من وجه الشبه أى ان ضوأه يمحو الظل كما ان ضوء الشمس يمحوه وان زاد ضوءه بانه لا يثبت معه ظل بخلاف ضوئها اذا علمت ذلك فكان الظاهر فى الحل فبسبب كونه مشبها بالشمس كان شأنه الخ ثم يقول عند قوله وقد يثبت الخ أشار به الى ان المشبه به أعلى من المشبه به فتدبر

أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أحبكم أهل البيت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قال فأعدّ للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى أسفلها مع عائشة صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المدعو به فى الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما الان الغالب فيهما الفتنة كما هو واضح من الآيات والاحاديث وفى الثانى من كثرتهما فالمراد به كثرة فوائدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف فى يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا أخرى أو كحية فى يد انسان فيها سم وترياق ولكن سمها أكثر وأغلب وأوحى للنفوس واذهب * واذا تأملت أيضا ما تقرر من كمالاته علمت انه صلى الله عليه وسلم (شمس) سماء العلوم والكمالات باسرها كيف وكل (فضل) تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك (تحقق) من حق بمعنى ثبت (الظن) يعنى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (فيه) أى فى ذاته وصفاته (انه) بالنسبة الى بقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم (الشمس) المشرقة على هذا العالم الباثثة عنه (رفعة) فلا يصل اليها أحد منهم (و) انه (الضياء) المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضياء تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ أو الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذى مر رده ومر أوائل الكتاب ما للبلغاء فى التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به أعلى من المشبه أمرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما فى صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على أحد الاوجوه فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله تعالى لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى شأنا فى الضياء من الشمس فقال عاطفا بناء

السببية اشعارا بالنكتة التى ذكرنا انه تنبه لها (ف) بسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه (اذا ما) لم يتكلم الجمال بن هشام على هذه فى المغنى مع أنها فى القرآن فى غير موضع وتكلم على اذ ما مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكى فى عروس الافراح فى أدوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفية أولا قال الجلال السيوطى يحتمل ان يجرى فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم بقائها على الظرفية لانها أبعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذى يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد فى نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجرى فيها أحكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع فى الابتداء عكس الفجائية وجوابها ما فعل كما هنا أو جملة اسمية مقرونة بالفاء أو باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون أو فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق والمقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما فى جوابها من فعل أو شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش فى حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جنى فى اذا وقعت الواقعة بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا ليس ومعمولاتها ثم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضى نحو واذا رأوا تجارة الآية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن الشرطية نحو اذا ما غضبوا هم يغفرون فهى ظرف لهم المبتدا وزعم انه جوابها بتقدير فهم غفلة عن ان حذف الفاء ضرورة وان هم تأكيد لواو يغفرون الذى هو جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل لاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بأن الاستمرار هنا وفى نظائره التى استدلوا بها انما أخذ من قرينة السياق دون موضوع اذا وتفارق ان اذا فى أحكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع كما هنا فى اذا ما وان للمشكوك أو الموهوم النادر ولا يرد وان متم لان الموت لكثرة الغفلة عنه وللجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان الضر لانه انما نحو فيفهم واخبارهم بأنه لابد أن يمسهم شئ من العذاب (ضحى) اى مشى عقب طلوع الشمس وهذا ليس لتقييد الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون فى هذا الوقت وغيره لكنه فى هذا الوقت أظهر لقوة ضياء الشمس وضحو نورها حينئذ (محا نوره) وبين محى وضحى التجنيس اللاحق وهذا والضحاء بتجنيس الاشتقاق (الظل) مفعول اى ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم أصل نور كل شئ وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل أو المراد بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من

يغشى) فالغشيان مقارن لليل (قوله ضحى) بفتح الحاء ويجوز كسرها اى برز للشمس اه ابن عبد الحق وفى القاموس ان الضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ثم قال وضحا برز للشمس وكسعى ورضى اصابته الشمس اه ولم نر فيه أن ضحى بمعنى مشى عقب طلوع الشمس كما ذكره الشارح اولا ولا انه مجرد ارتفاع الشمس كما ذكره ثانيا فتأمل (قوله اى مشى عقب الخ) سيأتى عن القاموس ان الضحاء بفتح الضاد ما قرب من انتصاف النهار وعليه فيكان الظاهر أن يقول هنا اى مشى قرب انتصاف النهار وذلك هو الملائم لقوله بعد لكنه الخ اذ هو وقت قوة ضياء الشمس والا فعقب الطلوع لا قوة له تأمل (قوله اذ محو نوره الخ) اى فاذا حصل محو الظل بذلك النور فى ذلك الوقت ففى غيره من باب اولى (قوله تجنيس الاشتقاق) اى ان اريد بالضحاء معنى صدرى بأن فتحت ضاده وهو قرب انتصاف النهار فان اريد به الشمس بأن ضمت ضاده كان شبه اشتقاق (قوله او مطلق الظل) مع قوله لا يبقى معه ظلمة يقتضى تفسير ضحى بظهوره لا بخصوص مشيه عقب طلوع الشمس

(قوله لا يبقى معه ظلمة) ان كان المراد الظلمة الحسية كما هو الظاهر لذكره المعنوية بعد وقفت صحة ذلك على ثبوت انه اذا مشى فى ظل حائط مثلا زال بنوره واذا كان فى ظلمة ليل زالت بنوره وهذا غير بعيد لكنه يحتاج لنقل فى ذلك فتأمل (قوله

الكتاب والسنة والعلوم والآداب لكن المراد يضحى على هذا مطلق ظهوره فى هذا الكون بأوصافه الكاملة (و) الحال انه (قد أثبت الظلال) جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس أو ينسخها هو وأخص منه الفيء لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما نسخ الشمس وقيل كل ما نسخته فهو فيء وظل وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا فيء (الضحاء) اى ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم فتبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من الشمس رفعة وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسلم يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه اذا مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص ولان الله تعالى استجاب له دعاءه المشهور انه يجعله كله نورا فكان بدنه فى غاية الاضاءة التى لا يحجب ما يقابلها قيل مد الضحاء لضرورة النظم اه وفيه نظر بل الذى فى القاموس ان الممدود مع فتح أوله ما قرب من انتصاف النهار كما مر ثم ذكر ان المقصور الشمس وحينئذ ان أريد بالضحاء الشمس كان مده ضرورة أو قرب انتصاف النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره فى هذا الكون بأوصافه الكاملة لكن لا يصح ارادة هذا هنا كما هو ظاهر من جعل الناظم جملة وقد الخ حالا من فاعل ضحى *(تنبيه)* لك أن تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بأن حكمه عليه بأنه شمس الفضل يغنى عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا ثبت أولا انه شمس الفضل الذى هو اسم يصح لكل كمال علم انه الشمس فى الرفعة وانه الضياء فقوله تحقق الخ لا حاجة اليه وجوابه أشرت اليه فى محله من ان جملة تحقق الظن فيه الخ حال مؤكدة لما قبلها وصاحب الحال الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل معطوفان على بحر بحذف حرف العاطف أو يقدر لكل مبتدا استئنافا لتعداد شمائله صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا مستقل كامل فى ذاته ليضمه للبقية كما مر فى شرح قوله كل وصف له ابتدأت به الخ وما ورد على ظاهر ما قرره نظرا للاحتمال الثانى من ان نوره صلى الله عليه وسلم يمحو الظل ما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بأن يقال كيف يمحو نوره الظل والغمامة أظلته فلم يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه مع الضياء الاعظم من ضياء الشمس فلا يؤثر فيه أشار الى جواب لذلك لكن بما تقصر عنه عبارته يبادئ الرأى فقال (فـ) بسبب محو نوره الظل الحسى على ما مر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى (كان الغمامة) لما أظلته قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بأنها (استودعته) الامة بأسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم الدنفاء ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله صلى الله عليه وسلم وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فبالذين بواسطتهم (من) اى الذين

الضحاء بالضم)(٢) ثابت بخط المؤلف وفى نسخة لفظه له بدل قوله بالضم (قوله اى ارتفاع الشمس) لا يناسب ضبطه كما فى بعض النسخ بالضم لان المضموم اسم للشمس لا لارتفاعها كما سيأتى وانما الذى هو اسم لارتفاعها فهو بفتح الضاد تأمل والمراد بارتفاع الشمس قرب انتصاف النهار كما سيأتى قريبا عن القاموس فارتفاعها قبل ذلك لا يسمى ضحاء فتأمل (قوله كما مر) تأمله فانه لم يذكر هذا المعنى فيما مر وانما ذكر أن معنى ضحى المشى عقب طلوع الشمس وان معنى الضحاء ارتفاع الشمس وتقدم ما فيه فتدبر (قوله ان المقصور الشمس) اى مع ضم اوله كما علم مما مر ويطلق ايضا على ضوئها ومنه قوله وأخرج ضحاها اى أظهر ضوأها والشمس وضحاها اى ضوئها (قوله كان مده صحيحا) اى مع فتح الضاد كما علم مما مر (قوله ان الغمامة الخ) وكذلك الشجرة وثبت التظليل عليه صلى الله عليه وسلم وقت رميه الجمار وما قيل فى الجواب عن تظليل الغمامة يقال فى الجواب عن تظليل الشجر من الاعلام بعموم ظله واما جواب التظليل وقت الرمى فسيأتى انه كان للتشريع

(اظلت)

(٢) قول المحشى الضحاء بالضم ليس فى نسخ الشارح التى بأيدينا الفظة بالضم ولا له اه

(قوله استودعته) يقال استودعت فلانا وديعة استحفظته عليها والمراد هنا استحفظت النبي الامة اى جعلته حافظا لها لكونه الظل المعنوى الاعظم الواقى لسائر اتباعه يعنى أن بقاء الظل الحسى اشارة الى بقاء ظله المعنوى تأمل (قوله احداهما الارهاص) اى الاستجلال اى عجل له ما يسمى معجزة بعد النبوة أو من أرهصه الله اى جعله معدا لكل خير يعنى اعلاما بجعله معدا الخ (قوله وثانيهما اعلامه الخ) ذكر الشارح المالكى لتظليل الغمام معنى لطيفا هو ان الشمس لما بهرت وقت سليمان ضوئها تخيلت أن تقابل النور الاصلى الذى هو أعلى من نورها واصل له فأسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وهو الغمامة فنزلت منزلة

(أظلت) هم (من) بعض (ظله) الاعظم (الدفقاء) جمع داف كعلماء جمع عالم وهم جيوشه سمى الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اى يسيرون اليه لدفعه واستئصاله وحاصل الجواب أن ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه أمره من أن الله سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذين قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من ظله صلى الله عليه وسلم فسائر القرون مستمدون من أصحابه وأصحابه مستمدون وممدون من ظله وحينئذ فلا تنافى بين مجىء نور الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم لان المجىء هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوى على الامة من أولهم الى آخرهم فتأمل ذلك فانه مهم بل انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت فى نسخة وانه غير مفهوم المعنى وسبب انغلاقه عليه جعل الضمير المفعول فى استودعته للظل لا يقال بل ما قالمن رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفقاء الطيور يكون فى البيت حينئذ التلميح الى قصة هى ان الطيور كانت تظل الانبياء قبله كداود وسليمان بل بنى اسرائيل كما قال سبحانه وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكأنه يقول الغمامة لما أظلته استودعت الظل للانبياء الذين أظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمنا مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن دفقاء فعلاء وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل بشروط أخر أو لمادل على شجيجة حمأودم بشروط أخر كشجاع وشجعاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم أنه لا يصح حمله على الطيور أصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر أو شجيجة حمأودم بشرطهما على أن الذى سمع فى الطيور دفوف فى العقاب وفعلاء لا تجمع عليه أصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو ابس وصفا للطائر بل لحركته وبتسليم أنه وصف له هو لغير عاقل فان قلت

عاقل أعطى التصرف فى السحاب لارسال قطعة منه حاملة لما ذكر (قوله سيجعل له أمة الخ) الذى يظهر فى الجواب هو قوله وان الكل مستمدون الخ وأما كون أمته أكثر الامم فليس فى المتن ما يفيده فتدبر (قوله للظل) اى الحسى لا النبى الذى هو الظل المعنوى كما سبق (قوله من رجوعه الخ) اى ويراد بمن أظلت الانبياء كما أشار لذلك بقوله كانت تظل الانبياء (قوله وظللنا عليهم الغمام) هذا فى سورة الاعراف والآية التى فى البقرة عليكم الغمام وقد ذكر المفسرون ان الغمام السحاب فلا يظهر جعل الشارح ذلك دليلا لتظليل الطير لهم فتأمل فكان الظاهر حذف قوله بل بنى اسرائيل ودليله لان المقام لا يناسب ذلك كما لا يخفى (قوله لا يطابق الخ) لان الانبياء لم يكونوا موجودين وقت تظليلها فكيف يجعلهم حافظين

له أو يجعله حافظا لهم (قوله أو لما دل على شجيجة الخ) ربما يقتضى انه ان لم يكن صفة عاقل مذكر وليس كذلك وانما احتاج لذلك لقوله قريبا فعيل فذكر قوله أو لما دل الخ ليشمل فعالا كشجاع وفاعلا كصالح تأمل (قوله دفوف) قال فى القاموس وعقاب دفوف تدنو من الارض اذا انقضت (قوله لا تجمع عليه أصلا) كان الظاهر لا تكون جمعا له تأمل (قوله ولا يصف) قال الهروى فى الغريبين وفى الحديث كل مادف ولا تأكل ماصف أى فما حرك جناحه فى الطيران كالحمام ونحوه يؤكل وما صف جناحه كالنسور والصقور لا يؤكل (قوله بل لحركته) قال فى القاموس والدفيف الدبيب والسير اللين ومن الطائر مره فويق الارض أو ان يحرك جناحيه ورجلاه فى الارض

المعنى الصحيح أن الغمامة لما أظلته استودعت الظل الطهور التى أظلت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ظله صلى الله عليه وسلم فهل لايحمل النظم عليه قلت يعارضه ماتقرر فى قاعدة جمع فعلاء وتسليمه تجوزا فى الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة أنه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فيناقى ماهر أن تظليلها للحكمتين السابقتين قلت ماأفهمه كلامه ثم يعارضه أن تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما هر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة أيضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رصيه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتأمله وأيضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة ولم يظلل اشارة الى أن السنة للمحرم أن يبرز للشمس وظلل عند الرمى اشارة الى أنه لايسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال أصلا ومرت قصة تظليل الغمام ورواياتها فى شرح قوله

وأتاها ان الغمامة والسر * ح أظلته منهما أفياء

واذا تقرر أن كل فضل مستمد من فضله صلى الله عليه وسلم وان نوره يمحو الظل على ماسبق فى معناه علم أنه قد (خفيت عنده) اى فى جنب ماأوتيه (الفضائل) التى أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن (و) انه قد (انجابت) اى انكشفت (به) اى بسبب مابثه فينا من علومه وآدابه وأخلاقه (عن عقولنا) معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يقبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وفيه خلاف طويل أشار اليه فى القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبيحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الامور أو القوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن أو لمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تستثبت بها الاغراض والمصالح أو هيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق أنه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ اه (الاهواء) اى الضلالات والنقائص فلم تقع فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الهوى بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب (أ) يوجد (مع الصبح للنجوم تجل أو) يوجد (مع الشمس للظلام بقاء) اى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لايبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لايبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لاتبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت

(قوله فالنظم ينبو الخ) اذ يصير المعنى استودعت الظل الطهور الذين اظلتهم الطهور وفيه أيضا استعمال من فى غير العالم (قوله فى البردة) حيث قال مثل الغمامة انى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمى

أى مجى الاشجار مثل الخ أى المذكورة فى قوله جاءت لدعوته الاشجار ساجدة تمشى اليه على ساق بلا قدم

وقوله سائرة بالنصب بحذوف أى تسير سائرة حيث سار وخبر مبتدا محذوف وقوله وطيس هو فى الاصل التنور والمراد هنا الشمس والهجير وسط النهار واشتداد الحر (قوله ثم) أى فى البردة (قوله وأيضا الخ) أى فتظليله وعدمه كان للتشريع لا لوقاية الحر به فتأمل (قوله ورطة) الورطة الهلاك

الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله ثمس فضل بما بعده الى هنا لانه مناسب له عطف بحذف حرفه أو استأنف نظير ما مر فقال (معجز القول) لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التي أوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن وكان الناظم رحمه الله تعالى اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل أن يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه صلى الله عليه وسلم غير معجز (و) معجز (الفعال) فلا يقدر مخلوق أن يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث الحضرة الالهية التي لا يدخل أحد اليها الا باذنه (كريم الخلق) كما يعلم مما قدمته مبسوطا في شرح قوله فتغوث في ذاته الخ (و) كريم (الخلق) بضم أوله كما مر مبسوطا في شرح قوله ماسوى خلقه النسيم وبين الخلق والخلق القول والفعل بجنيس التقابل مع تجنيس التحريف في الثاني (مقسط) اي عادل في أحكامه وأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم فلا يصدر منه شيء قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله حتى أعدائه ومناويه ألا ترى أن قريشا لما بنوا الكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود واختلفوا فيمن يضعه في محله ثم أجمعوا على انهم يحكمون أول داخل المسجد فكان النبي صلى الله عليه وسلم أول داخل فقالوا هذا الامين فحكموه فأمر صلى الله عليه وسلم بوضعه بثوب وأمر كل رئيس قبيلة أن يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى أن بلغوا به محله فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه في محله وصح أن رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان صلى الله عليه وسلم يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا في أحد (معطاء) اي كثير العطاء الذي يعجز عن أدناه الملوك فقد صح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس وأجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها من أمهات الاخلاق اذ في كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وصح عنه أيضا ما سئل صلى الله عليه وسلم شيأ الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا أي لا ينطق بالرد بل بل ان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء

حكمة أو موعظة أو تنبيها أو غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول الصفي الحلي في بديعيته

من كان يعلم ان الشهد مطلبه
فلا يخاف لدغ النحل من ألم

وكقول أبي الطيب

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الاجسام

(قوله وان احتمل الخ) بان يراد بالقول المشتمل على الاخبار بالمغيبات فان القول المشتمل على ذلك معجز باتفاق كما سيأتي قبيل قوله شق عن صدره الخ فقوله ان كلامه غير معجز أي كل كلامه لما علمته من ان كلامه الخبر بالمغيبات لا خلاف في انه معجز (قوله ومناويه) أي معاديه قال الجوهري وناواه أي عاداه انتهى فعطفه عطف أحد المترادفين على الآخر (قوله واجود الناس) قال المرصفي في كتابه اسفار الصباح الفتوة والايثار والجود والسخاء والسماحة مترادفة وبعضهم فرق بينها فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسماحة هي وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والشكاسة عسر الخلق قال تعالى شركاء متشاكسون أي مختلفون عسر والاخلاق انتهى مختار والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وضده التقتير (قوله غنما بين جبلين) أي غنما كثيرة كانها اقلاء ما بين جبلين

بان لم يرصد ماعنده لما هو أهم اعطاه والا سكت كما في حديث مرسل فحينئذ لا ينافي الحديث الآتي قلت لا أجد مما احملكم عليه فهو صلى الله عليه وسلم لا يقول لها منعك العطاء بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفي حديث الترمذي انه جيء اليه تسعون ألف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال لسائل ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر في وجهه صلى الله عليه وسلم وقال بهذا امرت وقوم ما اعطاه يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف قيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد بمثله وصح انه صلى الله عليه وسلم أتي بمال من البحرين فامر صلى الله عليه وسلم بصبه في المسجد وكان اكثر مال أتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان مائة ألف فخرج الى الصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم ومع هذا الجود الواسع الذائع كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقراء ويأتي عليه الشهور لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسألته فاطمة رضي الله تعالى عنها في خادم يكفيها مؤنة بيتها فامرها صلى الله عليه وسلم ان تسبحن بالتسبيح والتكبير والحمد وقال صلى الله عليه وسلم لا اعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته (لا تقس) من قست الشيء بغيره قدرته على مثاله أي لا تشبهه (بالنبي) الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم (في الفضل) الجامع لتلك الصفات بل ولا في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم وصل فيه الى غاية منه لم يلحقه مخلوق فيها (خلقا) نبيا أو ملكا أو غيرهما أي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه أو يقاربه في وصف من أوصاف كماله صلى الله عليه وسلم كما مر أول الكتاب في شرح قوله لم يساوه ولا في علاه الخ (فهو) لا غير (البحر) الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال البالغ النهاية فيه (والانام) هو كما في القاموس كسحاب والانام بالمد والانيم كامير الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الآتي في العالمين (اضاء) بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهي الغدير ويجمع أيضا على اضا كفتى وشتان ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لا و (كل فضل) وجد (في العالمين) الانس والملائكة والجن (فهو كائن) (من فضله) ذلك (النبي) الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وبين فضله والفضلاء تجنيس الاشتقاق (استعاره) حال من ضمير الظرف المستقر (الفضلاء) لانه المعد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل

(قوله أهل الصفة) هي موضع مظلل من المسجد كانت المساكين تأوي اليه (قوله والمراد هنا الاول بدليل الخ) سيأتي تفسير العالمين بالانس والملائكة والجن وذلك يقتضي ان المراد بالخلق الذي هو الاول بعض ما صدقه وهو العوالم الثلاثة المذكورة فتأمل (قوله اضاء) في نسخة ركا جمع ركرة وهي الدلو الصغير (قوله وهي الغدير) هي القطعة من الماء يغادرها السيل اه جوهري

منها

منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع ألا ترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه الشريف فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى مثلها أو اعظم منها كما سيره الائمة ووضحوه ومنه ان آدم لما اعطى خلق الله تعالى بيده أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه شق صدره وملأه ذلك الخلق النبوي فتولى من آدم الخلق الجسمي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولذا كان هو المقصود من خلق آدم ومن ثم لم يكن مسجود الملائكة الا النور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبهة آدم كما قاله الفخر الرازي وادريس لما اعطى المكان العلي أعطى لنبينا المعراج الاتم الاعظم ونوح لما ان نجى هو وقومه اعطى لنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يهلك أمته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه صلى الله عليه وسلم اعطى مكان السفينة انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وابراهيم عليه الصلاة والسلام لما نجى من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار الحرب قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وروى النسائي انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطى ابراهيم مقام الخلة أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد عليه بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابراهيم في الموقف لما يسئل في الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من وراء وراء ولما اعطى بناء الكعبة اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر الذي هو روحها في محله لما اشتد رأي قريش ولما اعطى موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذي هو أبهر وأغرب وذكر الرازي وغيره ان أبا جهل اراد ان يرميه بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التي بياضها يغشى البصر اعطى نبينا عليه الصلاة والسلام انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلة فخرجا ويد كل واحد عصا فاضاءا لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت عصا الآخر صححه الحاكم واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير وانفلاق البحر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذي هو أبهر لانه تصرف في العالم العلوي على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا

(قوله لما أعطى المكان) اى السماء الخامسة أو السادسة على الخلاف (قوله مكان السفينة) أي مكان استقرارها على الماء (قوله انه دعا حجرا) حيث قال له عكرمة بن أبي جهل ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه الى آخر ما في الشرح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع لمكانه (قوله العصا) تكتب بالالف لانك تقول في التثنية عصوان وجمعها عصى وعصى في الكثير ووزنها فعول عصوفا استثقلوا الواو في الجمع فقلبوا من الضمة كسرة ومن الواو ياء واجاز سيبويه في الجمع القليل عصا وأعص مثل دلو وادل واجاز الفراء ذلك وأفن ومثالهما من الصحيح جمل واجمل وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع عصاك عن اهلك فلم يرد عليه الصلاة والسلام التي يضرب بها ولا ضرب صلى الله عليه وسلم خادما له قط ولا أمر بذلك صلى الله عليه وسلم وانما اراد الادب ويقال شق فلان العصا اى خرج عن السلطان والى فلان العصا اى ترك السفر وانشد

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلاق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجير الماء من الحجر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره من بين اصابعه وهو أبلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء والكلام أعطى نبينا مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان ما بين جبل الطور الذي نودي به موسى عليه الصلاة والسلام وما فوق العرش الذي نودي به نبينا صلى الله عليه وسلم وهرون الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها وأبهر على انها في العبرانية والعربية أفصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحد نبي بها الا نبينا عليه الصلاة والسلام ولقد قال له بعض أصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما ينطق عني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ويوسف شطر الحسن وتأويل الرؤيا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما في الحديث وعبر عن المرائي فوقعت كما عبر ما لا يدخله الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام انما كان في ثلاث مرائي كما في سورته وداود تليين الحديد أعطى نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة أم معبد درت بركة يده ولم تلمسها كما مر وسليمان كلام الطير اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه الحجر وسبح الحصا في كفه وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبي وشكى اليه البعير والريح التي غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو أسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في لحظة واحدة واقل مسافة في ذلك سبعة آلاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وأيضا الريح سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض أي جمعت له حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه في صلاته فاراد ان يربطه بسارية في المسجد ويسخره له الجن حتى أسلموا ولم يسخر لسليمان الا في العمل وعد الطير من جملة جنوده تقاومه حمامة الغار وعنكبوته بل هذا أعجب لان فيه الحمايه من العدد الكثير بالشيء القليل وعيسى عليه الصلاة والسلام ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى اعطى نبينا عليه الصلاة والسلام رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم مسح برصاء فشفيت والبيهقي ان رجلا قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابني فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا تتكلم وبالجملة فقد أوتي صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم المعد لهم دائما وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعاروه ليصفهم بالفضل أي هم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالم انما يستمدون

(قوله وعبر) بالتخفيف وعبرت الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها والتثقيل مبالغة وضبطها بعضهم بالتثقيل (قوله في ثلاث مرائي) هي رؤيا الاحد عشر كوكبا ورؤيا السبع سنين ورؤيا الذي يعصر خمرا والذي صلب فتأكل الطير من رأسه (قوله فحمله من الفرش الى العرش) هذا خلاف الراجح السابق من ان البراق انما حمله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وان صعوده الى السماء انما كان على المعراج

من

من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال به بل على وجه الاستعارة المستحقة الرد اذا أراده المعير ولم لا يكون ذلك كذلك وقد (شق عن صدره) الكريم وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه صلى الله عليه وسلم شق عن صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق أربع مرات أو خمسا مبالغة في التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقدمر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس (وشق له) أي لاجله صلى الله عليه وسلم (البدر) أي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه آية يريهم اياها تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وهي ان يشق لهم القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن الشريف وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكي وغيره وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولا يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام لظهوره في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد في الوصول اليه بحيلة وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن ردبان احدا من أئمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين أراد فرقتين كما في روايات أو فلقتين كما في أخرى وفي روايات ان فرقة كانت فوق جبل حرا وأخرى كانت اسفله فرواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتئذ وفي رواية لاحد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي روايات انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا السفار فجاؤا من كل جانب وأخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرائع فيما وردت به وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص به أهل مكة لتوفر الدواعي على نقل العجائب فهو من تهوراته لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا أو أول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الا القذ قدناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ما ذكره بوجه على ان الاجماع الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة فكان هذا الحدلم يسمع بما هو الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه أهل قطر دون أهل قطر آخر وما قيل ان القمر قد دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فباطل لا اصل له *(تنبيه)* البدر القمر ليلة أربعة

(قوله وشق له البدر) اى تم التام كما في الخازن (قوله من تهوراته) التهور الوقوع في الشئ بقلة مبالاة

عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمران الشق كان ليلة أربعة عشر ولم أره في ذلك سلفا ولعله أراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب وقيل لتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه كان يوحى اليه فلما استيقظ سأله أصليت العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث اختلف في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو الحق وقوله اسماء في الرواية الصحيحة فرأيت الشمس بعد ما غربت حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت رد لزعم انها وقفت ولم ترد ولزعم ان حركتها انما ابطأت فقط وفي رواية سندها حسن أمر صلى الله عليه وسلم الشمس فتأخرت ساعة من نهار ومر انها ردت عليه بعد الاسراء لما أخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على أحد غيري بل على ان كثيرين أو الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وروى حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوي في تفسير ردوها على انها حبست لسليمان صلى الله عليه وسلم وردبان المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق وشق الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وأن لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا اه فان قلت هذا يأتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجاز قلت يمكن ان يقال انه فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث الصورة والآلة وأيضا فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشائه لا غير وكفى بهذا اختلافا فالمتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القرآن من الجناس التام غير هذه الآية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر بآية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانه استعمل الابصار أولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد يتطرق فيه بان استعمال الابصار في البصائر مجازي وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء أن حقيقة عرفية وعلى كل

(قوله وقيل لتمامه) اى انما سمي بدرا لتمامه (قوله ردت عليه) الذي مر انها وقفت عن المغيب حتى دخل العير فالمراد بقوله ردت عليه حبست عليه اى لاجله عن المغيب لا انها غابت ثم ردت تأمل (قوله ابن نون) قال أبو حيان في النهر يوشع بن نون ابن أفرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى ولما مات موسى وهرون نبأ الله يوشع بعد كمال أربعين سنة فصدقه بنو اسرائيل وأخبرهم بأن الله أمرهم بقتال الجبارين فبايعوه وساربهم الى اريحا وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وفي تلك الحرب وقفت له الشمس

(قوله فرد عليه) اى رده عن المغيب اى أمسكها الا انها غابت ثم ردها كما لا يخفى (قوله وذلك لان المراد) أو قال ذلك قبل ان تحبس له عليه الصلاة والسلام (قوله قلت يمكن الخ) فيه نظر اذ مثل هذا لا يكفي في تحقق التجنيس مع اتحاد معنى أصل الشق والا لكان كل لفظ باعتبار موارد استعماله جناسا ولا قائل به ثم رايته أشار لذلك آخرا فتأمله طب لاوى

فاقول فى القرآن آية أخرى أظهر من تينك وهى يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور فى قوله للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثانى التوراة والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها اى ماهو شئ من كتب الله فان قلت هذا أعم من الثانى فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا له حقيقة كما مر جوابه وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفى هنا فيكفى التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لا يعد وا منه أن النفس بالنفس الخ قلت كأنه لكونه هنا مميزا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة على المقابلة فتأمله فان قلت لم اكتفوا فى التورية بكون أحدهما مجازا لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكف فيه كون أحدهما مجازا ومن ثم أقر بعض المحققين اشتراط كونهما حقيقتين وعليه يحمل ان يقال لابد ان يكون له حقيقة فى الشرع او فى العرف أو فى اللغة فلا يكفى كون أحدهما حقيقة شرعية والآخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحمل ان يقال يكفى ذلك ويؤيده اطباقهم على ان الآية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة أو عرفا أو شرعا شئ واحد وانما الاختلاف من حيث انها فى مطلق الزمن حقيقة لغوية وفى القيامة حقيقة شرعية وهذا الثانى أقرب ومما يؤيد الثانى اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا أو دائما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفى كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس فى غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك ان تأخذ من قولهم ليس فى القرآن جناس تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والحر بالحر ونحو ذلك أن شرط الجناس التام ان لا يكون فى اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية أصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما أمكن نظير التورية ولم أر لاحد من أهل البديع فى هذا المبحث ما يشفى فتأمله فان قلت ماذكر فى شق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين دون موضوعهما وذلك لا يكفى قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من أن يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذا تباينت به صورتهما (و) انما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزى على ذلك اذ (من شرط كل شرط) وقع فى البدن لغرض مقصود ان يكون له (جزاء) اى من برء من مرض أو غيره فكذا هنا لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم جوزى على ذلك بجزاء عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وابهرها بعد القرآن وفى كلامه الجناس التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقة ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة لغوية والثانى حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان

(قوله قلت كأنه) لا حاجة لهذا اذ شرط التجنيس لم يوجد لعدم اختلاف المعنى الحقيقى فيهما فتأمله وبهذا يندفع قوله ولك ان تأخذ الخ كما سيأتى اه طبلاوى فيه نظر فان معنى النفس الاولى المقتص منها ومعنى النفس الثانية المقتص لها فهما متغايران وحينئذ فلا يندفع قوله ولك الخ فتدبر (قوله قلت هذا وان كان) الى آخر ما قدمه فى توجيه عدم الاكتفاء بكون أحدهما مجازا بأنه مبنى على التعمية يمنع هذا أو يبعده جدا وكلام اعمة الفن مصرح بخلافه فتأمله طبلاوى (قوله حقيقة عرفية) لعل الظاهر لغوية

يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثانى بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان أحدهما مجاز يكون فيه التورية أو حقيقة أيضا ولكنه أبعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومر الكلام فيها مستوفى اذ الشرط المراد به فى الاول ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وفى الثانى شق الجلد واللحم والجزاء فيه تورية أيضا اذ هو يطلق على الجزاء الاخروى والجزاء العرفى وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة (و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضا انه فى غزوة بدر وغزوة حنين (رمى) اعداءه (بالحصى فاقصد) اى أصاب فاهلك فى القاموس اقصد السهم أصاب فقتل مكانه اه (جيشا) عظيما كانوا تألبوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه اى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة فى ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكذلك روى غير واحد انها نزلت فى ومية يوم بدر وان كان رمى فى غيره ولاهل الجبر فى هذه الآية غلط لا ياس بذكره ثم رده قالوا فيها سباب فعل النبى صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب وسر ما فى الآية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى تمامها وهو الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذى هو تمامه ونظير هذا ما فى الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتأثير وان غيره ليس منه الا اسباب تظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله تعالى عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم وسمعوا فى ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا آيسين خائبين ومن ثم أخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونه بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم ير وامثله فى السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا اناس قليلون من أهل بيته العباس وابى سفيان بن الحرث وعلى والفضل وأصحابه أبى بكر وعمر وآخرين فاصر

(قوله لما بلغت القلوب الخ) اى رعبا لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب اه بيضاوى وعبارة الخازن وبلغت القلوب الحناجر اى زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلقوم من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة

(قوله فى ارجاء معسكرهم) العسكر الجيش والموضع معسكر بفتح الكاف (قوله وأصحابه) اى غير أهل بيته والاتى تقدم من أهل بيته أصحابه أيضا (قوله وآخرين) اى متممين لبضعة عشر اذ لم يبق معه الا هذا القدر

صلى الله عليه وسلم ان ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه أقبلوا كانهم الابل اذا حنت على أولادها يقولون يالبيك يالبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه اى اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفى رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى بكل مرة أو انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفى رواية عند أحمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب به وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأ عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى من تشتيت شملهم وافتراق جمعهم وهزيمتهم آن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل ذلك (ما) استفهام انكارى (العصى) التى القاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك (عنده) اى الحصى المرمى (وما الالقاء) لتلك العصا على تلك الحبال والعصى الذى فعله سحرة فرعون اى لا تقس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى صلى الله عليه وسلم فى القاء عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر وابهر اذ القاء موسى لعصاه حاكى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تحاك شيأ قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم اجهر من قلب العصى حية وابتلاعها تلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا شتت شملهم بل زاد بعددها طغيانهم وعتوهم على موسى وقومه وجانس بين الحصى والعصى وفتن بين رمى والالقاء

(تنبيه) اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصائرهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية لبراهاذ ووالبصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ما من الانبياء نبى الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى وانا ارجو ان أكون اكثرهم تبعا وفى معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى أن المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى

(قوله انه رمى بكل مرة) يؤيد ذلك رواية ابن مسعود الآتية فانها تفيد انه ناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب وصرح فيها بالتراب وانه ضرب به وغير روايته انه تناول الحصى أو التراب بيده من الارض وذلك ظاهر فى انه رمى بالحصى مرة وبالتراب مرة وكونه أخذ بيده من الارض كفا من الحصى ثم ركب وأخذ بمناولة ابن مسعود كفا من تراب ورمى بهما جميعا بعيد تأمل (قوله ثم اقتحم الخ) اى رمى بنفسه قال فى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فجأة بلا روية وقحمته تقحيما والحمته فانقحم واقتحم (قوله عن فرسه) سيأتى عن ابن مسعود فحادت به بغلته اى مالت به (قوله وجانس) اى أتى بالجناس المضارع لتقارب مخرجى الحاء والعين

القيامة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شئ أخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول (و) من معجزاته أيضا انه (دعا للانام) مر تفسيره لكن المراد به هنا غيره ثم اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم (اذ) اى وقت او لاجل ان (دهمتهم) اى غشيتهم (سنة من) اجل (محولها) متعلق بما بعده اى شدة جدبها وقحطها (شهباء) اى لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب والمحل وتطلق على الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تاكيد وعلى الثانى تاسيس وسبب دعائه ما فى الصحيحين ان الناس أصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس فى السماء قطعة سحاب فما وضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى أصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فأقلعت السحابة وخرجوا يمشون فى الشمس وسال وادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير (ف) بسبب دعائه (استهلت بالغيث) اى صبت المطر بشدة (سبعة أيام) كوامل لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى بالغاء الكسر (عليهم سحابة) فاعل استهلت (وطفاء) اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها حال كونها (تحرى) اى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز كما يأتى فى جدارا يريد ان ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها (مواضع الرعى) اى الكلا الذى يرعى (و) مواضع (السقى) التى يجتمع الماء فيها ليشرب منها البهائم وفى الرعى والسقى مراعاة النظير والسقى والسقاء تجنيس شبه الاشتقاق (و) تحرى أيضا (حيث العطاش) اى مواضعهم التى (توهى) بالبناء للمفعول اى تخرق (السقاء) منهم فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الاماكن المعطشة التى تتخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر وأولى مما سلكه الشارح كما يعرف بتأملهما لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الخ لانا نقول قرينة قرن السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهائم فاحتاج فى افادة عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش أيضا قال الشارح أيضا وفى قوله حيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق فى الفلاة ماؤه

يضرب لمن لا يستقيم أمره فضرب به المثل هنا فى المحل والجدب اه ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن (و) لما استمرت عليهم سبعة أيام وكادت ان تهلكهم (أتى الناس) اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سألوه ان يدعو لهم

(يشتكون

(قوله فادع الله لنا) فى رواية يغثنا قال فى المواهب يغيثنا بفتح أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا أرسل عليها المطر (قوله يريد ان ينقض) عبارة البيضاوى اى بدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعيرلها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء
ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال

ان دهرا يلف شملى بجمل
لزمان يهم بالاحسان

وانتقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه أو افعل من النقض (قوله تخرق السقاء) اى انتقاد مائه (قوله السقاء) قال فى الصحاح السقاء يكون للبن والماء والجمع القليل اسقية واسقيات والكثير أساق والوطب للبن خاصة والنحى والعلك بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد كل منهما للسمن والقربة للماء

(يشتكون أذاها) اى تلك السحابة اى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان مابهم فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا أسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا (ورخاء) اى سعة من المطر (يؤذى الانام غلاء) اى شدة عظيمة وأصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذا هار يؤذى جناس الاشتقاق والرخاء والغلاء جناس التضاد (ف) بسبب ان هذا الرخاء الذى هو المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها (دعا) صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشف عنهم (فانجلى الغمام) اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا (فقل) أيها العالم بهذه الوقعة ماشئت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب (فى وصف غيث اقلاعه) اى انكشافه (استسقاء) اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقاء بمعنى السقى لانه يلزمه فوات هذه النكتة التى هى سبب التعجب (ثم) بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم (اثرى الثرى) اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة انبات الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من أثرى الرجل كثر ماله (ف) بسبب هذه الكثرة (قرت) اى فرحت واطمأنت من أقر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه (عيون) لاهل المدينة بسبب مازال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب (و) بسبب عمارة (قراها) اى العيون اى المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها (وأحييت) بعد ماحصل لها من الجدب والشدة ماصيرها كالموتى من احياء الله تعالى بالفلك وحى بالادغام وهو الاكثر (احياء) جمع حى اى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسهم ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق فى أثرى الثرى وقرت قراها وأحييت احياء (فترى) أنت لو شاهدت تلك الواقعة (الارض غبه) اى عقب ذلك الغيث المتولد منه مايدهش الابصار من النبات والزهور (كسماء) حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت علمية (أشرقت) اى زالت عنها (من) أجل (نجومها الظلماء) ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ماحصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية فى السماء والمجازية فى الارض وبين الارض والسماء والاشراق والظلمة الطباق وتراها أيضا (تخجل) اى تحير وتدهش (الدر) اى اللؤلؤ (والبواقيت) وهى فارسى معرب واسناد الخجل اليها مجازا أو هو على حذف مضاف اى أهلها بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة (من نور) بفتح النون اى زهر وهو بيان لفاعل تخجل الآتى (رباها) بضم الراء المحال المرتفعة منها وخصت لان مابها

(قوله الذين قال لهم الناس) المراد بالناس الاول فى الآية نعيم الاشجعى وحده والمراد بالناس الثانى أبو سفيان وأصحابه (قوله اى ذو استسقاء) وتقدير ذلك المضاف ليوضح المراد وعبارة ابن عبد الحق اى اقلاعه كاستسقاء فى النفع فالاستسقاء هنا بمعنى الاسقاء اه والمعنى الواضح الذى يبين به المتن ان يقال ان اقلاعه على حذف مضاف اى طلب اقلاعه وان استسقاء على حذف اداة التشبيه اى كاستسقاء أى طلب اقلاعه كطلب السقيا فى ترتب دفع الضرر على كل تأمل (قوله غالبا) وقد يكون لطلب زيادة بها نفع وقد يكون لطلب عذوبة الماء بعد ملوحته (قوله وفيه تجنيس الاشتقاق) الظاهر انه شبه اشتقاق لان أحد اللفظين وهو الثانى فى المواضع الثلاثة ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق تأمل (قوله لتجوز) اى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه ازالة الظلام باشراق الضوء بجامع ترتب النفع بالابصار (قوله انما يستعمل) اى لان أشرق معناه اضاء

انضروا بهجتي من بقيتها (البيضاء) راجع للدر (والحمراء) راجع للياقيت اى يخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر الياقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما أراد القصة المذكورة التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد أيضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطؤا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام جاءه أبو سفيان فقال له يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فسأل الله تعالى رفعه وما أذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم فمن ذلك فقال (ليته) هي لمن ما لا طمع في حصوله أو ما فيه عسر (خصني برؤية وجه) اى ليتني أدركت زمنه لا كون من أصحابه اذهم أفضل من جميع من جاء من بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله وللخبر الحسن أيضا لا يدرى كن المسيح أقوام انهم منكم أو خير ثلاثا وفي حديث أبي داود والترمذي يأتي أيام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية أصحابه فلما علم بها صرح بها بقوله لو انفق أحدكم مل الارض ذهبا لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون قرني وعن الثاني بان أو فيه تحتمل ذلك أيضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضي الافضلية على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم ما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضي الله عنهما أيهما أفضل قال للغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز وأشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا مجرد الرؤية وأما من زاد على ذلك بنحو رواية أو غزو فلا نزاع فيه أو ليتني أراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا نافعا أو ليتني أراه في النوم رؤية تدل على اعتنائه بي لاخباره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة بان من رآه فيه رآه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم ولا يتشبه بها وان من رآه فيه فقد رآه في اليقظة اى كانه رآه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به صلى الله عليه وسلم فهو وان ممكن من التصور باى صورة أراد لم يمكن من التصور بصورته نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان رؤي بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان رؤي بصفته التي قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما يفهمه وفي حديث ضعيف اني أرى في كل صورة وصححه النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن العربي وغيره لكن

(قوله فسقوا الغيث) بضم السين والقاف على صيغة المجهول وأصله سقيوا استثقلت الضمة على الياء فنقلت لما قبلها بعد سلب حركتها فصار سقوا على وزن فعوا والغيث مفعول ثان لسقوا (قوله ما لا طمع في حصوله) وذلك التفسير الاول من التفاسير الاربعة لقول الناظم ليته خصني برؤية وجه وقوله أو ما فيه عسر وذلك ما بقي من التفاسير لان ذلك أمر متعسر باعتبار توقفه على تخلية النفوس من ظلمات الرعونات وتحليتها بأنوار الطاعات فتأمل (قوله برؤية) هي والرؤيا بالف التأنيث قيل بمعنى والاظهر ان الاولى أعم لشمولها اليقظة والمنام واختصاص الثانية بالثاني ولما رسالة تتعلق برؤيا النبي صلى الله عليه وسلم سميناها بتبليغ المرام ببيان حقيقة رؤيته في اليقظة والمنام فارجع اليها ان أردت

رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا أو بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض فى رواية مسلم من رآنى فسيرانى فى اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته صلى الله عليه وسلم على صفته الموجبة لرؤيته صلى الله عليه وسلم فى الآخرة على نوع مخصوص من قربه منه أو شفاعته له وفى هذا أقوال أخر كثيرة وقال الغزالى فى رؤيته على صفته ليس المراد رؤيته ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما فى رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور أو غيره أو ليتمثل أراه فى يقظتى بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن أبى جمرة واليافعى وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انه راه فى المنام فرأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن أشياء غيبية فأخبرهم بها فكانت كما أخبر قال ابن أبى جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها الوقوع فى ورطة انكار كراماتهم وفى منقذ الغزالى ان أرباب القلوب فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسن الاهدل وقوعها للاولياء متواترات باخبار اسمها الاخبار وصارا لعلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه أخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم أخذ يبطل ذلك كله ويفسده ويعظم النكير على مجوزه بلا حجة له فيه ومما يبطل جميع ما ذكر به وجاوز فيه الحد من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره والله لا يراه فى اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من أكرم برؤيته صلى الله عليه وسلم ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه فى قبره يراه الاولياء فى اليقظة فى قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم فى الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على سبيل الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابى فهؤلاء كذلك بالاولى فاندفع قول فتح البارى هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة اه ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه أراد ذلك انه تلمذ القطب أبى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث القطب الاكبر أبى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال أبو الحسن لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى مسلما والقطب على ابن القطب محمد بن أبى الوفاء وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى ومن ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لا سيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور فى كرامات فيكون الناظم رحمه الله تعالى منسوبا لهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة بقرب انه سأله فى وقوع ذلك له كما وقع لهم وقد كان شيخى وشيخ

قبره ولا مانع من اكرام الله بعض عبيده برفع الحجب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه فى قبره وان بعدت داره فليس المراد برؤيته يقظة انه يخرج من قبره بروحه وجسده ويمشى فى الاسواق ويأتى لمكان الرائى ويخفى عن غيره ولو جود رؤيته كذلك للائكة وان نقله بعض شراح المعارج عن الجلال السيوطى للزوم خلو قبره عنه ولوجود رؤيته اثنين فاكثر له فى آن واحد مع تباعدهما بأن يكون أحدهما بمصر والآخر بالبصرة وانما المراد ان الحجب تزول خرقا للعادة بأن تجعل تلك الحجب كالزجاج الذى يحكى ما وراءه فيراه أولياء الله بعين بصرهم مع كونه فى قبره ويحادثونه ويسألونه عن أشياء ويجيبهم ويسمعون وان بعدت أماكنهم لانه حى فى قبره أو بان روحه الشريفة تتشكل بصورته الكريمة وتجول فى الملك والملكوت وتحضر عند الموعود برؤيتها فيراها عيانا كما يراها احيانا بعين بصيرته ويكون نورها وشعاعها عند جولانها متصلا بجسده المطهر فى قبره الا ترى ان نور الشمس مثلا مشرق بالارض مع بعد المسافة فنور روحه أولى بذلك لانه اصل كل نور وردان اول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام والقرآن والحجر الاسود كذا فى الخصائص الصغرى للسيوطى

(قوله الوحى) زنة فعيل اى السريع قتله (قوله مالم يحصل لغيره) بل قد وقع له ذلك الامداد لاسيما فيما يرجع الى منظومه فى المديح والحظ الوافر فى قبوله وانتشاره فى جميع أقطار الاسلام بحيث لم يلتحق به فى شئ من ذلك سابق ولا لاحق مع فصاحتهم وبلاغتهم التى لا تدانى كما أشار اليه الشارح أول الكتاب (قوله فهى) اى الباء هنا اى من قوله ايته خصنى برؤية وجه داخلة على الاول اى المقصور على كل من الثالث والرابع وهما قوله أو ليتنى أراه فى النوم رؤية تدل على اعتنائه بى الخ أو ليتنى أراه فى يقظتى الخ غير ظاهر بل الظاهر دخولها على المقصور عليه ١٧٠ ويكون من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا والمعنى ليتنى مقصورة على ماذكر لا أتجاوزه الى رؤية لا تدل على الاعتناء بى على الاول كرؤيته مدبرا عنى أولا أتجاوزه الى رؤية نومية على الثانى وأما على ما قاله العلامة الشارح فيكون المعنى لا يتجاوز فى ماذكر الى غيرى من افراد الموصوف اذ هو على ما قال من قصر الصفة على الموصوف ومعناه ان الصفة لا تتجاوز ذلك الموصوف الى موصوف آخر لانها لا تتجاوزه الى اتصافه بصفة أخرى كما قرره علماء البيان نعم على ما قرره سابقا فى صدر التنبيه من قوله اى ليته خصنى الخ يصح انه من قصر الصفة على الموصوف لانه جعل الصفة لا تتجاوزه الى موصوف آخر ولما كان فيه بعد تكلف صححه بقوله ولا نظر الى كونه الى آخره وكذا يقال فى الرابع فافهم (قوله وعلى الاولين اى ليتنى أدركت زمنه ورؤيته مع الاجتماع المتعارف لا كون من أصحابه أو ليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض الخ خصنى فيهما بمعنى اعطانى فزال ظاهره ان المعنى فيهما لا يصح ان يكون على الحصر وهو غير ظاهر بل يصح ان يكون ماذكر من قصر الموصوف على الصفة كالاولين والمعنى ليتنى مقصورة على الكون من أصحابه أو على رؤيته فى الموقف الخ لا أتجاوزه الى التأخر عن زمنه فى الاول أو على رؤيته رؤية نازلة عن هذه الرؤية على الثانى اه (قوله والماضى قد يستعمل) هذا بالنسبة لما عدا الاول وأما بالنسبة اليه فالماضى على حقيقته تأمل لكن كلام الشارح سابقا متدافع فى الثالث حيث قال أولا أو ليتنى أراه فى النوم فعبر بالرؤية وقال ثانيا ومن الثالث قريب الى ان قال اى ليته خصنى فيما مضى

والدى الشمس محمد بن أبى الحمائل يرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسئل فى الشئ فيقول حتى أعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه فى جيب قميصه ثم يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما أخبر لا يختلف ذلك أبدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الوحى * (تنبيه) * ماذكرته من مناسبة الاول والثانى بعيد اذ لا يناسبه لفظ خصنى بل ولا معناه لان الذى تمناه رؤيته فى حياته ليكون من أصحابه أو فى الموقف او فى الجنة وكل مسلم يتمنى ذلك فالتمنى أمر عام لا خصوصية فيه ومن الثالث قريب يناسبه لفظ خصنى ومعناه اى ليته خصنى فيما مضى برؤيتى له فى النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا الخصوصية لان مرائى الناس له فى النوم متعددة الانواع والدلالات فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية تخصه دون غيره باعتبار ما تدل عليه من اللحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة لاكثر الاولياء والعلماء لان ذلك لا يمنع انه يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد ولحظ مالم يحصل لغيره ومن المعنى الرابع قريب أيضا لكن على القول بوقوعه وحينئذ يتجه ان أحسن هذه الاحتمالات الذى لا نزاع فيه هو الثالث * (تنبيه آخر) * من المقرر عند المحققين ان الباء فى حيز الاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور والمقصور عليه فهى هنا داخلة على الاول على كل من الثالث والرابع وأما على الاولين فخصنى فيهما بمعنى أعطانى والماضى قد يستعمل مرادا به الاستقبال أيضا * (تنبيه آخر) * ما تقرر من ان خص وما أخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد فى نحو خصه بكذا قصره عليه قصر قلب تارة وافراد أخرى هو المشهور وأيضا خالفا لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفى القاموس خصه بالشئ خصا وخصوصا وخصوصية وقد يفتح وخصيصا وبمد وخصية وتخصة وخصه فضله بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم اه ولا يتوهم منه أن الاختصاص غير الحصر لانه لا يسمى فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده قوله والتخصيص ضد التعميم الصريح فى ان التخصيص قصر العام على بعض افراده فتأمل ذلك كله فانه نفيس (زال) اى تحول

فزال هنا تامة لا ناقصة (عن كل من رآه) مؤمنا في حياته أو بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك لا يقع الا لاكابر الاولياء أو في النوم على صفته التي كان عليها صلى الله عليه وسلم لما مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة في الآخرة (الشقاء) اى جميع أنواعه لان الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول كما يشهد لذلك الكتاب والسنة نحو أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل من وصمته وحباه بجعله من أحبته ببركة شمول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقاء عن كل من رآه أتبعه بذكر صفات وخصوصيات له صلى الله عليه وسلم ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال (مسفر) ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه اى مشرق نوره الذي يكاد ان يخطف الابصار (يلتقى) ذلك الوجه أيضا (الكتيبة) اى الجيش بالمثلثة أو المثناة من تمكنت بنو فلان اذا اجتمعوا حال كونه (بساما) اى متبسما يفتر عن مثل سنا البرق أو عن مثل حب الغمام (اذا أسهم) اى غير من سهم بفتح عينه أو ضمها وجهه اذا اسمر وتغير (الوجوه اللقاء) للعدو فهو صلى الله عليه وسلم في الحالات التي فيها ينزعج غيره و يضطرب و يتغير وجهه على غاية من الطمأنينة والثبات والتبسم لعظيم ما آتاه الله سبحانه وتعالى من الشجاعة التي لم يصل غيره الى أدناها وقد صح كما مر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس وانه سمع صياحا بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد فلم ير شيأ فلما رجع رأى الناس خارجين فقال صلى الله عليه وسلم لن تراعوا اى روعا عن حقيقة ما رأينا من شئ وصح انه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه ان شأنك لعجيب وصرع آخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة و يتجاذب أطرافه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين لما تفرق عنه أصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وهو صلى الله عليه وسلم يركضها الى وجه العدو و ينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضى الله عنهم كنا اذا حمى الوطيس اى اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعلناه أمامنا واستقبلنا العدو به صلى الله عليه وسلم وقد خالفه وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه نقصه اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم يقبل له توبة اه وقياس مذهبنا خلافا لمن أخطأ فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض أئمتنا الى انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه (جعلت مسجدا له) اى لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له

(قوله على صفته التي كان عليها) وامامن رآه لا على تلك الصفة ككونه اسود فان ذلك لا يدل على زوال جميع أنواع الشقاء عنه بل يدل على نقصه فتأمل (قوله لان الصحابة) تعليل قاصر على من رآه مؤمنا في حياته صلى الله عليه وسلم اذ هو الذي ثبتت له الصحبة فلا يشمل من رآه بعد موته في يقظة الرائي أو نومه على الصفة التي كان عليها مع حكم الشارح عليهما بأنهما كالاول تأمل (قوله يفتر) اى يضحك (قوله اى روعا الخ) أو المراد روعا مستقرا أو روعا يضركم (قوله صرع ركانة) بضم الراء أسلم يوم الفتح ومات بالمدينة (قوله وصرع آخر) هو ابو الاسود الجمحي قيل وصارع أبا جهل ولكنه لم يصح (قوله جعلت مسجدا الخ) مناسبة ذلك في خلال التكلم على صفات وجهه الشريف تعلق السجود على الارض به اذ هو بجزء من اجزائه

(قوله الحديث) تمامه وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة ولم يبعث الى الناس عامة اه ق ن عن جابر (قوله يتيقنون طهارته) اى الامم السابقة (قوله كالبيع) جمع بيعة بالكسر معبد النصارى اى الرئيس منهم كالراهب (قول والكنائس) جمع كنيسة متعبد اليهود او النصارى أو الكفار (قوله والصوامع) جمع صومعة كجوهرة بيت النصارى (قوله يرد الاحتجاج بقصة عيسى الخ) وعليه ما الحكم اذا سافر واحد من قومه ولم يكن فى طريقه محل معد للصلاة ككنيسة فان كان فى شريعته سقوط الصلاة حينئذ فظاهر وكذا ان كان عدم صحة صلاتهم فى غير المعد مقيدا بالاقامة فحرر (قوله أو شهيد) أو فيه وفيما قبله بمعنى الواو كما سبق والمراد بالشهيد الجنس فيصدق بأكثر من واحد فلا يرد ان الشهداء فى حراء أكثر من واحد تأمل (قوله العشرة) بزيادة طلحة وسعيد على من ذكر (قوله اهدأ حراء) عبارة المختار هدأ سكن وبابه قطع وخضع واهدأه سكنه (قوله الحضيض) اى القرار من الارض عند منقطع الجبل اه جوهرى (قوله لما رجف) من باب نصر والرجفة الزلزلة والاضطراب الشديد

(الارض) كلها كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة حيث قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع سجود اى ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبنى للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة فى جميعها كانت كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وانما خيرى مسجدا لاطهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلى حيث أدركته الصلاة وقيل ان المراد ان الصلاة لم تبح الا فى محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها فى كل أرض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا فى أماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلنا انما يصلون فى كنائسهم وتوافقه رواية ولم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه وبهذين يرد الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة يمنع ماذكر فيها الدلالة هذين على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافى الخصوصية لانها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وأمته بخلاف عيسى صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب هذا الجعل (اهتز) اى تحرك طربا وفرحا (به) صلى الله عليه وسلم (للصلاة) اى لاجلها (فيها) اى الارض (حراء) بالكسر والمد ويجوز قصره وصرفه وعدمه باعتبار المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو الجبل الذى كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وفى رواية وسعد بن أبى وقاص ولم يذكر عليا أخرجهما مسلم وخرجهما الترمذى وذكر انه كان عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال صلى الله عليه وسلم اثبت حراء وفى رواية اهدأ حراء ورواه البخارى فى أحد بلفظ انه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان ورواه النسائى والترمذى فى ثبير وهو جبل مقابل لحراء انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته الحضيض اى الذى فى قراره وأسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وما أشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك انما هو للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخارى ابن التين فى أحد فقال قيل الحكمة فى ذلك انه لما رجف أراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه الصلاة والسلام لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التى توجب سرورا اتصلت به

لارجفانه فأقر الجبل بذلك فاستقر اه واستشكل ماذكر بان الهزطريا فرع العلم بمن فوقه وقوله اثبت الخ يقتضى ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث الصحيحة التى منها أحد يحبنا ونحبه ان أحدا أودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة كل منها يقتضى الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما منه أولا هزة الطرب وآخرا سكون الحياء والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله عليه وسلم فأمره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضى هزة الجبال واللقاء المنبئين عن غاية الفرح والسرور (قال الطبرى) وغيره واختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهذا واضح لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وايده شيخ الاسلام الحافظ العسقلانى بعد ما توقف فيه بان الذى معه بحراء ازيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه التعليل فى قول الناظم للصلاة فيها قلت كأنه يشير الى ان الله تعالى لما اقطع نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها كلها مسجدا له صلى الله عليه وسلم وشرفها بصلاته فيها دخل فى ذلك جبالها فاذا صعد بعضها تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة اللذين حصل بهما للجبل كبقية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رأيت بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلى فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الاواحدا كانوا معه (مظهر) ذلك الوجه الكريم (شجة الجبين) اى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفى التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتى ان الذى شج جبهته وفى رواية وجنته صلى الله عليه وسلم والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة (على البر) اى فيه أو معه من برئ من المرض بالكسر برأ بالضم وبرأ برأ بالفتح فيهما وهو هذه الشجة كانت يوم أحد أخرج ابن هشام عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص أخا سعد بن أبى وقاص أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم أحد ويقول له ارم فداك أبى وأمى قال فلم يجمع أبويه لغيرى وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لابنه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فكسرت رباعيته اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى وان عبد الله بن هشام الزهرى شجه فى جبهته وان ابن أبى قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة حتى رموه صلى الله عليه وسلم اشقه فى حفرة الحديث وروى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن أبى

صلى الله عليه وسلم من المقامات الثلاثة المقتضية للادب والحياء لا الطيش فاستقر وثبت وقد أشار لذلك فى جواب الاشكال (قوله ازيد ممن معه باحد) اى وممن معه بثبير (قوله للجبل) اى بتأويله بالبقعة تأمل وعبارة المالكى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان جعلت له الارض مسجدا اى مكانا اصلاته وطهورا اى مكانا للتيمم ثم قال ومن جملة ذلك صلاته فى جبل حراء وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل البعثة فانه اهتزاى تحرك فرحا وطربا لما كان على ظهره مع جماعة من أصحابه ثم ذكر حديث أعطيت خمسا وغيره (قوله ساقط لانه الخ) فلو جعل ذلك البعض المراد بالصلاة صلاته بعد النبوة حالة كونهم عليه وقت الهزة لاستقام ما ذكره لكن صحة ذلك تتوقف على ثبوت صلاتهم عليه عند الهزة والاتعين ما ذكره من قوله كأنه يشير الخ تأمل (قوله وجنته) الوجنة مثلثة وكلمة ما ارتفع من الخدين (قوله أول من رمى بسهم) راجع لسعد رضى الله عنه (قوله وكان) اى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتخر به اى بسعد اى فى ظاهر الامر تعليما للامة بتغيير محل النظف والا فسعد هو الذى يفتخر بكونه صلى الله عليه وسلم ابن أخته وأعظم به فخرا (قوله رمى رسول الله الخ) اى عتبة

(قوله فشج وجهه) اى جرح وجنته كما سبق قريبا (قوله وكسر رباعيته) يقتضى ان كاسرها ابن قئة وقد سبق قريبا ان كاسرها عتبة بن أبى وقاص فان ثبت ان الرباعية هنا غير اليمنى السفلى اندفع التنافى (قوله اقأله الله) بالهمز اى حقرله وأذله (قوله ليس لك من الامر شئ) اعتراض بين المتعاطفين ١٧٤ (قوله أو يتوب عليهم الخ) معطوف على قوله أو يكبتهم اى يخزيهم والمعنى

قئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقأله الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى أحمد والترمذى والنسائى عن أنس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وفى مرسل قوى ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين مرة وقاه الله شرها كلها (كما) مصدرية (أظهر الهلال البراء) بفتح الموحدة وهو أول ليلة من الشهر اى ان وجهه الكريم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الكمال والجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراؤن لذلك والراوون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله صلى الله عليه وسلم لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الاحسن من الهلال كما قال (ستر) ذلك الوجه (الحسن) الاصلى (منه بالحسن) العارض من الشجة (فاعجب لجمال) أصلى (له الجمال) العارض وفى هذا كالذى قبله الجناس التام المتماثل بناء على ما مر مع الكلام عليه فى شرح شق عن قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلى والعارض كما تقرر لامن حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعد واسمه الذين قال لهم الناس ان الناس أن النفس بالنفس نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميزه كما هنا بخلاف ما فى الآيات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل أو نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح فى رده وفى البرء والبراء الجناس المطرف (وقاه) وسبب ذلك ان الله أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها لمخلوق كما مر بدليله فى باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله تعالى جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة ما صيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب و يتعجب منه ولذلك شبهه بشئ يوضح ذلك وتكشفه فقال (فهو)

اى

اشكور اشكر فعله * فاعجب لشاكر منه شاكر طرف وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

فكان المناسب ان يقول بدل المطرف الناقص الاعم من المطرف والمذيل كما هو معلوم من فنه

اى ماظهر بالشجة من باطن بدنه صلى الله عليه وسلم (كالزهر) اى نور النبات اذا (لاح) اى ظهر (من سجف) بفتح أوله وكسره اى ستر (الاكام) والاكام هو كالاكمة جمع كم بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد (و) هو أيضا مثل (العود) الذى يتطيب به اذا (شق عنه اللحاء) وهو قشر الشجر من لحوته ألحوه قشرته فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين مايعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال (كاد) ماظهر بالشجة (أن) وهى ومابعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها (يغشى) بالغين المعجمة اظهر من المهملة (العيون) اى يغطى عليها (سنا) بالقصر اى ضوء عظيم خارج (منه لسر) عظيم وفى نسخ بسر (فيه) اى فى ذلك الباطن الذى ظهر هو مصيره كله ضياء أعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان أصل ذلك السر لا كماله (حكمته) اى شابهته (ذكاء) بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول أل عليها اى الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما تقرر علم ان من أسباب عدم شينه بتلك الشجة ماأوتيه صلى الله عليه وسلم من الحسن الذى لم يؤته غيره ومن ثم (صانه) ذلك (الحسن) لو انفرد فكيف (و) قد انضم اليه (السكينة) اى وقار الظاهر مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يتحن به من المؤذيات التى لايسكن عندها غيره (ان تظهر فيه آثارها) هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو (البأساء) اى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال كما مر فعلم أنه صلى الله عليه وسلم لما أودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء فى حالة السراء كهو فى حالة البأساء فلا تؤثر فيه البأساء البتة (وتخال) اى تظن انت (الوجوه ان قابلته) اى عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ماقبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوى خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون (ألبستها الوانها) هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو (الحرباء) المشهورة ومن شأنها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة (فبسبب هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان (اذا شمت) بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه (بشره) اى طلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم (ونداه) اى جوده اى اذا تطلعت الى مخايله بصرك منتظرا اليه (اذهلتك) اى انستك ماانت بصدده (الانوار) الباهرة التى تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه صلى الله عليه وسلم (والانواء) جمع نوء وهو ماتضيف العرب الامطار اليه من النجم أو وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهو هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وأمله ففيه اف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى نحو لاتدركه الابصار الآية فاللطيف يناسب لاتدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمثى رؤية الوجه المكرم

(قوله العود) اى كالعود الهندى اذا أزيل عنه القشر المانع لكثرة طيب رائحته فانه يظهر ظهورا تاما للشام (قوله ألحوه) لحوا ولحيته ألحيه لحيا (قوله يغشى) بضم الياء (قوله الحرباء) وهى دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها كما فى القاموس وتطلق على مسمار الدرع أو رأسه فى حلقة الدرع والظهر وذكر أم حبين وعلى الارض الفلنطسة كما فى القاموس أيضا (قوله اذا تطلعت الى مخايله) اى محاسنه (قوله الجناس اللاحق) لبعد مخرجى الراء والهمزة

(قوله اى واعطاؤها) فالعطاء اسم مصدر لاعطى (قوله لبراءتها) اى براءة صاحبها اذ هو المتصف بالبراءة من الغرض حقيقة (قوله ثم خفف بحذفه) اى بعد نقل حركته للساكن قبله (قوله وبينهما تجنيس الخ) اى وتجنيس شبه الاشتقاق لان أحد اللفظين ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق حتى يكون جناس اشتقاق فان السيل هنا اسم للماء الكثير الجارى كما ذكره الشارح تأمل (قوله التحريف والتصحيف)

واستتبعه بأوصافه العلية أخذ فى تعنى تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها العلية فقال (أو) ليته خصنى (بتقبيل راحة) اى بلثمى فى اليقظة أو النوم نظير ما مر لكفه التى (كان لله) اى لاجله ابتغاء لوجهه تعالى دون غرض آخر (وبالله) اى بسبب شهود اعانته وحده (أخذها والعطاء) اسم مصدر بمعناه اى واعطاؤها البراءة منها من كل غرض ينافى الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها فى شئ منذ أفاض الله عليها خوارق جوده الامع شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم فى تصرفها كانت (تتقى) بفتح التاء اى تخاف وتحذر (باسها) اى شدتها فى الحرب (الملوك) كقيصر وكسرى والمقوقس الى ان ظفرها الله بجميعهم (و) كانت (تحظى) اى تفوز (بالغنى) الحسى والمعنوى (من) بعض (نوالها) اى عطائها (الفقراء) لانه صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفى ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه نظرا وهو بين الاخذ والعطاء والملوك والفقراء وتتقى وتحظى تجنيس التقابل (لاتسل) أصله بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ فى سال سائل (سيل) وهو الماء الكثير الجارى وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف (جودها) بفتح الجيم وهو المطر الغزير اى لاتسأل هذا الامر الممكن به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لايقدر أحد من البشر قدره بل (انما) الذى يليق بك ان تسأل ما (يكفيك) وهو ان يصل اليك (عن وكف) اى قطر (صيبها) جمع صاب (الانداء) جمع ندى وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلى فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه فى الدنيا والآخرة ومن أوصاف تلك الراحة العلية أيضا انها (درت الشاة) اى أرسلت لبنها الغزير (حين مرت عليها فبسبب ذلك صار (لها) بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها لحل قط (ثروة) اى كثرة اللبن (بها) اى بسبب تلك الراحة الكريمة (ونماء) اى زيادة فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب وابغ على أم معبد

ركنيه بحرف آخر على صورته فى الخط واختلفا اللفظ او يسمى جناس الخط كقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والجناس المحرف ما اتفق ركناه فى اعداد الحروف وترتيبها واختلفا فى الحركات كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى واذا اجتمع فيه التصحيف والتحريف صار مشوشا كقول الحريرى

* زينت زينب بقد يقد *

وبه تعلم انه ان أريد فى تعريف جناس التصحيف بالحرف المبدل كونه فى موضع المبدل منه كما فى الآية فان النون واقعة فى موضع الياء اى بين السين والواو فما فى المتن ليس منه لاختلاف الموضع وان أريد الاعم كان منه وان كانت أمثلة أهل البديع تأباه واما كونه جناسا محرفا ففيه ظاهر لاشتراطهم التوافق فى الترتيب ولم يوجد ذلك فى النظم لان التاء فى أول أحد الركنين والباء فى وسط الآخر فتأمل ثم رأيت فى شرح بديعية لبعض الادباء عدم ذكر الترتيب فى حقيقة الجناس المحرف وحينئذ فيظهر وجود

معبد

الجناس فى النظم كما ذكره الشارح اه لكن فى شرح بديعية الصفى الحلى ما نصه وأما المحرف فهو ما تماثل ركناه فى الحروف وتخالفا فى الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما كما فى الحديث المذكور اه وعليه فليس تسل وسيل منه لعدم مماثلة التاء للياء اللهم الا أن يراد المماثلة فى الصورة وانما مثلا نطقا كما فى الحديث أولا كما فى النظم ويكون الفارق بينه وبين المصحف اختلاف اللفظ فى المصحف واختلاف الشكل فى المحرف فتدبر (قوله لايقدر أحد) اى لايطيق حصره وضبطه

معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقى وتطعم وكانوا فى غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيأ فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها فقال هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ماشر بها فحل قط فقال صلى الله عليه وسلم أتأذنين لى ان أحلبها فقالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فعقلها ومسح ضرعها بيده وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا بإناء يشبع الجماعة فحلأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب بيده مرة أخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا وذكر ذلك أصحاب السير وغيرهم

*ومن أوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه (نبع الماء) بها اى بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما الاول فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة وردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعى رضى الله تعالى عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين لان الحجر يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن مافى الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الماء فأتى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخارى كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه ومن أطراف اصابعه صلى الله عليه وسلم وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتى بها فصبها صلى الله عليه وسلم فى صحفة ثم وضع صلى الله عليه وسلم راحتيه فيها فتخللت عيون من بين أصابعه فرواهم وابلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشتكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة قيل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية لاحمد عنه فوالذى ابتلانى يبصرى لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة وظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وهو ماصححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير أصل نعم فى رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن بابسة ووضع صلى الله عليه وسلم يده فيها فنبعت عيون الماء وأما الثانى ففى مسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى فسبق رجلان ومساه قبل أن يأتى صلى الله عليه وسلم

(قوله وكانت برزة) قال فى القاموس وامرأة برزة اى بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة شديدة جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة (قوله فى كسر الخيمة) بفتح الكاف وكسرها وسكون السين اى جانبها (قوله حلبا) بفتح اللام اى لبنا محلوبا (قوله فتفاجت) اى فتحت رجليها للحلب (قوله ودعا بإناء) جمع آنية كسقاء وأسقية ورداء وأردية وجمع الآنية أوان ووقع فى الوسيط وغيره من كتب الخراسانيين اطلاق الآنية على المفرد وليس بصحيح اه من التحرير للنووى (قوله وعدل اليها) اى الى بها المذكورة بعد قوله اثمر النخل فى عام لانها تنازعها نبع واثمر (قوله من التواتر الخ) تقدم عند شرح قوله * وسلوه وحن جذع اليه * بيان التواتر اللفظى والمعنوى فراجعه ان شئت

فسبهما ثم اغترفوا له قليلا منها فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملأ بساتين وعمران وفي رواية الموطا وغيره فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وصح عن مقاتل في بعض روايته ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تتقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على كبده فسأله أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم أتحبون ذلك قال نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فانسكبت فلؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة أمرهم بوضع سهم من كنانته في محل الماء فناض ومرة بوضع يده الشريفة في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم * ومن أوصافها أيضا انه (أثمر النخل في عام) اى وسنة غرسه (بها) اى بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه التي ذكرها أصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية ذهبا ثم أخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها واحدة حتى أثمرت كلها في عامها وفي رواية توقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم وأعادها فساوت البقية فأداها وبقي عليه الذهب فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فأعطاها صلى الله عليه وسلم له فقال وأين تقع هذه مما علي قال صلى الله عليه وسلم خذها فان الله سيؤدي بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية * ومن أوصافها ايضا انه (سبحت بها) اى في راحته صلى الله عليه وسلم (الحصباء) اى الحصى كما رواه البزار والطبراني في الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن في كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن ابا بكر فسبحن في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام العسقلاني ليس لحديث تسبيح الحصا الا طريق واحدة مع ضعفها لكنها مشهورة عند الناس اه نعم أخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مرض فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه فسبح * (تنبيه) * تسبيح الجماد كالطعام والحصا معناه ان الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به * ومن أوصافها العلية ايضا انه (أحيت المرملين) اى الذين نفد زادهم من القحط حتى أشرفوا على الموت

(قوله ينظرونها) اى الماء المعلوم من السياق (قوله بوضع يده) كان الظاهر حذف الباء اى وسره وضع بلفظ الماضي اذ يبعد أن يكون أمرهم بوضع يده ثم هذا مكرر مع ما سبق عن جابر وقد يقال بتعدد وضع اليد في الركوة فلا تكرار (قوله وكان مسترقا) اى مدعى رقه بالكذب اذ هو حر كما سيأتي في شرح قوله كان يدعى فنا (قوله فوزن لهم منها الخ) قال سلمان والذي نفس سلمان بيده ووزنت لهم منها اربعين اوقية وأوفيتهم حقهم وبقي عندي مثل ما أعطيتهم (قوله نفد) من باب تعب اى فرغ

فسبحن

(قوله لازالة ايهام الخ) اولضرورة النظم أودفعا لتوهم اختصاص ذلك بالمسافرين فقد قال البرلسي في شرحه المرملين جمع مرمل من أرمل اذا افتقر زاده في السفر والمراد هنا فقد الطعام مطلقا (قوله احيائه) مقتضى السياق احيائها اى الراحة وان كان ماذكره صحيحا ايضا (قوله بالدال المهملة) واما بالذال المعجمة مطاوع غذيته بالتشديد فأخوذ من الغذاء بالكسر وهو مايغتذى به من الطعام و لشراب يقال غذوت الصبي باللبن من باب عدا اى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا ويقال غذيته مشددا اه مختار (قوله وهو ماقبل الزوال) قال في القاموس الغداء طعام الغدوة والجمع أغدية وتغدى اكل أول النهار اه نقول الشارح وهو اى الغداء اى طعام يؤكل قبل الزوال انظر ابتداء تسميته غداء من أى وقت وقد يؤخذ من قول القاموس وتغدى أكل أول النهار ان ابتداءها الفجر وأما العشاء كسماء فقد قالوا هو مايؤكل بعد الزوال وانظر غاية تسميته بذلك قال في القاموس العشاء كسماء طعام العشى والجمع أعشية اه وقال قبل والعشاء كسماء أول الظلام اومن المغرب الى العتمة أومن زوال الشمس الى طلوع الفجر اه فان كان المراد بالعشاء كسماء مايؤكل في وقت العشاء كبناء فالمناسب المعنى الاخير فيكون انتهاء تسمية مايؤكل بعد الزوال عشاء الفجر فتدبر وغير خاف حدوث تسمية خاصة لبعض مايؤكل بين الزوال والفجر بفطور لمايأكله الصائم عند الغروب وسحور بفتح السين لما يأكله الصائم بعد نصف الليل وقبل الفجر (قوله والتعبير بالصاع فيه الخ) مقتضاه ان التعبير بالصاع في التغدى على حقيقته وهو ظاهر في رواية جابر للتصريح فيها به وأما في بقية الروايات بعدها انما يظهر اذا كانت الاقراص في قصة أبي طلحة وفضل الازواد في قصة عمر والخبيص في قصة أم أنس وما في القصعة في قصة سمرة مقدار صاع في كل منها تأمل (قوله وبالالف الخ) على أن التعبير بالالف لاينفي الزيادة عليها لكن يحتاج لماذكره الشارح لشمول الاقل من الالف (قوله وبالالف) اى في التغدى والتروى بقرينة مايأتي أن عدد الاكثير كانوا ثمانين غير رسول الله وأهل البيت في قصة أبي طلحة وقدر ثلثمائة في قصة أم أنس

فتسميتهم موتى حقيقة وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجازا يضا فهو استعارة تبعية (من موت جهد) اى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت أطلق عليه اسمه (أعوز القوم) عدل اليه عن اعوازهم الذي هو القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب في مثله شائعا ذائعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرملين قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بالتبعية ومن ثم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فأفاد القوم مالم يفده المرملين (فيه) اى ذلك الجهد (زاد وماء) من أعوزه الشئ اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام المسافر اشعارا بأنهم لما حصلت لهم تلك الشدة التي أدت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق كالري والشبع المفهومين مما يأتي (ف) بسبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزته له صلى الله عليه وسلم الطعام والماء القليل جدا حتى (تغدى) بالدال المهملة اى أكل وقت الغداء وهو ماقبل الزوال (بالصاع) الواحد وهو قدحان بالكيل المصري تقريبا (ألف جياع وتروى بالصاع ألف ظماء) جمع ظامئ اى عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تارة وببركة دعائه تارة أخرى فتقدم الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع فيه المراد به الماء القليل كما يعلم مما مر وانما ذكره على جهة المجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة وفي بعض المواطن كانوا ثلثمائة وفي بعضها كانوا أقل وفي غزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو مافي الصحيحين عن جابر رضي الله تعالى عنه انه رأى بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب

لامرأته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا اى سمينة فذبحتها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان يأتى بنفر معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا لكم فحيهلا بكم ثم امره أن لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجىء فلما جاء صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين وبارك ثم فى البرمة وبارك ثم امرها أن تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا الا بعض زيادات ففى مسلم عن انس رضى الله عنه فى غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه اباطلحة عرف جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فأخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطتها الانس ولفت طرف الخمار على رأسه مرتين كالعمامة وارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اى الموضع الذى أعده لحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقام له أرسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم أنس فأخبره فقال يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمى يا ام سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ففت وعصرت عكة سمن فادمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تعالى أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ثم قال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقية وفى طرق هذه القصة ما يقتضى تعددها وادخلهم عشرة عشرة لاتحاد القصة وصغرها وقول انس نعم اما الاسحياء منه من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه النبى صلى الله عليه وسلم وحده واما الان من ارسله ذكر له انه اذا رأى كثرة الناس دعاه وحده وفى رواية ان اباطلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ادخل فان الله تعالى سيبارك فيما عندك وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع فى الجفنة وفى اخرى ان اباطلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرى اصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم فى غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم ثم يدعو الله تعالى لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شئ يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فما تركوا فى العسكر وعاء الا ملأوه فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وأنى رسول الله الحديث وفيهما عن انس ايضا ان امه ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبيسة فى ثور وهو عروس بزينب فأمره ان يدعو من لقى فدعا من لقى فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه

(قوله وشاة داجنا) الداجن التى أو غيره كذا فى اللغة فليس السمن من مدلول الداجن فقول الشارح اى سمينة زائد على مدلوله فلعله اطلع على كونها متصفة بذلك (قوله صنع سورا) قال النووى فى شرح مسلم السور بضم السين واسكان الواو وغيره سوز وهو الطعام الذى يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهى لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله تكلم بالفاظ غير عربية (قوله فحيهلا) بتنوين هلا وعدمه (قوله أطعام) باللام كما يدل عليه قوله فقال الخ اذ لو كان بالباء لطاب الطعام فما فى بعض النسخ من الباء الموحدة بدل اللام غير ظاهر (قوله عكة) بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد للسمن خاصة وقوله فادمته بالمد والقصر اى آدمته وادمته اه من شرح مسلم للنووى (قوله مسح القرص) المراد الجنس لما تقدم ان الذى أتت به من الخابز اقراص (قوله بجيسة) قال فى المختار الجيس تمر يخلط بسمن واقط (قوله فى ثور) الثور بالمثلثة القطعة من الاقط اه صحاح وأما بالمثناة من فوق المفتوحة والواو الساكنة فهو اناء نحو القدح اه من شرح مسلم والظاهر انه هنا بالمثناة (قوله زهاء) بضم الزاى والمد اى قدر اه شرح مسلم

عليه وسلم يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم دعا عشرة عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما ادرى حين وضعت كان اكثر أم حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا القصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قيل له فماذا كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار الى السماء (و) منها انه (وفى قدر بيضة) اى بيضة دجاج (من نضار) اى ذهب (دين سلمان) الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر آنفا مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة (حين حان) اى قرب (الوفاء) اى حلول الاجل وبيزوفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان انه (كان يدعى قنا) اى ارق بالباطن وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار رئيسا فر بكنيسة النصارى فأعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده فقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم فأرسل يسأل من النصارى عن علماء دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فأخبرونى ففعلوا فحمل القيد وتوجه اليها وسأل عن اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بنصيبين فجاءه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بعمورية من أرض الروم فلما احتضر قال له ذلك قال يا بنى ما اعلم احدا على ما كنا عليه آمرك ان تأتيه وانه اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من ارض العرب يهاجر الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فربى نفر من كلب فقلت لهم احملونى الى ارض العرب واعطيكم ما عندى فحملونى فلما بلغوا وادى القرى ظلموه فباعوه من يهودى فباعه من ابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما انا اجنى لسيدى تمرا جاء ابن عمه فقال له قاتل الله بنى قيلة وهى أم الاوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبى فأخذتنى رعدة وشدة حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال مالك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذت شيأ جمعته وذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم يأكل فجمع شيأ آخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فأكل هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره صلى الله عليه وسلم فعرف النبى صلى الله عليه وسلم انه يتأمل شيأ وصف له فالقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب

(قوله دين سلمان) كان من المعمرين عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين والاول اصح (قوله الناقص) اى المذيل لزيادة حرف فى اخر احدى كلمتى الجناس (قوله اللاحق) لبعد مخرجى الحاء والدال ومخرجى الياء والالف وبين حين وحان شبه جناس الاشتقاق (قوله بعمورية) بفتح أوله وتشديد ثانيه من ارض الروم كان ملكها يركب فى مائة ألف فارس وكان حولها ألف عمود على كل عمود راهب لا ينزل منه الا بالموت وكانت مركز قيصر ومنها كان يستعد للغارات على بلاد المسلمين الشام والجزيرة وغيرهما ففتحها المعتصم (قوله بقباء) بالمد يذكر ويؤنث ويقصر أيضا كما فى المختار وفى القاموس انه بضم القاف (قوله بالبقيع) ويقال له بقيع الغرقد بالغين المعجمة وأصل الغرقد شجر عظام اوهى العوسج اذا عظم واحده غرقدة وأضيف البقيع الى الغرقد لانه كان منبتها اه قاموس وعبارة المختار البقيع موضع فيه اروم الشجر من ضروب شتى وبه يسمى بقيع الغرقد وهو مقبرة بالمدينة والاروم جمع ارومة بفتح الهمزة وضمها وهى الاصل اى أصول الشجر

(قوله نضجت) بكسر الضاد اى أدركت (قوله العذق) بكسر العين المهملة وأما العذق بفتحها فهو النخلة كذا فى حاشية السيرة الهشامية للخفاجى (قوله ويقتلكم) ١٨٢ اى على زعمهم انه صلى الله عليه وسلم يكون معينا لليهود على الانصار

نظر الحالته الراهنة والافهو من جملة الاحرار الذين هم اتباع حوارى عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية من ذهب فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين (فاعتق) باداء النجوم (لما أينعت) أى نضجت (من نخيله) حال من قوله (الاقناء) جمع قنو وهو العرق أى العرجون ولا يخفى ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه اذكر النبى صلى الله عليه وسلم أخذته الرعدة والشدة وهو على رأس نخلة يجنيها لسيده وشاهده سيده منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه بلغ أمره ونعته الاباعد والاقارب لما فهم ان له تلفتا الى سماع خبر النبى صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمن نبى عربى كريم فتكون اول من يتبعه وتقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به أكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض الناظم رحمه الله تعالى بموالى سلمان منكرا عليهم اذلم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا فى الطغيان بضربه فقال (أ) تلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به (فلا تعذرون سلمان) أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته صلى الله عليه وسلم (لما) أى حين (ان عرته) أى غشيته (من) اجل (ذكره) أى ذكر اليهودى لقريبه النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا (العرواء) أى قوة الحمى ومسها فى اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته فى تقرير هذا البيت المطابق لما فى قصة سلمان والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد والبهتان أولى مما وقع للشارح فى تقريره على ما فيه من النظر كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق (و) من أوصاف تلك الراحة ايضا انها (ازالت بلمسها) لمن به امراض اعيت الاطباء (كل داء) به (أ كبرته) أى استعظمته وعجزت عن برئه (اطبة) جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل ورفع الحاصل (واساء) بكسر الهمزة أى مرضى جمع آس كراع ورعاء روى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاءه من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى * (فائدة) * روى البخارى ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط (و) من أوصافها أيضا انه برئ بها (عيون) باصرة (مرت بها) تلك الراحة (وهى رمد) أى معطلة الابصار (فأرتها) أى تلك الراحة تلك العيون (ما) أى الشئ البعيد الذى (لم ترها) فيه مع

ازالة الداء ببركة لمس الراحة وانما ازالته ببركة ريقه الشريف وكذا يقال فى قصة عينى قتيبة ارتها

ولعل هذا هو السر فى تعبيره فى كل منهما بقوله فائدة فكأنه يقول فائدة زائدة عن المقام لمناسبة لا تخفى تأمل

ارتها جناس الاشتقاق (الزرقاء) المشهورة بزرقاء اليمامة التى كانت تنظر من مسيرة ثلاثة أيام * روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال أين على ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما فى رواية اخرى قالوا يشتكى عينيه قال ارسلوا اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وعند الطبرانى عن على رضى الله تعالى عنه فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا على صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومى هذا * (فائدة) * روى ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى قتيدة وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان قد وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط الابيض فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لبيضتان (و) منها أيضا انها (اعادت على قتادة) بن النعمان رضى الله تعالى عنه (عينا) له ذهبت (فهى حتى) أى الى (يماته الخلاء) أى الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فأتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدتهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من انت فقال

أبونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى احسن رد

فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ماعين ويا حسن ماخد

فوصله عمر رضى الله عنه واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية اصيبت عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبرانى وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما اندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم فقتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدتهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان أحد الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم على انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها ترجح رواية الثنتين (أو) لبته خصى فى اليقظة أو النوم نظير ما مر (باشم) اى بتقبيل (التراب) المنفصل (من قدم) له صلى الله عليه وسلم موصوفة باوصاف جليلة كثيرة كسابقها منها انها كانت اذا مشت على حجر (لانت حياء) أى لاجل او من

قوله رمدت) من باب طرب انتهى مختار (قوله وعند الحا كم الخ) هذا هو الملائم للمقام وأما رواية البخارى التى قبل هذه البرء فيها من ريقه لا من كفه تأمل (قوله والقر) أى البرد (قوله واسعة النظر) أى لا واسعة الجرم عن الاخرى لان ذلك يشوه (قوله تقذرنى) القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقذرت الشئ من باب طرب وتقذرته واستقذرته أى كرهته انتهى مختار (قوله اندرت) أى سقطت (قوله ويجمع الخ) هذا الجمع قد ينازع فيه ما فى الواحدة من الزيادة بنحو قوله اللهم اجعلها احسن عينيه وأحدتهما نظرا فتأمله اذ هو ظاهر اوصريح فى سلامة الاخرى فيعارض فسقطتا على وجنتى الذى هو نص فى عدم سلامتهما معا وانما كان ينجبر الجمع لو اقتصر فيها على قوله اندرت منه حدقتى انتهى طبلاوى

(قوله واجلالها لها) يقتضي ظاهره ان النسخة التي شرح عليها القطعة مسها بالسين المهملة من المس لا مشيها بالشين المعجمة والا لقال عليها أي الصفواء وقوله آنفا اذا مشت على حجر يقتضي ظاهره ان النسخة مشيها والخطب سهل (قوله الصلدة) الصلد هو الصلب الاملس (قوله وأعيد ضمير الخ) ١٨٤ حرره فان الضمير قد أعاده على القدم وهي متقدمة رتبة ولفظا والمتقدم رتبة فقط هو الصفواء وأيضا ليس بعدها ما يعود ضميره منه عليها في كلام الناظم نعم ضمير لها في كلام الشارح عائد على الصفواء فيصح ان يقال فيه أعيد عليها المذكر وكذا ضمير استحيائها وضمير اجلالها السابقين (قوله لكن بلا سند) وفي فتاوى الشارح هل ورد انه صلى الله عليه وسلم لان له الصخر وأثر قدماه فيه وانه اذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه وانه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة وان الاثر الموجود بها الآن أثر قدمه وانه صلى الله عليه وسلم لما جاء الى بيت أبي بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق في الحجر وأثر فيه وبه سمي الزقاق بمكة زقاق المرفق فاجابه بقوله أجاب الحافظ السيوطي لما سئل عن ذلك كله فقال لم أقف على اصل ولا سند ولا رأيت من خرجه من كتب الحديث انتهى وقد ذكر الائمة ان الحافظ اذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا اعرفه دل على عدم وروده (قوله الاخمص بضم الميم) في شرح ابن عبد الحق بفتح الميم على الاشهر (قوله والخمصان) (وطاء) بضم الخاء وفتحها (قوله البالغ فيه) أي الخمص المفهوم من الخمصان (قوله اذا مضجعي) بفتح الجيم انتهى ابن عبد الحق (قوله أي اصابه القضض) عبارة ابن عبد الحق أي اصابه تراب منه ثم قال ووصف ذلك التراب بانه اذا اصاب مضجعه من ترابه كان فراشا في الحقيقة لقلبه يستريح باضطجاعه عليه أعظم من استراحته باضطجاعه على الفرش اللينة

جهة استحيائها منها واجلالها لها (من) اجل (مسها) اي تلك القدم الكريمة لها (الصفواء) اي الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مسها وما بعده عليها التقدم مها رتبة وتنبه بذلك على انه ينبغي لك أيها العاقل ان تستحي من مخالفتك ما جاء عن نبيك صلى الله عليه وسلم لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحى منه ان يبقى على صلابته مع مشيه عليه صلى الله عليه وسلم فتشوق عليه صلابته فلان لك حتى يسهل عليه مشيه عليه فأنت اولى بالاستحياء منه ان تبقى على مخالفتك مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه صلى الله عليه وسلم ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة الجلال السيوطي في خصائصه وعما أورده رزين صاحب الصحاح في خصائصه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وذكر الحافظ التبريزي الحنبلي تلميذ ابن القيم ذلك في خصائصه فقال وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا ابلغ ثم قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لانت تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة الجارية وقال في أول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبي من المعجزات وما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وما له من الفضائل والفواضل (موطئ) بدل من التراب (الأخمص) بضم الميم والمراد به الجنس أي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان البالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن أبي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبي امامة كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها لان المراد ان اخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون وان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم (الذي) نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بالتكلف (منه) صفة للمبتدا الذي هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا (للقلب) خبر للمبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومر المراد بالقلب والخلاف في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير (اذا مضجعي) أي جنبي الذي اضطجع عليه (اقض) بالقاف والمعجمة أي اصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس

(قوله كما ان الفراش الخ) فيه ان الفراش انما يصون من تعب البدن الظاهر من نحو بعوضة لا من الخواطر والشغل بالاغيار فكان الظاهر ان يقول كما ان الفراش يصون من تعب الظاهر فتدبر (قوله وهذا أولى واظهر الخ) عبارة الشارح فى الاعراب وموطئ الاخص يصح جره بدلا من التراب ورفعه خبرا لمبتدا محذوف والاخص مضاف اليه والمراد

(وطاء) أى فراش وصف ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه أصابه تراب فراشه الذى هو من جملة ذلك التراب سرى سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فانار وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاهوال كما ان الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا أولى واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتأملهما ومن أوصافها أيضا انه (حظى المسجد الحرام) يعنى جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما فى القرآن فى مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا فى نحو قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام (بمشاها) أى بمشى ثلاث القدم فيه أى فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه أكثر العلماء بواسطة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب ارض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذى يرويه مفضلو المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية أبو عمر بن عبد البر وصرح بان افضلية مكة هى الحق عند من الهم رشده ويرى من التعصب (ولم يلس حظه) منه (ايلياء) أى بيت المقدس بل شرف بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه أيضا وصلاته فيه بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسراء كما جاء ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه هو الذى أنشأ شرفها كما قال فى الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة أى نزل تحريمها على لسانى ولم يسبق زمنى بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما فى حديث البخارى وغيره فحديث البخارى وغيره ايضا ان ابراهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فيما أنشأ حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبل على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غير حينئذ فضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرميتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين حظى وحظه كورمت وربى تجنيس شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا انها (ورمت) كما فى حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية لهما عن عائشة رضى الله تعالى عنها قام نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفى رواية حتى

ويقال القدس والقدس بالسكون والتحريك والمسجد الاقصى وصهيون كبرذون بكسر الصاد المهملة والزيتون أيضا يقال لمسجد بيت المقدس اه من مثير الغرام الى زيارة القدس والشام (قوله ورمت) يقال ورم يرم بكسر الراء فيهما وهو شاذ اه مصباح

(قوله تفطرت) اى تشققت (قوله فلما بدن) من باب ظرف اى سمن فقوله وكثر لحمه تفسير (قوله قام فقرأ) انظره فانه انما جلس ليقرأ لمشقة طول القيام مع البداية وحينئذ فقيامه لمحض الركوع من قيام لا للقراءة قبله (قوله اى طا الارض) انما يظهر ذلك على القراءة الشاذة بسكون الهاء لتكون بدلا من الالف أو هاء السكت قال البيضاوى وقرئ طه على انه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت فى يطأ ألفا كقوله لاهنالك المرتع

ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وقوله على احدى رجليه قال فى الخازن ليراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وقوله ثم بنى عليه اى على المضارع وعلى فتح الهاء يكون ذلك قسما اى أقسم الله بطوله وهدايته فالطاء مقتطعة من طول والهاء من هداية وقيل هو اسم من أسماء الله اى مأخوذ من اسمين لله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى كذا فى الخازن (قوله ليزيل صولة عدوه) اى سطوته واعتداءه (قوله ووطأته) اى قيامه (قوله وبهذا التقرير الخ) لم أر من نبه له للشارح والذى فى نسخة صحيحة منه ما نصه ورمت جملة فعلية فاعلها ضمير يعود على القدم اذ ظرف اى وقت قيامه عليها الليل ورمى بها فاعله يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وبها متعلق برمى وضميره للقدم والجملة فى محل جر باضافة اذ اليها وظلم الليل مفعول ومضاف اليه وخوفه مبتدا والرجاء معطوف على المبتدا والى الله خبر المبتدا وما عطف عليه اى الامر ان منه يتقرب بهما الى الله (قوله الشهود دائم المثول) قال الجوهرى مثل بين يديه منولا اى انتصب قائما اه قال فى المختار بابه دخل وقال فى النهاية ومنه من سره أن يمثل له القيام له قياما فليتبوأ مقعده من النار اى يقومون له قياما وهو جالس يقال مثل الرجل يمثل مثولا اذا انتصب قائما ودوام المثول حال المراد لله المحبوب له فانه يحبته له ينسيه ما عداه فيعبده لذاته خالصا سأل رجل معروفا الكرخى اى شئ أهيج للعبادة وأقطع لهوى النفس فقال خوف الموت فقال وأشد من ذلك قال هول الموقف فقال وأشد من ذلك قال يا أخى ان أحببت أحببته وان أحببته انساك هذه كلها وعبدته لاجله خالصا

تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير اترك تهجدى فلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب ليكون التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه قال ابن بطال شارح البخارى فى هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار اه قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف اصابعه فأنزل الله تعالى عليه طه اى طا الارض بكل قدمك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك القرآن لتشقى (اذ) اى وقت اولا جل انه (رمى بها ظلم الليل) فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريف بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله تعالى اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل صولة عدوه ووطأته فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى بها فى النفس واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقى للباء على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من اوعن وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف اوسعة رجاء بين الناظم رحمه الله تعالى أن قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه فان خوفه ورجاءه صلى الله عليه وسلم اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال (الى الله) خبر مقدم (خوفه) منه قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله تعالى واخوفكم منه (والرجاء) اى وسعة امله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه عن أن ينظر او يميل الى غيره طرفة عين بل هو دائم المثول فى حضرات

الشهود الاقدس والقرب بمعالى القرب الانفس ووقع للشارح رحمه الله تعالى حل هذا البيت على خلاف ماذكرته وماذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متأمل ثم رأيت القرطبي اشار لماذكرته حيث قال ظن من سأله فى حديث الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فأفادهم أن هناطريقا آخر للعبادة وهو الشكر اذهو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وفى الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد فى العبادة والخشية من ربه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم فى عبادته تعالى ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله اعظم من أن يقوم بها العباد اه وقيام الليل كان فى اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى فى أول سورة المزمل ثم نسخ تعالى فى آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لكن أكثر أصحابه على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى عبادة زائدة فى فرائضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه صلى الله عليه وسلم لا ذنب عليه فسأل تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب وأما حديث اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل فهو تعليم لامته صلى الله عليه وسلم وبين الخوف والرجاء المقابلة ومن أوصافها أيضا انها (دميت) اى خرج دمها (فى الوغى) قال الشارح هو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا اه (لتكسب) هى (طيبا ما) الذى (أراقته) (من الدم) بيان لما (الشهداء) جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله له فيها عند طلوع روحه أو مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل أراقت اى من حكم خروج الدم من رجله المشرفة أن يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رائحة دمهم كريح المسك كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بأنه كذلك وكان ينبغى للناظم أن يذكر هذا من أوصاف يديه الكريمة لان الذى فى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله تعالى فأبوا واغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحبه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان اصل الوغى

(قوله ووقع للشارح رحمه الله الخ) عبارته ووصف القدم المذكورة بأنها ورمت من طول قيامه عليها فى طاعة الله تعالى صلاة وخوفا ورجاء وان كل ذلك الصادر منه لله تعالى عصمه الله من الميل الى أعراض الدنيا صلى الله عليه وسلم (قوله والجلبة) عبارة المختار الجلب والجلبة بفتح اللام فيهما الاصوات وعليه فهو من عطف المرادف وذكر قبل ذلك ان الجلب يجلب جلبا بوزن طلب ويطلب طلبا بمعنى صاح به من خلفه واستحثه للسبق وكذا جلب عليه وأجلبوا عليه تجمعوا (قوله تشهده) اى تحضره (قوله عند ذلك) اى خروج روحه (قوله وقد يحمل الى آخر ماذكره) انما يصح كون ماذكره من أوصاف رجله لا راحته فيقتضى أن المناسب ذكره من أوصافها ايضا فلم يستفد من ذلك الحمل الجواب عنه فتأمل (قوله أدموا رجليه) اى عراقيبه كما سيأتى التصريح بذلك وهى عصب فوق القدم فلا يطابق المدعى من كون الذى دمى قدمه فان ثبت نزول الدم من خصوص القدم بمجرحها اتضح ماذكره من غير احتياج لتكلف جواب فتدبر

الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على أن لنا أن نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا ذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا وهذا حرب اى حرب لان من اقام بين ظهراني العدو يواجههم بما يكرهون من غير أن ينزجروا بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اى محارب ويدل لذلك أن اثمتنا عدوا من المحاربين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الآخر وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولآلهتهم وبما قررته يعلم عذر الشارح في صرفه الوعي عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي وقال انه المراد هنا اى كما يقتضي به سياق النظم لكن كان عليه أن يبين ما يشهد لذلك المراد من كتب السير اوغيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمت وانهاد ميت في الحرب ليكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا (فهي) حينئذ (قطب المحراب و) قطب (الحرب) اى انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى ولا اخشع لله تعالى منه ولا اشجع كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فاذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء بها والمجاهدة معها كما قال (كم) اى مرات كثيرة (دارت عليها في طاعة) لله تعالى حال من قوله (ارحاء) اى قبائل وهذا تذييل وقطب الرحا ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمتصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق (وأراه) اى اعلم انه صلى الله عليه وسلم (لو) هي مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثاني ويصح ان ماجت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ماجت واعلم أن الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد أردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفته فأقول هي شرط للماضي غالبا واختلفت عبارات النحاة في معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف في مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز أن يكون للشئ اسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفي تعدد الآلهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز أن يفعله الاله

(قوله أذلقته) بذال معجمة وقاف اى أضعفته (قوله في طاعة) اى من صلاة وجهاد وغيرهما (قوله واستفيد من ذلك الخ) قد يقال هذا لا يفيده جوهر اللفظ وان كان ما ذكره ثابتا في نفس الامر اذ المستفاد من جوهره أنها مركز دائرة خصوص العباد والمجاهدين فتدبر

الواحد

الواحد سبحانه اه وردوا عليه وأطالوا وصوبوا أن المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بأن الجواب قد لا يمتنع في اما كن كثيرة نحو ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام الآية وقول عمر رضي الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حول جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بأن لزم الثاني الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخالفه المقدم في ترتب الثاني عليه غيره لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فانتفاء هما لازم لتعدد الآلهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء ولم يخالف التعدد في ترتب الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خالفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخالف الانسان في ترتب الحيوان غيره كالحمار ويثبت الثاني مع انتفاء الاول ان لم ينافه انتفاؤه وناسبه اما بالاولى كاثر عمر المرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو أنسب للترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى أنه لا يعصي الله مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا لله تعالى عن ان يعصيه او المساوي كقوله صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع (لم يسكن) هو (بها) اي بقدمه الشريف (قبل) بالبناء على الضم (حراء) مفعول يسكن بالصرف هنا لاغير لئلا ينزحف الوزن وفي غير هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين (ماجت) اي تحركت واضطربت (به) اي القدم او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها (الدأماء) اعلم أن الشارح رحمه الله تعالى تكلم على هذا البيت بما فيه خفاء ونظر لانه جعل مفعول اراه الثاني ماجت ولو لم يسكن شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال في الدأماء هي بالمعجمة كأنه اراد بها سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافه صلى الله عليه وسلم انه لو لم يسكن بالقدم المذكور حراء لما اراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه به صلى الله عليه وسلم كما انه لما صعد احدا تحرك به فقال اسكن احد فذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل اه ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت في غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على انه في القاموس لم يذكر الدأماء بالمعجمة ولا الدأمه بالمعجمة معنى مناسبا بالسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر لا دأمه

(قوله ان ماجت جواب لو) أو مفعول ثان دل على جواب لو المحذوف كما سبق آنفا (قوله استعارة مرشحة) ذكر البيانيون أن الترشيح يجوز أن يكون باقيا على حقيقته وأن يكون مستعارا من ملائم المستعار منه للائم المستعار له فاذا ذكره الشارح جاريا على هذا الجائز الثاني بتشبيه تحرك الجبل بموجان البحر واستعارة الموجان للتحرك ثم اشتق منه ماج بمعنى تحرك ففيه استعارة تصريحية تبعية فهو ترشيح لفظا لتجريد معنى وتسميتها مرشحة لجريانها في الترشيح والافهي تصريحية تبعية كما علمت (قوله اى استمر الخ) اذهو الذي انتفى بمقتضى لو والا فأصل التحرك قد وجد لكن قوله الى آخر الدهر تحتاج استفادته الى عناية وقد يقال ان التحرك تحرك طرب ومن خلق الله فيه قوة ادراك الشبيه من حلول النبي ومن معه عليه لا يغفل عنه فلا ينقطع تحركه (قوله لكن لما احتاج الخ) فيه أنه لا يحتاج في التشبيه المبني عليه الاستعارة الى ذلك العدول لان الضمير في ماج العدول عنه كهذا الظاهر في العدول اليه في جريان الاستعارة وان اختلفت حقيقة الاستعارتين من أنها في الظاهر مصرحة وفي الضمير مكنية نعم استقامة لنظم متوقفة على هذا العدول (قوله واهدأ حرا) اى اسكن يقال هدأ يهدأ كخضع يخضع (قوله أنه لا مسكن غيرها) حق العبارة أن يقول لا ينافي كون المسكن غيرها معها أو يقال لا تقتضي أنه لا مسكن الا هو فتامل (قوله تسمية للمحل الخ) لم يجعل من تسمية المكل باسم الجزء لانه ما خلقت منه الارض غير ما خلقت منه الجبال كما سبق فخلقت الارض أولا ثم خلقت الجبال عليها

ما فيه تناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذأمه بالمجسمة كنعيه حقره وذمه وطرده وخزاه والاذآم الرعب وما سمعت له ذأمة كلمة اه وانما ذكر الداما بالمهملة فقال دأم الحائط كمنع دعمه وتدأم الماء الشئ نمره والفحل الناقة تجللها وتداءمه الامر كتفاعله تراكم عليه وتزاحم والداماء البحر ثم قال وجيش مدأم كمنبر يركب كل شئ انتهى والذي يتجه في حله ان ماجت جواب لو وان الدأماء بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه لو لم يسكن بقدمه حراء قبل اى عند ابتدائه تحركه به بقوله له اثبت حراء الى آخر ما مر في شرح قوله فاهتز به للصلاة فيها حراء الماج اى استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان القياس لو لم يسكن بقدمه الشريف قبل حراء ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الدأماء لافادة ما في تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذي مر في حراء انه انما قال له اثبت ونحوه ولم يضربه بقدمه وانما الذي ضربه بقدمه أحد وثبير فمن أين للناظم قوله لو لم يسكن بها قبل حراء قلت كأنه نظر لما في بعض الطرق في مسند الحرث بن أسامة اذ فيها أحد أو حراء بالشك وصح في رواية حراء وفي رواية أحد فاقتضى ذلك أن الضرب بالقدم الكريمة في حراء كما انه في أحد ولك أن تحمل النظم على ان المراد لو لم يسكن حراء قبل اى قبل طلوعه عليه هو وأصحابه بقدمه اى مشبه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر توجه واضطرابه حتى طلع عليه ثانيا هو وأصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شئ الا أن يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت او اهدأ حرا فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بأنه لا مانع أن المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافي انه لا مسكن غيرها ولك ايضا أن تجعل الدأماء الارض تسمية للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لو لم يسكن بقدمه الكريم حراء اى بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره * (تنبيه) * اشار صلى الله عليه وسلم في أحد الى أن سبب تحركه به محبته له فقال أحد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابي والمراد بحب أحد حب أهل المدينة نحو واسئل القرية ورده البغوي وتبعوه بأنه لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم على قبل النبوة وروى البزار وأبو نعيم حديث لما أوحى الله

(قوله لا بالقيدين المذكورين) اى العناد والخذلان بقرينة قوله وان قارنها الخ وأما الحسد والغل فيرجعان الى العناد لانهما سببه (قوله ان نؤمن الخ) اى تعنتا بعد ما ألزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه والينبوع عين لا يفور ماؤها (قوله أو تكون لك جنة الخ) اى بستان يشتمل على ذلك (قوله أو تسقط السماء الخ) يعنون قوله تعالى أو تسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو

وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وأبو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور

الى تجعلت لا أمر يشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن به من فوره بين أن الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا حقيقون بأنه يقال فى شأنهم (عجبا) بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول (للكفار) اى منهم حال كونهم (زادوا ضلالا) بالمعجزة القرآن وغيره (الذى فيه) اى فى كل فرد من افراده (العقول) السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل وما فيه من الخلاف (اهتداء) الى الدين الحق الذى جاء به صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح أن يراد العقول لا بالقيدين المذكورين جملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان قارنها عناد أو خذلان وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الآتيين الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التى ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (و) عجبا أيضا من (الذى) يسألونه (منه) على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه (كتاب منزل) معه عليهم من السماء (قد أتاهم) به وهم يشاهدونه (وارتقاء) منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا له أيضا لقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فاسئل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا فى بلادنا وليخرق لنا فيها انهارا كأنهار الشام وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته فى هذا البيت أولى مما قرره الشارح فيه من أن الذى مبتدأ خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبى الانكارى فى قوله (أ) يقولون ذلك كله ويتعنتون به (ولم

على كفرهم مع مشاهدتها يعنى معجزاته صلى الله عليه وسلم بل من ازدياد كفرهم مع مشاهدتهم من الآيات والمعجزات ما يرشد العقول الى الحق ويهدى اليها ولا المعاندة والخذلان وأخذ يوبخهم بما حكاه عنهم من أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم أن يرقى فى السماء ويأتيهم بكتاب منزل عليه ولم يكفهم عن ذلك الذى تعنتوا بطلبه واقترحوه عليه ما أنزل عليه من الكتاب العزيز الذى هو رحمة للمذنبين وشفاء للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

يكفهم) عن ذلك كله (من الله) حال من فاعل يكف وهو (ذكر) واصل اليهم وتسميته ذكرا جاءت فى آية مراد بها الشرف كما فى آية وانه لذكر لك ولقومك وفى أخرى مراد بها انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر (فيه للناس) والجن والملائكة (رحمة) باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم (وشفاء) من كل داء ظاهر وباطن حسى أو معنوى كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض أكابر أئمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازى وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوية والمعاد وفى القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفى ويشفى وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الاخلاص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بالكلية وعدم أكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن هذه حالته على أى مرض كان مبرئة له وان أعيا الاطباء ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك فى الادوية والادواء الحسية فقد روى حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن وعن العارف الامام الكبير أبى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى أن ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ما بولده فقال له أين أنت من آيات الشفاء اى وهى ست آيات مشهورة فكتبها ومحاها بماء وسقاها له فكأنما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شئ مما اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فمن ذلك بل أبهره فى قمع المعارض واد حاض الجاحد أنه (أعجز) قيل علم اعجازه ضرورى والاصح أن محله فيمن شاهد النبى صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهر أن المشاهد يحصل له العلم الضرورى بالاعجاز ان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضرورى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع أن ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم

قوله والملائكة) ظاهر بالنسبة للرحمة وقد وجه ذلك بقوله وانما لت الخ لانهم يتنعمون ويتلذذون باستماعه وذلك نعمة عظيمة وأما كونه شفاء فخاص بالثقلين لان الملائكة اجسام نورانية لم نعلم اتصافهم بأمراض حسية ومعصومون فلا يتصفون الامراض المعنوية فلا يحتاجون لدواء تأمل (قوله ولا انجع الخ) قال فى الصحاح ونجع فى الدابة العلف ولا يقال انجع وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء اى دخل واثر فيه اه وقوله ولا يقال انجع اى من باب الفعل المزيد وأما صيغ اسم التفضيل من نجع كما فى الشارح فصحيح تأمل (قوله بقراءته) أو بكتابته ومحو نقوشه بالماء او نحوه وشربه كما فى قصة القشيرى الآتية (قوله وهى ست آيات) هى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما فى الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

يعد لاسيما وكل أحد يدرك فرقا بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما (الانس آية) عبر بها تبعا للفاضي ولم يبال بأن الذى عليه الجمهور أن اقل ما وقع به التحدى اقصر سورة منه وهى ثلاث آيات ومثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله فعجزوا فطلب أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدرا قصر سورة من سوره وذلك لان فى دليل الجمهور شيأ اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على اقل منها الان المشاهدة قاضية بأنهم عجزوا حتى عن بعض الآية المفيد كما يفيده قول الناظم الآتى أو بعضها الان فى ارتباطها بما قبلها او بعدها انواعا من بدائع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى ثم نظرا وبعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها او ما بعدها واما التصريح بأنه لم يقع العجز الا عن ثلاث آيات فتردده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيأ (منه و) اعجز (الجن) آية منه ايضا وذكرهم كالآية لان التحدى وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث لهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما لاعجازه لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى يرد بان الآية تقتضى انهم يحسنون اللسان العربى فادعاء خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم مندوبون فى الآية أيضا وانهم لا يقدرون على معارضته اى وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع أحد من الفريقين بل الثلاثة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتى بمثل سورة أو يأتى بمثل آية منه على نظمه البديع وتاليفه المتسع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ (فهلا هى فى الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لو لا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما للك فلو لا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة الآية فهى هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا التوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض أهل الضلال والالحاد (يأتى ببعضها) اى الآية والمراد ببعضها المفيد وفى نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود ضميره على ما ذكر من الآية وأعاده على القرآن وما قلناه أبلغ (البلغاء) جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب أو المحكى من تنكير أو اطلاق أو تقديم أو اضمار أو ايجاز أو فصل أو ضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى

(قوله او بعضها) لا وجود له فى كلام الناظم وانما النسخة المحرفة ببعضها وهى خطا والصحيحة بأنى بها البلغاء فان كان هناك نسخة ثالثة هى به او ببعضها ظهر قوله او بعضها وهى أفحش تحريفا من نسخة ببعضها تأمل (قوله تعظيما الخ) اى لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز (قوله العربى) اى الذى جاء القرآن على أساليبه (قوله بان الآية) اى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن (قوله وفى نسخة الخ) اى وشرح عليها هو أيضا فى النسخة المرجوع عنها نقال به اى بمثل ما ذكر من السورة أو بعضها ثم ضرب عليه وعدل الى ما رأيت من قوله ببعضها وهو مبنى على ما حرفته يد التحريف فى النظم اذ لا يخفى ان قوله ببعضها يخرج النظم عن ميزان الشعر ويلحقه بالنثر فالصواب ما شرح عليه أولا من قوله به فليرجع اليه وليعتمد عليه (قوله به) اى بدل قوله ببعضها وهو الصواب لعدم استقامة الوزن على نسخة ببعضها (قوله على القرآن) اى المعبر عنه فيما سبق بالذكر والا فلفظ القرآن لم يتقدم تأمل

تعقيب أو استدراك وأفاد الناظم رحمه الله تعالى بهذا أن البلغاء والشعراء فضلاء عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء والفهماء في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء في قوانين المعاني والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة أظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان أعلى أربهم ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة عن السكوت عن معارضة آية منه المستلزمة لنقض أمره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم أني افتريته لعلي بأخبار الامم فأتوا بمفترى مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا ظهر وجد من يستجيده ويحامي عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء أصحابه وخطباء امته صلى الله عليه وسلم قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله تعالى وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه معجز وانهم لا يأتون بمثل اقصر سورة منه فلولا أنه على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع أحد منهم ان يناديه ولم يرفع رأسه الى ان يباريه بل رضيت هممهم السرية وأنفسهم الابية اذ كانوا آنف شيء وأشده حمية يسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء رضي الله عنهم من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع أنهم اوتوا منهما مالم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويترسلون في أوديتهما فيأتون بالسحر الحلال ويتطوقون من درهما أجمل من سمط الجمان فلا يشكن عاقل أنهم ما طوع مرادهم وسلك قيادهم فما راعهم الا رسول كريم بكتاب قديم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مقالا وأشده ما وجدوا في الخطابة والشعر منالا صار خافيهم في كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا أجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى أسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم

(قوله في قوانين) جمع قانون اى أصل وليس بعربي (قوله في مهامه) المهمه المفازة البعيدة والجمع المهامه اه جوهري (قوله عوار) العوار العيب وقد تضم العين اه صحاح (قوله في الآية) اى العلامة (قوله مصقع) بكسر الميم وسكون الصاد اى بليغ (قوله يباريه) اى يعارضه ويأتي بمثله (قوله آنف شيء) يقال أنف من الشيء يأنف أنفا وأنفة اى استنكف اه صحاح (قوله من سمط) السمط وزان حمل القلادة اى الخيط مادام فيه الخرز والا فهو سلك (قوله الجمان) بالالام هو الموافق للسجع ووقع في بعض النسخ الجمان بالنون وكتب عليه بعضهم الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعها جمان

(قوله بالتشغيب) اى تهييج الشر (قوله وأساطير) قال فى القاموس والاساطير الاحاديث لانظام لها جمع اسطار واسطير بكسرهما واسطور وبالهاء فى الكل اه اى اسطارة واسطيرة واسطورة وقيل هى الاباطيل وأصلها من سطرت اى كتبت اه من تفسير الثعلبى (قوله فلو بناغلف) اى عطى عليها بغلاف فهى لاتحفظ والغلاف غلاف السيف (قوله وفى أكنة) اى اغطية (قوله وقر) اى ثقل (قوله بل ابسلوا) قال فى الصحاح وقد بسل بالضم بسالة فهو باسل اى بطل ثم قال وابسلت فلانا اذا أسلمته للهلكة (قوله اميا) قال بعضهم أعظم به ممدوحا بخصيصة هى فى حق سواه نقيصة وحكى الجرجانى من الالفاظ التى ظاهرها مدح وباطنها ذم قول بعضهم فى فلان فضيلتان من فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وهما امى لايقول الشعر (قوله وان عليه لطلاوة) اى حسنا وقبولا (قوله وان أسفله لمغدق) لفظ ابن اسحق وان أصله لغدق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة والغدق النخلة بحملها ولفظ ابن هشام لغدق بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من الغدق وهو الماء الكثير ورواية ابن اسحق أفصح لان بها آخر الكلام يناسب أوله (قوله ماهو برمزمته) الرمزمة صوت خفى لايكاد يفهم وكانه والله أعلم اذا أراد الكاهن حضور رئيه من الجن زمزم له فيحضر (قوله بحنقه) بالحاء المهملة اى غيظه وبعضهم ضبطه بالمعجمة وكسر النون مصدر خنقه اى ربط عنقه بحبل والمناسب للمقام الاول تامل (قوله ولا بوسوسته) هى مايلقيه الشيطان (قوله ماهو بنفثه) اشارة الى مايفعله الساحر من عقده خيطا ثم نفثه عليه والنفث بالفم شبيه بالنفخ والنفل يكون معه شئ من الريق

ويلوى بخهم ويسفه أحلامهم ويحط اعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح نفوسهم وأموالهم وهم لايزدادون الا تفقها عن المعارضة لم يأتوا بمقال صابرون على البلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته مجمعون عن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء فى قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو أطاقوا أدنى معارضة لبادروا اليها وأخمدوا الخصم الذى كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء أموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد بل ابسلوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتى اليهم بمكث بين ظهرانيهم أربعين سنة أميا لايحسن نظم كتاب ولاعقد حساب ولاتعلم سحرا ولاأنشد شعرا ولايحفظ خبرا ولاروى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقى وغيره ان عتبة ابن ربيعة قام من مجمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال صلى الله عليه وسلم له اسمع منى وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسجد فسمع ما يهره فقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت ذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا له ماوراءك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ماهو بسحر ولا شعر ولا كهانة أطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ماهو فيه فليكونن لقوله نبأ ولما بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحق والبيهقى ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة طلب منه ان يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية فاستعاده اياها فأعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى وما يقول هذا بشر ومافيكم اعلم منى بالشعر وأجمعوا فيه رأيا قبل حضور وفود العرب فى الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول انه كاهن قال ماهو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ماهو بخنقه ولا بوسوسته قد قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه ماهو بشاعر قالوا ساحر قال ماهو بنفثه ولا بعقده وما انتم قائلون من هذا شيأ الا وانا

(قوله والسفساف) بفتح السين الردى من كل شئ والامر القبيح اه صحاح فقوله القبيح نعت كاشفة (قوله الى المرتبة العليا) ظاهره اختيار مذهب القاضي الآتي في شرح قوله كل يوم تهدي الى سامعيه الخ من ان كل جملة منه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة فتراكيبه غير متفاوتة فيهما وبقوى اختياره لذلك قوله فلا يضع لفظة الخ ويحتمل اختياره مذهب أبي نصر القشيري الآتي أيضا من تفاوتها فيهما بان يريد ان مجموع تراكيبه في المرتبة العليا لا كل فرد فلا ينافي ان البعض متصف باصل الفصاحة لا باعلاها فليحرر

(قوله مسيلمة الكذاب اللعين) ويروى عن اللعين انه قيل له ان محمدا اذا تفل في الماء الملح صار عذبا فهلا تتفل في هذا البئر الملح فيصير عذبا مثله فتفل فيه فغار ماؤه وأتى له بأعور فدعا الله تعالى ان تعود له عينه العوراء ففارت الصحيحة فقيل ماهذا فقال ان محمدا بعث بالعمار وبعثت بالخراب وقد أنزل الله تعالى فيه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الآية وقتل في أيام أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه زمن خلافته لما غزا اليمامة وقتله وحشي قاتل حمزة ابن عبد المطلب قال قتلت بحربتي خير الناس وقتلت بها شر الناس يعني مسيلمة ويعني بخير الناس حمزة رضي الله عنه ولعل الله ان يكفر هذا بذاك (قوله ياضفدع) بكسر الضاد والدال كزبرج وبفتحهما كجعفر وبضمهما كجندب وبكسر أوله وفتح ثالثه كدرهم وهذا أقل أو مردود (قوله كم تنقين) يقال نق الضفدع والعقرب والدجاجة ينق نقيقا اى صوت وربما قيل للهر أيضا والنقاقة الضفدعة والنعنقة صوتها اذا ضوعف (قوله والذاريات) قال الفيل المفسرون يعني الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء لولودهن يذرين الاولاد أو الاسباب التي تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم والعمل المراد بالذاريات في قول اللعين والذاريات قمحا الايدى الباذرات والمفرقات للقمح في الارض للزراعة بقرينة قوله لعنه الله والحاصدات والطاحنات والاقاليم التي ذكرها المفسر في تفسير الذاريات في كلام رب العزة لا تناسب ماذكره هذا اللعين الا بتكلف تامل (قوله شراسيف) النمرسوف كعصفور غضروف معلق بكل ضلع أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن اه قاموس

أعلم أنه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقي لما رأى قراءة القرآن عليه جاءه اللعين ابو جهل فقال ياعم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا للمال فقال قد علموا أني من أكثرهم مالا قال فقل فيه مايعلم قومك انك كاره له فقال ماذا أقول وذكر ما مر من مدح القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر ساعة فلما فكر قال هذا سحر يؤثر أي ينقله عن غيره فتأمل قضاء هؤلاء الاشقياء على أنفسهم بالعناد المحض والسفساف القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما أحسن ماقيل لو وجد مصحف بقلاة لشهدت العقول السليمة بأنه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم بأقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا وأما تفصيلها فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر مقصود اعجازه في أمور أربعة وعدها بعضهم أكثر من ذلك وهي ترجع الى ماقلناه أحدها مافيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب والفصاحة بحيث وصل في كل منها ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة العليا التي لا وراءها لمتطاول ومعنى لصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصرانى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال بعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من أمر الدنيا والآخرة ولقد رام بعض سفهاء العقول محاكاته بعض قصار المفصل فأتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين ياضفدع كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر وقال آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال آخر الفيل وما

الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها لخير عقول لهم حتى لم يهتدوا الى مثل شئ منه اذ لا مثال له يعول عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت اليهم فصاحة وقتهم شيأ من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحا ما عمل ثالثها تأثيره في النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمله بل كلما ازداد تكريرا زادت حلاوته واتضحت طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا في الكتاب من شئ ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ومايكون نحو فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وان يتمنوه أبدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودي وهذه أيضا من أبهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما لذاته من حيث لفظه ومعناه لخصوصان اذ تاليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما لصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر أيضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة أو مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي التوجه ولهذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لحرفة أخرى وهكذا فلما دعا الله تعالى أهل البطالة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يهتدوا للمعارضة لم يخف على أولي الالباب ان لها صارفا الهيا صرفهم عن ذلك وأي اعجاز أبلغ من ذلك اهـ ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للظلام من المعتزلة لكن أفسدوه بأن قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فيه دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة الاعجاز الى القرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة أيضا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى الحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها على الاتيان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان أهل فن

قول الخبيث وثيل كذا في النسخ بالمثلثة والظاهر ان الواو للعطف اى وله ثيل وفي القاموس الثيل بالكسر والفتح وعماد قضيب البعير وغيره أو الفضيب نفسه اهـ

(قوله له ب و ي ـ ل) قال في الصحاح الويل بالياء الموحدة الشديد وقال الوثيل بالمثلثة اللين (قوله ولم يتصد) اى يتعرض (قوله بالصرفة) اى كان في قدرتهم ان يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك بان سلب علمهم بذلك فلم يكن معجزا في ذاته بل للغير

البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المعارضة كانت ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كأبى جهل ولهب نظرا لقدرتهم ما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد أيضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به وآخرين ان المعجز انما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففى قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة فى الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقنع والمعرى والمتنبى ونظائرهم فلم يأتوا الا بما تعجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادى عليهم بالعجز والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان تاب أكثرهم وأظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات وأحوال العالم الدنيوى والاخروى وغير ذلك من العجائب كان (كل يوم) اى وقت (يهدى) فاعله القراء أى توصل وأفاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية تبعها استعارة تخييلية (الى سامعيه معجزات) من بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب والا لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتدأة (من لفظه) لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادرة تارة عن الامم الماضية وأخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التى لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من أصحابنا أن كل واحد من هذه رأى قوم انه سبب اعجاز القرآن ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا فى وجوه اعجازه جزأ واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشى فقال أهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى أحدها أى وحده تحكم بل فيه غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفى الاسماع وجمعه صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهى مفتقرة اليه وهو غنى عنها ومن ثم كان أبهر فى الاعجاز من سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل معاد للكل لان سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبيله كثيرة كما تقرر فى وجوه اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من القرآن فقال هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار لشئ منه الا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس فى قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كلامه فلذلك طارت العقول وتاهت البصائر عنده واختلفوا فى تفاوته فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضى المنع وانما المتفاوت ادراك

الناس له واختار أبو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يأت كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقاء العجز عن معارضته (القراء) لان من سمع ألفاظ القرآن وتدبرها حق تدبرها علم ان كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه أمر معجز لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القرآن في الجلالة التي هرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه (تتحلى به) أي بسماعه (المسامع) من التحلية بالفاظه (و) تتحلى بالفاظه (الافواه) من الحلواء (فهو الحلي) راجع للاول (والحلواء) راجع للثاني (رق) أي حسن (لفظا) أي من جهته فلا يجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد (وراق) اي تصفى من شوائب النقص فاعجب كل ناظر فيه (معنى) أي من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق والحلي والحلواء الجناس كلاها وحليها وسور وصور والنظائر والنظراء الآيات والمسامع والافواه واللفظ والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفاء والآيات والحروف والهجاء الآيات وفيما بعدها الالف والفشر المرتب (فبسبب كون سوره رقت وراقت (جاءت) فاعله الخنساء وما قبله حال منه اى حال كونها (في حلاها) أي صفاتها الجميلة (وحليها) اى زينتها (الخنساء) بنت عمرو وخصها من بين كثيرات سمين بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما يأتي بسط الكلام في ترجمتها شبه سور القرآن في صفاتها العلية وتزينها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة بلغت في الزينة وأوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه (وأرتنا) اى أوضحت لنا وفاعله رقة الآتي (فيه) اى في القرآن (غوامض) اى خفايا (فضل) كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التي لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت (رقة) كائنة (من زلالها) الزلال ماء في غاية الحلاوة والبرودة يوجد في أجواف صور توجد في نحو الثلج تشبه الحيوان وليست في الحقيقة بحيوان كما قاله بعض أكابر أئمتنا (وصفاء) من ذلك الزلال شبه آي القرآن في محاسن أساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن حدق في خفاياهما حديد نظره وحقق في غورهما دقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوى حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب الربانية والمآرب الروحانية بما في غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما من شأنه ان يخفى وبهذا الذي قررته من برد اليقين وصفاء القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما أشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال (انما تتجلى الوجوه) أي تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة (اذا ما) زائدة (جليت) اى أزيلت وبين هذا وتتجلى تجنيس الاشتقاق (عن هر آتها) بكسر الميم والمد (الاصداء) فكذلك مرآة القلوب لا تتجلى لها العلوم

(قوله في حلاها) أصله حلى بزنة فعل بضم الفاء وفتح العين قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وأعيدت الالف هنا لعدم التنوين المقتضي لحذفها بسبب الاضافة والحلي جمع حلية بزنة فعلة بكسر الفاء وسكون العين اى صفة كلعبة ولعب وذلك قليل والكثير جمع فعلة على فعل بضم الفاء وفتح العين قال في الخلاصة والفعلة فعل اى بكسر الفاء فيهما كمرية ومرى وعجة وعجج وقد يجيء جمعه على فعل اى بضم الفاء وفتح العين (قوله بنت عمرو) اى أخت صخر ويقال لها خناس بالضم وأما خنساء بنت خذام وبنت عمرو ابن الشريد فصحابيتان وهما خلاف أخت صخر الشاعرة (قوله وخصها) يعني الخنساء باخت صخر انظر من اى شئ أخذ الشارح تخصيص الناظم بها فان لفظ الخنساء صادق على الثلاثة من ذكرت وخنساء بنت خذام وخنساء بنت عمرو بن الشريد فتأمل (قوله مفلقة) اسم فاعل من أفلق الشاعر أتى بالعجيب كما في القاموس قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه للخنساء أنت اشعر من كل ذي حر فقالت ومن كل ذي اثنين يا أمير المؤمنين

(قوله الا اذا جليت الخ) ومن أعظم ما يحصل به الجلاء ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ صقالة وان صقالة القلب ذكر الله وما من شئ انجى من عذاب الله من ذكر الله ولو ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ولذا قالوا له صلى الله عليه وسلم انا نجد للقرآن منك ما لا نجده من أنفسنا اذا نحن خلونا قال أجل انا قرؤه لبطن وأنتم تقرؤنه لظهر قالوا يا رسول الله ما البطن وما الظهر قال اقرؤه وتدبروا واعملوا بما فيه وتقرؤنه أنتم هكذا وأشار بيده فاهرها ولا يخفى عليك ان خطابه صلى الله عليه وسلم للصحابة ومعلوم ان اللائق بمقامهم ثبوت التدبر والعمل لهم فكيف نفيهما عنهم والجواب ان المراد باشارته نفي تدبرهم كتدبره ونفي عملهم كعمله لا نفي أصل التدبر والعمل وسيأتي لنا في شرح قوله كم اياتٍ آياته من معلوم في نقله عن الاتقان ان معنى البطن والظهر المناسب هنا ان الاول ما تضمنه من الاسرار التي اطلع عليها أرباب الحقائق والثاني ما ظهر لاهل العلم بالظاهر فافهم

(قوله في اشتمال كل منها الخ) ٢٠٠ عبارة السنباطي فكما تميزت كل صورة منا عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الخلقية والخلقية فكذلك سور القرآن كل منها تميز عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجملة اللفظية والمعنوية ومن ثم كان بعضها أفضل من بعض باشتمالها على ما لم تشتمل عليه الاخرى من الفضائل أو الفواضل (قوله وتطلق النظائر على الاماثل الخ) اى كما تطلق على السور وعلى الامثال والاشباه ومن اطلاقها على السور ما نقل عن ابن مسعود والملائم لسياق المتن ان المراد بالنظائر الاماثل والافاضل اذ هي المشبه بها السور لانها مشبهة بالسور كما يقتضيه قوله اى ومثل الخ فتدبر (قوله وكل منهما) اى المعنيين المذكورين الاول المثل والمناظر اى المشابه والثاني الاماثل والافاضل وقوله خلافا للشارح حيث خصص كون المراد بالنظائر في هذا المعنى الاول وعبارته والنظراء جمع نظير وهو المثل والمناظر والنظائر الاماثل والافاضل ويكون جمعا للنظير وهو المراد هنا انتهت وعلى ما ذكره من كون المراد بالنظائر هنا جمع نظير بمعنى المثل يكون المراد بها السور ويكون المراد بالنظراء الاماثل والافاضل كما نقله شارحنا عن ابن مسعود فيقتضي ذلك كون السور مشبها بها والصور التي هي الاماثل والافاضل مشبهة وهو خلاف ما ذكره قبل حيث قال وتطلق النظائر الخ فلو قال اى ومثل الاماثل الخ تلك السور الخ لوافق ما ذكره قبل لكن ما ذكره ثانيا هو الموافق لما نقله عن ابن مسعود من ان النظائر هي السور فتدبر وأنت خبير بان مدخول مثل والكاف هو المشبه به فتكون النظائر هي المشبه بها وذلك يقتضي انها الصور المعبر عنها بالاماثل والافاضل والسور هي المشبه وذلك هو الموافق لقوله سور منه أشبهت صورا منا فليحرر

والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار واذابت قواها فيما هي بصدده آناء الليل وأطراف النهار (سور) جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفي (منه) لبيان الجنس لان ما يأتي ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها كلها (أشبهت) لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها الا تتوقف على ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي بأقصر سورة منه (صورا) جمع صورة وصورة الشئ شكله (منا) في اشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان الناظم رحمه الله تعالى قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة لان ما فيه من أنواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاته لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قالوا هو ما منزلة لا يقام لهم وزن (ومثل النظائر) جمع نظير (النظراء) جمع نظير أيضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا اساقه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل ومثل تلك السور التي هي نظائر كما قال ابن مسعود ولقد عرفت النظائر التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل (والاقاويل) جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد (عندهم) أي الكفار ظرف للمبتدأ أو لخبره وهو (كالقائل) جمع قتال وهو الصورة يعني ان تقولهم في القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح

فى حقيقة أمره من خرف عموه بالاباطيل كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك فكما أن هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقوّلهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان (فلا يوهمنك الخطباء) أى فاحذر ان يوقع من حرفوا الكلمات بشدقهم وتفاصحهم فى ذهنك أدنى ريب أو شك فى شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقى منها (كم) اى مرات كثيرة (أبانت) أوضحت (آياته) جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج فى سورة قاله الجعبرى ويشكل عليه عدهم نحو ثم نظر فى المدثر آية اذ ليس فى هذه جمل ولا تقدير فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القرآن الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الآية بذلك لانها علامة على صدق الآتى بها وعلى عجز المتحدين بها وباقى قريبا عد آى القرآن (من) زائدة فى الاثبات كما هو رأى جماعة (علوم) لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وفى حديث الترمذى وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم وأخرج عن الحسن أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة القرآن أى مع زيادات لا تنحصر ومن ثم قال الشافعى رضى الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وما ثبت ابتداء بالسنة فهو فى الحقيقة مأخوذ منه لانه أوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلونى عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى فامتحن بدقائق فاستنبطها من القرآن منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزاء فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان عمر رضى الله عنه أمر بقتله والنبى صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر والله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وتبعه يعنى الشافعى العلماء على ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيأ أو قضى او حكم بشئ الا وهو أو أصله فى القرآن قرب او بعد وقال آخر ما من شئ فى العالم الا وهو فيه فقيل له أين ذكر الخانات فيه فقال فى قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فهى الخانات وقال آخر ما من شئ الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى ان عمر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة استنبط من آخر سورة المنافقين لانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال آخر لم يحط بالقرآن الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استأثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم

(قوله ومقطع) اى آخر تنتهى اليه (قوله الاولى ان يقول الخ) اى لان قوله طائفة من القرآن يصدق بالسورة فلا يكون الحد مانعا وقضية هذا ان قوله من السور لازم فى الحد (قوله زنبور) بضم الزاى وجمعه زنابير (قوله فهى الخانات) قال البيضاوى فى تفسير الآية كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع اى استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وهى قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا الى آخرها

(قوله لكل كلمة ظهر) مما قيل فى معنى البطن والظهر أن ظاهر الكلمة لفظها وباطنها تأويلها ومنه أن القصص التى قصها الله عن الامم الماضية وما عاقبهم به اظاهرها الاخبار بهلاك الاولين وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم ومنه أن ظاهرها ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من الاسرار التى اطلع عليها ارباب الحقائق وقوله وحد اى أحكام الحلال والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والظاهر بدله مطلع اى اشراف على الوعد والوعيد اه كذا فى الاتقان وما ذكره صاحب الاتقان لا يلائم التعبير بكل كلمة كما عبر به الشارح لان القصص ليست مأخوذة من كلمة وكذا احكام الحلال والحرام والاطلاع على الوعد والوعيد لان ذلك انما يستفاد من الجمل المفيدة وانما يلائم ما ذكر من التعبير بالقراءة بان يقال ان للقرآن ظهرا وبطنا الخ والحاصل أن تعبير الشارح بكل كلمة انما يلائم تفسير الظهر باللفظ والبطن بالمعنى والحد بمقدار من الثواب ان وافقت تلاوة الكلمة الشرع أو العقاب ان خالفت كمقارنة رياء لها والمطلع بما يشرف عليه الانسان من دقيق المعنى وأما تفسير الظهر باخبار القصص بما ذكر والبطن بوعظ الآخرين المذكور والحد باحكام الحلال والحرام والمطلع بالاشراف على الوعد والوعيد فلا يناسب تعبير الشارح لان هذا ليس معنى لكل كلمة بل لبعض جمل القرآن تأمل (قوله وحد) الحد اخر منتهى معناه الذى أراده الله وقيل مقدار من الثواب او العقاب اه من الاتقان

ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كأبى بكر فانه أعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه أنا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جميع ما ابرزته لكم من التفسير فانما هو عن على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى انه قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله أولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم أفرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التى كادت أن تخرج عن الحصر وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بيانا لطيفا لا تحصى وقال آخر علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينهما من روابطه لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به نعم أم علومه ثلاثة توحيد وعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أمه لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شئ كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ أما العلوم فلا تجد مسئلة هى اصل الا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما فى الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الانبياء والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته واخباره الى عمانه ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وأمارات الساعة وجميع أحوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ أنه لا يوجد فيه شئ من المذهب الكلامى الذى هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقى الذى تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة ورد واعليه بأنه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبنى منه كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله ينطق به وقد بين الاسلاميون من أهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه أن من اول سورة الحج الى قوله تعالى وأن الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارات حتى لعلم الهندسة بل لاشكل ما فيه وهو الشكل الثلاثى بقوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب الآية قال الائمة وانما أوردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع أن يفهم غيره بالاوضح الذى يفهمه الاكثرون لا ينبغى له أن يهبط الى الاغمض الذى لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم

أخرج تعالى فى مخاطباته محاجات خلقه فى أجلى صورة واوضحها ليفهم العامة ما يفنعهم أو يلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقائق المعارف التى هى منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الآيات أنها بانت تلك العلوم التى لا غاية لها حال كونها متولدة (عن) بينها وبين من الجناس اللاحق (حروف) قليلة بالنسبة اليها أخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جميع اى القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمائة حرف واحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجى بل مسمياتها فحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال (أبان) اى كشف (عنها الهجاء) اى التهجى وهو تعديد الحروف بذكر أسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التى هى مادة الكلمة قبل أن تحصل صيغة والمراد هنا أنه يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه أن الحرف الذى اول زيد مثلا له مسمى وهو زو الخطأ فيه بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه سائر علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما وقد سأل اصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تتلفظوا بالكاف التى فى ذلك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال أقول كيه فحروف القرآن من الاول وحروف التهجى من المراد من الثانى ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا مالغة واما مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ (فهى) اى حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب لحروف أسماء الاعداد والافشتان ما بينهما اذ ما يأتى له أمد معلوم ينفى فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار ونوالى الازمان فى هذه الدار بل وفى دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح أنه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وياتى ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو اما انها كحروف أسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهى الوهم الى المعدود بها واما انها (كالحب) الذى يلقيه الزراع (والنوى) الذى يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد أن لا يحصى ولا يتناهى ومن الثانى من الثمر ما هو كذلك وفى هذه الحالة (اعجب) فاعله يأتى فقول الشارح أن فيه ضميرا للحب والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور فى قبل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا فى حالة واحدة (الزراع) والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر اى والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكاء

(قوله وان غزرت) الغزارة الكثرة وقد غزر الشئ بالضم يغزر فهو غزير اه صحاح (قوله فقول الشارح الخ) عبارته فهى مبتدا كالحب خبر والنوى عطف على الخبر أعجب فعل فاعله ضمير الخبر وما عطف عليه بتأويل المذكور أو الواو بمعنى أو والزراع مفعول وسنابل فاعله وزكاء عطف عليه

لهما (منها) اى من تلك الزروع والاشجار (سنابل وزكاء) اى نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عدده لما اطاقوه فقد علمت أن المتناهى هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثال المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والافشتان ما بين الامرين ألا ترى أن عدم تناهى تلك الحبوب والثمار انما هو فى مدة قليلة ثم تفنى عن قرب وأما تلك الحروف فان معانيها لا تتناهى فى الدنيا ولا فى الآخرة ففى الحديث الصحيح أنه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وبه يعلم أنه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات التى تم فيها التأهل وذلك امر لا يتناهى أبدا ومن عجيب شأن الكفار أنهم مع هذه المعجزات والآيات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار (فأطالوا فيه التردد والريب) اى الشك عطف مرادف (فقالوا) كما حكاه الله عنهم فى كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه (سحر) اى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق (وقالوا) مرة اخرى انه (افتراء) اى كذب ومرة أساطير الاولين الى غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتهم وتلبيسهم وضلوا فيها قالوا بل هو والله المتفضل بانزاله قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وأنهم لا عقل لهم ولا رأى ولا استعداد (و) لكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو مقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة أنه (اذا) كانت (البينات) اى الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان (لم تغنهم) اى لم تفدهم (شيأ) من الهدى (فالتماس الهدى بهن) اى طلبه منهم بتلك الحجج بعد اليأس من ايمانهم (عناء) اى تعب لا يفيد شيأ (واذا ضلت) عن طرق الحق (العقول) جمع عقل وسبق الكلام عليه مستوفى (على) اى مع (علم) منها بتلك الطرق اى أضلها بارئها (فماذا تقوله) اى فأى قول تقوله الانبياء (النصحاء) وقولهم حينئذ لا يفيد شيأ والبيت الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والثانى من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وبما قررت به كلامه يعلم أن هذين البيتين من الكلام البديع الجامع * (تنبيه) * لا يتوهم من النظم أنه مخالف لقول الائمة أجمعت الامة على التكليف بالمحال كغيره كتكليف ابى جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بأنه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى عنا عاقبتها فهم بالنسبة الينا مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عنه عاجزين باطنا العلم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما

(قوله عطف مرادف) ما المانع أن يراد بالتردد ما يشمل الظن والوهم فيكون من عطف الخاص على العام تأمل (قوله ومباهتهم) اى قولهم فى القرآن خلاف الواقع ما خوذ من قوله بهته قال عليه ما لم يفعل (قوله وتلبيسهم) من لبس فى الامر خلط اى تخليطهم (قوله على التكليف بالمحال) عبارة لب الاصول وشرحه لشيخ الاسلام الاصح جواز التكليف عقلا بالمحال اى الممتنع بعض جواز تعلق الطلب النفسى بايجاده مطلقا اى سواء كان محالا لذاته اى ممتنعا عادة وعقلا كالجمع بين السواد والبياض أم لغيره اى ممتنعا عادة لا عقلا كالمشى من الزمن اه وكتب عليه أيضا وخرج بالتكليف بالمحال التكليف المحال فلا يجوز والفرق بينهما أن المحال فى الاول يرجع الى المأمور به وفى الثانى الى المأمور كتكليف ميت

وجماد اه لب

جاءت به الشرائع فاحذر أن تميل اليه فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * (فوائد) * منها قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة أن قصارى امر الشاعر التخيل بتصوير الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض الحكماء لم يرمتدين صادق اللهجة مفلقا فى شعره اى غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل ما دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سئل الغزالى عن قوله تعالى لو جدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم وأغراضهم وأحوالهم ومنها أن سائر كتب الله تعالى لا اعجاز فيها من حيث النظم والتأليف لان ألسنتهم لا تفى بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا تشترك فيه ولكون ألسنتهم كذلك كان كل ما فى القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جنى وغيره ومنها وقع فى القرآن آيات مشتبهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة فى سور وفواصل مختلفة كو كلا وفكلا يذبحون ويذبحون سنزيد وسنزيد وذلك كثير وقد أفرد خلائق الجواب عن ذلك بتآليف مختلفة مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التأمل نحو ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأقول من تكلم فى الجواب عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم تبعه الائمة حتى أفرد بعضهم ذلك بالتأليف كما ألفوا فى مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه أو علمه أيضا الراسخون فى العلم وهو مبحث طويل فلا بأس بذكر خلاصته وهى قيل القرآن كله محكم كما فى آية وقيل كله متشابه كما فى آية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكمت آياته أتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها وبمتشابهات أنه يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه كالساعة والحروف المقطعة أوائل السور وفيهما أقوال أخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشؤهما هل الوقف على الا الله من قوله تعالى والراسخون فى العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووى انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل السنة أن الوقف على الا الله من قوله

العقلاء وقد سئل عن الشعر ان هزل أضحك وان جد كذب فقال الشاعر بين كذب واضحك (قوله اختلافا كثيرا) اى تناقضا وأما اختلاف الروايات فثابت لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف (قوله كو كلا وفكلا) عبارة الاتقان قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفى الاعراف فكلا بالفاء قيل لان السكنى فى البقرة الاقامة وفى الاعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول اليه تعالى وقلنا يا آدم ناسبت زيادة الاكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لانه أعم وفى الاعراف ويا آدم فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الاكل على السكنى المأمور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ (قوله يذبحون ويذبحون) لان الاولى من كلام الله تعالى لهم فلم يعد عليهم الحق تكرما فى الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفى الاعراف يقتلون وهو من تنويع الالفاظ المسمى بالتفنن اه اتقان (قوله سنزيد وسنزيد) ان قلت لم ذكرها بالواو وفى الاعراف بدونها قلت لان اتصاله هنا اشد لاسناد القول فيه الى الله فى قوله واذ قلنا ادخلوا بخلافه ثم فالا ليق به حذف الواو لكن استثنافا اه من

تعالى وما يعلم تأويله الا الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعاني اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بأن من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التي فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر السلف واهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تأويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذي نرتضيه ديننا وندين الله به عقد الاتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال وعلى ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها واليها دعا أئمة الحديث والفخر فقال وأحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظي وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلي وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك انما يكون بالقطعي وقد تقرر أنه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه في المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التأويل اه وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التأويل اذا قرب في لسان العرب نحو على ما فرطت في جنب الله اي في حقه وما يجب له لا ان بعد كتأويل استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه أمرهم شرع في الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما آل اليه امرهم ايضا فقال يا (قوم) وحذف حرف النداء جائز الا في الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول به (عيسى) المدعوين بالنصارى (عاملتم قوم موسى) وهم اليهود (بـ) التصديق بكتابهم وهو التوراة (الذي عاملتكم) بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذي هو الانجيل (الحنفاء) اي المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق ثم بين ما ابهمه في البيت قبله بقوله (صدقوا) اي قوم عيسى (كتبكم) وهي التوراة وما بعدها كالزبور (وكذبتم كتبهم) وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة وفي هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين والتصديق والتكذيب الطباق (ان ذا) اي الذي فعلتموه معشر اليهود (ليئس البواء) اي الصنيع الذي رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله (لو جحدنا) من الجحد وهو الانكار عن علم (جحودكم) اي مثله بان أنكرنا كما بكم

(قوله الا في النقبة والاستغاثة) أي لانهم ما يطلب فيهما مد الصوت والحذف ينافيه وقوله ومع الضمير أي لتقوية الدلالة على النداء قال الاشموني في شرحه على الخلاصة أفهم كلامه جواز نداء المضمر والصحيح منعه مطلقا وشذ نحو يا اياك قد كفيتك وقوله

* يا أبجر بن أبجر يا أنتا *

وأما قولهم يا هو يا من لا هو الا هو كما في دلائل الخيرات وغيرها فهو فيه اسم للذات العلية لا من قبيل ضمير الغيبة اه وقول الاشموني والصحيح الخ قال في التصريح الخلاف في ضمير المخاطب وأما ضمير المتكلم والغائب فنداؤهما ممنوع اتفاقا فلا يقال يا أنا ولا يا هو (قوله وكذا مع اسم الاشارة الخ) في شرح قول الخلاصة وذا لدى في اسم الجنس والمشار له

قل ومن يمنعه فانصر عاذله

للاشموني ما ينبغي الوقوف عليه لمن أراد تحقيق المقام (قوله وهذا مقتبس من قوله الخ) يقتضي أن البواء بمعنى الرجوع ولم يذكر في القاموس البواء بهذا المعنى قال فيه باء اليه رجع أو انقطع ثم قال وباء بذنبه بوأ وبواء احتمله أو اعترف به وقال بعد أيضا البواء السواء والكفؤ وأجابوا عن بواء واحد أي بجواب واحد فحررتم رأيت في البيضاوي ما نصه رجعوا به أو صاروا احقاء بغضب من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به وأصل البوء المساواة اه وقد يقال مراد الشارح بالصنيع الذي رجعوا به القهقرى المفسر به البواء الاحتمال أي احتمالهم غضب الله بتكذيبهم كتاب الله المنزل فيكون موافقا لقول القاموس

كما

وباء بذنبه بوأ وبواء احتمله فتأمل

كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى (لا ستوينا) نحن وانتم (أ) يكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف (و) ليس (للحق) وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله (بالضلال) وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض (استواء) اى مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل أنا لم نجد شيأ من كتب الله وانما وقع الحسد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم فى ذلك وكان الشارح أخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين أهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الآية اه وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكرا نكار كتابهم اذ لا مانع أن النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ اى باعتبار تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسيرا لمعاملتكم الحنفاء وفى السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول أقرب ولما كان من المعلوم المستقر أن اليهود أشد الناس حسدا قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وأنهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر من سخفاء العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال (مالكم) اى أى شئ حال حصل لكم معشر الفريقين يا (اخوة الكتاب) المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصل واحد حال كونكم (اناسا ليس) شانكم انه (يرعى للحق منكم اخاه) بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أنه اسم ليس ونائب فاعل يرعى ضميره اى مؤاخاة اى ليس تصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التى منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفى اخ مع اخوة ردا للحجز على الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق كالشهادة والشهداء الآتى ومن عدم رعايتكم لذلك انه (يحسد الاول الاخير) كما وقع لليهود أنهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا أنهم قتلوه وصلبوه ومادرى الملاعين أنه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدى أول نزوله ليعلم أنه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها أنه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض لان نوعا ما من الشبهة المجوزة لقبول

(قوله أم يحسدون الناس) المراد بالناس رسول الله واصحابه أو العرب او الناس جميعا الان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم وقوله من فضله اى من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم اه من البيضاوى (قوله معشر الخ) المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف والشباب معشر والشيوخ معشر والانبياء معشر (قوله سماهم بذلك) وكما يقال فى الصديقين اخوان لاستوائهما فى الصداقة (قوله ليس شانكم) يشير الى أن اسم ليس ضمير الشان وهو بناء على أن اخاه نائب فاعل يرعى وقد أخر هذا المسلك الجوجرى فقال ويجوز ان يجعل النائب هو الاخاء فيكون اسم ليس ضمير الشان (قوله ويجوز أنه اسم ليس) قدمه الشارح الجوجرى وقال انه أحسن (قوله جناس الاشتقاق) كان الظاهر شبه الاشتقاق وقد سبق الفرق بين الاشتقاق وشبهه

(قوله قابيل) سيأتي في كلام الشارح التصريح بأنه كافر (قوله وهم اربعون الخ) تقدم للشارح في شرح قول الناظم لم تزل في ضمائر الكون البيت ان آدم أولد حواء اربعين ولدا في عشرين بطنا الاشيثا وصعه فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله اه وتقدم لنا ٢٠٨ في الحاشية أن قوله الاشيثا الخ يقتضي أن الصواب أن يقول بدل

اربعين ولدا تسعة وثلاثين ولدا ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين الاشيثا الخ فقوله وهم اربعون الخ صوابه أن يقول وهم تسعة وثلاثون ويقول بعد قوله ذكر وأنثى الا بطنا من البطون لم يكن الا ذكرا وهو شيث فتأمل (قوله تقبل قربان هابيل) وكان هابيل صاحب غنم وكان لين الجانب وكان قابيل صاحب صيد وقنص وكان فظا غليظا فاصطاد صيدا وقربه وعمد هابيل الى أحسن غنمه فقربه اه والذي في الخازن أن قابيل كان صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي وأضمر في نفسه لا أبالي أيتقبل ام لا الا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى كبش من غنمه وقربه واضمر في نفسه رضا الله وهابيل اول قتيل قتل ولذا ورد في الحديث ما من قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منها لانه اول من سن القتل وكان قبله حسد ابليس آدم فهبط عن الملكوت وقيل هي اول معصية وجدت اي من اولاد آدم (قوله اخت هابيل) وتسمى لبودا (قوله لجمال اخته) وتسمى اقليما (قوله اراد بالاخوة الخ) يعلى أنه لا يصح ارادة ذلك لانه لا يظهر معه جعل مظلوم فانه

الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم (ومازال كذا) أي هكذا المذكور من حسد الاول للاخير (المحدثون والقدماء) من لدن آدم الى اليوم (قد) هي للتحقيق (علتم) يا أهل الكتاب (بظلم قابيل) من اضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون جاؤا له من حواء في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين ألفا (هابيل) بشد خه رأسه بين حجرين وهو ثاني أولاد آدم صلى الله عليه وسلم حسده على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال له لاقتلنك فأجابه بانه يستسلم لقضاء الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما أفاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء أن سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست كجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة آدم عليه الصلاة والسلام أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع مخالفته لظاهر الآية يمكن تأويله بأنه لا مانع من ان حسده لسببين أخروي وهو ما في الآية ودنيوي وهو ما ذكر على أنه جاء في القصة ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أمر قابيل أن يزوج اخته لهابيل فامتنع وقال أختي أحسن لا امكنه منها ولا ارضى اخته أمرهما أن يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده حتى قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدماء جناس الطباق كوفيتم وخانوا وأحسنتم وأساؤا والآباء والابناء وعرفوه وأنكروه الآيات (ومظلوم الاخوة) الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف كونها بمعنى في وأخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وقسيميه (الاتقياء) لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا ومازال الخ وعلم من قولي وهذا فيه الخ أن ليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بأنه اراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بأن اقل الجمع اثنان (و) قد (سمعتم) هو لليقين لان المراد في كل العلم (بكبد أبناء يعقوب) المسمى في القرآن باسرائيل اي عبد الله بن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر أنه اخوه اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم (أخاهم) يوسف صلى الله عليه وسلم

للجنس فلا توجد مطابقة المبتدا للخبر فتدبر (قوله اي عبد الله) قال النووي في التهذيب قال ابو علي الفارسي هذا الذي قيل ان معناه عبد الله خطأ من وجهين أن اول وال لا يعرفان في اسماء الله تعالى الثاني لو كان كذلك لانصرف آخر الاسم في وجوه العربية ولكان آخره مجرورا كعبد الله قال وهذا الذي قاله ابو علي هو الصواب اه وفي الوجه الثاني نظر

(قوله نحن نقص الخ) قال الكرماني في العجائب في قوله تعالى نحن نقص الخ قيل هو قصة يوسف لاشتمالها على حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس واطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق اه اتقان (قوله أو لقوة الخلاف) قال شيخ الاسلام زكريا في فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لم يكونوا انبياء على الصحيح (قوله بسطه كتب الاصول) حاصل المعتمد منه أنهم معصومون قبلها ايضا من الكبائر والصغائر عمدا وسهوا ثم رأيته صرح به فيما سيأتي (قوله فانهم لما جاؤا اليه الخ) روى أن يوسف طاف بيعقوب في خزائنه كلها فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على مسافة ثمان مراحل قال أمرني جبريل أما تسأله قال يوسف انت انشط اليه مني فاسأله انت فقال جبريل

فانه لا خلاف في نبوته كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اى لانها سيقت على اسلوب لم يبق عليه غيرها من بقية القصص (و) لا يتوهم من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين أن ذلك ينافي صلاحهم لاتفاق العلماء على أنهم (كلهم صلحاء) عدل اليه عن انبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر او لقوة الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق أنه ظاهر الآية وصريحها وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الآية أنه انزل عليهم شيء يجب الايمان به غير ما انزل على آبائهم وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت به آية واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض لصريح الآية فتأمله ولا ينافي نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تأويلات تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك أن العلماء رضي الله تعالى عنهم اتفقوا على صلاحهم وأن تلك الامور التي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا فمحل بسطه كتب الاصول (حين) ظرف لكيد (القوه في غيابة جب) هو البئر الذي لم يطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذي انبأت عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجودا لكل له دخولهم تحت أمره وطاعته وكان الامر كذلك كما في آخر السورة فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو

الى والمفعول فيما محذوف تقديره صنعه (قوله من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تستحي اخوته من ذلك ومن تمام الصفح والعفو ان لا يذكر ما تقدم من الذنب أو لان السجن كان باختياره بقوله السجن أحب الي وللاختبار آفات فشكر الله تعالى على تخليصه من فتنة اختياره بخلاف الجب فانه كان موضع اضطرار واختبار من الله تعالى اه كواشي وقال القاضي في تفسيره انما ابتلي بالسجن لقوله هذا أي رب السجن الخ وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (قوله من البدو) اى البادية وكان منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام باطراف الشام بالبادية بادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وفي الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اه من النهر لابي حيان

أن يأكله الذئب فهلا خفتني واقام يعقوب عند يوسف اربعا وعشرين سنة فلما حضره الموت وصى يوسف بأن يحمل جسده ويدفنه عند ابيه فمضى يوسف بنفسه ودفنه عند ابيه ثم عاد الى مصر وروى أنه وصل اليه ريح يوسف من العريش قرية بين مصر وكنعان استأذنت ريح الصبا في اتيان يعقوب بريح يوسف قبل اتيان البشير فأذن لها فجاءت بريح يوسف وكان يعقوب ساجدا اه كواشي (قوله وخروا له سجدا) قال البيضاوي تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته (قوله وقد أحسن بي) ويقال أيضا أحسن

من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وليس في التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال تعالى لافضل خلقه صلى الله عليه وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين لذلك فالنزغ أدنى حركة أمره تعالى انه متى تحرك عليه أدنى غضب على عدوه وأراد الشيطان القاء أدنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه أمره وهذا من تمام عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لا يسلط عليه بأكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تأثير له من غير قدرة له عليه (و) من كيدهم له أيضا انهم (رموه بالافك) حيث قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون يوسف عليه الصلاة والسلام (وهو براء) اي بري منه وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة والسلام صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره والقاه على الطريق فعيرته اخوته بذلك وأخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عايروه بها أخذه صنما كان لابي أمه وانما أراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وابن جرير وزاد ان أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه كان زيد هذا من العالمين بالقرآن فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له صلى الله عليه وسلم فلم يكذبوا وانما الذي وقع انه فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه نحو ما سبق وملخصه واعلم ان واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على عجائب وغرائب وحكم واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر الحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان كان أعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة أمر قديم قل ما يسلم منه خيم أو أديم وان كانوا وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل أنبياء بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية اتفقوا على ان المراد بالاسباط أولاد يعقوب فكونوا أمرنا بالايمان بما أنزل الى أبيهم وبما أنزل اليهم ظاهر أو نص في انه أنزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الانبياء صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصي وكبائرها مهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما

(قوله من ذهب وفضة) وقيل ورثت عمته من أبيه منطقة ابراهيم وكانت تخص يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم (قوله قل ما يسلم منه خيم) الخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه والاديم الجلد ويطلق على وجه الارض والادمة محركة الجلد مما يلي اللحم اه قاموس والمراد بالاديم هنا الجسد لقولهم ما خلا جسد من حسد

هى بعد النبوة لا قبلها والاولى ان يجاب بأن هذه الامور انما تستشكل على قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا ندريه و بفرض انه يوافق شرعنا فى ذلك فيحتمل ان لهم تأويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثير بن كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التى ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف تقرأ ترتع وتلعب بالنون وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم و براءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا برضا الله تعالى ومحبته (فتأسوا) اى فتعزوا اذ التأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به اى حملت حالى على حاله ففى التأسى تسكين النفس على الامر المشق وتصبرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسى والتعزى واحد أو متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما (بمن مضى) قبلكم من الكمل فى ذلك (اذ) اى وقت أو لاجل ان (ظلمتم) من الكفار بما مر كم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال (فالتاسى) فى المصائب لا سيما بالكمل (للنفس فيه عزاء) اى تسل وتصبر يحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل (اتراكم) الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اى أتظنكم أهل الكتاب (وفيتم) بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به (حين) ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثانى (خانوا) ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم (أم) متصلة لانها معادلة للهمزة السابقة (اتراكم) أهل الكتاب (أحسنتم) فى اتباع نبيكم فى جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيأ قط ولم تبدلوا فى حياته ولا بعد وفاته (اذا ساؤا) الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه وايثارا لما ينالون من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية (بل) لا يرون شيأ من ذلك وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه (تمادت) اى تتابعت واستمرت (على التجاهل) الموجب لرفض الحق واتباع الباطل اى اظهارا لجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم غير الحق ودمتم على العمل به (آباء) بينه و بين الابناء الطباق (فقفت) اى تبعت (آثارها) الباطلة (الابناء) اتاوجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون (بينته) اى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته (توراتهم) المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم من أوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور (والاناجيل) المنزلة على عيسى عليه الصلاة والسلام من نجل الشئ أخرجه التى لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ولا ينافى هذا جمع الناظم له

(قوله وتلعب) اى تسابق وتتداخل للتدرب لقتال العدو فلم يكن لعبا لهو بدليل انا ذاهبنا نستبق وأطلق عليه لعب لانه بصورته (قوله وجحدوا بها) اى الآيات التسع المتقدمة فى الآية وهى الفلق بسكون اللام والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب فى مزارعهم وبواديهم والنقصان فى ثمارهم

(قوله لانه باعتبار افراده) اى افراد ذلك المنزل على عيسى وما الافراد التى وقع فيها التغيير والتبديل فليس فيها الحق مبينا وهى أربعة وثمانون ثم رجعوها الى أربعة قال العلامة نصر بن عيسى المهتدى فى كتابه المسمى بالنصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية الذى ذكر فيها بيان ضلالاتهم وابطال مذاهبهم لانه رضى الله عنه اسلم وحسن اسلامه بعد ان أحاط بما هم عليه مع علمه وفهمه وألف هذا الكتاب لاشهار حقيقة الاسلام وزيادة ايضاح ضلالات النصارى ان أربعة وثمانين رجلا من علمائهم كل رجل غير وبدل واتخذله انجيلا على قدر عقله واستمروا على ذلك الى زمن ملك من ملوكهم يقال له قسطنطوس فلما رأى هذا الملك اضطراب حال النصارى بسبب اختلاف أناجيلهم وأن كل واحد قد أتى فى انجيله بشئ لم يأت به الآخر وقد تبع كلا منهم جمع كثير وكثرت الفتن بينهم وكل فرقة منهم تكذب الاخرى وتكفر اعتقادها أمر ذلك الملك جميع النصارى باحضار ما عندهم من الاناجيل واحضار علمائهم من أقاصى البلدان فحضر جميع ذلك وكان عدة من حضر من علمائهم ثلثمائة وثمانية عشر عالما فأمرهم ان يقتصروا من تلك الاناجيل على بعضها فامتثلوا أمره واختاروا

أربعة أناجيل وهى التى بايديهم الآن وهى لمتى ومرقوس ولوقا ويوحنا وأسقطوا ثمانين انجيلا وهذه الاربعة أيضا فيها التغيير والتبديل لكنها أخف من التى تركت (قوله أنشدك الله) قال النووى فى شرح مسلم معنى أنشدك أسألك رافعا نشيدى اى صوتى وهو بفتح الهمزة وضم الشين وفى شرح الشفاء للشهاب أنشدك الله قسم بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وأنشدته وفى القاموس نشد فلانا استحلفه بالله والله منصوب بنزع الخافض اى أسألك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين (قوله فارتج النبى صلى الله عليه وسلم الخ) قال فى الصحاح وارتج على القارئ على مالم يسم فاعله اذا لم يقدر على القراءة كأنه اطبق عليه كما يرتج الباب والانجيل وكذلك ارتيج عليه ولا تقل ارتج عليه بالتشديد اه فعليه كان الظاهر ارتج على النبى بزيادة على تأمل فلو قال فرتج النبى بفتح فكسر استقام المعنى من غير زيادة على قال فى القاموس ورتج كفرح استغلق عليه الكلام ولم أجد فيه ما فى الصحاح من التقييد بما لم يسم فاعله (قوله ليس بفظ) اى سيئ الخلق ولا غليظ اى قاسى القلب والمراد على المؤمنين فلا ينافى قوله تعالى واغلظ عليهم اى الكفار (قوله ولا سخاب) بالسين المهملة والخاء المعجمة اى صياح فى الخصومات فالسخب هو الصياح واضطراب الاصوات للخصام (قوله الملة العوجاء) يعنى ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالمعوجة (قوله يفتح بها أعينا الخ) اطلاق ذلك عليها مجاز علاقته المشابهة على طريق الاستعارة المكنية (قوله غلفا) جمع أغلف وهو الشئ فى غلاف وغشاء بحيث لا يوصل اليه

لانه باعتبار افراده وهذا من أعظم الادلة على نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من أمره لانه صرح بذلك على رؤس أهل الكتابين ولم يخش ان أحدا منهم يقول ليس ذلك فى كتابنا فاذا قد صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وبشر ابرسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله بالذى أنزل التوراة على موسى اتجدنى فى التوراة قال اللهم نعت ربك فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان والى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى اى التوراة يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا تجزى بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن كعب والبخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انهما نقلا عن التوراة

والانجيل نحو ذلك و زيادة عليه وفى التوراة تجلى الله من طور سيناء اى بتكليم موسى عليه وأشرف من ساعير اسم جبل اى بتكليم عيسى عليه واستعلن من جبال فاران اى جبال بنى هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفى الانجيل كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل (وهم) اى اليهود والنصارى (فى جحوده) اى ذلك الحق الذى بينه كتابهما وهو الانكار بعد العلم (شركاء) اى مشتركون فى لعنة الله تعالى عليهما (ان) شرطية (تقولوا) يا أهل الكتاب (ما) نافية (بينته) اى التوراة والاناجيل الحق المذكور (فما زالت بها) اى التوراة والاناجيل (عن عيونهم عشواء) بالمهملة والمعجمة اى عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم عن ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط أمره على غير بصيرة وقولهم ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهى الناقة التى لا تبصر امامها فهى تخبط بيديها كل شئ ففيه الاشارة للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية فى اثبات الظلمة للعيون والترشيحية فى قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به (أو تقولوا قد بينته) كما هو الحق (فما) اى فاى شئ حصل (للاذن) اى لآلة سمعكم حتى انها (عما تقوله) التوراة والاناجيل واسناد القول اليها فيه الاستعارتان السابقتان آنفا وكذا فى قوله الآتى فى طحنتهم الخ وقوله كساهم الخ (صماء) اى غير سامعة له سماع قبول فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد (عرفوه) اى الحق السابق معرفة يقينية بمواطنهم (وأنكروه) بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه الطباق وذلك نتيجة الالزام السابق (وظلما) مفعول لاجله (كتمته) اى الحق المذكور (الشهادة) بدل اشتمال من كتمته اى كتمت الشهادة به (الشهداء) الذين هم أهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك رأسا حسدا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى ما بينا لونه منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررته انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقيقة دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها أبلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف قوله اعلم (أ) تكتمون ذلك وتظهرون الضلال (ونور الاله) اى الذى هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق (تطفئه) من اطفأت النار اذهبت حرها (الافواه) اى الالسنة المنقولة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع لا يكون ذلك بريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهى (وهو الذى به يستضاء) ظاهرا وباطنا اى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب

(قوله من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ومنع صرف سيناء للعلمية والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لالالف فيه لان كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور اه من تفسير القاضى (قوله من ساعير اسم جبل) من جبال فلسطين وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة وبها سمى من اتبعه نصارى (قوله من كتمته) اى من مفعول كتمته

(قوله وينكرون) الذى فى النظم أولا ينكرون وهو الموافق للوزن وكتب عليه السنباطى مانصه اتنكرون الحق أيها الملاعين ولاتنكرون الخ اى من أهلكتهم منكم الحرب بسلاحها عن أمره صلى الله عليه وسلم اه ثم قال اى لاينبغى لكم أيها الملاعين ان تنكروا الحق ولاتنكروا ماذكر الدال عليه ثم رأيت فى نسخة صحيحة من الشرح نصها أو ينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم ولا ينكرون من الخ وعليها فلا خلل فى الوزن ولا اشكال (قوله ثوب الصغار) من اضافة المشبه به للمشبه لامن الاستعارة فليس على حد الآية تامل (قوله وصون دماء) انما يكون من ملايمات المشبه الذى هو الصغار ان أريد صون الدماء منهم كبنى النضير اما اذا أريد دماء المسلمين فلا يكون من ملايمات المشبه لان الله جعل لهم العزة لا الصغار تامل (قوله قدطلت) قال فى الصحاح وطل دمه اى بالبناء

للمفعول فهو مطلول وأطل دمه وأطله الله وطله اى اهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وأبو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه ثلاث لغات طل دمه وطل دمه وأطل دمه وأطل عليه اى أشرف (قوله أو البدل) انما يظهر ذلك اذا كان مدخولها حبه لاحبيبه كما يرشد اليه قوله اى حشوها الخ ولذلك جعل صحته بعيدة لاحتياجها الى التكلف اى من حب حبيبه فتدبر (قوله الاب والابن الخ) انما يناسب هذا الوقال الشارح ان الله أجزاء ثلاثة واما قوله ان الله ثالث ثلاثة انما يناسب ان يقول بعده مافى الجلالين من تفسير قوله ان الله ثالث ثلاثة ونص مافيهما اى آلهة ثلاثة اى أحدها والآخران عيسى وأمه وقد يقال هذا ظاهر على ماذكره السنباطى فى معنى الاب والابن وروح القدس واما على ماذكره الخازن فيناسب ماذكره الشارح فتأمل والذى ذكره السنباطى بالموحدة يريدون بالاب الوجود وبالابن العلم وبروح القدس الحياة والذى ذكره الخازن فى تفسير الاقانيم ماملخصه ان اقنوم الاب ذات الله واقنوم الابن عيسى واقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اه وفيه ان الحياة الحالة فى عيسى ليست الها حتى يكون ماذكره الخازن مناسبا لما فى الشرح اللهم الا أن يقولوا ان الحياة المذكورة اله وحينئذ فتظهر مناسبته لما فى الشرح تامل وحينئذ فعبارة السنباطى وقول الشارح الاب انما يناسبان قول فرقة أخرى من أهل الضلال ان الله مركب من أقانيم ثلاثة الاب والابن وروح القدس المبينة فى شرح السنباطى وهذه الفرقة هى النسطورية من النصارى ويقولون أيضا ان المسيح ابن الله والفرقة القائلة بان الله ثالث ثلاثة المبينة فى الجلالين وهم المرقوسية وهم نصارى نجران (قوله البداء) اى ادعاء لزوم النسخ البداء اى ظهور المصلحة فى الشئ فقه بعد خفائها عليه تعالى

(أ) يستمرون على ضلالهم وادعاء انهم محقون وينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم (ولا ينكرون من طحنتهم) اى اهلكتهم (برحاها) اى اسلحتها (عن أمره الهيجاء) اى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بأنهم ان استمروا عليه طحنهم صلى الله عليه وسلم برحا حربه كما طحن آباءهم وأبناءهم وأهليهم بجلاء بنى النضير الى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير سلاح وقتل بنى قريظة (و) لشدة بأسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم عليهم (كساهم ثوب الصغار) اى الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى قريظة استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية (و) الحال انه (قدطلت) اى دفقت (دماء منهم) كبنى قريظة (وصينت دماء) منهم كبنى النضير أو المراد دماء المسلمين لان الله جعل لهم الغلبة والدائرة على أعدائهم واذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم (كيف يهدى) اى يوصل (الا له منهم قلوبا حشوها) اى ملؤها (من) بمعنى اللام المعدية (حبيبه) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (البغضاء) اى شدة البغض لحبيبه صلى الله عليه وسلم ويصح على بعد انها للتعليل اى من أجله أو البدل اى حشوها بغضه بدل حبه وفى هذا الاستعارتان السابقتان أيضا (خبرونا) أى اعلمونا يا (أهل الكتابين) التوراة والانجيل (من أين) استفهام انكارى (أتاكم تضليلكم) أى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) من أين لكم معشر اليهود (البداء)

بالموحدة والمهملة من بداظهر وهو كما يأتى ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ أى لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم *(تنبيه)* حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغة لانه من بدا بدا ثم رده بأن ابن دريد ذكره قال التبريزى هو بالمد من قولهم بدا لى فى الامر اى تغير رأيى فيه عما كان ونقله الزركشى عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال السهيلى الاسم البداء ولا يقال فى المصدر ومن أجل ان البدو والظهور كان البداء فى وصف البارى سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه ويجىء بدا بمعنى أراد كما فى حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اى أراد الله لاظهر لانه كفر كما يأتى (ما أتى بالعقيدتين) المذكورتين (كاب) من كتب الله تعالى ابدا (واعتقاد) وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل (لا نص فيه) اى فى اثباته وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بأن خلا عن الاحتمالات العشر المقررة فى محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفى فيها الدليل الظنى (ادعاء) اى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص اليه كآيات الصفات وأحاديثها اذ ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها بما يوافق العقل وأنكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها لزلل هم باعتقاد ظواهرها من التجسيم أو الجهة وأطالوا فى ذلك بما كان سببا لحقهم وسحقهم فى الدنيا والآخرة (والدعاوى) التى تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى (ما) مصدرية ظرفية (لم تقيموا عليها بينات) اى أدلة قطعية لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها الظن (ابناؤها) اى نتائجها (ادعياء) اى باطلة والدعى فى الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن أصل فاسد وهذا استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر الادعاء المناسب للمشبه به وبين الادعاء والادعياء والدعاوى تجنيس الاشتقاق وشبهه كخلطوها والخلطاء والصفات ووصفه الآتيان وفى النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل *(تنبيه)* فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف

قال ابن أبى شريف فى حاشية جمع الجوامع هى كما يتحصل مما مر تعارض المجاز والاشتراك تعارض النقل والاشتراك تعارض المجاز والاضمار تعارض النقل والاضمار تعارض التخصيص والمجاز تعارض التخصيص والنقل تعارض التخصيص والاشتراك تعارض التخصيص والاضمار تعارض الاحتمال والاشتراك تعارض المجاز والنقل وهذه العشرة حاصلة من ضرب خمسة فى اثنين والخمسة هى التخصيص والمجاز والاضمار والنقل والاشتراك وقد جمعها بعضهم وأضاف اليها النسخ وقدم المجاز على الاضمار فقال

تجوز ثم اضمار وبعدهما
نقل تلاه اشتراك فهو يخلفه
واربع الكل تخصيص وآخرها
نسخ فما بعده قسم يخلفه

ويمكن انشادهما على ترتيب وفق الكتاب بان يقال تجوز مثل اضمار وبعدهما الخ اه وقد مثل فى شرح جمع الجوامع لبعضها فراجعه ان شئت (قوله كآيات الصفات) كيد الله فوق أيديهم (قوله وأحاديثها) كقوله ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل فالمراد باليد فى الآية القدرة وفى الحديث الرحمة (قوله نسطورية) بضم النون وفتحها أصحاب نسطورا الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وان المسيح ابن الله وقوله ويعقوبية

= أصحاب يعقوب راهب القسطنطونية قالوا ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقوله وملكية أصحاب ملكان الذى ظهر ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه كذا فى البيضاوى فى سورة مريم عند قوله فاختلف الاحزاب الآية زاد الثعلبى والمرقوسية وهم نصارى أهل نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وأمه وسيأتى ان الناظم أشار لفرقة خامسة بقوله أم أردتم بها الصفات كما فى شرح السنباطى مايقتضيه ظاهر عبارته وسيأتى نقلها هنالك وامكان رد ماذكره لمذهب اليعقوبية (قوله وقد أشار الناظم الخ) فيه نظر بالنسبة للملكية على ماتقله عنهم البيضاوى من أن اعتقادهم ان المسيح عبد الله ونبيه وهذا موافق لعقيدة أهل الحق ويكون ضلالهم وكفرهم بغير ذلك فان كان لهم اعتقاد فاسد غير ماذكر كغيرهم من بقية فرقهم صح

٢١٦ (قوله للبحث مع الكل والرد عليهم) بالنسبة لهم أيضا ولعلهم يعتقدون أن الاله مركب من الصفات الثلاثة حال فى بدن عيسى فراجع وحور ثم رأيت فى الخازن فى تفسير قوله يا أهل الكتاب تعالوا ان الملكية قائلون ان عيسى هو الله كاليعقوبية وان المرقوسية لهم مذهب آخر غير ماذكره الثعلبى وهو انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات الالهية وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اه قال فى المختار الاقانيم الاصول واحدها اقنوم واحسبها رومية (قوله ليت حرف تمن الخ) عبارة السنباطى ثم أخذ فى الرد على النصارى فى دعواهم ان الله ثالث ثلاثة مع دعواهم انه اله واحد فقال ليت الخ ثم قال بعد قوله ذكر الثلاثة والواحد فى قولكم الله ثلاثة الله واحد وفيه مع مابعده لف ونشر مشوش (قوله الاب) تقدم مافيه من ان صوابه تعيين الثلاثة بالله وعيسى وأمه وهو ظاهر على ماذكره السنباطى وأما على ماذكره الخازن فاذكره الشارح صحيح على ماسبق من ان الحياة الحالة فى عيسى اله (قوله أيمكن ان يوجد الخ) اى فان قالوا واحد مركب من ثلاثة أجزاء كل منها اله قلنا أيمكن الخ اى ماسمعنا بالله لذاته اجزاء كل منها اله اى لم يوجد اله كذلك لانه لو وجد لكان الاله متعددا وحينئذ الكل الخ (قوله مركب من أجزاء) اى كما تقول النسطورية وقوله كما انها تحيل تعدده اى كما تقول المرقوسية وان لم يذكر الشارح هذه الفرقة وتقدم ان الثعلبى ذكرها (قوله أى تميز) اى فهو مضارع محذوف احدى التاءين ويصح ان يكون ماضيا وقوله أو للمفعول فيه نظر سواء كان ماضيا أو مضارعا لانه لازم وصفة المجهول فى الماضى مكسور الياء وفى المضارع مفتوحها كما لايخفى تأمل

وقد أشار الناظم رحمه الله تعالى للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث لانهم أكثر وأشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر فى قوله عز قائلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الآية (ليت) حرف تمن (شعرى) اى علمى اى لينفى علمت ماتقولونه انضباطا حتى أتكلم معكم فى رده بالغ مما هنا وهو (ذكر الثلاثة) الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) ذكر (الواحد) الصادر منكم تارة أخرى حيث ادعيتم توحيده (نقص فى عدكم أم غباء) اى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم لواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لايصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تنفون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم (كيف وحدتم) أيها القائلون بالتثليث (الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء) اللذان أثبتموهما فى دعواكم التثليث (أ) يمكن ان يوجد (اله مركب) من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لا لاتنا (ماسمعنا بالله لذاته اجزاء) أو جزآن اى بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض الاله مركبا من أجزاء أو متعددا قبل لهم (ألكل منهم نصيب) اى جزء (من الملك) فان قالوا نعم قيل لهم (فهلا) وفى نسخة فلم لاوحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون (تميز) بالبناء للفاعل اى تميز أو للمفعول (الانصباء) اى نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على مازعموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهى وبين الثلاثة والواحد والنقص والتمام تناقض

النقابل

المستفادة من لفظه عادية لا عقلية لجواز اتفاقهم فى المراد عقلا فلا يلزم الفساد ولكن العادة تحيله كما مر فان قلت فالحجة المستفادة منها ظنية لا عقلية قلت ممنوع بل هى مفيدة للعلم وعدم استحالة النقيض عقلا لا يخرجه عن كونه علما اذ لم يؤخذ فى مفهوم العلم استحالة النقيض بل مجرد الجزم عن موجب وهو موجود فى ذلك اه سنباطى (قوله وبيانه) كذا بخطه رحمه الله تعالى والاولى حذفه (قوله أتقولون الخ) رد على طائفة من النصارى تزعم ان المسيح هو الله وتقدم ان ذلك مذهب اليعقوبية وانه فى الاصل فى السماء ثم نزل الى الارض ثم رجع لمحله وعبارة السنباطى ثم من النصارى لعنهم الله من يزعم ان الله هو عيسى بن مريم ومنهم من يزعم انه ابن الله فقال لهم من المعلوم ان عيسى كان يركب الحمار وحينئذ أتقولون هو اى الله الراكب الحمار بأن أردتم بالثلاثة التى هى الله عندكم الذوات امتزجت بعيسى امتزاج اللبن بالخمر فكان الله هو الراكب الحمار فاذا هذا الاعياء فيما يعجز الله يمسه الاعياء أم لغيره اعياء والثلاثة التى هى الله عندكم

التقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحياء الآتيان فان قالوا الكل نصيب أو انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم (أتراهم) اى أتظنهم (لحاجة) اى احتياج (واضطرار) وهو شدة الحاجة الى الشئ بحيث لا يجد مندوحة عنه (خلطوها) خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر اشئ مطلقا لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعى على عدم الوهيته فان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فاكثر (و) الحال انه (ما) نافية (يبغى) اى يظلم (الخلطاء) اى الشركاء اى بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دائمة بين شريكين وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لان الغرض وقوع اشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والسلائق العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل ألزم قائله الكفر بعض المتأخرين وأنف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلى وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين فى الايجاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان من شأن النفس أن لا تريد بتا شريك معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجه آخر وبيانه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينئذ يقال لهم (أ) تقولون فى حال ركوب عيسى الحمار (هو) اى الاله (الراكب الحمار) فان قلتم انه هو فركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا ومازعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وحينئذ (فيما يعجز الله) نتعجب من دعواهم المستلزمة ذلك (يمسه الاعياء) اى التعب (أم) متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة (جميع على الحمار) فيقال لكم (لقد جل) حينئذ (حمار يجمعهم) اى الآلهة اذ مجموعهم (مشاه) صيغة مبالغة من مشى وقبح له يحتاج الى ان يمشى به حمار فالجملة الخبرية فى النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما فيها (أم) متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون (سواهم) اى الثلاثة الذين على الحمار (هو الاله) بسبب ذلك (ما) استفهامية (نسبة عيسى اليه) خبر نسبة (والانتماء) هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اى اخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بأنه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيما يعجز الله ومابعده تذييل متكرر (أم) متصلة كذلك (أردتم بها) اى بالثلاثة

٢٨ ﴿ جمع الخ (قوله جميع على الحمار) رد على طائفة من النصارى تزعم ان الاله ثلاثة الله وعيسى وأمه لعن الله جميع فرقهم الخاسرة وتقدم ان هذا مذهب المرقوسية (قوله فنسبة الخ) اى لا نسبة بينهما الا التباين فكيف قلتم بالاتحاد اه سنباطى

(قوله القائمة الخ) اى قامت بعيسى قيام العرض بمحله فكان هو الله اه سنباطى وهذا مذهب لطائفة من النصارى غير المذاهب الاربعة المتقدمة فتأمل فذكر الفرق ثلاثة فى كلام الشارح وأربعة فى كلام غيره ليس للحصر فتأمل ويمكن ان يقال ان هذا مذهب اليعقوبية القائلين بأن الاله هو عيسى هبط الى الارض ثم صعد الى السماء أى الصفات التى هى آلهة قامت به قيام العرض بمحله فكان هو الله (قوله الى مجموع الثلاثة) أى الوجود والعلم والحياة التى عبروا عنها بالاب والابن وروح القدس كما تقدم التى قامت بعيسى الى آخر ما سبق آنفا (قوله والاثنين الخ) المراد بالاله بالحقيقة عيسى والاله بالتجوز الصفات المذكورة فهى اله مجازا ٢١٨ وعيسى اله حقيقة لكن ظاهر النظم ان المراد ثناء من الصفات وصرح بذلك

الشارح حيث قال لا ينحصر فى اثنين وذات عيسى ليست حقيقة فتدبر وتأمل (قوله وثناء) زائد عما ذكره من ادعاء النصارى التثليث مبالغة فى الرد عليهم اى حتى لو أدعيتم ان الاله اثنان فدعواكم باطلة لما ذكرنا فلذا قلنا زائد الخ لانا لم نعلم احدا منهم قال ان الاله اثنان ثم رأيت ان فرقة منهم قائلة ان المراد بالاب ذات الله وبالابن كلام الله وبروح القدس العلم فيمكن بقطع النظر عن كلام الشارح اجراء قول الناظم اوثناء عليه فانهم قائلون بامتزاج الصفتين المذكورتين وجعلهما الها واولا ينافى ذلك ضم شئ اليه وهو الاب المفسر بذات الله (قوله على حد سوء) قد يقال للملاعين ان يقولوا بالفرق لان عيسى لاب له من الخلق بخلاف غيره من الانبياء فيرد عليهم بادلة نفى ابوة الله سبحانه المقررة فى التوحيد ومن ادلة الرد قوله قتلته اليهود (قوله قتلته) فلا يكون الله ولا ابنه والا لم يتمكنوا من قتله (قوله احياء) اى باذن الله فمن كان فى يرد الحياة بعد ذهابها باذن الله فكيف لا يحفظها عن الذهاب باذنه ولا سيما عن نفسه (قوله بضم الهاء) عبارة الجوجرى رحمه الله تعالى وهراء بضم الهاء وبالراء المهملة قال بن السكيت هرأ الكلام اذا أكثر فى الخطا وهو منطق هراء قال الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وفى بعض النسخ هزاء بالزاى ولعله من قولهم رجل هزأة بالتسكين يهزأ به وهزأة بالتحريك يهزأ بالناس فهو نظير ضحكة بضم فسكون لمن يضحك منه وبضم ففتح لمن يضحك كثيرا وظاهر أخذه من هزأة بالتسكين على قياس ضحكة انه يجامع قيام الوصف بغير من وصف به فقولك قول هزأة اى يهزأ الناس به فالوصف قائم =

التى زعمتم انها آلهة (الصفات) القائمة بذات الاله والصفة مادل على معنى زائد على الذات (فلم) مر آنفا الكلام عليها (خصت ثلاث) بالصرف للوزن (بوصفه) اى الاله (وثناء) بضم أوله مامعدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا فى ثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل (ام) تقولون (هو) اى عيسى صلى الله عليه وسلم (ابن الاله) فيقال لكم لم اختص عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه (ما) نافيه (شاركته فى معانى النبوة الانبياء) بل عيسى وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى ذلك على حد سواء فادعاء النبوة لعيسى عليه الصلاة والسلام تحكم باطل ايضا (قتلته) اى عيسى عليه الصلاة والسلام (اليهود) حال كون قتلهم له انما هو (فيما) اى فى القول الذى (زعمتم) معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانئ للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن أمى اى على كرم الله وجهه انه قاتل من أجرته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ وكيف يزعمون ذلك (و) الحال انه (لأموا تكم به) اى بسبب عيسى عليه الصلاة والسلام (احياء) وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يحيى الموتى ويتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تتنبهون له وعلى كل حالة (ان قولا) مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث (اطلقتموه على الله تعالى) مما تقولون اثم وأمثالكم علوا كبيرا (ذكرا) اى ثناء وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلاثة (لقول هراء) بضم الهاء من هرأ الكلام اذا كثر

في الخطا وفي نسخة بالزاي من قولهم هزأة بالتسكين أي مهزوء به وبالتحريك يهزأ بالناس ويصح ان ذكرا تمييز من تعالى اي تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع (مثل) يجوز نصبه حالا أي اقول هذا حال كونه مثل أو نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا محذوف أي هو مثل (ما قالت اليهود) أي قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين (وكل) من الفريقين (لزمته) أي لزمت دعواه (مقالة شنعاء) أي قبيحة جدا (اذ هم استقر وا البداء) أي تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا شرعا على الله تعالى نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هل هي ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم أو مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الامام في تفسيره روى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعة الا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام *(تنبيه)* ذكر الامام ايضا في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها ما هو معين لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود من معرفة الله تعالى ومحبته بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور الظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشيء فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا في اداتها وأعظم حكمة اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته صلى الله عليه وسلم لا ناسخ لها ومن حكم النسخ أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء في يوم وبآخر في يوم فان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني اثقل *(تنبيه)* آخر ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين أو الازمنة وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شيء بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ

= بالناس لا بالقول كرجل ضحكة لمن يضحك منه الناس فالضحك قائم بالناس لا بالرجل تأمل (قوله وفي نسخة الخ) وفي نسخة شرح عليها السنباطي بالذال المعجمة وفسره بالخطاء ثم رأيت في القاموس ما يؤخذ منه انه المكروه سماعه حيث قال هذا فلانا كمنع اسمعه ما يكره (قوله من تعالى) اي من ضميره محمول عن ذلك الفاعل (قوله ورفعه خبر مبتدا الخ) اوصفة ثانية لقول ولا يشكل كونه حالا اوصفة باضافته لمعرفة لانه لا يتعرف بالاضافة تقول مررت برجل مثلك (قوله لزمت دعواه الخ) تقدمت المقالة الشنيعة اللازمة لدعوى النصارى التثليث وأما المقالة الشنيعة اللازمة على دعوى اليهود عدم النسخ فقد اشار اليها الناظم بقوله واراهم لم يجعلوا الخ (قوله هل هي ناسخة لشريعة موسى) اي لجميعها وقوله أو مخصصة أي ناسخة لبعضها فان تحليل بعض ما حرم الله فيه نسخ التحليل بالتحريم

(قوله فلا يتصور فيه نسخ) أجاب المالكى عن هذه الشبهة بعد ايراد شقيها بان المسلمين اتفقوا ان الله شرع لموسى شرعه بلفظ الدوام ولا يجب ان يكون ذكر معه ان يكون منسوخا اذ لا يجب البيان عند الخطاب بل يجب عند الحاجة انتهى ولا يخفى ما فيه
(قوله بخت نصر) بضم الموحدة وسكون الخاء المعجمة ثم مثناة فوقية وبفتح النون والصاد المهملة المشددة أى ابن الصنم لان بخت معناه ابن ونصر اسم صنم

كان يعبد ولم يعرف له أب فاضيف اليه (قوله فى صور كثيرة) منها كما ذكره الشارح المالكى انه قال فى العبد يستخدم ست سنين ثم يعتق فى السابعة فان أبى العتق فلتثقب اذنه ويستخدم ابدا وهو منقطع بالموت فاطلق الابد على العمر وقال فى البقرة التى أمروا بذبحها تكون لكم سنة أبدا وهى تنقطع بخراب العالم وقال فى الجمل الذى أمروا بذبحه وان تأكلوا لحمه ولا تكسروا عظمه ويكون لكم هذا الجمل سنة أبدا قال ثم مذهبهم منقوض بصور منها ان السارق اذا سرق فى المرة الرابعة تثقب اذنه ويباع وقد اتفقنا على ان ذلك تغيير ومنها قصة الذبيح ومنها ما فى التوراة ان الجمع بين الحرة والامة كان جائزا فى ملة ابراهيم وحرمته التوراة وهل النسخ الارفع حكم بحكم آخر ومنها ان فى التوراة قال الله تعالى يا موسى اخرج أنت وشعبك لترثوا الارض المقدسة التى وعدت بها آباءكم ابراهيم ان اورثها نسله فلما ساروا الى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لانكم عصيتونى وهو عين النسخ ومنها تحريم السبت فانه لم يزل العمل مباحا الى زمن موسى وأمور آخر (قوله جواب لو الامتناعية) أى على الصورة

منه وهذا اغلط من الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه أو قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادى قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة فى وقت مفسدة فى وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت او فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم فى زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل انهم لم يبق منهم الا ستة أطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما فى التوراة فى صور كثيرة (وكم) أى مرات كثيرة (ساق وبالا) أى عذابا (اليهم استقراه) وفى هذين كفالت ومقالة السابقين جناس الاشتقاق كردا العجز على الصدر وفى المسخ والنسخ ومسخ الجناس اللاحق وحالفوهم وخالفوهم الجناس المضارع الضرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع (وأراهم) أى اعلم انهم اقولهم بذلك اعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء (لم يجعلوا) أى لم يعتقدوا (الواحد) فى ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما (القهار فى الخلق) أى للخلق على نفوذ ما اراده فيهم ويصح تعليقه بفناء لا فنى على حالها (فاعلا ما يشاء) لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه (جوزوا النسخ) جواب لو الامتناعية تجويزا (مثل ما) مصدرية (جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء) أى فهماء ولا فهم لهم اذ ما فرقة أبلد من الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعى بخطاب آخر شرعى وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء وردبان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد أى لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علم اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل

مذهب الكوفيين حيث جوزوا تقديم الجزاء على أداة الشرط ووافقهم بعض البصريين ومذهب جمهور البصريين عدم جواز تقدمه وان تقدم على أداة الشرط شيء به بالجواب فهو دليل عليه وليس اياه ويمكن تقدير مضاف فى كلام الشارح فيكون جاريا على مذهب الجمهور أى دليل جواب الخ وفيه ان جعله دليل الجواب لا يقتضى نفيه مع انه المراد بخلاف جعله جوابا فانه يأبى ذلك على مذهب غير الجمهور تعين

الصورة الى أقبح منها فى كثيرين منهم فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام لما خالفوا فى السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى علينا فى كتابه العزيز وكيف يمنعون النسخ و(هو) ليس فيه (الا ان يرفع الحكم) الشرعى أى استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن أو نفيه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التى هى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل ولا الى بدل فان كان الى بدل زيد فى الحد (بالحكم) الشرعى وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك (وخلق) أى ايجاد (فيه) أى المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة الاولى (وأمر) أى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى (سواء) لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلقها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلقه الحكم الثانى فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثانى والا فانتم سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله (ولحكم من الزمان انتهاء) والناسخ وهو المراد بقوله (ولحكم من الزمان ابتداء) ولا ينافى هذا تفسيره النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف أو دوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح أنه اشارة الى تفسيرين فى النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تأويل التفسير به بما قلنا كما هو المقرر فى محله فتأمله وعلى كل فجواز النسخ أولى من جواز المسخ لان ذلك فى الاحكام وهذا فى الذوات سواء جعلنا النسخ رفعا أم بيانا وسواء جعلنا المسخ فى صورتهم حتى صارت أقاربهم من المؤمنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجىء القرد الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له ألم أنهكم عن المخالفة فيشير اليه برأسه ان نعم أو فى قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتداء وانتهاء طباق واذا اردتم أيها المسلمون المبالغة فى ادحاض حجتهم (فسلوهم) قائلين لهم (أكان فى مسخهم) التفت عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم أى جعلهم قردة فى الصورة كما هو المشهور او فى قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد (نسخ لآيات الله) وهى الصورة الاولى مع احكامها أو للادراك الاول بناء على قول مجاهد (أم انشاء) لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد نقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة او بالثانى فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ مترددبين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشاء لا يقال فلا يعترفون بطروا التغير على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به فى قولهم قلوبنا غلف أى مغطاة بغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به (وبداء) بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ خبره (فى قولهم) الثابت عنهم وتقولهم (ندم الله على خلق آدم أم خطاه) المشهور

(قوله أو تخييرا الخ) فيه انه انما أريد استمراره لا ذاته كما انه فى الاول انما أريد تعلقه لا ذاته فلا بد من تقدير مضاف اما ملق أو استمرار فكلام الظاهر ان يقول فعلم ان المراد تعلقه أو استمراره لا ذاته الى الخ (قوله اقتضاء) أى طلبا للفعل وجوبا أو ندبا أو للكف حرمة أو كراهة أو خلاف الاولى وقوله أو تخييرا بين الفعل والترك أى اباحة (قوله وخلقه الحكم الثانى) أى ان كان الى بدل (قوله وقول الشارح الخ) عبارته وهذا فيه اشارة الى تفسير آخر للنسخ فانه انما اختلف فيه هل هو رفع أو انتهاء فاشار الى التفسيرين (قوله فتأمله) تأملناه فوجدنا ما ذكره من عدم صحة كلام الشارح غير ظاهر لان ما أول به الرفع يؤول به الانتهاء والابتداء أى انتهاء تعلقه وابتداؤه فيرجع التفسيران الى معنى واحد فتدبر (قوله والحق ان المسخ الخ) لا داعى الى ذلك اذ لك ان تقول ذلك فى معنى أحد قسمى النسخ وهو النسخ الى بدل فتأمل (قوله على خلق آدم) بصرفه للضرورة

هي الليل وقد يقال وجود ما ذكر مرتب على محذوف أشار اليه الشارح بقوله وهكذا أي ومحا آية النهار وأتى بالليل بدله ويمكن بقطع النظر عن كلام الشارح تصحيح كلام الناظم من غير نظر لمحذوف بان يراد بآية الليل القمر ويراد بمحوها ذهاب نورها ويراد بالامساء الاظلام وترتب الامساء بهذا المعنى على ذلك المحو ظاهر تأمل (قوله وبفرض وقوعه) كان الاولى وعلى وقوعه لانه محقق لا مفروض مقدر تدبر (قوله أو من الترديد الثاني) وكذا بالاول من الترديد الثاني لان فيه السهو أيضا حيث قال فهل هو عمد بعد سهو (قوله هو الذي جعل لكم الليل) التلاوة وهو بالواو ثم رأيت في نسخة بالواو والموافقة للتلاوة (قوله آيتين الخ) قال البيضاوي تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد فمحونا آية الليل أي الآية التي هي الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة اي مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر أو مبصرة اهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها انتهى مع بعض حذف (قوله اهل الكتابين) ومن ثم جرى الناظم عليه لان كلا منهم

فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بداء أي سلوهم عن قولهم هذا هو عن قصد منهم أم عن خطا منهم فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذي انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على نقوسهم وانهم في غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبداء لا بالخطا فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القرآن على طبقه فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول احداهما بالاخرى (ام محا) اى اذهب (الله آية) اى علامة (الليل) اسم جنس جمعي واحده ليلة كتمر وتمرة وأتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة (ذكرا) بضم الذال تمييزا من جهة الذكراى العلم والتعمد (بعد سهو لوجد الامساء) اى الدخول في المساء وهو ما بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اى سلوهم اهل هذا المحو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثاني من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد الثاني لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار في غير ما آية فقال تعالى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة أي يخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكرا واراد شكورا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضي دوام اشياء بلا تبديل ولا تغيير تقتضي تبديلها وتغييرها وفي ذكرا بعد سهو جناس التطابق كرم والتحليل وجدوا وأمن الآيات (أم بدا للاله في ذبح اسحق) حيث امر به ثم نسخه (و) الحال انه (قد كان الامر فيه) اى بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم وسلم في النوم (مضاء) اى ماض نافذ وفي نسخ قضاء بالقاف اى حتم وذلك لان رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي اى سلوهم عما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام انه امر بذبح ولده امرا جازما تم عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه الله تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال من ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص فكلام لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة * (تنبيه) * ما جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان

اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولا اتى تلك الاماكن فاضيان بانه اسمعيل وهو التحقيق كيف وقد صح مايصرح بذلك روى الحاكم فى المستدرك ان الصنابحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسماعيل وقال بعضهم الذبيح اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابى فقال له يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد على مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا ياأمير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر اى فى المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله له امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فأسهم اى اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بنى مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسماعيل الذبيح الثانى وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبى فى تفسيريهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم (أ) تنكرون النسخ (و) تقولون (ما حرم الا لنكاح الاخت بعد التحليل) فى زمن آدم صلى الله عليه وسلم او تقولون حرمه بعد ان حلله وعليه (فهو) اى نكاحها (الزناء) موجب للرجم ومد الزناء لغة فان قالوا حرمها بعد ان احلها فهذا صريح فى النسخ الذى انكروه وان قالوا لم يحرمها فهو عناد محض وقائله لايخاطب ولا يكالم واذا بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم و(لاتكذب ان اليهود و) الحال انهم (قد زاغوا) اى مالوا (عن الحق) من وجوه عديدة سفها وحسدا (معشر) اى قوم (لؤماء) جمع لئيم وهو الدنئ الاصل الشحيح النفس (جحدوا) بدل من زاغوا (المصطفى) اى المختار من الصفوة او المصفى من كل نقص اى انكروا نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بها علما يقينا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم (و) الحال انه قد (آمن بالطاغوت) اى الشيطان وكل ماعبد من دون الله اوصد عن عبادته فعلوت من الطغيان (قوم هم عند هم شرفاء) هذا كالذى بعده بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى عز قائلا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا عن اشرافهم أو كفار العرب هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وعجيب من الشارح كيف أخذ النظم على ظاهره واستدل له بالآية مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد بمن آمن بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ ويقولون أى اليهود للذين كفروا أى من كفار العرب الذين آمنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ويدل على هذا ان

(قوله يا ابن الذبيحين) وما يروى من قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعنى بهما عبد الله واسمعيل وبه استدل من يقول الذبيح اسمعيل ورد بان هذا الحديث لم يثبت انتهى من النعمة الكبرى (قوله نذر لله ان سهل الله له امرها الخ) تقدم للشارح قبيل قوله وتداعى ايوان كسرى ان نذره ذبح ولده معلق على رزقه عشرة اولاد لا على تسهيل امر زمزم كما هنا وعبارته هناك فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن احدهم لله انتهت (قوله وجحدوا بها) الضمير فى الآية للآيات التسع التى اقر عون وقومه اى فلما انكر اليهود الآيات التسع مع تيقنها انكر نبوة المصطفى مع تيقنهم لها فالضمير باق على كونه للآيات ولا يظهر ترجيعه للنبوة للزوم تغير القرآن عن معناه فتأمل (قوله بالجبت) الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك انتهى صحاح (قوله للذين كفروا) اى لاجلهم

(قوله كحيي بن اخطب) بالتصغير واخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء (قوله قتلوا الانبياء) ذكر ابن عطية في تفسيره انه لم يقتل من الانبياء الا من لم يأمر بالقتال وكل من أمر بالقتال نصر (قوله واتخذوا العجل) حاصل قصتهم انه لما وعد الله موسى لميقاته وهو ارابعون ليلة كان قوم موسى قد أمنوا من عدوهم ودخلوا في مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه ما تأتون وما تذرون وواعدهم اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة استخلف عليهم اخاه هرون فلما جاء الوعد اتى جبريل على فرس يقال لها فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيي فلما رآه السامري وكان رجلا صالحا اسمه ميخا من اهل كرمان او غيرها وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع القرس يخضر وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا

حيي بن اخطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا ام محمد قالوا نعم فنحر حوا وخرجوا للقتاله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الا تي أولى من قول الشارح انها عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده أي لما قررته فيه ان مدحهم بالمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة واللؤم واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد يقال في النظم دلالة لما فعله الشارح لانه أتى بار بع جمل ثنتين بلا واو وثنتين بواو ونظرا للمناسبة المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قوله (قتلوا) بدل بعد بدل أو عطف بحذف حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله (الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق بقلهم ومعاشهم (واتخذوا العجل) الها ومعبودا مع ان السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاره من القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حين دخل وراءهم البحر لما انفرق لهم لانه كان أعجم عن دخوله فبصر جبريل الى فيه القبضة خور فقال هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في القرآن ومن ثم كان في كلامه اقتباس

لقوله

وعدوا اليوم مع الليلة حتى مضت عشرون يوما ولم يرجع موسى فوقعوا في الفتنة وكان موسى وعدهم ثلاثين ليلة وزيدت العشرة وكانت الفتنة في العشرة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذين عكفوا على عبادته منهم ثمانية آلاف أو كلهم عبده الا هرون مع اثني عشر الفا رجل وهو الصحيح والسامري اسمه موسى بن الظفر أو ميخا كما سبق وقيل غير ذلك (قوله استعاره) الذي في القصة استعاروه أي بنو اسرائيل (قوله خور) قال في المختار في خار الثور يخور خورا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقوله جسدا أي بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل والخوار اسم لصوت البقر كذا في البيضاوي وقوله خاليا من الروح اي صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه ويصوت وقيل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا

(قوله ولكن لا يشعرون) صوابه لا يعلمون لانه التلاوة وقد يقال ليس مراد الشارح ذكر نظم التلاوة (قوله محدثا بحضرتهم) ظاهر ما في القصة انه لم يصفه بحضرتهم (قوله يسمى الترنجبين) ونقل عن تذكرة داود انه غيره حيث قال هو نوع من الحلوى كالترنجبين وهو طل ينعقد في الهواء ويسقط ثم بعد ذكر خواصه قال والترنجبين أقوى عملا واكثر فائدة انتهى قال القاضي قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الله الجنوب ٢٢٥ فيحشر عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار

(قوله (الا) حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في القاسم ملما بعدها (انهم هم السفهاء) ولكن لا يشعرون فجهلهم مركب فلا اسفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد والا لما لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم من ادنى انواع سفههم بقوله ملعجا ما وقع لهم (وسفيه) خبر مقدم او مبتدا وسوغ لابتداء به وقوعه بينا نافيا كما تقرر (من ساءه) اى اخرنه (المن) وهو نوع من الحلوى يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار (والسلوى) وهو السماني طير من اشهى الطيور لحما واطيبها اغذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيمدون بديهم اليه ويأخذون منه ماشاؤا (وارضاء الفوم) اى الثوم كما قرئ به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى (والقثاء) بل سأل السعة فيهما في نظائرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وفي كلامه انتباس وطباق بين ساءه وارضاه ومراعاة النظير في المن والسلوى والفوم والقثاء (ملئت بالخبيث) وهو ما سألوه من الفوم وما بعده (منهم) صفة تقدمت فصارت حالا (بطون) اليناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة والمراد ملئت بطونهم بالداء الخبيث اى العضال الذي لا دواء له وهو الغل وما بعده والى هذا يرشد ما رتبه عليه بقوله (فهي نار) اى مشتملة على ما يؤدي الى النار ومعاده نارا باعتبار المآل كما في ارانى اعصر خمرا (طباقها) اى النار (الامعاء) اى المصارين اى معي فوقه نار ثم معي ثم نار وهكذا والى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث المشعر بان بطونهم صارت به كالرذات طباق وطباقها هي اعتقاداتهم النجسة ويصح أن المراد بطونهم صارت كالرذات طباق بعضها فوق بعض فطباقها امعاؤهم اذ الخبيث الذي ملئ به بطونهم هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى أكلهم واكتسابهم هذا على الاصح عندنا في الاصول أنهم مخاطبون بفروع الشريعة فيعاقبون عليها

يديرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (قوله هو السماني) ولا يقال سمانى بالتشديد الواحدة سمانا ة والجمع سمانيات انتهى صحاح (قوله كما قرئ به) اى شاذ وذا انتهى سندا طى (قوله ان نصبر على طعام واحد) اى مارزقوا في التيه من المن والسلوى والمراد بوحدته والله اعلم انه نوع واحد لا تختلف الوانه ولذلك جمعوا اى سئموا وكرهوه قال في الصحاح اجت الطعام بالكسر اى كرهته من المداومة عليه (قوله هو أدنى) رأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل وبعد الهمة بعيد المحل (قوله ملئت بالخبيث) عبارة السنباطي ملئت بالمأكول الخبيث اى الحرام كالربا والسحت منهم بطون فكيف لا يطابون ان يملأ هذا المأكول الخبيث بالنسبة للمن والسلوى لما بينهما من المناسبة في مطلق الخبث وان اختلفت جهة الخبث فيهما (قوله اى معي) قال في القاموس المعي بالفتح كالى من

٢٩ ج اعفاج البطن وقد يؤنث الجمع امعاء اه قال فيه في فصل العين من باب الجيم العفج والكسر وبالتحريك وكف ما ينقل الطعام اليه بعد المعدة والجمع اعفاج وفي الحديث المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء قال في المختار لان المؤمن لا يأكل الا من الحلال ويتوقى الحرام والشبهة والكافر لا يبالي ما أكل وأين أكل وكيف أكل اه وحيث ثبت أن اهؤلاء الكفار ومن شابههم من الفجار سبعة امعاء وقدرنا أن بعضها فوق بعض صح تشبيهها بالطباق الدارية والبطن الجامع لها بجهنم

بخصوصها فى الآخرة وعلى مقابلة هم كفروا من وجوه عديدة بعضها أشد من بعض (لو) شرطية (اريدوا فى حال سبت) مصدر سبت اليهود اى عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة وأصل السبت القطع (بخير) الباء زائدة للتأكيد كما هو رأى جماعة وكل من الظرفين متعلق باريدوا على ان الثانى مفعول ويصح كون الاول حالا من خير أى لو أراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض الله عليهم تعظيمه خيرا (كان سبتا لديهم) اى عندهم (الاربعاء) بتثليث الباء هذا من حيث ترتبه على ماقبله بطريق الملازمة المستفادة من لو فى غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك اذ لم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت آخر الاسبوع والاربعاء رابعه وقبل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد يقال كان الناظم نظر الى أن السبت القطع كما مر والى أن الاربعاء محل النور الحسى لما يأتى أن الله تعالى خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوى الذى هو الوصل فكأنه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا ولا يناقى ذلك قوله هو يوم مبارك الخ لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه باعتبار أنه لو اريد بهم تمام الخير لجعل محل عبادتهم موذنا بوصلهم الذى من شأنه أن ينشأ عن العبادة وأما اذ جعل محل عبادتهم موذنا بقطعهم باعتبار أصل مدلوله فهذا مما يوذن بنقصهم وانه لم يرد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا أن الله تعالى اذخر لهذه الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام جمعة هو مقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بتقطيعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما خصت به كل أمة من الايام دليلا على احوالها ومايؤل اليه امرها فتنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة فى مدح هذه الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك أنهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها سبتا عندهم ليحيوها جميعها بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع مافيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبتهم ذكر شأنه ويكون ذكر الاربعاء للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا يناقى ماقبله لان بركته لا تنافى أن تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم أن قول الشارح والسبت الخ عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو الذى صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما فى الروضة واصلها ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بأن اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له فى شرح المهذب بخبر مسلم عن ابى هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر

(قوله فى حال سبت) عبارة السنباطى أن المراد بحال السبت السكون عما عدا العبادة وكأنه قال لو أراد الله بهم خيرا كاملا فى سكونهم فى ذلك اليوم لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم النور فاختيار يوم السبت المشير لقطعهم النظر لمعناه الاصلى دون الاربعاء المشير للنور والوصل دليل على أنه لم يرد بهم ذلك تأمل (قوله متعلق باريدوا) فيه أنه جعل حرف الجر فى الثانى زائدا وهو لا يتعلق كما هو معلوم فى فن العربية تدبر ويمكن أن يقال المراد بالتعلق الارتباط لا تعلق الجار الاصطلاحى اى كل منهما مرتبط باريدوا ارتباط المعمول بعامله تأمل (قوله خلق الله التربة الخ) واذا أردت ضبط ترتيب المخلوقات الواقعة فى الحديث فائت بكلام تكون حروفه مرتبة على ترتيب أوائلها يسهل استحضاره فقل تجشم نداء ان تكف رفع صوت (قوله ونلق النور) رواه مسلم بالنون بكسر الراء اى الحوت وجاء فى رواية الحوت بدل النون ولا منافاة لجواز خلقهما اى النور والنون فى ذلك اليوم

ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسمعيلى كالسهيلى وابن عساكر أن اوله السبت وجرى النووى فى موضع على ما يقتضى أن اوله الاحد فقال فى يوم الاثنين سمى به لانه ثانى الايام الا أن يجاب بانه جرى فى توجيهه التسمية المكتفى فيه بادنى مناسبة على القول الضعيف نعم انتصر لكون اوله الاحد الذى جزم به القفال مر اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ على بن المدينى والبخارى وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك أعرض مسلم عما قاله أولئك واعتمد الرفع واخرج طريقه فى صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله أن تأييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان العالم خلق فى ستة ايام وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الست التى فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر الايام وانما اخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة أيام فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر فى ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح أن الله تعالى هدانا لليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى اى لان اليهود لما اعتقدوا أن اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فأخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا أن اوله الاثنين اخذوا الاحد وأما هذه الامة فاعتقدوا أن اوله السبت فأخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا الان هذه التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على قاعدة مذهبهم فأخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة والسبت وليسا من اسماء العدد اه على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمى خامس الورد ربعا وهكذا وهذا هو الذى اخذ منه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوله الذى كاد أن ينفرد به ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه وهكذا (هو) اى يوم السبت (يوم مبارك) لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباواتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب اى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير فى الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما امرنا الشئ اذا اردناه أن نقول له كن فيكون اى ان نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك (قيل) بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم أنه قول ضعيف (للتصريف) اى للتصرف (فيه) ببيع ونحوه (من اليهود اعتداء) اى ظلم وعدوان كان

(قوله المكتفى فيه) اى التوجيه (قوله كن كناية الخ) اى فليس المراد بالآية الكريمة أن الله يقول لشئ من الاشياء كن لا فى الازل ولا فيما لا يزال بل المراد بها التمثيل لتأثير قدرة الله تعالى فى مراده من غير توقف على عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهى قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق

(قوله قردة وخنازير) مسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهم أذناب يتعاورون فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا اذ لم يبق ممسوخ فوق ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد وقال مجاهد انما مسخت قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع

سبتها المسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك أنهم لما مرؤا أن يجردوه للعبادة عندي فيه ناس منهم في زمن داود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قريبة على جانب البحر فابتلاهم الله تعالى بأن ألهمهم السمك يوم السبت أنه ما يبقى حوت في البحر لا ورفع خرطومه اوخرج فاذا مضى السبت تفرق السمك وتفرقا فاجتمع رأى جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تتملئ منه يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووا واكلوا فمسخ جيرانهم فألهمهم فأخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يرتدعوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة - حتى صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حائطا فأصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه اي لان الآية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا ادري ما فعل بالثالثة نجاها ام مسخها كذلك قال مالك يؤخذ من هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع اه ويرد بان المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه بالدليل هو شرع عنا لا لغيره (فبظلم) متعلق بعدتهم (منهم) وهو وضع الشئ في غير محله كخيانتهم في السبت واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل (وكفر) من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به (عدتهم) اي فاتتهم (طيبات) من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ومن شأن الطيبات أن يوجد (في تركهن) الذي تحتم الامر به (ابتلاء) اي اختبار ومحنة للعبد تكون سببا لفلاحه او هلاكه (خدعوا) اي يهود المدينة وما قرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده (بالمنافقين) من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فأظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هوى هؤلاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل القرآن مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم أخرى ومنبها على أحوال المنافقين الذين هم معهم باطنا أخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم أنهم أريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال (وهل ينفق الا على السفيه الشقاء) اي وما ينفق الشقاء الا على السفهاء وهم اليهود لا غير شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف وتخرج في الشر فهي استعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق

قول السنباطي اي خدعهم المنافقون ففيه أن المنافقين لم يريدوا بهم مكروها حين صدوهم بل انما أرادوا عزهم بظنهم الفاسد فتأمل (قوله فكانوا يدسون) اي يخبرونهم بذلك خفية من دس الشئ في التراب أخفاه فيه وبابه رد كما في المختار

تخييل

(قوله وجعل الشارح ينفق الخ) قال فى المختار ونفق البيع بالضم نفاقا راج اه ثم رايت فى شرح السنباطى ينفق كيضرب اى يروج اه وهو مخالف لما فى المختار اذ مقتضى ما فيه أن المضارع بهذا المعنى بضم العين كيشرف تأمل وفى المصباح مثل ما فى السنباطى وكذلك فى القاموس لانه حيث ذكر نفق بمعنى راج لم يضبطها وقد ذكر فى خطبته أن كل كلمة عراها عن الضبط فانها بالفتح الا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين فان كان فيه الضبطان اى من باب شرف وباب ضرب ارتفع التنافى بين المختار وغيره وعليه فينفق فى النظم مبنى للفاعل من باب علم أو شرف ٢٢٩ كما علمت لانه لازم فلا يصاغ منه المجهول

تخييلا وجعل الشارح ينفق من النفاق اى الرواج فعليه مشبه الشفاعة بالسلعة المعروضة للبيع وأثبت لها النفاق تخييلا ورشح أو جرد بذكر السفه الملايم للمشبه أو المشبه به (وطمأنوا) فى زعمهم مما كانوا يرتقبونه من النبى صلى الله عليه وسلم (ب) باب (قول الاحزاب) اى طوائف أهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد (اخوانهم) فى الكفر لهم (انا لكم أولياء) اى متوالون ومتفقون على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن جماعة من اليهود منهم للعين بن أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نكون معكم عليه حتى نستأصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان رضى الله تعالى عنه وغطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن فاجتمعوا فى عشرة آلاف واليهود قاطعون بأنهم بذلك يستأصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم أشار سلمان الفارسى بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما أو خمسة عشر يوما وهو الاشهر لا قتال بينهم الا الرمى بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى أسلمت ولم يعلم بى قومى فمرنى بما شئت فأمره صلى الله عليه وسلم بان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بنى قريظة وكان نديمهم فى الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معونة قريش الا ان أخذوا منهم رهنا وخوفهم على أموالهم وأولادهم فقالوا أشرت بالرأى ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وأنهم ندموا على ذلك وأرسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم وانحل عزمهم فخذلهم الله تعالى وارسل عليهم ريحا فى ليلة شديدة البرد فكفأت قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر

بخلافه على جعله من الانفاق تأمل (قوله الملائم للمشبه به) انظر وجه كون السفه ملائما للسلعة المعروضة للبيع اللهم الا أن تقيد بكونها خبيثة أو تعرض للبيع عرضا كذلك كما قيدت الدراهم فى التشبيه الاول بالصرف فى الشر تأمل (قوله وغطفان) بفتح الطاء حى من قيس (قوله الخندق) فارسى معرب وأصله كنده اه شرح التقريب (قوله خرج اليهم) اى جاعلا الخندق بينه وبينهم (قوله خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة أشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال النووى فى شرح مسلم اتفقوا على أنها أفصحهن قال ثعلب وغيره وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم قال الخطابى ومعناه أنها مرة واحدة اى اذا خدع المقاتل مرة واحدة لم يكن لها اقالة أو ان معناه أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر أو تكون وصفا للمفعول كما قيل ضرب الامير اى مضروبه اللغة الثانية بضم الخاء واسكان الدال اى أنها تخدع لان أحد الفريقين اذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت هى الثالثة ضم الخاء وفتح الدال اى أنها تخدع أهلها وتمنيهم الظفر أبدا وقد ينقلب بهم الحال لغيرها كما يقال رجل لعبة وضحكة للذى يكثر اللعب والضحك وحكى فيها الحافظ المنذرى فى حواشى السنن رابعة وهى فتحهما جمع خادع يعنى أن أهلها بهذه الصفة فلا يطمأن اليهم كأنه قيل أهل الحرب خدعة ثم حذف المضاف قال وأصل الخدع اظهار أمر واضمار خلافه (قوله بنى قريظة) قبيلة من يهود خيبر (قوله فخذلهم) قال فى المصباح خذله اذا ترك عونه ونصره

(قوله يدمن يجنبي) كل منه ومن جنبي مفرد مضاف فيعم اليدين والجنبين لانه أخذ يدمن عن يمينه ويدمن عن يساره وقال لكل من أنت (قوله الكراع) بالضم في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع أكرع ثم أكارع اه مختار (قوله معتجرا بعمامة) قال في المصباح المعجر ما تشده المرأة على رأسها ومنه يقال اعتجرت المرأة والاعتجار ايضا لف العمامة على الرأس (قوله ياخيل الله) على حذف مضاف اى يافرسان خيل الله على حد لا يفضض الله فاك اى أسنانك (قوله اخدودا) الاخدود شق مستطيل في الارض اه مختار (قوله تجاهل العارف) وهو من محسنات البديع وشاهده قول الحافظ السيوطي في بديعيته

لقد تجاهلتم عني بمعرفة ... قلتم أطالب وصل أم قرى هرم

سألوا عن ذلك مع علمهم وعرفانهم أن الحب انما مناه وصالهم وأن فيه بقاء مهجته ولا يظن أنه طالب قرى وضيافة بطعام (قوله شأفتهم) بشين معجمة وهمزة وفاء قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو اذا قطعت مات صاحبها واستأصل الله شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة أو أزاله من أصله اه قاموس (قوله اى المنافقون) اى فضمير الفاعل غير راجع للاحزاب وان قربوا وانما هو للمنافقين في قوله خدعوا بالمنافقين فاوذكره واصحابه عقبه لكان أولى

ماذا يفعل القوم ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا فدخل بينهم فسمع اباسفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فأخذت بيدمن بجنبي فقلت من انت قال فلان بن فلان ثم قال ابوسفيان والله يامعشر قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل فارتحل قال حذيفة ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تحدث شيأ لقتلته بيدي ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما أصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال صلى الله عليه وسلم لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن أنتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اعمد بني قريظة فانى عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم منادينا ياخيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم أنه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فأبوا فقال الليلة السبت ولعلهم أمنوا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبعة ارقعة فأمر صلى الله عليه وسلم بهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا اليه فضربت أعناقهم وكانوا ما بين سبعمائة الى سبعمائة ولا تنافيه الرواية الصحيحة أنهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم أن الاحزاب (حالفوهم) اى اليهود اى عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وخالفوهم) في ذلك فرحلوا عنهم وأسلوهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم (ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء) وأراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء للسامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال شأفتهم * (تنبيه) * تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا والتقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى (أسلوهم) اى المنافقون عبد الله بن أبي

واصحابه اليهود المسمين ببني النضير (لاول الحشر) المقتبس من قوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين اي في اول حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام اومن محلهم الى محل آخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل نظير ذلك او في أول حشرة الى القتال لما يأتي في قصتهم أنهم عزموا على القتال ففشلوا وألقى الله الرعب في قلوبهم وآخر حشرهم اجلاء عمر ان بخيبر من هؤلاء ومن اهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر (لاصعادهم) اي المنافقين لليهود بانهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم (صادق) لانهم سوّلوا لهم قتاله وأنهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم (ولا الايلاء) اي الحلف منهم لهم صادق ايضا (سكن الرعب) اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم (والخراب) الآتي لدورهم (قلوبا) من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول (وبيوتا منهم) راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب (نعاها) اي اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوي من نعاه له نعوا ونعيا وانا اخبر بموته (الجلاء) اي خروجهم من ديارهم شبهه في كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر فهي استعارة بالكناية وذكر النعي الملايم المشبه به استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت وظاهر النظم أن واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمأنوا الخ وهو ما اوهمه كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كانوا من أعظم الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيي بن أخطب واضرابه وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر ووافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير أنه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فأظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما همتم به وانه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبره صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا لهم أنه يقضي حاجته وترك اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فأخبرهم ونزل في

أخي موسى عليهما الصلاة والسلام منهم محمد بن كعب القرظي (قوله فاتاهم الله) اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الاجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله اه بيضاوي (قوله يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين (قوله وأيدي المؤمنين) وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه اه بيضاوي (قوله ففشلوا) فشل من باب طرب اي جبن اه مختار (قوله وبيوتا منهم) اي لهم (قوله اي أخبر تلك البيوت) عبارة السنباطي اي أخبر بخرابها منهم المشبه بموتهم جلاؤهم منها بجامع الانتقال من دار لدار والذل والهوان بعذاب هؤلاء الملاعين في القبر وما بعده وسلب أموالهم (قوله المشبه بالموت) فيه أنه لم يذكر في الكلام ما ذكر من القهر والزوال الذي جعله مشبها ولا الموت الذي جعله مشبها به والاستعارة لابد فيها من ذكر أحد الطرفين نعم ان شبه المضاف الذي هو أهل لكونه في قوة المذكور بضمير البيوت الذين مثلهم ٣ في الضلال اتجه تقرير المكنية

٣ قول المحشي بضمير البيوت الذين مثلهم الخ هكذا في الاصل الذي بايدينا وتأمل في صحته وفي اجراء المكنية عليه اه

(قوله فقطع النخل) الاولى لمناسبة الآية ولكلام القسطلانى الآتى وقول الشارح فى تفسير اللينة اصناف الخ ان يقول بدله اللينة وعبارة القسطلانى فى المواهب ولم يقل من نخلة على العموم تنبيها على كراهة قطع ما يقتات وبغذو من شجر العدو اذا رجى أن يصل للمسلمين وأصل لينة لوينة ٢٣٢ قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وقال البيضاوى اللينة من اللين وهى النخلة الكريمة وجمعها البان اه فقول الشارح فقطع النخل اى الكريمة التى حملها لا يقتات فعليه يكون قوله تعالى من لينة اى من حامل لينة (قوله اصناف التمر) أو هى ضرب من النخل يرى جمله نواه من خارجه يغيب فيه الضرس اه كواشى (قوله العجوة) قال الجوهرى هى تمر المدينة وهو من أجود تمرها قال الازهرى والصحيح منه (قوله والبرنى) نسبة لشخص يقال له رأس البرنية (قوله أحسن غذاء) ما يغتذى به من الطعام والشراب يقال غذوت الصبى باللبن من باب غدا اى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا او يقال غذيته مشددا اه مختار (قوله والحيرة) قال فى المختار والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة (قوله يوم الاحزاب) لو قدم هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان أظهر فى أداء المراد المتقدم بيانه وكان هذا الوضع من غلط الشارح (قوله زاغت الخ) اى مالت عن مستوى نظرها حيرة اى من شدة الحزن الذى حصل للمسلمين حين احتاط بهم العدو قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار البلاء الآيات ففى البيت اقتباس (قوله وضلت الآراء) كما حكاه سبحانه عن المنافقين بقوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا اى قولا باطلا (قوله مشؤم) قال فى المختار الشؤم ضد اليمن يقال رجل مشؤم ومشوم ويقال ما أشأم فلانا والعامة تقول ما أشيمه وقد تشاءم به بالمد

ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية فامر النبى صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع فى نفوس بعض المسلمين شئ من ذلك نزل ما قطعتم من لينة الآية واللينة أصناف التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى الآية أنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذى أحسن غذاء والبرنى ايضا كذلك وكان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم ابن أبى بعثوا اليهم أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وفى رواية ابن سعد أنهم لما هموا بالغدر أرسل اليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلادى وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا فى التجهيز فأرسل اليهم ابن أبى بان يمتنعوا ويعدهم بمن ينصرهم فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فأظهر التكبير وكبر المسلمون لتكبيره فسار اليهم وعلى يحمل رايته فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابى وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع ففزلوا على ذلك وكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على ستة بعير وليكون القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقى من اموالهم لله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار (و) خدعوا ايضا بنى قريظة منهم (يوم الاحزاب اذ زاغت الابصار) منهم (فيه وضلت الآراء) وذلك أن الاحزاب لما قفلوا ونزلوا حوالى المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم وبين القوم خرج عدو الله حيى بن أخطب حتى اتى كعبا القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ مشؤم وانى عاهدت محمدا صلى الله عليه وسلم فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم

البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى بعض المنافقين فانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بنى قريظة عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم أن فى كلام الناظم فى هذا البيت والذى قبله تلميحا من وجوه عديدة (وتعدوا) ظاهر سياقه أن الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لاطلاق الكفرة الشامل للكفار العرب وغيرهم اى تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم (الى النبى) صلى الله عليه وسلم (حدودا) حدها الله لهم ومنعهم عن مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك (كان فيها) اى فى مجاوزتها (عليهم) احد الظرفين حال والآخر خبر (العداء) اى بعدهم عن النجاة ووقوعهم فى الهلاك الابدى وفى هذا تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعداء جناس شبه الاشتقاق وهو أوشبهه بين نهتهم وانتهت والبذى والبذاء والخيل والخيلاء وأكدى وكداء وعنا وعفو وسواء وسواء وأجمت والجون وأحلم والحليم الآتيات (ونهتهم) اى أولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم انه لرسول الله حقا (وما انتهت عنه) اى عن مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه (قوم) بل استمروا على ما هم عليه من ايذائه والامر به (فبسبب ذلك (أيد) اى اهلك (الامار) منهم بايذائه صلى الله عليه وسلم (والنهاء) عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلاله ومر أن عتبة بن ربيعة لما اشتد أذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القرآن وامرهم أن يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم أن القرآن ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وأنه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهيتم وما انتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات (وتعاطوا فى أحد) نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم وأما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلانى (منكر القول) اى القول المنكر الذى ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وأن الحامل له عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا هو ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا فى بيان اعجاز القرآن وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضى الله تعالى عنهما فلما مر بابى جهل وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف أسمعوه بعض ما يكره ثم أرادا بو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان

رضى الله عنه فوقع على استه ودفع ابو بكر رضى الله عنه أمية والنبى صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا من أخذته رعدة شديدة وجعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم أنتم لنبيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله تعالى عنهم أبشروا فان الله تعالى مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان رضى الله عنه فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم الخندق محمد يعدنا أصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسرى وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله تعالى ما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر فى زمن عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه المأتى به لمجرد المبالغة والتأكيد ولا تكميلا لانه المأتى به لرفع الايهام نعم فى ذلك اضطراب بين أهل البديع فقال (ونطق) أى منطوق (الارازل) أى الاسافل الاخساء الذين لا مروأة لهم ولا عقل الكلمة (العوراء) أى القبيحة الساقطة أى شأنهم النطق بالفحش وهؤلاء كذلك كيف و(كل رجس) اى قذر وحنق وغضب قائم بهم يزيده ما جبلوا عليه وهو (الخلق السوء) بفتح السين وضمها اى القبيح (سفاها) بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه (و) يزيده سفاهة ايضا بعدا عن الخير (الملة) اى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب (العوجاء) اى الباطلة شبهها بطريق عوجاء لا يهتدى سالكها الى مطلوبه بل يتوه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا وأولئك الارازل اجتمع فيهم الوصفان اخلاق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم (و) بسبب ازديادهم فى السفاهة والجهل (انظروا) أيها العقلاء (كيف) هى وما بعدها سدت مسد مفعولى انظروا وأما قول الشارح كيف فى موضع المفعول الثانى وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك كما عرف مما قررته (كان) تامة (عاقبة) أى مآل ومصير (القوم) المعروفين بما ذكر وهى خزى الدنيا وعذاب الآخرة ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الآية ففيه اقتباس (و) انظروا (ما) هو بصلته سد مسد المفعولين أيضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال وجه آخر فيه غير ما ذكره لكن ما ذكرته أولى كما هو واضح (ساق للبذى) اللسان كهؤلاء (البذاء) بالمعجمة أى بذاؤهم أى فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء بسائقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذى على جهة كونه واقعا عليه تخييل (وجد) البذى (السب) أى الشتم (فيه) أى النبى صلى الله

عليه

(قوله وحنق) اى غيظ والجمع سناق مثل جبل وجبال وقد حنق عليه بالكسر أى اغتاظ فهو حنق وأحنقه غيره فهو محنق انتهى صحاح (قوله مفعولى انظروا) أى لان انظروا بمعنى اعلموا (قوله فهو انما يصح الخ) بل على هذا الفرض لا يصح أيضا الان كيف الاستفهامية واجبة التصدير لا يعمل ما قبلها فيها فتأمل (قوله هو بصلته سد مسد الخ) حيث جعل ما موصولا اسميا كان من قبيل المفرد فلا يظهر قوله سد الخ وانما يظهر لو كانت استفهامية فتدبر (قوله لم يبين اعرابه) سكت عنه لعلمه من اعراب الجملة قبله والخطب فى ذلك سهل والتعجب فى مثل ذلك ليس فى محله ألا ترى الى سكوت الشارح أى ابن حجر عن الاعراب فى مواضع كثيرة

* ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها *

فينبغى اقامة العذر للجوجرى لانه أول خاطب لها كما قال لم اظفر له بشرح ارجع فى المهمات اليه ولا بكلام من احد ولو فى حاشية اعتمد عليه فيزيل ما يعرض من الاشكال بل انما هو أبو عذره ومقتضب حلوه ومره والكاشف عن حقيقة أمره والمستغنى عن خبره بخبره (قوله وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة) لا يخفى ان هنالك ضميرا عائدا على الموصول ساقه أى للبذى أى جلبه له من خسارة الدين وحينئذ فالبذى مساق له لا مساق فتأمل

(قوله سما) بفتح السين لغة من ثلاث فيه (قوله فى الاتصاف بما وقع منه) كذا بخط الشارح كما قاله بعضهم ولا يستقيم الا بحذف الها من منه وقد رأيته فى نسخة بدونها (قوله وتشديد الموحدة) أى والمد وهى ملكة الجزيرة (قوله وأول من اتخذت له الشموع) قال السيوطى الشمع كان موجودا قبل البعثة كما ذكره العسكرى فى الاوائل ان أول من

عليه وسلم (سما) مهلكا اى مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع (ولم يدر) ذلك البذى ان سببه عين السم القاتل لوقته لفظا (اذا الميم فى مواضع) حال من الخبر وهو (باء) كقولهم فى بيد سيد وهى لغة مازن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى ممن الرجل قلت من بنى مازن قال اى الموازن امازن تميم أم مازن قيس ام مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى با اسبك بريدما اسمك وهى لغة قومى لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لئلا اواجهه بالمنكر فقلت بكر يا امير المؤمنين فنظر لما قصدت واعجب به اى وفيه ايضا سب لنفسه ثم قال لى اجلس فاطبئن بريد فاطمئن وقال ابن جنى فى سر الصناعة اخبرنا ابو على باسناده الى الاصمعى قال كان ابو سوار الغنوى يقول با اسبك بريدما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى والمعنى لانه اهلكهم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك السم فى الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له (كان من) اجل ماصدر من (فيه) اى فم البذى حال من الضمير المستتر فى الخبر وهو بيديه (قتله) لنفسه (بيديه) وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل غيره له (و) بسبب ذلك (هو) اى البذى القاتل لنفسه المذكور (فى) الاتصاف بما وقع من (سوء فعله) بنفسه المرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى هى (الزباء) بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شبيهها فانها تناولت خاتما سمو ما فصته حتى قتلت نفسها وقالت يدى لا يدك يا عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من يدها الملطفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة بن مالك التنوخى وقيل الازدى وهو اول من ساس العرب واول من اتخذت له الشموع وأوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك بأرض العراق من قبل اردشير وكان ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش الوضاح وقيل كان لا يأتف من الابرص لان فى العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت احبها نديمه عدى بن نصر الايادى فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر عليه فسأله حينئذ فى ذلك فانكحه اياها واشهد عليه ودخل بها فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدى فلم يعرف له أثر فولدت له ولدا سمى عمرا فاحبه جذيمة واختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا عند خاله وكان ابو الزباء وسميت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها ويسحب من ورائها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وطردها فلحقت بالروم

أوقد له الشموع جذيمة بن مالك الابرش بل ورد فى حديث انه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا النجادين (قوله وكان له اخت أحبها الخ) اسمها رقاش فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبنى اليه فسقى عدى جذيمة وألطفه فلما سكر قال له سلنى ما أحببت قال له زوجنى أختك رقاش قال قد فعلت فعلت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت للغلام ادخل على أهلك ففعل واصبح فى ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال ما هذا قال أنكحتنى أختك البارحة قال ما فعلت وجعل يضرب رأسه ووجهه وأقبل على رقاش وقال

حدثينى وأنت غير كذوب
ابحر زينت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد

أم بدون وأنت اهل لدون

قالت زوجتنى كفؤا كريما من أبناء الملوك فاطرق جذيمة فلما علم عدى بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش وأتت بابن سماه جذيمة عمرا وتبناه وأحبه حبا شديدا وكان لا ولد له انتهى من القاموس

(قوله ولم يعرف له أثر) قد علم من عبارة القاموس علم موضعه (قوله ثم ردوه الخ) فعرفه وقبله وبعثه الى أمه فادخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب فلما رآه جذيمة قال شب عمرو عن الطوق فصار مثلا يضرب للابس ما هو دون قدره انتهى من القاموس

(قوله بظراء) قال فى القاموس البظراء بين اسكتى المرأة ثم قال وامرأة بظراء طويلته (قوله أجدع) بالدال المهملة أى اقطع (قوله فى غرارتين) والغرارة واحدة الغرائر التى للتبن وأظنه معربا انتهى صحاح (قوله أم الرجال الخ) ذكر

بعضهم بدل هذا البيت

أم صرفانا باردا شديدا

أم الرجال جثما قعودا

وقوله وئيدا هو حال من الجمال أى أى شئ ثبت للجمال حال كونها وئيدا امشيها أى بتؤدة وشدة وطء على الارض ومشيها مبتدأ خبره محذوف أى يكون أو يوجد وئيدا وهذا الاعراب بناء فى جعله وئيدا حالا من الجمال فلو قال حال من الضمير المستتر فى خبر مشيها الذى هو مبتدأ وهو يكون المقدر من كان التامة لاستقام الاعراب أو منصوب على المصدرية أى تمشى مشيا ويصح خفضه على انه بدل اشتمال من الجمال والصرفان الرصاص وقيل جنس من القرمل يكبن يهدى الزباء شئ أحب اليها منه والجثم بضم الجيم وتشديد المثلثة جمع جاثم وهو الذى يلبد بالارض والقعود جمع قاعد والجندل الحجارة (قوله بواب قصرها جوالقا) قال فى القاموس الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وعاء معروف والجمع جوالق كصحائف وجواليق وجوالقات ثم قال والجوالق شولة وهذا يقتضى ان الجوالق بدون ألف بعد الواو لا يقال للوعاء فلا يناسب هنا وعليه فعل الالف ساقطة من عبارة الشارح فحرر (قوله بمخصرة بيده) لكنه سيأتى وكأ عليه كالعصا ونحوها اى انتهى قاموس فالمخصرة بكسر الميم وصرح بذلك الضبط فى المختار ورأيت فى كلام بعضهم شفرة بدل مخصرة

وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها وابتنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر واجمل اهل عصرها وطمع فى ملكها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح والسرور وأرسلت له بهدية سنية فاستشار فى المسير اليها فبالغ قصير بن سعد فى منعه وفى ان ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها أعاد الاستشارة فاعاد قصير رأيه فلم يصغ اليه وسار وكانت أمرت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوا من معه ففعلوا وقصير معه فلما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التى تسبق الريح بجريها وفر بها ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا الجوارى وكانت ربت شعر عانتها حولا كاملا فكشفتها له وقالت امتاع عروس ترى فقال بل متاع أمة بظراء ثم قالت خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن فاجلسنه على النطع ففعلن ثم أمرتهن بقصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فنزف دمه فيه الى ان قضى عليه فاحرقت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو وأخبره الخبر وامره ان يأخذ بثاره منها فافهمه انه لا قدرة له عليها فقال له اجدع أنفى وأذنى واضربنى ظهرى حتى يؤثر فى الضرب ففعل به ذلك وقيل ان قصيرا فعل بنفسه ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته وأكرمت منزله ثم قال لها ان لى بالعراق مالا كثيرا وذخائر فسفرينى لآتى بها ففعلت فرجع اليها باموالها ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصعد منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته عندها وعولت عليه فى امورها فاظهرت له انها تريد غزو اوانه يذهب ويأتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لى فى بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد من المال وقالت له الملك لا يحسن الا بثلاث فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال له عمرو مهما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفى رجل من فتاك قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان فى غرارتين سودا وبين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن النهار ويسير الليل ثم دخل عليها فقال انظرى الى العير فنظرت فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا * اجندلا يحملن ام حديدا

أم الرجال جثما قعودا * ام الرجال فى الغرارتين السودا

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب قصرها جوالقا بمخصرة بيده فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حملت الجوالق فخرجت الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزباء فلما رأته مصت خاتما فى يدها مسموما وقالت يدى لا يد عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها (اوهو) فى سوء فعله (الفعل)

اى شبهه ثم بين وجه الشبه فقال (قرصها) اى لسعها الغير ها (يجلب الحتف) اى الموت (اليها) عقب لسعها (و) الحال ان لسعها (ما) نافية (له انكاء) اى قتل ولا جرح ولا دم ولا تأثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سبب الهلاك لهما (صرعت قومه) صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به أى القتهم قتلى بين يديه (حبائل) جمع حبالة وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل (بغى) عليه صلى الله عليه وسلم (مدها) اى تلك الحبائل اليه (المكر) حال كونه (منهم) وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه (والدهاء) هو بالكسر والمد كالدهى جودة الرأى وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدى الصياد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصياد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد بما تقتضيه نسبة المذ اليهما أو بحبال الشبكة التى يمدها بها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبما تقرر علم ان فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وبرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وبرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على ما مر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وبرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين او اكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل اعتبار الكل على حدتها بما يناسبها (ف) بسبب مكرهم ودهائهم (انتهم) من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب عود تلك الحبائل اليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا الحرب به صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره صلى الله عليه وسلم يبدد الله جمعهم ويقتل سادتهم وأظهر أمره عليهم هو الذى ايده بنصره وبالمؤمنين فمن ذلك انهم أتتهم (خيل الى الحرب تختال) أى تتبختر بها راكبوها تيها وعجبا (وللخيل) النفائس وعليها الشجعان (فى الوغى) أى الحرب متعلق بقوله (خيلاء) أى كبر وترفع عن الوقوع فى وهدة او الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل (قصدت فيهم) أى فى أبدانهم (القنا) أى الرماح جمع قناة وفى هذه الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض فاقامه ولا بينا فى ذلك عدة كثيرين له من أنواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هى مجاز لغوى او عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد فى رأيت اسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للسبوان الجرىء (ف) بسبب قصدها لهم

يكون من فيه او من زبانه (قوله صرعت قومه الخ) ولما فرغ من بيان عاقبة اليهود شرع فى بيان عاقبة ما يعمهم وغيرهم من اعدائه بقوله صرعت الخ (قوله هو بالكسر والمد) وبالفتح ايضا انتهى ابن عبد الحق وهمزته منقلبة عن واو ويقال مادهاك اى ما اصابك (قوله جودة الرأى) يقال رجل داهية بين الدهى أى بين الفكر وجودة الرأى (قوله ومن حيث تشبيه البغى) سيأتى ان ماذكر ليس من المكنية بل من اضافة المشبه به للمشبه (قوله وترشيحية) لعله وتجريدية بقرينة قوله وبرد لها الخ (قوله ثلاث استعارات) صوابه ثنتان لما مر (قوله تشبيه البغى) فيه انه من اضافة المشبه به للمشبه فليس استعارة مكنية كما زعم الشارح فحرر (قوله الشجعان) اى فالمراد بالخيل راكبها او المجموع اى الخيل وراكبوها كما يدل لذلك شرح قوله وللخيل الخ (قوله فى الوغى) يكتب بالياء لا بالالف لان الالف تؤذن بانه مقلوب عن الواو وليس فى الاسماء اسم اوله واو وآخره واو الا الواو اسم لوه كميم اسم له (قوله قصدت) اى ارادت الطعن فيهم الخ ضمن قصدت معنى دخلت فعداه بفى والافهو يتعدى بنفسه (قوله جمع قناة) وتجمع على قنوات وقنى على فعول وقنا الجبال وكذا القناة التى تحفر انتهى صحاح

(قوله القافية) وهى الكلمة الاخيرة من البيت والراجح انها من المحرك قبل الساكنين الى آخر البيت فعلى القول الاول كلمة الايطاء هى القافية وعلى الثانى هى من الهمزة التى بعد اللام الى آخر الكلمة وخرج بتكرير القافية تكرير غيرها كتكرير آخر النصف الاول من البيت فى آخر بيت آخر فليس بايطاء (قوله قبل عدد مختلف فيه عندهم) اى العروضيين

المعلومين من السياق والراجح كما فى شرح الخزرجية لشيخ الاسلام انه تكريرها فيما دون سبعة ابيات (قوله وهذا الحل اولى مما سلكه الشارح) عبارته وزاد الله تعالى فى اظهاره عليهم بجميله ورجله هو الذى ايده بنصره وبالمؤمنين بجعل سيوف رجاله عاملة فى رقابهم ورماحهم فى نحورهم وصدورهم ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور والكثرة ذلك منهم تأتى الطعنة الثانية فى موضع الاولى حتى كانها طعنة واحدة لفرط السرعة فى الطعن انتهى وما قاله الشارح اولى كما قال اذهوا وفى بسياق المقام واظهر فى تأدية المرام (قوله فى مهامه الحرب) جمع مهمه وهى المفازة البعيدة انتهى مختار (قوله الغبرة) بفتحتين انتهى مختار (قوله من الغبار) اى المفسر به النقع (قوله وقضية كلام الشارح الخ) ليس كما قال وعبارته رحمه الله تعالى والعشى والعشية والعشاء من غروب الشمس الى العتمة والغد وما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ثم قال فى المعنى ولم تزل خيله تثير الغبار باراضيهم ومواضعهم حتى بارض مكة فى غزوة الفتح حتى صار يظن لكثرة كر الخيل عليهم وفرها وما اثاره ذلك من الغبار ان وقت العشاء من اظلام الغبار انتهى فتأمله فانه ظاهر لا تكلف فيه (قوله وبنى خزاعة) وفى نسخة الشارح بدله بيت خزاعة

كانت (قوافى الطعن) اى الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون ذلك الطعن (منها) اى تلك الرماح (ماشانها) اى عابها وفى نسخ شانه اى الطعن (الايطاء) لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيأ لم تؤثره المتلوة وهو معيب فى المشبه به لانه يدل على عى الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا الحل أولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتأمله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم فى أجساد عدوهم تأتى الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب حله (واثارت) أى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب (بارض) العدو فى الاقطار الحجازية وغيرها حتى فى (مكة) فى غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها (نقعا) اى غبارا أظلم الجو حتى (ظن ان الغدو) اى وقته وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (منها) أى من أجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع أو من أجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التى أثارتها تلك الخيول (عشاء) اى وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشاء بفتح العين وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه وفى قوله واثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى فى سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلا صة شئ من هذه الغزوة التى حصل بها ذلك الفتح الذى هو اعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى اعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس فى دين الله افواجا واشرق وجه الارض ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل فى عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل فى عقده وكان ممن دخل فى عقده خزاعة وفى عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض بنى بكر وبنى خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بنى بكر فخرج أربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسى ولما أحس أبو سفيان بمجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد فى المدة فابى صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف ثم لحقه ألفان للملتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران أمرهم ان يوقدوا عشرة آلاف نار ففعلوا فاهم أبو سفيان ارسله

أرسله قريش ليأخذ لهم أمانا لعلهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأى تلك النيران أنهره أمرها فادركه الحرس فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسأل العباس النبى صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا فى قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقال للعباس اجلسه عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفى رواية أجلسه عند مضيق الوادى حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها فجلسه فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل قبيلة فيبينها له العباس فيقول ومالى ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أى الحرب اليوم تستحل الحرمة او الكعبة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فامره على لسان على كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس واخبر اباسفيان انه لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله تعالى يعز قريشا وخشى سعد أن ابنه يقع منه شئ أيضا فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فدفعها النبى صلى الله عليه وسلم للزبير وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم فى كتيبة المهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره ان يدخل من أعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كداء بالضم تصحيف وصوابه من كداء بالفتح والمد وقوله وامر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كداء بالفتح لم ار فى الروايات المعتمدة ما يشهد له وانما الذى صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من اسفلها وورد رواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ ذلك من الرواية الآتية عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدى ولا بكداء وبعث خالد بن الوليد فى قبائل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له النبى صلى الله عليه وسلم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدى ما استطعت فقال قضاء الله خير وصح فى مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث اباعبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا اباهريرة اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم أترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال ابوهريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابوسفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن ومن هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة وبردبانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الاعلى اوباشهم الذين من شأنهم الجهل والمبادرة بالقتال فى غير محله وهذا كقوله من اغلق بابه فهو آمن

القول لانه كان اذا اوذى بمكة فدخل دار أبى سفيان كان آمنا لجزاه بمثل ذلك (قوله كتيبة) بالمثناة الفوقية اى الجيش والجمع الكتائب (قوله فيقول ومالى ولها) انظر ما المراد بذلك مع سؤاله عنها فان سؤاله يقتضى تعلق غرضه بالبيان وهذه العبارة تقتضى خلاف ذلك فتدبر (قوله بالحجون) بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد فهذه اسماء مسماها واحد (قوله من باب الحزورة) الحزاور الروابى الصغار الواحدة حزورة انتهى صحاح (قوله المجنبتين) اى بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون وهما الميمنة والميسرة ويكون القلب بينهما اه شرح مسلم للنووى (قوله اهتف لى بالانصار) أى ادعهم لى وخص الانصار لشقته بهم ورفعة المراتبهم (قوله فاطافوا به) قال فى الصحاح أطاف به أى ألم به وقاربه انتهى (قوله أوباش قريش) أى جماعتهم الاسافل (قوله أبيحت خضراء قريش) أى استؤصلت قريش بالقتل وافنيت وخضراؤهم بمعنى جماعتهم ويعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخضرة ومنه السواد الاعظم انتهى شرح مسلم للنووى

(قوله القصواء) هي التي قطع من آذانها شيء قليل (قوله بالضم والقصر) ويجوز المد على لغة قليلة كما يأتي (قوله الذي حصل بمكة) الموافق لما سبق ان يقول قرب دخوله مكة تأمل فيقدر مضاف ليوافق ما سبق له أي بقرب مكة وكذا يقال في نظيره الآتي ويحتمل انه اشار الى كثرة التراب

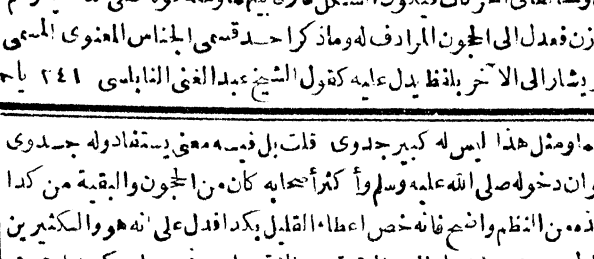
يفسر مكة عند اجتماع الخليلين بها وكثرة كرها وفرها كما كان كثيرا عند

اجتماعها قريبا منها الذي ذكره سابقا (قوله ان الفرقة التي كانت بالحجون) وكتب ابن عبد الحق في حل البيت أي كفت عند ذلك النقع أهل الحجون عن القتال وامتنع أهل كداء عن القتال بعد قتالهم قليلا قال تعالى واعطى قليلا وأكدى أي اعطى قليلا من المال ثم امتنع من الباقي مأخوذ من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر (قوله بعجيب من الشارح) عبارة الشارح في بحث اللغة ويقال اكدى الرجل عن الشيء اذا قل خيره وقوله تعالى واعطى قليلا واكدى أي قطع القليل ويقال اكديت الرجل عن الشيء اذا رددته عنه وكداء بالفتح والمد موضع باعلا مكة ينزل منه على الابطح ومقابر مكة يدخل منه الحاج وكدا بالضم والقصر موضع باسفلها يخرج منه الحاج قريب من قعيقعان ثم قال في المعنى فكان ما حصل من النقع المتولد عن كثرة الخيل وكثرة كرها وفرها فيها فوق ما حصل بكداء وكدا بحيث لا يقاوم ما بالحجون ولا

ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا يقوى ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التأمين الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابي سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلى مكة التي دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر في القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو كداء بالفتح والمد وكان معهم في كتيبتهم الخضراء الكثرة ما معهم من السلاح راكبا على ناقته القصواء بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فرأى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وامر بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال (اجمعت) اي كنت وامسكت (عنده) اي عند ذلك النقع الذي حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها ومن اسفلها (الحجون) بفتح الحاء هو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد اي ان الفرقة التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيأ كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما في مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة (واكدى) اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب (عنده) حال من كداء (اعطائه) أي كداء لتقدمه رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء النبي صلى الله عليه وسلم (القليل) من الناس مفعول المصدر الثاني (كداء) بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه أي واقل غبارا مكة كداء الذي هو أسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم له كانوا قليلين ويعجب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى ملائما مع كونه أوهم ضبط كداء هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق في الشطر الاول او قريب منه كما يصرح به كلام أئمتنا في المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاجمام والمنع اللذين هما من صفات الآدمي الى غيره على حد جد دارا يريد أن ينقض كما مر بيانه آنفا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لانه من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من أعلى واسفل وان ما من مجموعهما أكثر مما

ما بكدا من النقع ما بمكة منه فلقلة ذلك فيهما بالنسبة الى ما في مكة كان ما في الحجون اجم عن مقاومة ما بمكة وكان كدا أتى من بشيء قليل أولم يوجد فيه شيء من ذلك يصلح للمقاومة انتهى فتأمله فانه لا ايهام فيه مع ما تقدم (قوله لما فيه من الجناس) اي جناس شبه الاشتقاق بين اكدى وكداء والجناس المعنوي بين الحجون وكداء فالمراد بالجناس جنسه (قوله والمجاز من حيث الخ) لانه عبر بكداء واراد الحال فيه وهو الغبار (قوله وان ما الخ) اي وان التراب الذي من مجموعهما اكثر من التراب الذي من كل منهما

(قوله والتقدير ان الحجون وكذا منعاهم الخ) استفادة المنع من الحجون ظاهر لان احجمت بمعنى منعت واما استفادته من كذا ففيه نظر لان اكدى معناه قل ويدفع النظر بما قد سبق عن ابن عبد الحق من ان اكدى يستعمل ايضا بمعنى امتنع (قوله وبين الحجون وكذا جناس معنوى) قال الحافظ السيوطى فى شرح بديعيته الجناس المعنوى كون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع ان يقصد الشاعر المجانسة لفظا فلا يوافقه الوزن على الاتيان باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه ومثل له بامثلة منها قول دعبل فى امرأة سلمى انى احبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذلك الشاهق الرامى اراد ان يجانس بين سلمى امرأته وسلمى الجبل فلم يساعده الوزن فعدل الى سميك انتهى وهنا اراد ان يقول احجمت عنده كداء بفتح الكاف والمد ليجانس كداء بضمها والمد آخر البيت الجناس المحرف وهو ما تماثل ركناه فى الحروف وتخالفا فى الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فلم يساعده الوزن فعدل الى الحجون المرادف له وماذكر احد قسمى الجناس المعنوى المسمى بتجنيس الاشارة وهو ان يذكر احد المتجانسين ويشار الى الآخر بلفظ يدل عليه كقول الشيخ عبد الغنى النابلسى ٢٤١ ياحزة اسمع يوصل * وامنن علينا بقرب



من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لطيفة وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه كان من الحجون والبقية من كدا وجه أخذه من النظم واضح فانه خص اعطاء القليل بكدا فدل على انه هو والكثيرين دخلوا من الحجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون احجمت معطوفا على أثاروا بحذف حرف العطف فقيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان أكدى مبنى للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى أماكنهم فكفت الحجون ومنعت كداوا الحجون عن ان ينتصر الاهلها مما لوقهروهم اذلك لاسيما وخيل كدا كانت قليلة ويصح بناء النظم على اعرابه الاول وهو ان الحجون فاعل وان أكدى مبنى للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاءهم ساعدته عليهم والتقدير ان الحجون وكذا منعاهم من ان يمدوا أعينهم اليه صلى الله عليه وسلم أو الى أحد من عسكره وفى هذا وما قبله من المبالغة مالا يخفى عظيم وقعه عند الفصحاء وبين الحجون وكذا جناس معنوى (ودهن) أى املكت تلك الخيل

٢١ ج بضمر وتركنا بعضها الى الليل فاستحالت خلا الافى سبيل الله وبنت مدامة * أنتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صيحة * وامست بجسم الشنفرى بعد ثابت وبنت بسطام بن قيس اسمها الصهباء وقوله بجسم الشنفرى بعد ثابت أشار به الى قول الشنفرى يرثى خاله ثابط شرا واسمه ثابت بن خولة الفهمى وهو فاسقنيها أبا دلامة بن عمرو * ان جسمى من بعدخالى لخل واخل النحيف المهزول فصح لابن عبدون فى بيته جناسان مضيران أحدهما فى صدر البيت وهو صهباء وهبباء والثانى وهو خل وخل والشنفرى بفتح الفاء ولراء مرتة كربلا ومن هذا القسم للنواورزمى فى غلام يعرف بابن برغوث بليت ولا أقول بمن لانى * اذا ما قلت من هو يعشقوه حبيب قد نفى عنى رقادى * فان غمضت أيقظنى أبوه فقد أضمر ركنى الجناس واظهر ما يرادف أحدهما وذلك لفظ أبوه وجعل الجناس المعنوى بين برغوث الذى هو الغلام وبرغوث اسم الحيوان المعروف ويحكى ان السلطان ابا زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية عرض مرة جنده وكان فيهم امرد وسيم اسمه جده النعمان فسأله السلطان واعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه فازداد حسنا فقال السلطان * كلمته فكلمت صفحة خده * وسأل من الحاضرين الاجازة أى تكميل البيت فلم يأتوا بشئ فقال السلطان مجيزا لشطره * فتفتحت فيه شقائق جده * وهذا من الطف الاتفاقيات فى هذا الباب ومن أراد زيادة على ذلك فليه بحطالعة ماذكره =

والخيالة (أوجهها) من الناس (بها) أى بمكة قاتلت كما مر فى الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجره فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال وأربع نسوة (و) أهلكت (بيوتا) كان أهل مكة يرجعون الى أهلها (مل) أى ثم (منها الاكفاء) وهو فى الشعر المخالفة بين هجاءأ واخره كان يكون بعضها مما والآخر باء وهنا انكفاء ثلاث الوجوه على الناس اعلها بحميها أو تجريها (والاقواء) أصله من قولهم منزل قواء اى لا أنيس به وأقوت الدار وقوت أى خلت ثم استعمل فى الشعر مرادا به ان يختلف حركات اعراب الروى وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصدت فيهم القنا الخ يعلم ان الناظم استعار القوافى للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يختص بها من الاقواء والاكفاء الى الاستعارة الاولى وفيها ماتورية ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقواء للبيوت باعتبار لمح بيوت الشعر والاكفاء للوجوه لان الرأس اذا قطع انكفأت الوجوه وتحولت واستعمل الاقواء فى الخلق من حيث بيت السكن وفى تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغيير حركة الروى (ف) بسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا انه مهلك لهم عن آخرهم (دعوا) محمدا صلى الله عليه وسلم (أحلم البرية) بالهمز فى الاصل اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا أوصلوه اليه من الايذاء الذى لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فأجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما يأتى (والعفو) عمن سأله (جواب الحليم) من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام بحق (والاغضاء) أى ارخاء الجفون من الحياء وفى ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير (ناشدوه) بدل من دعوا (القربى) اى حلفوه على ان يصل قرابتهم و يعفو عنهم أو بالقربى على حذف الجار اى حلفوه بالقربى التى بينهم و بينه ان يعفو عنهم (التى) وصلت اليه (من) سائر بطون (قريش) وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى (قطعتها الترات) بفوقيتين جمع ترة وهى مصدر وترا ى قتل له قتيل ولم يترك دمه (والشحناء) اى التباغض والتحاسد الذى كان بينهم (ف) بسبب تلك المناشدة (عفا) صلى الله عليه وسلم (عفو قادر) لانه صلى الله عليه وسلم كان يسهل عليه ايادتهم عن آخرهم (لم يغضه) اى لم يكدر ذلك العفو (عليهم) سبب (ما مضى) منهم صفة اغرا متقدمت عليه فصارت حالا (اغراء) من أغريت الكلب بالصيد اى حملته على اصطياده وهو فاعل يغض اى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا فى ايذائه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو أهله

الفن فى هذا النوع وأتى الصفى فى بديعيته وشرحها بتمثيل غير مطابق لهذا التقرير قال التوانسى لم أر احدا من البديعيين سبق الصفى الى ماذكره والله اعلم من اين اخذه انتهى (قوله انكفاء ثلاث الوجوه) من اكفاه أى اماله وقلبه فانكفأ كما يؤخذ من القاموس وسيأتى للشارح قريبا معنى آخر حيث قال لان الرأس اذا انقطع انكفأت الوجوه وتحولت (قوله استعار) كان الظاهر شبه الطعن المتتابع بالقوافى لما علمت من انه من اضافة المشبه به للمشبه (قوله مشوش) انما يظهر ذلك على غير النسخة التى شرح عليها من تقدم الاقواء على الاكفاء واما عليها حيث قدم الاكفاء على الاقواء فهو من اللف والنشر المرتب فتأمل (قوله من حلم بالكسر) الذى فى القاموس بالضم ومثله فى المختار ثم ذكر ان حلم بالكسر بمعنى آخر حيث قال وحلم البعير كفرح كثر حلمه وحلم الجلد كفرح وقع فيه الحلم (قوله وهى مصدر وتر) فهو كوعد مصدره عدة والجمع عدات اه (قوله بسبب ما مضى) جعل الباء سببية فيه خفاء المعنى وجعلها بمعنى فى الظرفية واضح المعنى الاترى الشارح فى حل المعنى صرح بفى حيث قال حال كونه منهم فيما مضى تأمل

ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهى حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما احلت لى ساعة من نهار اى من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش ماترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء اى من الاسر والاسترقاق وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره (واذا كان القطع والوصل لله) كما هو حال النبى صلى الله عليه وسلم تساوى) عنده فاعل ذلك (التقريب) للاقارب والبعداء (والاقصاء) اى الابعاد للاقارب والبعداء ولم يميز باحدهما قريب ولا أجنبى لان النظر لرضا الله وامتثال أمره لاغير وهذا من القول البديع الجامع (وسواء) بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء السائلين الى سواء الصراط وبمعنى الوسط ومنه فى سواء الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه فقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هى بمعنى وسطه (عليه) اى الذى تقريبه واقصاؤه لله لاغير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدأ (فيما أتاه من سواه) كلاهما حال من المبتدا أو الخبر وهو (الملام) بالسب والتنقيص (والاطراء) اى المبالغة فى المدح حتى بغير الواقع اى سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما أتاه من غيره من خير أو شر اى استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما ناظر الى تصريف الحق فى خلقه بما أراده منهم * (تنبيه) * ماوقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو هو مادرج عليه الفقهاء فى كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر الشائع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح فى الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سواء على قمت أو قعدت وكذلك فى القاموس قال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اى ذوا استواء من استوى وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه بالمسئلة أتم تصريح وأوضحها أكمل ايضاح فقال كما فى البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلابد من أم اسمين كانا أو فعلين وان كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثانى بالواو تقول سواء على قعدت أو قمت وان كانا اسمين بلا ألف عطف الثانى بالواو تقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدران كان الثانى بالواو وأو حملا عليها اه فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان مافى الصحاح سهو وان قراءة أولم تنذرهم من الشذوذ

(قوله بفتح السين والمد الخ) وهو متعين فى النظم

بمكان اه فاستحضر ذلك فانه مهم (و) من ثم (لو) مر فيها في بحث أوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغي مراجعته لعزته ونفاسته (ان انتقامه) صلى الله عليه وسلم اي غضبه واستيفاءه الذي صدر منه كان (لهوى النفس) الامارة بالسوء والطبيعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله له (لدامت قطيعة) للرحم (وجفاء) اي ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله تعالى فقطعهم حيث قطعوا ما أمر الله به ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل أصحابه لاسيما بأحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وكيف لا وقد (قام) صلى الله عليه وسلم (لله) وحده لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم أو صديق وفي نسخة بالله اي مستعينا به (في الامور) جميعها (فبسبب) قيامه لله تعالى أو به (أرضى الله) تعالى (منه) صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى أو حال من فاعله وهو (تباين) لاعداء الله (ووفاء) لاولياء الله تعالى من غير تعويل على حظ سوى رضاربه ولهذا كان (فعله) صلى الله عليه وسلم (كله جميل) لصدوره على امتن قوانين الاعتدال واحق موازين الكمال (و) لا بدع في ذلك اذ (هل) اي ما (ينضح) اي يسيل مما فيه على ظاهره (الاما حواه) عائد على متقدم الرتبة وهو (الاناء) اي لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلأ اناؤه قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناؤه قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس أحد متحليا بمعالي هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح الى المثل السائر وهو وكل اناء بما فيه ينضح (اطرب السامعين) اي أسرهم وأفرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه وسلم (ذكر علاه) لانهم يجدون لذلك روحة تفوق روحة الراح (يا) حرف استغاثة (راح) اي خمر مستغاث ولذا فتحت لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام سكرانا بها (مالت) اي سكرت وتواجدت (به) اي الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر وهي مؤنثة وتذكيرها شاذ (الندماء) اي شاربو الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اي يخاطبون عليها بالاشعار التي فيها مدحها في هذا استعارة تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه في اطرابه لسامعيه بالراح في اطرابهم الشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالي الذي أطرب السامعين ذكر علاه هو (النبي الامي) نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كأنه على أصل ولادة أمه أو مثلها اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اي مكة وقيل غير ذلك ومع كونه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب أطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق في كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن

(قوله عائد) اي الضمير المستتر لان الاناء فاعل ينضح فهو وان تأخر لفظا متقدم رتبة واما البارز فهو عائد على ما وهي متقدمة لفظا ورتبة (قوله من التذييل) وهو كالتتميم من المحسنات البديعية وحقيقته ان يأتي بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى المثل لتوكيد الكلام المتقدم كالآية وكقول النابغة الذبياني ولست بمستبق اخا لا تلمه

على شعث اي الرجال المهذب

فالجملة الاخيرة من كل هي التذييل (قوله ويصح ان يكون من التتميم) وهو الاتيان بما اذا زيد في الكلام التام أفاده حسنا وقد مثل له الصفي الحلي في بديعيته بقوله

وكم بذلت تليدي والطريف لكم
طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فقوله طوعا أفاد انه لم يبذل كرها (قوله روحة الراح) قال في المختار الروحة التقابل من السكر وغيره والمراد هنا اللذة التي هي ملزوم ما ذكر أو حقيقتها بأن يتمثلوا من شدة ما يحصل لهم من الطرب (قوله مستغاث) نزله منزلة العاقل فناداه ليغيثه من هموم الدنيا بسببه ادراكه

وسائر أوصاف الكمال وأراه من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرائع وعوارف المعارف مالم يصل اشاوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الآيات (اعلم) الخلق جميعا حتى (من) اى الانبياء والمرسلين الذين (أسند) اى روى (عنه الرواة والحكماء) اى العلماء الذين يضعون كل شئ في محله فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من أوصافه صلى الله عليه وسلم وأحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر داره ولده وبعثته ودار مهاجره لانها تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتأكيدها والاشارة الى انها من أفضل القربات وأنجح المساعي وقد ألفت فيها كتابا حافلا لم أسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم وفيه أبالغ الرد والتضليل لمن نازع في ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه في الدنيا والآخرة الى نقال كانيا عن منة الله تعالى عليه باشارته انه هيأله أسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى كأنها مخاطبة له تقول اركب على ظهري فاني أحملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعثر والراحة من السير المتعب (وعدتني) ذكر الموعود في حيزها كما هنا يوجب اشتراكهما بين الخير والشر وانما يقع التمييز بالقرائن وحذفه يعينها للخير ويعين للشر أوعد (ازدياره) اى النبي صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء في نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اى بزيارته هذا (العام وجناه) اى ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة (ومنت) اى أنعمت (بوعدها) اى بموعودها (الوجناء) المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به أولا كناية منه عن نيته للزيارة في تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما تقرر من ان أل في الوجناء للعهد الذكري اندفع قول الشارح بين وجناء والوجناء جناس والعجب منه انه صرح مع ذلك بان أل للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثاني (أ) يليق بي ان أترك الزيارة أو أتباطأ عنها (فلا انطوى) اى أحسن ان أضم نفسي على تلك الوجناء التي منت علي بما ذكر (لها) اى لاجلها ليسهل سيرها بي فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه (في) حصول (اقتضائيه) اى طلبي منها ذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو الياء والهاء مفعوله فان أريدت الاضافة اليها أيضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها آلتا تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لا يجوز اجتماع آلتي تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة من اسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة وأمثلة المبالغة اقتران المضاف دون سائر المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور اجتماع اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات اه نعم جرى لنا قول

(قوله وتبابه) اى خسرانه قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب (قوله يوجب اشتراكها الخ) قد يقال ما ذكروه انما تصريح بما علم من لفظها الوضعها للخير فلا يعين ذكره كونها مشتركة تامل (قوله من الزيارة) وأصله ازتياره بالتاء (قوله من الوجن) بسكون الجيم لان فعله وجن من باب وعد (قوله الصلبة) بضم الصاد اى الشديدة (قوله في حصول اقتضائيه) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى والاقتضاء مصدر اقتضى وهو مضاف الى الفاعل ناصبا للهاء ويقال اقتضائيه واقتضائي اياه (قوله نعم جرى لنا الخ) أقول يلزم منه جواز اضافة المضاف الى شئ الى آخر ولم يسمع مثله

(قوله وبه يندفع ما للشارح) عبارته والفلاء والفلوات جمع فلاة وهي المفازة ونطق به المصنف على أفعال جمعا للقلة كأجمال وكأنه اطلع على ذلك ويقال افلأ القوم اذا صاروا الى الفلاة فيجوز ان يكون الافلاء في كلام المصنف بكسر الهمزة لا فتحها مصدر الافلاء بمعنى صار الى الفلاة ٢٤٦ اى ليطوى الافلاء الذى هو المسير الى فلاة بعد أخرى ما بيننا من بعد

المسافة وهذا أحسن (قوله وجوز الشارح فيه الخ) ان روى يطوى بالياء المثناة تحت تأمل (قوله يجفلها) بالجيم قال فى المختار جفل أسرع وبابه نصر والجافل المتزعج واجفل القوم هربوا مسرعين اه واما الحفل بالحاء المهملة فالجمع من الناس وهو فى الاصل مصدر حفل من باب ضرب كما فى المختار فليس فيه احفل بالهمز اه وظاهره ان اجفل لازم لكفل حيث قال واجفل القوم الخ ويخالف ما فى النظم من تعديته وفى القاموس ما يفيد انه يستعمل لازما ومتعديا (قوله الاظماء) مصدر اظمأ عطشه عطشا شديدا (قوله المصطفوية) هكذا فى عبارة غيره من المؤلفين وهو خلاف الصواب لان الالف المتجاوزة لاربعة أحرف تحذف عند النسب كما فى الخلاصة وشرحها قال فيها

والالف الجائز ربعا ازل

ولم أر قولا بقلبها واوا فالصواب مصطفية تامل (قوله مصدرية ظرفية) اى مدة ظهور (قوله ولا ينافى هذا) انما تتوهم المنافاة اذا أريد بالبطحاء الامكنة المتسعة وقد ذكر سابقا ان المراد بها امكنة فالفها امكنة لا ينافى نفرتها من الفضاء ويجاب بان الفها المكنة يقتضى ان تالف الفضاء الموجب الفه قطعه للوصول اليها وحاصل دفع التنافى الذى أشار اليه ان الفضاء الذى تنفر منه ليس هو الفضاء الذى فى مقصدها بل الذى قطعته مخافة ان تعاد اليه قبل نيل مرادها

الحالة

ان اضافة المصدر الى مرفوعه أو منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتأمله اما اذا لم ترد الاضافة للهاء وانما أريد بقاؤها على نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله (لتطوى) بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى (ما) اى المسافة البعيدة التى (بيننا) اى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحال به أفضل الصلاة والسلام (الافلاء) جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر أو المفازة لا ماء فيها ثم قال أو الصحراء الواسعة جمعه فلا وفلوات وفلى وفلى جمع جمعه افلاء اه وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا اى المسير الى فلاة بعد أخرى ولا يلزم على بنائه للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلاء الى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتأمله وبين انطوى وتطوى جناس الاشتقاق كهو واشبهه بين مباركها والبركة وحاورتم او الحور او حنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلصاء الآتيات (ب) وجناء (الوف) صيغة مبالغة من ألف كعلم متعلق بتطوى وكان القياس بها لكن أظهر لافادة وصفها بهذا الوصف الممدوح (البطحاء) المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها وأصل الابطح والبطحاء مسيل متسع فيه دقاق الحصى وهذا وما بعده لسان حاله أبرزه على لسان حالها مبالغة فى أن به من تلك الاوصاف ما لو كان لرسالته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده من حاله (يجفلها) اى يزعجها ويقلقها (النيل) اى أرض مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها لشدة شوقها الى التمتى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق (و) الحال انه (قد شف) اى شرب رطوبة جوفها أو انحل (جوفها الاظماء) اى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك (انكرت مصر) لانها لا تؤمن فيها من تلك المواهب العلية معشار ما أملته فى تلك الحضرة الاحدية والساسة المصطفوية (ف) بسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل (هى تنفر) بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرات العلية (ما) مصدرية ظرفية (لاح) اى ظهر من أرض مصر (بناء عينها أو خلاء) اى فضاء ولا ينافى هذا قوله بالوف البطحاء لانها تالفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه تجد فى السير وتنفر الى جهة مقصدها سواء لاح لها فى غير تلك

الحالة بناء أو فضاء وفسر الشارح الخلاء بالحشيش الرطب ويوجه بنظير ماذكرته انها تجد في السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها في غيرها قوتها الذى هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة المبالغة مالا يخفى عظيم وقعه ولكن يبعده مقابلته بالبناء بخلاف ماذكرته وقوله أو المراد به ما بين ابنية مصر وهو أقرب اه وهو فى غاية البعد كما لا يخفى (فافضت) من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل (على مباركها بركتها) هو أول محل يلى طريق الحجاز تجتمع الحجاج فيه لتاهب اسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى البرهان المتبولى من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فصارت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يوما بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة أمه بالعجيم وهو نم فاستأذن الشيخ فى السفر لذلك فلم يأذن له ودخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم عليها وأقام عندها أربعة أشهر يعدها بالايام والليالى ثم اشتاق للشيخ فرأى نفسه فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض كرامات الاولياء ان الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمن ووقع لهم من نظائر ذلك مالا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما من حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنية وبساتين لاتزال تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة اى فافاضت البركة على مباركها ثالث النائة من الماء العذب ما رواها وراكبها ومن معه (ف) بعد البركة منازل للحجاج فى هذه الطريق أكثرها مشهور فلا حاجة بنا الى مزيد بيانها هى (البويب) وانما حملت النظم على هذا لايهامه ان أفضت عام فى الكل وهو غير مراد ان أراد به ماذكرناه فان أراد به انه من القضاء اى فاتسعت على مباركها الناقة بركتها المزيد سعتها صح عطف مابعده عليه من غير حاجة الى التأويل الذى ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف مابعده عليه الذى لايضح الا برعاية ماذكرته لان تلك المنازل أكثرها قفر معطش لاماء فيه أصلا (فالخضراء) وهى قرية من المحل المسمى الآن بحجر ودونيه بئر ماء مرمسهل ويجانبها بركة ماء تملأ من بيت المال يعم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من أصله حدث بعد الناظم وانما قلت من أصله لان بركته معلومة الحدوث فى أوائل هذا القرن (فالقباب التى تليها) اى المنازل السابقة اى الوادى المسمى بوادى القباب اى زير الرمل المشبهة لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسية (فبئر النخل) ويجانبها بركة تملأ من بيت المال أيضا وماؤها أحسن من الذى قبله بكثير ولذا قال (والركب قائلون) عندها اى مستريحون وقت القيلولة (رواء) من الماء بكسر أوله جمع ريان أو رياء (وغدت ايلة) اى عقبتها

(قوله وفسر الشارح الخلاء الخ) وعده الناظم للضرورة وعبارة الشارح والخلاء مقصورا الحشيش الرطب الواحدة خلاة وكأنها انما تذكر الخلاء المذكور لحالة كونه مرعى لكونها اعتادت أن لاتأكل الخلاء الا فى المخلاة لاجل دوام السير كما انها الا نها الفلاة تذكر البناء ويجوز ان يكون المراد بالخلاء ما بين الابنية عما لا بناء فيه من أرض مصر وهذا أقرب (قوله فافضت) بالفاء (قوله ايلة) بفتح الهمزة وسكون الياء وفتح اللام قال أبو عبيدة هى مدينة على شاطئ البحر فى منتصف ما بين مصر ومكة وقال البكرى سميت أيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وروى ان ايلة هى القرية التى كانت حاضرة البحر

(وحقل) محل بعدها قريب منها تسميه العامة مدور حقن (وتر) ليس هذا الاسم مشهورا عند الناس اليوم (خلفها) اى الناقة لكونها جاوزته (فالفازة) المفوزة الى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم (الفيحاء) اى الواسعة (فعيون الاقصاب) سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسى (يتبعها النبك) هذا أيضا ليس بمشهور وفى القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق (ويتلو) النبك (كفافة) وبها قبر ولى يسمى مرزوقا الكفافى مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد (العوجاء) اى المنحرفة عن جادة الطريق وجعل الشارح كفافة مفعول يتلو والعوجاء فاعله فعليه هما محلان متغايران وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجاء أصلا فالموافق للخارج ماذكرته (حاورتها) اى حاورت الناقة (الحوراء) فيما هى بصدده شوقا منها الى الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا تفقهون الخ أحد جبل بحمينا ونحيمه (فينبوع) حاورتها شوقا أيضا وهى بلدة معروفة من جملة الحجاز الذى هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة (ف) بسبب محاورتها لهما (وفى الينبوع والحوراء) المذكوران منها السماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما الزائرين (لاح) اى ظهر (بالدهنوين) اى فيهما تثنية دهنا اما لكونه غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل بدر على مجاورها أو ان ثم محلين كل يسمى بالدهنا (بدر) وهى الآن قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل ومحل الواقعة المشهورة به التى أعز الله بها الاسلام مشهور بين ارويتبرك بمن دفن به من الشهداء وغيرهم وفى بدر توريه مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه آبار باقية من آبار به صلى الله عليه وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد أنكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هو أصوات الريح تسمع فى ذلك الوادى عند قوة هبوبها لان فى أوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال آخرون من أئمة المتأخرين بل له حقيقة لا ناذهبنا الى ذلك المحل وأقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اه وأقول وقع لى أيضا سماعه مرات متعددة فى سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ثم ولقد كنت فى بعضها مرافقا لجم جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم فى ذلك فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقى الى أعلى أحد الجبلين ليحاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا وأقمنا عليه نحو ربع النهار

ونحن لانسمع شيأ وقد هدأ الريح ولا أحد ثم غيرنا وليس لاحد مناحركة فلما كان في آخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من أصر على انكاره ولقد جاءنا فقيه ساكن يؤذن ويؤم في مسجد البلد فسئل فحلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من أول الليل الى آخره وفي غيرهما لا يسمعونه الا أحيانا فالله أعلم بحقيقة ذلك (لها) اى للناقة (بعد) وفي نسخة قبل مالاح لها أرض (حنين) بقال انه جبل صغير قريب بدر فالظاهر ان الناظم اعتمد في هذا على ماهو مشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس غير حنين المذكور في الآية الذي هو عين بين مكة والطائف وظاهر قول الشارح ان نسخة قبل أوضح لان حنينا بعد بدر اى لما ذكره الناظم مستندا لكن لا يكفي هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا كما مر (وحنت) الناقة وماهي فيه (الصفراء) قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة (ونصت) اى خلعت (بزوة) اى خبيتها المشهور واسناد ذلك اليها والى مابعده مجازى (فرابغ فالجحفة) محل بعد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعى صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها أحد حتى الطائر الا حم وكان ميقات الحاج المتوجهين من تلك الطريق كما صح به الخبر (عنها) اى عن تلك الناقة لما أنها استبشرت بقطعها تلك الاماكن (ما) اى ثوب التعب الذي (حاكه) اى نسجه (الانضاء) اى الهزال شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بأثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب مايعمه ويستر لونه كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ماهو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهو استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية وترشيحية (وأرتها) اى أبصرت تلك الناقة (الخلاص) من التعب (بئر) فاعل (على) وهو آخر الخبت الذي بعد رابغ الى مكة (فعقاب السويق) بعدها بقليل (فالخلصاء) اى المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة (فهى) اى تلك الناقة (من ماء بئر عسفان) المشهورة (أو) من ماء عيون (بطن مر ظمآنة) اى عطشانة (خمصاء) اى جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى أن يدخلوا مكة (قرب الزاهر) المشهور قبيل ذى طوى (المساجد) المعروفة بمساجد عائشة وبالتنعيم (منها) اى الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين (بخطاها) اى بسبب شدة جريها لما أحست بالوصول (فالبطء) الحاصل (منها واحم) بالمهملة قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده أنها لما أحست بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى أن بطأها زال وخلفته سرعة شديدة (هذه) المذكورات (عدة) غالب (المنازل) بين مصر ومكة التي عليها المعول لان بها تعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط ببيانها القاصد (لاما) اى منازل القمر الثمانية والعشرون التي (عد

(قوله اى خبيتها المشهور) الخبت المتسع من بطون الارض وخبت الجيش وخبت الجيش ويجوز ان الجيش بين الحرمين اه يضاف بحمراء بين الحرمين اه قاموس (قوله والثوب بأثر الهزال) الظاهر تشبيه ماغشى الناقة من أثر الهزال الذي هو التعب واستخلاء الاعضاء بالثوب على طريق الاستعارة المصرحة بجامع الشمول لان شمول الثوب للبدن حسى فالمناسبة كونه مشبها به على حد ماذكروه في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فتدبر (قوله فالخلصاء) بكون اللام (قوله الزاهر) مفعول مقدم والمساجد فاعل مؤخر (قوله غالب المنازل) الذي ذكره منها ثمانية وعشرون على عدد منازل القمر

(قوله على ثلاث الناقة) فالباء فى بها بمعنى على (قوله ارحل) جعل الشارح شمسا حالا يقتضى بناءه للمفعول ويصح بناؤه للفاعل ان لم تثبت الرواية بالاول وفاعله ضمير المتكلم وشمسا مفعوله وبفهم كونه راحلا مثلها يكون عليها (قوله ومن ثم سميت جمعا) وقال فى النهاية سميت جمعا لاجتماع

آدم وحوّاء بها اه قال الشامى فى سيرته جمع بفتح أوله واسكان ثانيه اسم لزدافة سمى بذلك للجمع بين صلاتى المغرب والعشاء فيها كما قاله البكرى (قوله فلم يستجب له) اى لم يجبه باستجابته أو لم يخبر بها (قوله وقوة تسيرها) فى القسطلانى على البخارى انه جاء فى حديث انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل هل زالت الشمس قال لا نعم فقال ما معنى لا نعم قال يا رسول الله قطعت الشمس من فلكها بين قولى لا نعم مسيرة خمسمائة عام اى بين قولى لا وبين قولى نعم (قوله استعارة بالكناية) الظاهر أنه تشبيه بليغ للجمع بين الطرفين فان ادعى انفصال الشمس عن ضمير الناقة فلا يجمع نظر فى قوله بالكناية لان المذكور هو المشبه به والاستعارة بالكناية أن يذكر المشبه وقوله واثبات الشمس الخ ظاهر الفساد لان التخييلية أن يثبت لازم المشبه به لا نفس المشبه به تأمل (قوله اى تلك الناقة) أو تلك الشمس المشبه بها الناقة تأمل (قوله بدل بعض من كل) غير ظاهر لان الموضع نفس مكة لا بعضها فكان الظاهر بدل كل من كل وكذا يقال فى مهبط الوحى ويجاب بانه أراد بموضع البيت الجزء من أرض المسجد الذى فيه البيت بقرينة قوله فمعنى كونها الخ وبالمهبط الجزء من مكة الذى وقع فيه الايحاء وعليه فيصح كونه بدل بعض ويحتاج لتقدير ضمير عائد لمكة فيها حينئذ اى منها الشرطية فى بدل البعض (قوله مهبط الوحى) اى غالبا والا فقد هبط عليه للوحى فى غيرها أيضا

(فيه) ذكره نظرا للفظ ما (السمالك) الاعزل الذى هو من منازل القمر وليس هو سمالك آخر يسمى السمالك الرامح لكنه ليس من المنازل (والعوّاء) منزلة من منازل القمر وهى خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك (فكأنى بها) اى على تلك الناقة (ارحل من مكة) الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به السائلون ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانها المشعر الواجب أو المندوب اوركن كالوقوف أقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفى حديث فى سنده ضعف أنه صلى الله عليه وسلم دعا به فى عرفة أن يكفر عن امته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا به ذلك فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التى حول مكة وبها (شمسا) اى حال كون تلك الناقة كالشمس فى ارتفاعها لرفعة ما هى قاصدته وقوة تسيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيداء تجريد لايهامها للمشبه الذى هو الناقة (سماؤها) اى تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر (البيداء) اى المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال (موضع البيت) اى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هى محذوف وعليه فمعنى كونها موضعه انه فى بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان أول بيت الآية (مهبط الوحى) نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اى محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم المبعوث عن ربه على لسان الملك او بالالهام او فى النوم او الالقاء فى الروع (مأوى) من أوى فلان الى منزله (الرسل) الكرام بل وسائر الانبياء وهو تعريف النبى والرسول اول الكتاب لانه ما من نبى الا جاء البيت كما فى حديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح (حيث) ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله (الانوار) الالهية متنزلة ثم وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اى تتنزلها دائما على قلوب الطائفين والعاكفين والركع السجود (حيث البهاء) اى الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف الفاضة على

اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه آمين وراعى التنظير بذكر الوحى والرسل والانوار والبهاء وكذا الطواف وما بعده فيما يأتى (حيث فرض الطواف) فى حج او عمرة وأما خارجهما فهو حيث لم يتذر سنة مؤكدة ورد فيه فضائل جمة تحمل من أحاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض أئمتنا انه للغرباء افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فى أيما افضل اركان الحج هو أو الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادى لا يشترط فيه شروط ولذا لم يقبل الصرف وقال آخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اى معظمه ذلك لان من ادركها أدرك الحج بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا أصح كما حررناه فى كتبنا الفقهية (و) حيث (السعى) اى فرضه فى احدهما ايضا بناء على أنه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه (و) حيث (الحلق) او التقصير فى احدهما ايضا اى فرضه بناء على الاصح عندنا أنه ركن (و) حيث (رمى الجمار) اى ايجابه لا على جهة الركنية (و) حيث (الاهداء) اى سوق الهدى الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها المقيمين والغرباء والاولون اولى الا أن يكون الغرباء احوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان لم تذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذى هو مذهب الناظم أن اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها الواجب وهذه السنة كانت فى زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس وأعرضوا عنها بالكلية ويصح أن يراد بالاهداء كل دم وجب فى النسك او تواابعه أثم بسببه كالحلق تعديا ام لا كما تمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض فى الطواف فقط موهم أنه فرض دائما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع أن منه ما هو ركن ولا يتصور ندبه ولا وجوبه فى النسك وهو السعى والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمى وما هو واجب تارة وهو ما حصل لترفه أو جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اى من غير سبب وكأن الناظم وكل امر هذا التفصيل للشهرة أو انه ليس بصدد بيان ذلك (حيذا حيذا) تأكيد لفظى وهو سائغ هنا ومر أول الكتاب الكلام على حيذا بما يغنى مراجعته (معاهد) جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة وبالعزم اخرى (منها) اى مكة وامتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة ومولد النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها وبالحرم لكنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة (لم يغبر آياتهن) اى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم لامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن

(قوله من أوى فلان) قال فى المختار أوى الى منزله يأوى كرمى يرمى أو ياء على فعول اى نزل به وآواه غيره ايواء أنزله به (قوله وهذا أصح) وفى شرح م ر على المنهاج نقلا عن ابن عبد السلام فى فصل فيما يختم به الطواف خلافه وعبارته والطواف افضل أركان الحج حتى الوقوف وهو المعتمد وان نظر فيه الزركشى بأن أفضلها الوقوف نظير الحج عرفة ولهذا لا يفوت الحج الا بفواته ولم يرد غفران فى شئ كما ورد فى الوقوف فالصواب القطع بأنه أفضل الاركان فقد صرح الاصحاب بأن الطواف قربة فى نفسه وجعله الشارع بمنزلة الصلاة التى هى أعظم عبادات البدن بعد الايمان بخلاف الوقوف وقد يقال ان الطواف افضل من حيث ذاته لانه مشبه بالصلاة وقربة مستقلة والوقوف افضل من حيث كونه ركنا للحج لفواته به وتوقف صحته عليه واختصاصه به ويحمل كلام ابن عبد السلام على الاول والزركشى على الثانى انتهت عبارته (قوله وهذا محله الخ) انما يظهر لو ذكر وجوبه قبل بقوله مثلا وحيث الاهداء اى فرضه كما قدرنى الذى قبله تأمل

(قوله بفتح الباء) ويجوز كسرها وعليه فالمد للضرورة (قوله اى طول المدة) كان الظاهر فى الحل أن يقول اى بسبب طول الخ لان البلاء يتسبب غالبا عن طول المدة لا أنه نفسه فتأمل (قوله اظهر حرمتها) وأما تبيننا صلى الله عليه وسلم

والقيام بحقوقهن (البلاء) بفتح الباء اى طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء عما هى عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغيير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر لها هذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر (حرم) محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد به أنه أظهر حرمتها التى كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى قوم قالوا به ولم ينظروا لانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالآية نظرا الى أن أل فى الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل منه الكل أو للعهد الخارجى لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهنى لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة وهى موضوعة لفرد وكأن وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع أنه نظر الى أن جنات عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الآن والجنة حيث أطلقت انما يتبادر منها واحدة من تلك الثمانية فصح ادعاء أنه بدل كل من بعض بهذا الاعتبار واما تجويز أنه بدل كل من كل فقد نظر الى أن جنات عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصى فيكون ابدال علم من نكرة وذلك أقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصى أكثر فى الخارج من مدلول النكرة الذى هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذى قررته مما يكفى مثله فى اثبات ذكر الرأى المخالف لرأى الجمهور يندفع ما أطال به السيد من التشنيع على من أثبته كيف وقائله لا يعدم توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب مأخذه بل أو احتمل لا تشنيع به على قائله ويجوز فيه العطف نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة فى كتب الائمة وعند أهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه (آمن) اى يؤمن فيه من شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شئ حتى خرج منه هذا فى الجاهلية وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد آمن صيوده وشجره ونباته وكذا لقطته وترابه من أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قلع أو قطع أو ذلك أو نقل الا ما استثنى وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما آمنا وفيه كبيت حرام الآتى نوع تلميح (وبيت حرام) اى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس (ومقام) بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذى نزل لابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال

لان المدة لا أنه نفسه فتأمل (قوله اظهر حرمتها) وأما تبيننا صلى الله عليه وسلم فقد انشأ تحريم المدينة قال سم قد يشكل هذا المقام بأن الاحكام كالحرمة اما أن تكون عبارة عن مجرد الخطاب اى الكلام النفسى او مع قيد التعلق التنجيزى فان كان الاول لزم أن يكون كل من حرمة مكة وحرمة المدينة يوم خلق السموات والارض بل قبل ذلك لان الخطاب المذكور قائم قديم وان كان الثانى لزم أن لا تتحقق منهما الا عند وجود المكلفين بشروط التكليف اذ التعلق التنجيزى لا يتحقق الا حينئذ فتأمل (قوله بدل كل من بعض) واختار السيوطى فى الاتقان وفى الهمع ثبوت هذا القسم خلافا للجمهور فان اريد بوضع البيت جميع الحرم كان بدل كل من كل (قوله على حد جنات عدن) وعلى حد قول الشاعر رحم الله اعظما دفنوها

بسجستان طلحة الطلحات

حيث ابدل من اعظما طلحة وهى بعضه (قوله فصح ادعاء أنه بدل الخ) هكذا بخطه رحمه الله تعالى وهى عبارة مقلوبة وصوابه كل من بعض لانه المدعى (قوله لا تشنيع به) انظر هذا مع ما يعرض لك فى كلامه من التشنيع على الجوهرى فيما هو ظاهر الصحة فضلا عن الاحتمال (قوله من شن الغارات) يقال شن الغارة عليه وأشنها اى فرقها عليهم من كل وجه البناء

البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر فى محله ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله عليه وسلم وفيه أثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة أيها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فأجابوه بلبيك وفى رواية أنه نادى بذلك على الحجون ولا تنافى لاحتمال أنه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير أن يتعرض له أحد فى الجاهلية ومع كثرة السيول التى كانت تدخل الحرم وتزحزح ماهو أكبر منه بأضعاف مضاعفة من آيات الله تعالى الباهرة واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضى الله تعالى عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان أصحهما الاول ومن الغرائب ماقيل المراد الحجر الذى وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فرآه غائبا فسأل عن حاله زوجته فشكت فقال مرى زوجك أن يغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسألها عن حالهم فأثنت ثم أمرته بالنزول لتطعمه فأبى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدميه عليه وأمال لها رأسه فغاصت قدمه فيه ثم حوّلته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مرى زوجك فليلزم عتبة بابه (فيه) اى البيت أو الحرم ولا يصح عوده للمقام نظير ومن دخله كان آمنا (المقام) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى الاقامه (تلاء) بفتح الفوقية اى جوار لمحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكأنه اخذ هذا من أن أهل مكة يسمون جيران الله اى بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما فى القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كهو أو شبهه بين مقام والمقام ومايأتى من قضينا والقضاء ورمينا ورمى وتنشر ونشر وشمت وشممت وقباب وقبباء ورحضتها والرحضاء وحططنا وحط وقرأنا والاقراء وسمحنا ويسمح وذهلنا وأذهل (فقضينا) اى أدينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة كما فى قضيت الدين (بها) اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى (مناسك) جمع منسك من النسك وهو العبادة اى أركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما (لا يحمد الا فى فعلهن القضاء) اى لا يحمد الاداء جدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميزت بير الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر ويخرج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبكونه أشعث أغبر وبمنعه من مألوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبتكفير سعانه على مافيه من الخلاف المذكور وبكونه لا يضع قدما ولا يرفعها الا كتب الله له من الثواب مالا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع مايرد على النظم أن غير الحج الافضل منه والمساوى له والمفضول عنه يحمد فاعله أيضا *(تنبيه)* ماقررت به قوله فقضينا والقضاء

المعنى عليه ان الاداء لا يحمد فى تركهن فما معنى كون الاداء فى الترك وانما يظهر لو كان التعبير لا يحمد الا فعلهن اى لا تركهن تأمل

فى الحجر وهو لا ينافى ثبوت ذلك للخليل فحرر (قوله أنه نادى مرتين) لم يعلم من كلام الشارح الا كون احدى المرتين على الحجون ولم يعلم منه أن الاخرى فى اى محل وانما يظهر لو قال الشارح عليه بعد قوله وهو الذى نادى ويكون عنده ثبوت رواية نداء ابراهيم المذكور على الحجر فتأمل ثم رأيت فى نسخة ذكر عليه كما ذكر والله الحمد وفى البيضاوى أنه صعد أبا قبيس وقال يا أيها الناس الخ وقال القرطبى فى المفهم انه نادى بذلك فى عرفة وعليه فيقال فى دفع التنافى يحتمل أنه نادى مرات (قوله فشكت) اى ولم تعرف قدر الخليل (قوله فأخبرته) فقال لها انت العتبة وشبهها بها لجامع حفظ الباب وصونه وكون كل محلا للوطء العتبة بالقدم والزوجة بالجماع (قوله ثم أمرته) اى قالت له ياصبيح الوجه انزل لتطعم فأبى (قوله وبتكفير سعانه) على مافيه من الخلاف والمعتمد تكفيرها ان مات فى حجه أو بعده وقبل تمكنه من أدائها (قوله وبقولى مخصوصا يندفع الخ) وعبارة ابن عبد الحق اى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالحصر اضافى اه انظره فان

(قوله يندفع ما للشارح هنا) عبارته فقضينا اى فعلنا فان القضاء يطلق على الفعل وعلى الفراغ من الشئ ويصح هنا اى فرغنا تلك المناسك وهى جمع منسك والنسك العبادة والمراد الافعال المتقدمة وما يعتبر معها من وقوف عرفة ومزدلفة ومبيت منى والقضاء آخر البيت بمعنى الفراغ ولا يصح أن يكون بمعنى الفعل ويصح فيه أن يراد به القضاء الشرعى الذى هو ضد الاداء فان الاداء الشرعى ما فعل خارج وقته والحصر ٢٥٤ على الاول والثانى قد يشكل وقد يقال فى جوابه دفعا للاشكال على المعنى الاول أنه لا يحمد فراغ العبادة مع بقاء وقتها الا فى الحج فان تأخر الطواف والسعى الى بعد أيام التشريق وان صح مفضول بالنسبة الى فعله قبل وان كان الوقت باقيا بخلاف الصلاة مثلا فانه مادام وقتها الاستمرار فيها افضل من فراغها ويكفى فى دفع الاشكال أن يصح الحصر ولو فى صورة اه وما بين به الشارح ابن حجر كلام الناظم هو الظاهر واعتراضه على الجوجرى فى تفسير القضاء بضد الاداء فى محله ثم اعتراضه تفسيره بمعنى الفراغ يمكن دفعه باستعماله القضاء لغة بمعنى الفراغ ومنه قضى الامر (قوله الفجاج) بكسر الفاء وضمها (قوله طيبها لرسوله) اى وطيبها بنوافح أسراره (قوله رماه) هو بكسر الراء ويقال فى مصدره رماية أيضا كقاتل قتالا ومقاتلة والمراد هنا أصل الفعل اى الرمى (قوله اى يشبه الخ) أشار الى استعارة بالكناية بتشبيه سير الناقة بسير السهم بجامع قطع المسافة باصابة الغرض واثبات الرماه استعارة تخييلية (قوله أشبهت القوس) اى لتقوسها وتعوجها عند اتعاب نفسها فى السير لفوز والاصابة بقصدها الاتى وسيأتى فى الشرح تشبيهها بالسهم اى بجامع قطع المسافة لاصابة الغرض فللتشبيه جهتان فمن جهة تقوسها لشدة سيرها تشبه بالقوس واقطعها المسافة لذلك تشبه بالسهم (قوله فهى استعارة الخ) فيه نظر لان الضمير هو المعبر به عن الناقة فالطرفان حذفا كوبان فلا استعارة وانما اضافة القوس الى ضمير الناقة من اضافة المشبه به للمشبه وانظر قوله واثبات =

يندفع ما للشارح هنا ومن جملته قوله لا يفسر القضاء آخر البيت بالفعل ويتعين أنه الفراغ أو ضد الاداء فتفسر القضاء بما ليس معناه لغة ولا شرعا وبما لا يتصور فى الحج وهو قوله او ضد الاداء على أن استعمال القضاء بمعنى الاداء أشهر من الشمس لغة وشرعا وقد حقق بعض المتأخرين أن القضاء لا يتصور فى الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضيقه بخوف نحو عضب أو موت لا يقتضى أنه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف فى نظيره فى صلاة تضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ما ظنه أنها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا للكثيرين أنها أداء كما اتفق عليه الاصوليون أن القضاء ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا * (تنبيه) * ثان لا يتوهم أن ما وقع فى النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان اول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذى عليه الاخفش وصححه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * فالاستثناء من ضمير باطل العامل فى ذلك الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حد * اذا لم يكن الا النبيون شافع * وحكى سيبويه ما لى الا ابولك احد قال فيجعلون احدا بدلا وابولك مبدل منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن (ورميناها) اى الناقة (الفجاج) جمع فج وهو الطريق اى أقمناها فيه للسير بنا (الى طيبة) هى المدينة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها اسماء كثيرة جدا (والسير بالمطايا) جمع مطية وهى الدابة تمطو اى تجد فى سيرها (رماه) مصدر راميته اى يشبه سير السهم اذا رمى به (فى) بسبب أن سيرها يشبه سير السهم أشبهت القوس وحينئذ (أصبنا عن قوسها اغرض القرب) اى المدينة المشبهة بالغرض فى كونه المقصود بالرمى أو السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمى استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح ويصح كونها شبهت بالقوس فهى استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم

والاصابة والغرض ترشيح (ونعم الخليفة) اى الذخيرة الذاقة (الكوماء) هى المخصوص بالمدح وهو خبر لمبتدا محذوف أو عكسه فقول الشارح انه صفة الخليفة ليس فى محله وهو عنى الكوماء العظيمة السنام (فرأينا) اى أبصرنا المدينة وما حولها التى شرفها الله تعالى بأن جعلها (أرض الحبيب) اى حبيب رب العالمين فتميز به صلى الله عليه وسلم بفضل محبة لذى هو أجل وأعلى من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة اى أرض المدينة وما حواليها (يفض) اى يخفض (الطرف) مفعول (منها) اى من أجل الجلالة التى حفتها (الضياء) المشرق عليها حسا ومعنى (والالاء) اى البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفى الضياء والالاء مراعاة النظير (فكان) بالتشديد وقد تخفف نحو كأن لم يدعنا الى ضرسه للتشبيه المؤكد لان الاكثر أنه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة والاصل فى نحو كان زيد أسد ان كأسدا قدم حرف التشبيه اهتماما به فتحت ان لدخول الجار عليها قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره ولذلك قالت بلقيس كأنه هو قيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد (البيداء) من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور اليوم ببيار على (من) للتعليل أو ابتداء الغاية وكل منهما خفى فالاحسن أنها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة (حيثما) ما زائدة (قابلت العين) الناظرة اليها (روضة غناء) اى كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار (وكأن البقاع) اى الاماكن التى حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضواء المتنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم (زرت عليها) اى البقاع (طرفها) عائد لقوله (ملاءة) بضم أوله وهى ثوب عريض أو ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرحى لشمائل الترمذى الملاءة بالضم والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها يعلم أن الثوبين الملفوفين ملاءتان لا ملاءة واحدة (حمراء) شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخميسة حمراء شدت على ما فيها ازرارها فى عراها من سائر جوانبها (وكأن الارجاء) اى نواحى المدينة الغراء (تنشر) اى تذيع (نشر) اى ريح (المسك فيها) اى تلك الارجاء (الجنوب) وهى الريح التى تقابل الشمال (والجربياء) بكسر الجيم كسكيباء وهى كما فى القاموس الشمال أو بردها أو الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهى المرادة هنا (فاذا شمت) بكسر الشين المعجمة اى نظرت الى مصاقب البرق أين تمطر فى تلك البقاع (أو شممت) فى القاموس شممته بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم (رباها) جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الارض (لاح) اى ظهر وهو راجع لشمت (منها) اى تلك البقاع (برق)

= القوس الخ كيف يجعل له مشبها به ويجعل اثباته تخييلا اذ التخييل اثبات لازم المشبه به لا اثبات المشبه به للمشبه وقد سلف له نحو ذلك فى شرح قوله شمسا فحل من لا يسهو (قوله أو عكسه) أو مبتدا خبره الجملة قبله (قوله اذا كان خبرها غير جامد) انظر هل هذا القيد أغلبى أو دائمى فان كان الثانى أشكل لان الخبر فى كل من الآية والنظم جامد محرر (قوله على التعريف الاول) هو قوله ثوب عريض أو ثوبان الخ والثانى ما نقله عن القاموس (قوله وبها) اى عبارة شرحه للشمايل تعلم أن الخ اى على ما نقل عن القاموس من قوله كل ثوب لم يضم الخ (قوله بالفتح) اى فتح عين المضارع فى الاصل لانه من باب علم فأصله أشممه نقلت فتحة العين الى الشين ثم أدغمت الميم فى مثلها (قوله بالضم) اى من باب نصر

(قوله راجع للاول) الظاهر أنه يفني عنه قوله راجع لشمت (قوله اى نور) مفعول شهد ومعطوف عليه (قوله قباء) فيه المسجد الذى أسس على التقوى (قوله أوفر حا بوصولى اليه اوخوفا) لامانع من جعل أو مانعة خلو ففى وقت دمع حسرة وفى وقت دمع فرح وفى وقت دمع خوف بحسب اختلاف التجليات على قلبه رضى الله تعالى عنه (قوله وفر اصطبارى) اى على بعدى عن دخول طيبة والتملى بمشاهدة قبره

الشريف (قوله الجناس المصحف) اى والملحق الاول لاختلاف اللفظ مع كون صورة الحرفين واحدة والثانى باعتبار بعد مخرج أحد الحرفين من مخرج الآخر (قوله فدموعى سيل) اى كالسيل (قوله جفاء) اى مثل الجفاء (قوله اى زبد) قال فى البيضاوى الزبد وضرام الغليان ثم قال فى بيان قوله تعالى فأما الزبد فيذهب جفاء اى يرمى به السيل وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد اه فتفسير الجفاء بالزبد فيه تساهل تأمل وعبارة تفسير الجلالين فأما الزبد من السيل وما أوقد عليه من الجواهر فيذهب جفاء اى باطلا مرميا به اه ثم رأيت فى القاموس التصريح بتفسير الجفاء بالزبد وعليه فلا تساهل فى تفسير الشارح وعبارته وجفأ الوادى والقدر رمى بالجفاء اى الزبد ثم قال والجفاء كغراب الباطل اه المراد منه (قوله ردما قاله الشارح) وعبارته الضوضاء أصوات الناس وجلبتهم وكأنه أبدل من الهاء آخره الهمزة اذ أصلها ضوضاة انتهت اذا كانت هذه عبارته التى وقعت لشارحنا فما وجه ردها فانه اقتصر على اللغة الفصيحة التى فى النظم فلا ينافى سمع وجود لغة أخرى تأمل (قوله باغتراق النفس) قال فى القاموس اغترق النفس استوعب فى الزفير اه اذا علمت ذلك ظهر لك رد ما ذكره المحقق من نسبة الشارح للقصور لان تفسيره باغتراق النفس المبين فى القاموس باستيعاب الزفير يفيد الصعود اذ لا استيعاب للزفير اى لمعناه الا به تأمل نعم تفسيره بحبس النفس فيه قصور اذ ليس من مدلوله الصعود بخلاف تفسيره باغتراقه

راجع للاول (وفاح) راجع لشممت فقيه لف ونشر مرتب (كباء) بوزن كساء عود البخور أو ضرب منه اى ريحه من كبى بالتشديد توبه اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع (اى نور) اى نور باهر (واى نور) بفتح اوله اى زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى (شهدنا) هما اى رأيناهما بابصارنا وبصائرنا (يوم) ظرف لشهدنا (أبدت لنا القباب) التى هنالك (قباء) محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال (قرمنها دمعى) اى كثر وانهمل من أجل ما شاهدته حسرة على ما مضى لى من فراقه أوفر حا بوصولى اليه أو خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة (وفر) اى ذهب (اصطبارى) لاسيما بعد أن وصلت الى هذه الربا وأنخت رحلى بقبا وبين فر وقر الجناس المصحف (فدموعى سيل) عظيم (وصبرى جفاء) بضم الجيم اى زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى أسرع وقت فكذلك دموعى تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتى وكم أذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب (فبسبب ما ذكر أن ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر (ترى) اى أيها المخاطب (الركب طائرين) اى جادين فى السير حاثين لدوابهم ليستخرجوا منها أقصى ما يمكنها من الاسراع (من) أجل (الشوق الى طيبة) فكيف بمشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (لهم ضوضاء) اى أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضاء مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة فى المهموزة انتهت وبها يعلم رد ما قاله الشارح (وكأن) عطف على فترى (الزور اء ما مست البأساء) اى شدة السفر ومشقته (منهم خلقا ولا الضراء) تأكيد لما قبله وكيف يمسهم شئ من ذلك و (كل نفس) منهم يتكرد (منها ابتهال) اى تضرع الى الله تعالى فى أن يقيل عثارها ويقبل آثارها (وسول) اى توسل الى الله تعالى بأحب خلقه اليه (ودعاء) اى اطناب (ورغبة) فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب (وابتغاء) اى طلب لما عند الله تعالى (وزفير) اى تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعترى القلب من خشية المؤاخذة لما فرط منه وتفسير الشارح له تارة باغتراق النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تصاعده الذى لا بد منه فى حده (تظن) أيها المخاطب (منه) اى من أجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت فى الصدور ومن ثم جاء أن صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان

يسمع له أزيز كأزيز المرجل (صدورا) مفعوله الاول طيورا (صادحات) اى مصوتات (يعتادهن زقاء) بالزاى والقاف اى صوت عال والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت (وبكاء يغريه بالعين) اى يحمله على ملازمته اها (مد) اى مسيل من الدموع ناشئ عن حرقة القلب لفراق المحبوب أو خشية قطيعته أو عن فرحة بلقيا الحبيب والمثول فى حضرته (ونحيب) وهو رفع الصوت بالبكاء (يحثه) اى يحضه ويزيد فيه (استعلاء) اى علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكاء (وجسوم كأنما رحضتها) اى غسلتها ولذا سمى المغتسل مرحاضا (من عظيم المهابة) اى الجلالة التى استولت على قلوبهم لما أتاخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة (الرحضاء) اى العرق الكثير من اثر الحمى اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا يولد منه كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (ووجوه) تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى (كأنما ألبستها من) أجل (حياء) بالمد ومر تفسيره وأنه غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله (ألوانها الحرباء) دويبة مشهورة ذات ألوان متعددة تستقبل الشمس برأسها (ودموع) من شدة البكاء والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (كأنما أرسلتها من جفون سحابة وطناء) اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوأة ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة للمشبه ففيه اربع استعارات وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شأنه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة مما لا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغته ومر له كثير من هذا النوع (فبعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما بينا مما مر شرحه بقوله كل نفس الى هنا (حططنا الرحال) بفناء كرمه صلى الله عليه وسلم نستمطر سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والآثام ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (حيث) أى فى مكان (يحط الوزر) أى الاثم والثقل (عنا) فيه بشفاعة مشرفه عليه أفضل الصلاة والسلام (وترفع) بلحظه واسعافه وامداده عنا (الحوجاء) أى الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغنى عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع طباق (وقرأنا السلام أكرم) أى على أكرم (خلق الله) وأفضلهم كما مرت الاشارة اليه مستوفاة أول هذا الشرح واقتدى الناظم فى هذا بالسلف فانه قد جاء افراد السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه

(قوله كأزيز المرجل) اى القدر من النحاس (قوله اى علو الصوت) فيه أن النحيب رفع الصوت فيصير معنى الكلام ورفع صوت يحثه رفع صوت وقد يقال ذكر الشدة والتتابع فى معنى الاستعلاء يقتضى كونه أخص من النحيب فيصير المعنى ورفع صوت يحثه شدة رفع صوت وتتابعه وقد يقال الظاهر حينئذ أن الذى يحث هو النحيب اذ رفع الصوت هو الذى تترتب الشدة والتتابع لرفعه لا العكس تدبر (قوله ففيه أربع استعارات) تأمل وجهه فان استعارة السحابة للعزن استعارة مصرحة وفى الوطف استعارة لان الترشيح يجوز جريانها فيه وأما جعل قوله وجرد بذكر الجفون استعارة فلم يظهر له وجه صحة وقوله وخيل الخ الذى جعله استعارة رابعة فيه نظر لان السحابة هو المستعار فكيف يجعل اثباته استعارة على أن الاستعارة مصرحة فكيف وجود الاستعارة التخييلية فحرر (قوله الحال) جمع رحل مركب البعير ويجمع أيضا على أرحل ويطلق على المسكن وما يستصحب من الاثاث ذكر ذلك فى القاموس والمراد بحط الرحال انتهاء السفر والاقامة

(قوله الا ردّ الله علىّ روحى) أى نطقى والا فروحه لم تفارقه ابدا وسيأتى ذلك فى الشارح قريبا (قوله حتى اردّ عليه السلام)

بعضهم فرق بين تعدية رد بعلى وردعليه الشئ اذا لم يقبله وكذلك اذا خطأه وتقول رده الى منزله ورد اليه جوابا اى رجع قال الراغب ومن الاول قوله تعالى يردوكم على اعقابكم ومن الثانى قوله تعالى ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة انتهى واعل هذا فى غير رد السلام اذهو متعد بعلى مع انه اكرام تأمل (قوله وقد ارمت) اصله ارممت اى صرت رميما فحذفوا احدى الميمين وهى لغة لبعض العرب كما قالوا ظلت افعل اى ظللت وقيل بضم الهمزة وكسر الراء وقيل بفتح الراء والميم المشددة وسكون التاء اى ارمت العظام انتهى من مسالك الحنفاء للقسطلانى (قوله احياء فى قبورهم) فى فتاوى الرملى ان الانبياء والشهداء والعلماء لا يبلون والانبياء والشهداء يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم ام لا فقيل نعم وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم انتهى وجزم أبو المواهب الشاذلى فى كتابه عنوان أهل السر المصون ان الشهداء ينكحون لكن لم يقل نساءهم انتهى وعبارة الفتاوى فيها التقييد بذلك وعليه فمن مات منهم قبل موت أزواجه أو مات ولم يتزوج لا ينكح وهذا أمر يحتاج للتوقيف كذا قال بعضهم والسلام

وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه عنده اى للاخبار الكثيرة الواردة فيه كخبر ما من احد يسلم علىّ عند قبرى الا ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح ان الله تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى علىّ فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله أفضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعاء لا يرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان يوجه الافضلية للسلام بانه شعار اللقاء والتحية فحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (من حيث) أى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى (يسمع الاقراء) للسلام منه وفيه رد العجز على الصدر وما اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى أو سلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه أحاديث كثيرة وذكرتها فى كتابى الدر المنضود فى الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة فى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى علىّ عند قبرى سمعته ومن صلى علىّ من بعيد أعلمته وصح وان نوزع فيه ما من أحد يسلم علىّ الا ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام وصح من غير نزاع فيه يعتد به من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علىّ قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بوزن ضربت أى بليت فقال ان الله عز وجل حرّم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء وفى رواية بزيادة فنبىّ الله حى يرزق وبقيت احاديث أخر متعارضة جمعت بينها فى الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة فى اكرام الزائر والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك سواء ليلة الجمعة وغيرها وامارده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم على قبر أخيه المؤمن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم تكن له خصوصية بذلك وكفى الزائر تمييزا أنه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة ويكفى المصلى والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام فروحه لم تفارقه أبدا وصح ان الانبياء احياء فى قبورهم يصلون والاحاديث فى ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء عليهم الصلاة

والسلام حياة مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهداء المنصوص عليها فى القرآن (وذهلنا) اى غبنا عن احساسنا اوعما عدا ما نحن بصدده (عند اللقاء) لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال (و) لابدع فى هذا الذهول اذ (كم أذهل صبا) اى شديد الصبابة التى هى رقة الشوق عليه وغلبة استيلائه (من الحبيب) اى المحبوب وهو متعلق بقوله (لقاء) لان من شأنه ان يدهش الصب ويخرس المحب ويفنيهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه (ووجمنا) بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده مادمنا فى تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له (من) اجل (المهابة) اى الجلالة والمخافة (حتى) اجتمع علينا امران لايوجدا اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما (لا كلام منا) بما نريده (ولا اياه) منا بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال كما قال القائل

وكم رمت بث الشوق عند لقائه * فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

(ورجعنا) الى بلادنا (وللقلوب التفاتات) كثيرة جدا برعاية المقام (اليه) اى تبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم (وللجسوم) جمع جسم وجسم الشئ جرمه الثانى من الارض (انثناء) اى انعطاف الى البقاء فى حضرته صلى الله عليه وسلم ابدا ان تيسر والا فالى تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم (وسجنا) اى جدنا (بما) اى بنفيس لايجود احد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى (نحب) دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لدارنا لاجل القيام بمن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وأيضا فاننا وان كنا نخلا بهذا الفراق لنا اسوة بالخلاء فى ذلك (وقد) وقع يقيننا انه (يسمح عند الضرورة) التى لايستطاع معها الترك (البخلاء) بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل الطباق * ولما تمم مقصد زيارته صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه من تلك القسمة التى ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ماهو بصدده من مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة اوظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتى الامان الامان الخ فقال (يا أبا القاسم) هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا سواء فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح تسموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى والعبرة كما تقرر فى الاصول بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما هنا فان سبب النهى أن اليهود كانوا ينادونه بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم فيقولون له لانعنيك فنهى الناس عن التكنى بذلك ومن ثم اخذ بعض ائمتنا ان المنع

(قوله وذهلنا) ذهلت عن الشئ أذهل ذهلا نسيت وغفلت عنه وأذهلنى عنه كذا وذهلت بالكسر ذهولا لغة فيه (قوله برعاية المقام) يعنى ان جمع المؤنث السالم لجمع المذكر كذلك من جموع القلة استعمل هنا مرادا به الكثرة بقرينة المقام (قوله هذه كنيته) ويكنى أيضا بأبى ابراهيم وأبى الارامل وأبى المؤمنين

خاص بزمن حياته صلى الله عليه وسلم وبعضهم أنه خاص بمن اسمه محمد وتكنية على كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضى الله عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى فى جميع شؤنه لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أيضا انما أنا قاسم والله يعطى ولاجل هذا عد وامر خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ماظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلى فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شئ الا على يديه صلى الله عليه وسلم وقيل انما كنى بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضى الله تعالى عنها يسمى القاسم (الذى ضمن) من تضمن كذا اشتمل عليه (اقسامى عليه) بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة الآتية فى نيل مطلوبى منه صلى الله عليه وسلم (مدح) فرقوا بينه وبين الحمد بامور أحدها ان الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى والمدح على ماء اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما رابعها ان فى الحمد من التعظيم والفخامة مالیس فى المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان أى متشابهان لامترادفان قاله الطيبى وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه وأكثر العلماء على ان الحمد يختص بالاختيارى والمدح أعم (للوثناء) هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا فى الخير الاختيارى وغيره والمدح على ذلك القول كذلك وبه لما تقرر ان عليه أكثر العلماء يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى ماقبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير فى الجملة وعليه يحمل كلام الشارح اما المدح والحمد ففيهما تقابل أو مراعاة النظير أو ترادف (بالعلوم) أى أقسم عليك بها لتشفعن لى بما يؤمننى من كل مكروه وبان يعطينى الله الامان منه وكذا يقال فى الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال بعض أصحابنا فى قسم أو اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله أول الاقسام لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوى لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال للزيادة مما هو عليه الا للعلم وقل رب زدنى علما وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال النقيض (التى) نزلت (عليك من الله) حال كونها (بلا كاتب) من الكتب وهو الجمع وانما المحصل (لها) اليك (املاء) أى اقرأ من جبريل وهذا الذى

(قوله ان الحمد) أى لغة وقوله والمدح على مالا اختيار كان الظاهر ان يقول على ما هو أعم من الاختيارى وغيره ويجاب بان ماذكره الشارح هنا مما يقتضى تباينهما مذهب البعض العلماء وماذكرناه من الظاهر مذهب اكثر العلماء كما يفيده قوله الآتى قريبا واكثر العلماء الخ (قوله هو على القول الاخير الخ) تامل هذه العبارة وسردها فان الثناء الذى هو الذكر باللسان جنس فى تعريفى الحمد والمدح اللغويين وأحد ما صدق الجنس فى تعريفيهما العرفيين كما لا يخفى على من عرف تعاريفها اللغة وعرف وهو أشهر من أن يذكر فان أراد بالثناء الحمد بدليل ذكر المدح استقام ماذكره ويؤيده قوله على القول الاخير لان الاقوال السابقة متعلقة بالحمد والمدح لا بالثناء والمدح تأمل

فروته فى اعراب هذا البيت أولى مما سلكه الشارح فتأمله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة والاملاء طباق (و) أقسم عليك بما أوقيته أيضا من (مسير الصبا) وهى الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهى مراد الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا تقابلك وهى مستقبل باب الكعبة وقول اسرائيل بن يونس الصبا ما جاء من قبل وجه الكعبة ويطلق على ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالى وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ما بين مطلع الشمس والجدى يسمى صبا ويسمى شمالا وبتسميته صبا صرح عثمان الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس الى كرسى بنات نعش وفى القاموس الشمال الريح التى تهب من قبل الحجر أى بكسر الحاء ثم قال والصحيح انه ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا والهذه الريح أثر بين فى نصرته صلى الله عليه وسلم فى وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر (بنصرك) أى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب أعدائه وأخمد شوكتهم وبدد جموعهم (شهرا) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور مع قوله أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصرته صلى الله عليه وسلم وهو الرعب اى الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحى المدينة فلم يرفع أحد منهم رأسه الا اختطفته لوامع سيوف نصره صلى الله عليه وسلم وقواصف أسنة قهره عليه الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا تزيد مسافته فى حياته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافى ذلك ان ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحتراز عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان رعبهم وان وجد لا يصل لهذه المسافة وفى رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما تقضى به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا (فكان الصبا لديك رخاء) هى الريح اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر ولكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه سخرت اصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهى هيبته عليه الصلاة والسلام وايضا فتلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر من نبينا صلى

قوله أولى مما سلكه الشارح عبارته فى اعراب البيت بالعلوم الباء للقسم والعلوم مجرورها وهو المقسم به وكذا ما عطف عليه باعادة العامل ودونه التى صدنة للعلوم وصلتها جملة عليك املاء فاملاء مبتدا وعليك خبره والمجرورات متعلقات بالمبتدا ثم قال فى المعنى اقسم اولا بالعلوم التى اوحاها الله اليه وانزلها عليه من غير واسطة كتابة ولا كاتب لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب وأوتى علم الاولين والآخرين زيادة فى المعجزة وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (قوله وهو) أى سبب النصر فليس المراد بقوله سبب بيان معنى الباء بل هى صلة مسير نحو مررت بزيد وانما مراده بيان مضاف محذوف تأمل

الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير كما صليت على ابراهيم فى صلاة التشهد على احد الاجوبة فيه وفى ذكر الرخاء بعد الصبا مراعاة النظير *(تنبيه)* اصول الرياح اربعة الصبا وهى التى تهب من جهة باب الكعبة وهى حارة يابسة والدبور من ورائها باردة رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة رطبة والشمال من جهة شمالها باردة يابسة واشرت بقولى اصول الى ان لهم فروعا كالنكباء وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا والجنوب وأطال فى القاموس الكلام فيها وحاصله والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين او بين الصبا والشمال أو تنكب الرياح اربع الازيب نكباء الصبا والجنوب والصبابية وتسمى النكيباء ايضا نكباء الصبا والشمال والجربياء نكباء الشمال والدبور وهى نجية الازيب والهيف نكباء الجنوب والدبور وهى نجية النكيباء وتفسير كل بما ذكر فيه هو الاصل فلا ينافى ما مر آنفا من اطلاق بعضها على خلاف ما فسرت به هنا وفى القاموس الجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا *(تنبيه ثان)* روى مسلم ان الشمال ريح الجنة التى تهب عليهم وينافيه الحديث الذى اخرجه ابن جرير وابن مردويه وابن ابى الدنيا وابو الشيخ ريح الجنوب من الجنة وهى من اللواقح وفيها منافع للناس والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر فى الحديث الاخير هو حال الشمال فى الدنيا نظرا وجها أولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج والثانية ملاءمة النفس وازالة اكدارها فهذا حالها فى الدنيا وما فى الحديث الاول هو حالها فى الآخرة فاهل الجنة لا يرون سواها كما يصرح به قوله وهى ريح الجنة الخ وبهذا يعلم ان الشمال أفضل الرياح لان حديث الجنوب من ريح الجنة وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية امرهما انهما يدلان على ان ريح الجنوب من بعض رياح الجنة وما دل عليه حديث الشمال من ذكر حالها وما اختصت به فى الدنيا والآخرة اعلى مما دل عليه حديث الجنوب فتأمله فان قلت جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجنوب سيد الارواح واسمها عند الله الازيب قلت هو معارض بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضى الله تعالى عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال لانتنت الارض فهذه فائدة جليلة دنيوية نشأت عن خروجها اولا من النار خلت عنها الجنوب فلتكن الشمال افضل او يقال كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا من الجنة والشمال لكونها هى التى تهب على اهل الجنة فيها هذا كله بفرض تكافؤ سند الحديثين وليس الامر كذلك أصلا اذ سند حديث مسلم لا يوازيه شئ وحينئذ لا يعارض حديثه شئ من الاحاديث الاخر لانها ليست فى رتبته بل ولا قريب منها لانها من حيز الضعيف وهو لا يعارض الصحيح أصلا وفى اثر عثمان الاعرج انه ذكر الارياح الاربعة وحدد كل فقط

(قوله أصول الرياح أربعة) فى الغريبين للهروى وروى عن ابن عمر وان الرياح ثمانية أربع عذاب وهى العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر والعقيم وهما بالبر وأربع رحمة وهى وهما بالبر والناشرات والمرسلات والمبشرات (قوله والهيف) وهى ريح حارة تاتى من قبل اليمن (قوله سيد الارواح) الارواح لغة فى الارياح ومنه قول امرئ يزيد * وبت تخفق الارواح فيه * (قوله هو معارض) فى المعارضة نظر فتأمله

الا الشمال فزادانها تمر بجنة عدن فتأخذ من طيب عرفها وفيه ان الاربع مساكنها تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش وانها تهيج فتقع بجلة الشمس فتعين الملائكة على جرها ثم تهيج من بجلة الشمس فتقع فى البحر ثم تهيج من البحر فتقع برؤس الجبال ثم تهيج من رؤس الجبال فتقع فى البر ثم ذكر ان حد الشمال من كرسى بنات نعش الى مغرب الشمس وحد الدبور منه الى مطلع سهيل والجنوب منه الى مطلع الشمس والصبا منه الى كرسى بنات نعش فان قلت علم مما تقرر ان كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع انها التى خدمته صلى الله عليه وسلم وكان القياس ان تكون نصرته صلى الله عليه وسلم باحد ذينك ليكون الافضل ولو من وجه بل كان القياس اختصاص ذلك بالشمال لما تقرر انها الافضل مطلقا قلت ان اخذنا بما عرف مما مر ان الشمال تطلق على ما يعم الصبا فالامر واضح وان قلنا بتغايرهما كما هو الاصل فحكمة ذلك والله اعلم ان وقت مهب الصبا هو المعين على قتاله العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل فتأمل ذلك كله فانه مهم أى مهم مع انى لم ار احدا اشار لشئ من ذلك قال بعض المفسرين والريح مسكنها تحت الارض الثانية كما ورد فى الحديث الصحيح وفيه لما اراد الله سبحانه ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل عليهم ريحا ليهلكهم فقال يا رب ارسل عليهم بقدر منخر الثور فقال له الجبار سبحانه كنت تكفئ الارض ومن عليها لكن ارسل عليهم بقدر الخاتم قال فى الحديث والارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد قال فيه فاذا اراد الله ان يطلقه لمن شاء من عباده اطلقه رواه الحاكم وقال الحافظ المنذرى انه صحيح ولم يخرجه الشيخان ولا يأتى فى هذا قول الشارح السابق وفيه ان الاربع مسكنها تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش لجواز ان تكون اجنحة الكروبيين تحت الارض الثانية لما وردان اقدامهم تحت الارض السابعة انتهى (و) اقسم عليك ايضا بمعجزاتك العظمى مع (على) كرم الله وجهه فى غزوة خيبر (لما) سرت اليها ودفعت الراية وكانت سوداء لعلى رضى الله تعالى عنه ففتح بعض حصونها وارسلت ابا بكر لحصن آخر ففاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر رضى الله تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقال صلى الله عليه وسلم وفى نسخة فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف كل احد لذلك فسألت عن على رضى الله عنه فقيل به رمد فدعوت عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد فحينئذ (تفلت بعينيه وكلتاهما معا) حال مؤكدة (رمداء) ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله بها على يديك فبرأ تالما حالطهما ريقك الذى هو الشفاء الاكبر (فغدا) اى ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى حدة الابصار كما يضرب بصر العقاب الذى هو سيد الطيور كما فى الكامل ومن ثم قال (ناظرا

بمعنى عقاب) ومن امثال العرب ابصر من عقاب والماغد وهو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من أنت قال على بن أبي طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية اراد وا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها فجروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا هذا كله (فى غزاة) معهودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات وهى غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع (لها العقاب لواء) اراد باللواء الراية وهى العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لا لواء بل ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الا ثلاث رايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال عياض فى مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب اسود وكانت من بردة عائشة رضى الله تعالى عنها ذكر ذلك كما اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام واما قول شارحه ان التى تسمى العقاب بيضاء وانها التى اعطاها على رضى الله تعالى عنه فهو مخالف لما رأيته من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقاب كانت تخوم على لحوم القتلى كانها رايات مرتفعات وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هى التى اعطاها على ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية على كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عليا رضى الله تعالى عنه هو الذى كان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم فى كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفى هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر وأما تسمية راية الانصار يوم احد بالعقاب فهو جرى على ما عليه اهل اللغة أن كل راية تسمى العقاب كما ان راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه

(و) اقسم عليك ايضا (بريحانتين) وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما ورضى الله عن أمهما وأبيهما وفى تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا (طيبهما) حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل (منك) لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت ام انس

(قوله فى رضم) والرضم والرضام صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض فى الابنية الواحدة رضمة انتهى صحاح (قوله بريحانتين) الريحانة فى اللغة كناية عن الولد لان القلب يترقح به والريحان الولد الصالح والريحان الحسن الحديث والريحان المشموم والريحان الرزق يقال خرجنا نطلب الريحان أى الرزق والريحان السحر يقال سرنا بريحان من الليل انتهى ابن دحية

تأخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم لتطيبه وابه لباهر ريحه (الذى) نعت لطيبهما (أودعتهما) بالبناء للمفعول فاطمة (الزهراء) مبتدا خبره ماقبله وهما الموصول والصلة كذا ذكره الشارح ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عائد للموصول وجوز البناء للفاعل وان المفعول الثانى محذوف اى الذى الزهراء اودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذى نعت للريحانتين لنأويلهما بالمذكورا ونحوه ونظير ماذكرته فى الذى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابوداود وهذا منى يعنى الحسن والحسين ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا قال ابوحيان يجوز استعمال الذى بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذى نختاره أى فى قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا انه أفرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذى استوقد وقيل فى الآية الذى بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل وصوفة لفظ مفرد وكل من ذلك يأتى فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما الى ماهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذى اودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه النسائى وروى الخطابى ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لان الله تعالى فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما ويأتى ذكر شئ من فضائلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر أسانيدها وبيان أحكامها ومايتعلق بها فى كتابى الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذى لم يؤلف فى هذا الباب اجمع منه اخرج الطبرانى والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب وفى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطائف فما قال اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولابعثن عليكم رجلا منى أوكنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا توفى كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم الليلة مشكا اليه مالقى فقال له ادع عليهم فدعا أنه يبدل خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر فى تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ماكذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج وفى رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فندّ الجمل الذى يحمله فلم يدر أين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه

قيه ان ريحانتين نكرة وهى لاتنعت بالمعرفة فالظاهر جعله خبر محذوف اومفعوله اى هما اواعنى الذى تأمل وقال الطيلاوى ان الاولى ان يكون اللذى بصيغة المثنى صفة مطابقة للريحانتين باعتبار وقوعهما على الحسنين المذكورين على لغة حذف نون المثنى كقوله

ابنى كليب ان عمى اللذا
قتلا الملوك وفككا الاغلالا

ولم يحفظ عن الناظم ضبطه بصيغة المفرد حتى يحتاج الى مافى كلام الشارحين من التكلف فاستفده وقد يرد هذا بان رسم المتن لايساعده لكونه بلام واحدة وصيغة المثنى انما ترسم بلامين وقد علمت مافى قوله صفة تأمل (قوله ولم تطمث) طمثت المرأة حاضت من باب نصر وضرب (قوله توفى الى قول الناظم كنت تأويلهما) المناسب ذكره عند اقسام الناظم بعلى رضى الله تعالى عنه لتعلق ذلك به لابالريحانتين اللذين فيهما الكلام تأمل (قوله ابن ملجم) بكسر الجيم وضمها (قوله قال اهل العراق الخ) وفى طبقات الشعرانى فى ترجمة سيدى على وفى وكان يقول اى سيدى على وفى ان على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه رفع كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى انتهى

وبذلك قال سيدى على الخواص وسمعته يقول ان نوحا عليه الصلاة والسلام ابقى من السفينة لوحا على اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا بضمان القدرة حتى رفع عليه والله اعلم بذلك

في الصحاب (كنت) على الدوام (تاويهما) اى تضمهما (اليك) لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما وأخرج الترمذي والطبراني هذان ابناى واما بنتي اللهم اني احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما والترمذي احب اهل بيتي الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد احبني ومن أبغضهما فقد أبغضني وجاء من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اى من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة فتأمله *(تنبيه)* قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شباب لان الوارد ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين سنة ثم يدخلونها وهم كلهم مستوون في هذا السن الذي هو سن الكهولة واعدل الاسنان واشرفها فلهذا اختير كونهم عليها وحينئذ فليس في الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ فاى شباب هما سيدا هم ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسودانهم وهم الاكثر وقد لا كابيهما والائمة الثلاثة قبله ونحوهم والحاصل انهما سيدا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابها فرضا وخصوا الان النفس انما تتشوف غالبا لما هو على سنها الذي فضلت فيه على غيرها من اهل ذلك العصر ثم رأيت بعضهم قرر الاشكال بنحو ما ذكرته لكن ما ذكرته اظهر في الاشكال ورأيت عنه أجوبة ثلاثة من الائمة فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة على ما ذكرته وسأشير لذلك منها اجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها واستظهره انه سماهم باعتبار ما كانوا عليه عند مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال للصغير يموت من صغار اهل الجنة والشيخ المحكوم بصلاحه من شيوخ اهل الجنة فهما سيدا شباب اهل الجنة بهذا الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا لم ينتقلا عن الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى وهذا يرجع عند التأمل الصادق الى قولي ويحتمل ان المراد شبابها فرضا الخ بل ان زاد صدق تأمله راى ان التعبير بما ذكرته اوضح وجوابه الثاني ان يراد بهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار ذلك الوقت الذي كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين الزام انهما سيدا المرسلين لانهما شباب في الجنة لانهم غير داخلين في شباب اهل الجنة على المعنيين جميعا انتهى وقوله لانهما شباب في الجنة الذي بنى عليه ايضا بعض ما سبق عنه ممنوع وانما الذي دل عليه حديث كونهم

(قوله ويعثران) يقال عثر في ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر انتهى مختار (قوله على خلقة ابناء ثلاث الخ) اشار بذلك الى رفع ما عساه يقال ما معنى كونهم في الجنة ابناء ثلاث وثلاثين اذ من مات وهو ابن سنة مثلا او ابن مائة مثلا ما معنى زيادة السنين او نقصها في حقه فاشار بقوله خلقة يعني من جهة القوة كما هو الغالب في اهل ذلك السن الى تأويل ما وقع في العبارة من ان اهل الجنة ابناء ما ذكر تدبر (قوله مستوون في هذا السن) أي في قوة هذا السن (قوله ولا كهول) الظاهر حذفه (قوله مفارقة الدنيا) اى مفارقة الشباب المفضولين

يدخلونها

يدخلونها على سن ابناء ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة اذ الشباب الى الثلاثين والكهولة الى الاربعين ثم منها شيخوخة وحينئذ صح ما اجيب به دون بعض ما اجاب به وله جواب ثالث مبني على ان اهل الجنة شباب وقد علمت ان الواقع خلافه فلا حاجة لذكره على انه في ذاته فيه غموض وعدم وفاء بالمقصود وان سلم ما بناه عليه كما يعلم بتأمله لمن وقف عليه وأجاب غيره بأن معناه انهما أفضل من مات شابا في سبيل الله من أهل الجنة ولم يرد انهما من الشباب لانهما ماتا وقد كمل لهما كل ما يفعله الشباب من المروأة كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروأته وفتوته أو انهما سيدا أهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك لان أهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل انتهى وقوله وهو الشباب مردود وأجيب أيضا بانه يمكن أن يراد بهما الآن سيدا شبابهم من أهل الجنة من شباب هذا الزمان انتهى وليس فيه كبير قدح فينافي الغرض من ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحالهما والحاصل ان الذي يتجه في هذا المقام وبه يحصل الجواب الواضح ان الذي كتبت له السعادة المعبر عنهم بكونهم أهل الجنة شباب وكهول وشيوخ وان الحسنين تميزا في حال شبابهما بل في صغرهما بفضائل على من هو في سنهما حينئذ لا تحصى ولا يستثنى منهم احد بل في حال شبابهما فضلا جميع الشباب الموجودين حينئذ من غير استثناء بل الشباب مطلقا من غير استثناء ايضا اذ لا نعلم وهما في شبابهما ان شابا قبلهما ولا بعدهما ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذا تقرر هذا فلاجل كونهما فضلا الشباب من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهم لم يفضلاهما على الاطلاق في حالة من الحالات خص الشباب بالذكر وأضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو في حد شبابه وقد كتب شهيدا هذا من شباب الجنة أي من الموصوفين الآن بكونه من الشباب وكونه من أهل الجنة وحينئذ اتضحت حكمة الشباب واتضحت اضافتهم الى الجنة واتضح انه لا يحتاج الى استثناء الخلفاء الاربعة فضلا عن الانبياء واتضح ان في هذا من التمدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما ما لا يخفى عظيم وقعه فتأمله لتستريح من تلك الاجوبة المطولة مع ما فيها مما سبق ومما في هذا الجواب الذي هو أصوبها وأرضحها (كما آوت) بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر في أصل الكلمة (من الخط) حال من الفاعل (نقطتيها الياء) أي ايواء كايواء الياء لنقطتيها حال كونهما من جملة حروف الخط وكأنه أخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول رب أني أرحمهما فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال طرقت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء فقلت ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم

(قوله وليس فيه كبير قدح) لك منعه بل فيه من القدح ما لا يخفى وذلك لانه اذا ثبت انهما سيدا شباب ذلك الزمان ثبت انهما سيدا شباب ما قبله وما بعده اما الاول فلما قوله تعالى كنتم خير امة أخرجت للناس ولا شك انهما خيار الخيار من الشباب مطلقا واما الثاني فلقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الحديث واما النص على الشباب وان فضلا غيرهم الا ما استثنى فلما سيأتي في كلام الشارح وهذا القدر لا يختص بهذا الجواب كما انهم واذا تأملت رأيت قول الشارح والحاصل الخ شرحا لهذا الجواب لكن فيه زيادة التعميم في التفصيل هذا وقد يرد على ما قررنا شباب الزمن الذي قبل زمنهما في عصره صلى الله عليه وسلم فالاظهر ما قاله الشارح

(قوله انها خاتمة الحروف) وانها لا يشبهها حرف فى كون نقطتيه تحته والنبى كان يضع الحسنين على وركيه فهما تحت مفظم جسمه فتتم المشابهة فى الجملة فتدبر (قوله الكندية) ٢٦٨ ان كانت نسبة الى كندة قرية بسمرقند فالكاف مضمومة وان كانت

نسبة الى ناحية بنجهند توصف نساؤها بالحسن فالكاف مفتوحة كما يؤخذ من القاموس (قوله سنة خمسين) وحينئذ فعمره قريب من سبع واربعين سنة (قوله دهيت) اى اصيبت بداهية (قوله محجمة) المحجم والمحجمة فارورة الحجام (قوله فنعهم الخ) عبارة الشارح البرلسى ولما قرب موته اشاعوا ان يدفنوه فى الحجرة النبوية فاشتد بنو أمية ولبسوا السلاح وقالوا لا يدفن عثمان فى حش كوكب والحسن فى الحجرة فحمل السلاح بنو هاشم على بنى أمية فبلغ الحسن فقال للحسين ولبنى عمه لا احب التشويش على الناس فامر ان يدفن عند امه الزهراء فدفن فى البقيع وقبره معروف انتهى قال ابن الجوزى والحش البستان وكوكب رجل من الانصار وقوله فبلغ الحسن يقتضى ان مخاصمة الفريقين حال حياة الحسن وهو مخالف لما فى الشرح تأمل فان كان مراد البرلسى بالحسن الحسن البصرى فلا منافاة لكن يبعد هذا قوله فى صدر عبارته ولما قرب موته فانه ظاهر فى انه كان حيا (قوله رحمة له) قال النووى فى شرح مسلم انما يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من دعا عليه رحمة وكفارة وزكاة اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن وكان مسلما والا فقد دعا صلى الله عليه وسلم على يحمله

اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء أنها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان الالف أفضل الحروف لانها مادة كل حرف فهى الآخر فى الحقيقة كما انها الاول كذلك وهكذا شأن نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أولهم خلقا وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث فى جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن فى عمود نسبه وبالقوة أخرى بالنسبة لمن ليس فى عموده (من) بيان للريحانتين وحينئذ فلا تجريد فيه خلافا لمن زعمه الشارح (شهيدين) اما شهادة الحسن وكانت ولادته فى نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية أرسل الى زوجته جعدة الكندية ثم تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فرض أربعين يوما وماتت فبعثت ليزيد بما وعدها به فأبى وفى سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فأبى وقال الله أشد نقمة وأجد كبدى تقطع وانى اعارف من أين ذهيت فيحق عليك لا تكلمت فى ذلك بشئ ثم قال وأقسم عليك ان لا تريق فى أمرى محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا أخى ان أبالك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفنك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة ان أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت نعم حبا وكرامة فنعهم مروان لانه كان والى المدينة فليس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جانب أمه رضى الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من أذيته فلما مات بكى فى جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه بالامس ما تجرعه فقال انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا أشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذى صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به للنبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا هو الوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون وروى أيضا حديثا من جملته قول عائشة رضى الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا مروان ومروان فى صلبه فمن الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان

الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة فان قيل كيف يدعو على من ليس بأهل للدعاء عليه او يسبه او يلعنه او نحو ذلك

يحمله لي عاتقه ويقول اللهم اني احبه فأحبه وصح من احبني فليحبه وليعلم الشاهد الغائب اللهم اني احبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه فيه ويقول ذلك وفي اخرى من أحبني واحب هذين وباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وصح اله حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنائب لتقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكاياته فيه اجر ولم تسمع منه كلمة فحش قط لا قوله مرة عن مخاسمة ليس له عندنا الا مارغم انفه وجاء من طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المبر ان ابني هذا اي الحسن سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ولقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجهه مات وقد تولى الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان آخر الخلفاء الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي الستة الاشهر الباقية منها وعند مضيها سار الى معاوية في اربعين الفا فلما رآى الجمعان علم الحسن ان لا غلب احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وحينئذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن آثما بل مأجورا واما شهادة الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن فضائله رضي الله تعالى عنه حديث حسين مني وانا من حسين أحب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق تصحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية ملك القطر واهلها واقعتان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها ان يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كرب وبلاء وفي رواية فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلاء وبالطف كذلك قال بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسؤددي واما حسين فله جراءتي وجودي وروى البغوي وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا وانى سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية فيهما ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل عامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين فغر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويحمي ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه واخيه وامره ان لا يذهب هو ان ذهب فابى فبكى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعتك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم بل لم يرق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ خبره محمد بن الحنفية بكى حتى

= فالجواب من وجهين احدهما أن المراد ليس باهل عند الله في باطن الامر لكن في الظاهر مستوجب فيظهر لصلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون في باطن الامر ليس اهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثاني أن ما وقع من سبه ودعائه ونحو ذلك ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب (قوله الا مارغم أنفه) قال في القاموس رغم انفي لله تعالى مثلث ذل عكس كره (قوله وخذلانهم) انظر مع ما مات من أنه هو والذي ترك القتال ولم يسبق في ذكر الشارح وافقته مع معاوية أن قومه خذلوه

ملأ طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر ألفا فأرسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسارا لحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء ولما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لا حتى نأخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمس امنه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه وكان أكثر مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى عدوه وحارب ذلك العدد الكثير ومعه من اهل بيته وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه ولما استحر القتل في اهله حتى بلغ خمسين صاح اما اذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحرث رجل شجاعة جدة فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح رضي الله تعالى عنه كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال فكفوا فلم يزل يقاتلهم الى أن أثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غاب عليه العطش الى أن سقط الى الارض فحز وا رأسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين ووضعه قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متعجبا بكونه قتل خير الناس فأمر بضرب عنقه وقال اذا علمت أنه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الرأس في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى أنس رضي الله تعالى عنه وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى فأغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على ناصيتهما ثم قال اللهم اني أستودعك اياهما وصالحي المؤمنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد اه ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله وجهزه مع رؤس اصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور أنه جعل ينكث الرأس بالخيزران وجمع بأنه اظهر الاول واخفى الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى

(قوله من القادسية) بينها وبين الكوفة مرحلتان (قوله عام احدى وستين) فعمره قريب من سبع وخمسين سنة فهو اكبر من الحسن بقريب من عشر سنين كما علمت من سنة مولد كل ووفاته السابق عليهما في الشرح (قوله سماطان) اى جانبان اه صحاح

مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال احمد بن حنبل يكثره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بأنه لم يقتل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه اطال فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح أنه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه ولعنه وكابن العربى المالكى فانه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد أنه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اى بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفى فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف ابيه له امامع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضى الله تعالى عنه اقتضى جوازا أو وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التى تصم عنها الآذان فهو اعنى الحسين رضى الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لا سيما ان رأى مارأى الامام أحمد من كفره وبه يرد ايضا ما قيل نظير ذلك حال معاوية مع الحسن قبل نزوله له عن الخلافة ومع على كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك انتهى فتأمل ذلك فان كلام الائمة فيه كالمتنافى ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ومما يطل توجيه تلك الكلمة ماذكرته فى مختصرى تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطى أن رجلا سمى يزيد امير المؤمنين فأمر عمر بن عبد العزيز خامس اوسادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكانه اندرج فى خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ تعين أن خامسهم عمر رضى الله تعالى عنه بضربه عشرين سوطا فهذا صريح فى أنه كان متغلبا باغيا وكذا امامالان الذين هم اهل الحل والعقد حقيقة اكثرهم على بيعته كما صرحت به فى المختصر المذكور تبعا لاصله واقلهم من اجلاء الصحابة هربوا الى مكة ويأتى قريبا بعض ذلك مع زيادة عليه ولما وصلوا الدمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى وقيل أن يزيد أرسل برأس الحسين وقتله ومن بقى من اهله الى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد الى جثته بكربلا بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين ارسلهم ابن زياد بالرأس اول منزل جعلوا يشربون بالرأس فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

ارجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

خامس اوسادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكانه اندرج فى خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ تعين أن خامسهم عمر رضى الله تعالى عنه (قوله وقيل اعيد الى جثته) وهذا هو المشهور ثم نقل الى مصر فى دولة الفاطمية وجعل له مدفن عظيم بالقرب من الجامع الازهر يسمى المشهد الحسينى واستمر فيه الى يومنا هذا خلافا لمن ادعى عوده الى الجثة وقد وقع للاستاذ الشيخ كريم الدين الخلوتى واقعة منامية تدل على وجوده فيه وفيها الامر من الحضرة الالهية بزيارة ذلك المشهد الحسينى فواظب على زيارته يوم الثلاثاء من كل اسبوع وصار يوما مشهورا يجتمع فيه خلق كثير من المقرين والمنشدين والزوار يعرفون بركته اه من ابن عبد الحق

(قول المحشى هو خامس اوسادس الخ) هذه العبارة بعينها موجودة فى الشراح التى بايدينا ولعل

المحشى رحمه الله كتب على نسخة ليست هذه العبارة فيها اوهى هامشة أدخلت فى الشراح اه

ظهر بوا وتركوا الرأس ثم عادوا وأخذوه واخذه غيرهم وقدم به على يزيد وعما ظهر يوم قتله من الآيات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم صلت دما وان السماء اشتدت سوادها الانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت وأن الكواكب قد ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا رؤى تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك أن غضب ابو ثرحرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وكما اظهر الله تعالى عظيم الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر ظهره على ولد ولد الحسين زيد صاحب المذهب المشهور رضي الله تعالى عنه فان بني امية استخفوا به وقتلوه وحرقوه فانتقم الحق تعالى ممن فعل به حتى سلط عليه من فعل به مثل ما فعل بزيد وأفبح بكثير كما هو مبسوط في قصته مع هشام المشهورة وفيها من الكرامات الباهرة لاهل البيت ما اوجب ذكر حاصلها ليطلع من يحبهم فيزداد محبة لهم او المبغض فيتوب ويرجع الى الله تعالى * اعلم أني ذكرت في كتابي اسنى المطالب في صلة الاقارب ما لفظه تنبيه آخر بقي مما ذكرته في التنبيه الذي قبل هذا ما وقع لهشام بن عبد الملك حيث قطع رحم زيد بن علي ففتله قومه الذين ارسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط الله عليه من اخرجه من قبره وحرقه بالنار جزاء وفاقا وشرح ذلك أن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من جار بني امية وظلمتهم فكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يجعله بين يدي جلسائه وفي عز مملكته ومن ذلك أنه قال له زيد المؤمل للخلافة وما انت وذاك وانت ابن امة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله تعالى نبيا هو ابن امة وجعله ابا العرب وابا خير النبيين وهو اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم فكانت امه مع ام اسحق كما امي مع امك وما تقصيرك برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده علي بن ابي طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه ألستم زعمتم أن اهل هذا البيت قد انقرضوا الا لعمر والله ما انقرض قوم هذا خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فرأى عنده يهوديا يسب قيل كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان يسب آله فانتهره زيد وقال يا كافر أما والله ان تمكنت منك لاخطفن روحك فقال هشام مه يا زيد لا تؤذ جليسنا فخرج قائلا من استشعر حب البقاء استدر الذل الى الفناء وهاج حينئذ على الخروج على هشام فأطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة من الائمة قيل منهم ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه وامده بمال عظيم فخرج اوائل المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج معه من القراء والفقهاء واهل البصائر خمسة

آلاف

(قوله دم عبيط) قال في الصحاح في فصل العين المهملة في باب الطاء والعبيط من الدم الخالص الطري (قوله وان الورس) اي الذي كان في عسكرهم وقد كان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله كذا في الصواعق والورس نبت كالسمسم ليس الا باليمن يزرع فيبقى عشرين سنة اه قاموس (قوله ان الحمرة التي مع الشفق) فهي غير الشفق لانه كان موجودا قبل قتل الحسين فقد بين رسول الله بمغيبه اول وقت العشاء

آلاف فى زى لم تر الناس مثلهم ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه فقال أين الناس فقيل له احتبسوا فى المسجد فقال لا يسعهم عند الله تعالى خذلانهم لنا فعاد اليهم وامرهم بالخروج فأبوا فقال يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خيرى الدنيا والآخرة فأبوا فأقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضى الله تعالى عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم ينجع ذلك فيهم شيأ ودخلوا الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يتأثر بذلك وحاربهم يوم الاربعاء والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فأصيب آخر يوم الجمعة بنشابة فى جبينه فجاء له بطبيب فنزعها فمات من وقته ودفن فى قناة واجرى عليه الماء حتى لا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كرامته الباهرة ثم أنزلوه وحرقوه بالنار حتى صار رمادا فذروه فى الهواء فلما كان زمن السفاح اول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم امر بامرأة هشام المذكور فشدخ رأسها بالعمد وامر بقطع ثديها وقتلها قصاصا فى أم ولد أو زوجة كانت لزيد رضى الله تعالى عنه قتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالصبر لئلا يتغير فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد رضى الله تعالى عنه جزاء وفاقا فتأمل نصر الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب بنى العباس كانوا يكرهون ذرية الحسين لانهم كانوا ينازعونهم فى الملك ويخرجون عليهم كثيرا ومع ذلك اظهر الله لانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بنى زيد وبنى عمه اه (ليس ينسينى) كل مسلم كامل الايمان (الطف) اى بذكر ما وقع فيه ومر انه ارض بالعراق وانه يسمى كربلاء او قريب منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به (مصابيهما) اى مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اى مصاب الحسين لان قتله به واما قتل الحسن فمر انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما علم به نزر من الناس (ولا كربلاء) بل كل منهما يذكرنى بذلك المصاب حتى انى أتصور فى كل ارض أنها هى فظاهره أنه مغاير للطف ومر أنه قول وكأن الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد عن الشعبى أن عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وقف وسأل عنها فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى القصة الآتية قريبا فى شرح قوله فابكهم (مارعى فيهما ذماما) بالمعجمة اى حرمتك ايها النبى الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانيها واعتقاد أنه على غاية من الحماقة والضلالة والجراءة والتهور (مرؤس) اى تابع بجعدة الكندية فى الحسن وابن زياد واتباعه فى الحسين رضى الله تعالى عنهما (و) الحال أنه (قد خان عهدك الرؤساء) اى المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد فيما نسبه فى

قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وباء بخزي الدنيا والاخرى وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين لانهم انما قتلوه بسيف جده الآمر بسله على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف وغاية أمر يزيد انه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الامام الجائر التي جرى عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان أهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت حيطة رأي غيرهم ولذلك خرج على يزيد أيضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها جماعة آخرين امتنعوا منها وهربوا وهرآ نفاماله تعلق بذلك مع زيادة وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد أشار الى الحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق فمن أدرك منكم فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما يرده أيضا ما ترتب على قتل الحسين مما مر بعضه وبين رعى وخان والمرؤس والرؤساء جناس الطباق (أبدلوا) أي هؤلاء المذكورون (الود) بتثليث الواو اي المودة التي حرضهم الله تعالى عليها في الآية الآتية ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق أمكن حتى ان القرمطي سباهم فأبيعت الشريفة في عسكره بأربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباه منهم (و) ابدلوا أيضا (الحفيظة) اي الحمية (في) نصر (القربى) ومحبتهم اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم أهل البيت النبوي يعني تركوا هذين وأخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى الآية وقد اختلف المفسرون في القربى من هم والذي جاء عن الحسن بن علي كرم الله وجهه ما بسند حسن انهم أهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها أنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في رواية على كل مسلم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق أنها لمانزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه وأخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جيء به أسيرا عقب قتل أبيه الحسين رضي الله تعالى عنهما وأقيم على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرأت قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال وأنتم هم قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس واتباعه من حملها على غير ذلك كما في البخاري وغيره عنه ان المراد أن لا تؤذوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم

(قوله تحت حيطة) قال في الصحاح الحيطة بالكسر الحياطة وهما من الواوي (قوله حتى ان القرمطي سباهم) قدم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي بكسر القاف مكة يوم التروية سنة عشر وثلثمائة ونهب دورها وأموال الحج وقتلهم في المسجد وفي البيت وقلع الحجر الاسود من محله وأرسله الى الجشاء والقطيف وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كوسها على أصحابه وطرح طائفة من القتلى في بئر زمزم ودفن البقية في المسجد بلا غسل ولا صلاة ثم رد الله تعالى برد الحجر الاسود الى مكة سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة اه من افشاء السر المصون لابن الموقع كمال الدين (قوله فابيعت) اي عرضت للبيع قال في المختار واباع الشيء عرضه للبيع (قوله اي الحمية) اي المنع عما يضر

وفى رواية عنه انهم لما أبوا ان يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا أبيتم ان تبايعونى فاحفظوا اقرابتى ولا تؤذونى ويؤيده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان أمكن نزولها مرتين كما قيل به فى الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر أهل البيت وعم فى كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو أجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا ان تؤادوا الله ولا منافاة أيضا لان من جملة مواداته تعالى مواداة رسوله وأهل بيته وادعاء نسخ الآية قول مردود لا يلتفت اليه ولا يجوز اعتقاده كما قاله البغوى وغيره وقد صح حلافا لما وهم فيه ابن الجوزى حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله عز وجل وأحبوا أهل البيت لحبى وصح أيضا ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم منى وفى خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد آذيتنى ثم قال من آذى عليا فقد آذانى وروى أحمد والترمذى حديث من أحبنى وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة زاد أبو داود ومات متبعا السنتى وبهما يعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة (وابدت) اى أظهرت (ضبابها) عائد لفاعل أبدت وأراد بالضباب اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها (النافقاء) هى احدى جحرتى اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق فى الدين كما فى الصحاح وفى النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه ما عند أولئك من النفاق بالنافقاء بالجامع الآتى فهى حينئذ استعارة مصرحة وفى ذكر النافقاء مصرحة رشحت بذكر الضباب أو تشبيه النافقاء بما عند أولئك من النفاق الذى حملهم على ان فعلوا با آل البيت ما فعلوا فتشبيه النافقاء بنفاق أولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقاء يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق أولئك أظهرهم حتى هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة بالكناية أيضا لتشبيه الضباب بأولئك فى المكر واضافتهم الى ضمير النافقاء تخييلية (وتست) اى غلظت واشتدت (منهم) اى المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله (قلوب) فوصل اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى أرادها الشقاوة والعذاب الاليم

(قوله أو تشبيه النافقاء الخ) فيه ان الكلام فى بيان صفاتهم الذميمة لا فى بيان صفات جحرة اليربوع وكذا يقال فيما سيذكره من تشبيه الضباب بأولئك الفجرة

(على من) اى أولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى الذين قتلوا مع الحسين من أهله ليس لهم شبيه على وجه الارض (بكت الارض فقدهم والسماء) وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المؤمن تبكى عليه السماء والارض بمعنى انهما يتأسفان على ما فاتهما من أعماله وثوابها اما الارض فمحال مسجود المؤمن وعباداته واما السماء فمحال صعود الملائكة بتلك الاعمال اليها واذا كان هذا فى مطلق المؤمنين كما علم من الآية فما بالك بآل البيت النبوى والسر العلوى ويصح ان يكون المراد يبكائهما بكاء أهلهما وهو واضح لكن الاول أبلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا بدليل (فابكهم) أيها السامع للخطاب (ما استطعت) اى مدة دوام استطاعتك تأسيا بنبيك صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بعلى كرم الله وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال مر على كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب تلك الارض أشمنى اياها فلم أملك عينى ان فاضتا وأخرج الترمذى ان أم سلمة رأت النبى صلى الله عليه وسلم باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل اتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن ثم قال أئمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه وأهله ومن غاية الاستهانة بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال أنوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكالاتها بفقدهم وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل أحد ان يحزن على ذلك ويتأسف عليه وان يأمر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ دليل على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة حينئذ وبهذا يتبين عدم الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان المنهى عنه البكاء الاختيارى والذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطرارى أو بيان للجواز أو أطلق منه البكاء على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اى وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء فبين ان مجرد

(قوله فما بكت عليهم السماء الخ) قال الكواشى فى تفسيرها فما بكت عليهم السماء والارض لكفرهم لانه روى ان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا وهذا ممكن قدرة قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن على ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء

(قوله ثم بجبريل) يقتضى انه وقع منه بكاء وان اقتصر الشارح على رواية بكاء نبينا وعلى (قوله فلم أملك عينى ان فاضتا) ظاهره انه لم يوجد صوته مع الدمع الذى هو البكاء المعدود وانما وجد منه مجرد البكى المقصور الذى هو نزول الدمع (قوله رأت النبى) اى فى النوم

دمع العين لا محظور فيه ولا كراهة فتأمله ثم تم ما أمر به من البكاء بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال (ان) جزاء (قليلا) اى قليل (فى) مقابلة (عظيم من المصاب) لاسيما مصاب الامة بالحسنين وأهل بيتهما رضى الله تعالى عنهم أجمعين و بين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق وردّ العجز على الصدر (البكاء) وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع الدمع واما المقصور فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على أعدائهم وغير ذلك (كل يوم وكل أرض لكربى) اى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس بحيث يخشى فوتها (منهم) اى بسبب ما حصل لهذين الامامين وأهل بيتهما من القتل والاسر والسب والايذاء (كربلا) راجع لكل أرض (وعاشوراء) راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اى زاد بى ذلك الكرب حتى ان كل أرض حللت بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين و كل يوم أصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من أرض لاخرى ولا من زمن لآخر وبين كربى وكربلا جناس شبه الاشتقاق كما وأجناس الاشتقاق فى تأوى وآوت وفوضت وتفوضى وطبتم وطاب وسدتم وسودته ووزر والزوراء والقاسم واقسامى وابكهم والبكاء يا (آل بيت النبى) وهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب وهم المذكورون فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادى به فى الاسواق ورد بتذكير ضميرعنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما وفى جميعهن بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ما صح عن أم سلمة قلت يارسول الله ألست من أهل البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول آل البيت خبر مسلم انه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء تحت كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس و بنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت امين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت فى الآية أهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن امهات المؤمنين وأهل بيت نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم و بنى المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم والمشهور ان هؤلاء هم آله المذكورون فى قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقيل المراد بآل البيت هنا كل مؤمن واختير وخبر آلى كل مؤمن تقى ضعيف بالمرة وآل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم المرادون فى جميع ما جاء فى فضل أهل البيت أو الآل أو ذوى القربى وأولئك الاربعة هم المرادون فى آية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها (ان

(قوله اشتمل على العباس وبنيه) وبين خبر مسلم السابق لتعدد الاشتمال فتارة اشتمل على فاطمة وعلى وابنيهما وتارة على العباس وبنيه (قوله وأولئك الاربعة) اى على وفاطمة والحسنان المتقدم انهم الذين نزلت فيهم آية انما يريد الله عند أكثر المفسرين ولو ذكر هذا عقب ما ذكره هناك لكان واضحا

فؤادى) اى قلبى (ليس) فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع اه ويصح ارادة هذا المعنى الاخير فى النظم (يسليه عنكم النساء) بفوقية اوله اى ما حصل لهم من الشدائد والمحن وفى القاموس تأساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزلزلها محنة ولا تنقصها شدة وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتى فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله تعالى وفى الحديث أيضا انا تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتى فتأمل كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقرآن فى ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال وأشار الى ان ما عنده ملازم له لا يفارقه بساو ولا تسل ولا غيره هما من الوفاء بحقهما والتحزن والتحسر لما بهما فانما هو مع تفويضه الامور الى بارئها كما قال (غير) اى الا (انى) فهو استثناء منقطع (فوضت أمرى) فى ذلك كله (الى الله) تعالى الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (وتفويضى الامور) الى من هو مقدرها ومدبرها (براء) اى مبرئ للمفوض حيث لم يكن له اعتماد على شئ من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق وجمله وتفويضى الخ تذييل (رب) للتقليل (يوم بكربلاء مسى) باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها (خففت بعض وزره) اى ثقل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم عن النفوس التى عندها غيرة لآل البيت النبوى (الزوراء) فيها مع وزره شبه الاشتقاق وهى ناحية ببغداد اى ما وقع فيها من خلفاء بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت من اخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره من آل البيت بالخروج على بنى أمية لانهم عاثوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين فى ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعالى الفاخرة ثم بنزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما قال (والاعادى) الذين هم أولئك الفسقة الفجرة (كان كل طريح) اى مطروح (منهم) الى الارض بيوارق السيوف ولوامع الاسنة الموجبة لتوالى الحتوف (الزق) المنتفخ المالئ على الارض الذى (حل عنه الوكاء) وهو ما يشد به رأس الزق ولازالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة فى التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم فى اختصارى له فعليك بطلبها من محلها ان

(قوله قال ابن مالك الخ) دليل لما قبله الذى قواه ابن الحاجب (قوله كلا التبرئة) اى التى للتبرئة (قوله يسليه) اى يصرفه عنكم يقال سلاه وعنه سلوا وسلوا وسليا اكدعاه ورضيه و يقال اسلاه عنه (قوله عاثوا) اى افسدوا قال فى القاموس العيث الافساد وعاث يعيث (قوله والاعادى الخ) قال بعضهم تذاكرنا مع جماعة قتل الحسين رضى الله عنه فقال رجل من القوم ما احد أعان على قتل الحسين الا أصابه بلاء قبل موته فقال شيخ كبير انا ممن أعان عليه وما أصابنى أمر أكرهه الى ساعتى هذه فجاء الى السراج ليصلحه فاخذته النار فخرج مبادرا الى الفرات وألقى نفسه فاشتعل وصار رمادا وذكر بعضهم ان رجلين ممن أعان على قتله طال ذكر أحدهما حتى صار يلقيه على عاتقه وبالهامن فضيحة فى الدنيا قبل فضيحة الاخرى وثانيهما يشرب الراوية من الماء فلا يروى

شئت يا (آل) فهو منادى وأصله أهل ابدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة ألفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل آل فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف (بيت النبى) ومرآتنا بيانهم (طبتم) أصولا وفروعا ونفوسا وافعالا وأقوالا وصفات وظاهرا لنظم أن المراد بالطيب فى ويريحانتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محقق ويحتمل انه فى الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم لهما وهنا للباقين وهو الوجه لان ذلك فى خصوصهما وهذا فى عموم أهل البيت كما دلت عليه الآية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اذهى منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفى أحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منشأ الهلاك الاباية الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء فى كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة فى وصولهم لاعلاه وفى رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم اكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله وقد جعل على على وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم هؤلاء أهل بيتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى رواية اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى أخرى اللهم أهلى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلى من بعدى وحديث سألت ربى ان لا تزوج الى أحد من أمتى ولا يتزوج الىّ أحد من امتى الا كان معى فى الجنة فاعطانى ذلك وحديث واحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى وحديث انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلى وفاطمة وابنيهما وحديث ان لكل بنى اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحديث والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا كبه الله فى النار (فطاب المدح لى فيكم) وان لم أستوف واجب حقكم ومعالى شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنيا عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشئ من نهايته (وطاب) لى فيكم (الرثاء) وهو تعداد محاسن موتاكم وفى طبتم وطاب الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق (انا حسان مدحكم) اى انا المشبه فى الاعتناء بمدحكم على أقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

(قوله عضوضا) ذكر فى القاموس جملة معان للعضوض والمناسب منها هنا قوله وملك فيه تعسف وظلم (قوله لا يكون الا منهم) ومن قال يكون من غيرهم أبو العباس المرسى كما نقله تلميذه التاج بن عطاء الله اه من الصواعق (قوله ان مثل أهل بيتى الخ) وما ألطف قول بعضهم يمدح أهل البيت

يا جار الندى أخشى وأنتم ... سفن النجاة يوم المعاد
لست أخشى يا آل أحمد ذنبا ... مع حبى لكم وحسن اعتقادى

(قوله لان الله ورسوله انما الخ) ولله در شيخنا العلامة الشبراوى من قصيدة يمدح بها آل البيت

قال لى قائل وأيتك تهوى ... آل طه وداعما تجتبيهم
ان حقا عليك تستغرق العمـ ... ـر مديحا فيهم وفيمن يليهم
قلت ماذا أقول والكون طرا ... يستمد العطاء من نادبيهم
أنا لا استطيع أمدح قوما ... كان جبريل خادما لابيهم

(قوله ينافح عليه) قال فى الصحاح نافحت عن فلان خاصمت عنه ونافحوهم مثل كافحوهم (قوله ويدعوله) اى بلسان (قوله بروح القدس) والروح بالضم مايه حياة الانفس ويؤنث والقرآن والوحى وجبريل وعيسى عليهما السلام والنفخ وأمر النبوة وحكم الله وامره وملك وجهه كوجه الانسان وجسده كالملائكة اه قاموس ولايخفاك المناسب من هذه المعانى هنا ثم رأيت فى البيضاوى فى تفسير قوله تعالى وايدناه بروح القدس فى سورة البقرة مانصه بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق ثم ذكر فى معنى

الاوله اليها قرابة) قال النقاش ليس فى العرب قبيلة الاولدت النبى صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته الا بنى تغلب لنصرانيته (قوله فنظر اليه شزرا) هو نظر الغضبان بمؤخر العين (قوله كنت انشده) قال فى القاموس انشد الشعر قرأه (قوله بنت عمرو) قال فى القاموس وخنساء بنت خذام وبنت عمرو بن الشريد صحابيتان وبنت عمرو اخت صخر شاعرة اه هذا يقتضى انها غير صحابية فتكون حال قدومها عليه صلى الله عليه وسلم مع قومها قبل اسلامها ولم تجتمع عليه مسلمة وتقدم نظير ذلك عند قوله فى حلاها وحليها الخنساء هذه العبارة تفيد ان بنت عمرو ابن الشريد غير اخت صخر فكيف قول الشارح ابن الشريد (قوله من شعر صدارها) الصدار بكسر الصاد قميص صغير يلى الجسد اه صحاح وفى المثل كل ذات صدار خالة أى من حق الرجل ان يغار على كل امراة كما يغار على حرمه (قوله فهم هام) الهام جمع الى

هامة وهى الرأس من كل شئ وطائر من طيور الليل وهو الصدى ورئيس القوم والرمس كتمان الخبر والدفن والقبر كالمرمس والراموس والجمع ارماس ورموس (قوله واجمع علماء الشعراء الخ) قيل ان النابغة الذبيانى كان اذا قدم الموسم عرض عليه الناس اشعارهم فجاءت الخنساء فعرضت عليه فمين عرض فقال لها ما رأيت ذات هن اشعر منك فقالت لا والله ولا انتين ايضا وجاءه حسان بن ثابت وانشده فقال انت اشعر من انشدنى فى هذا اليوم لولا امرأة من خثعم فقال أ الى تقول هذا انا والله اشعر منك ومن ابيك قال حين تقول ماذا قال حين اقول لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما =

كان ينصب له صنبر فى مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس ومن بلاغته انه لما أراد ان يعجو قريشا أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بأنه ما من بطن من بطون قريش الا وله اليها قرابة فقال لاسلكن منهم كما تسل الشعرة من العجين ورآه عمر رضى الله عنه سما ينشد شعرا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت أنشده فيه بين يدى من هو خير منك وهو يقول اللهم أيده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة على ذلك فشهد وله به (فاذا انحت) اى رفعت صوتى بالبكاء (عليكم فانى الخنساء) بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم الموالين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه منهم يوم فتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت عائشة رضى الله تعالى عنها عليها ثوب الحزن فاخبرتها أنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها لم تعلم بالنهى ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بأنها كنته عارها ولوهلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها

يقضى الزمان وما تقضى عجائبه * ابقى لنا كل مجهول وفجعنا
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وارماس
ان الجديدين فى طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس

واجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها اى فانى مشبهها فى نوحها على أخيها صخر ورثائها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومجامع الثناء وجوامع الرثاء ومنه قولها

الا يا صخر ان ابكيت عينا * لقد أضحكتنى دهرا طويلا

الى ان قالت

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه أيضا

يؤرقني التذكر حين أمسي * ويردعني عن الاحزان نكسي

على صخر واى فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلسي

ثم قالت أيضا

وما يبكون مثل أخي ولكن * اعزي النفس عنه بالتأسي

ومنه

اعيني جودا ولا تجمدا * الا تبكيان لصخر الندى

الا تبكيان الحرى الجميدا * الا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد * وساد عشيرته امردا

ومنه

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وسأل الخليفة المهدى الفضل عن أخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فأعطاه ثلاثين ألف درهم بعدد ان شكا ان عليه دينا عشرة آلاف درهم ورآها عمر رضى الله عنه تطوف باكية لاطمة لخدها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال ان في الناس من هو أعظم رزية منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله واذا لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف رأسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها أربعة رجال فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارها على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة في دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذى شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضى الله عنه يعطيها ارزاقهم لكل سائتان حتى قبض رضى الله عنه وعنهم (سدتم الناس) ايها الحسنان وذر بتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شئ واما بقية آل البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة (بالتقى) فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لانه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم ان السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تميزهم عن أكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذى لا يوجد في غيركم ومر أن جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الا ان يقال

(قوله نكسي) النكس بالكسر السهم الذى ينكس اعلاه فيجعل فوقه اسفله وايضا الرجل الضعيف وفي القاموس والنكس والنكاس بضمهما عود المرض بعد الشفاء (قوله حلسي) الحلس بكسر الحاء المهملة الشجاع وبالجيم المكسورة القدم الغليظ الاحمق (قوله النجاد) بكسر النون اى حمائل السيف والمراد وصفه بطول القامة (قوله رفيع العماد) قال في الصحاح الابنية المرتفعة يذكر ويؤنث الواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلوما لزائره اه وفي شرح مسلم للنووى ومعنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسنا الذكر وقيل رفيع العماد معناه بيته الذى يسكنه عال ابراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدونه وهكذا بيوت الاجواد (قوله علم) اى جبل مرتفع (قوله وطيسها) الوطيس التنور يقال حمى الوطيس اذا اشتد الحرب (قوله رئيسها) الرئيس الشجاع والداهية

أحسن وقلت يامن بالضحى وكل شئ فهو يلمع بالضحى ولو قلت بالدجى كان أحسن ولكن أخاف ان لا تحسن أن تقول مثل قولى فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع وهذا العمرى من أحسن كلام وابلغه وافصحه وان بيت حسان ايضا لمن جيد الكلام

سيادتهم الناس بالنسب أشهر من ان تذكر ودليل الاول أعني السيادة من حيث النسب الذي هو أشرف الانساب آية المباهلة قال بعض محققي المفسرين فيها الادليل أقوى من هذا على فضل فاطمة وعلي وابنيهما رضي الله تعالى عنهم اي لانها المأتي بها عاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن وأخذ بيد الحسين ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والآخرة ويدل لذلك ماصح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال مابال أقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بل والله ان رحمي موصولة في الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبراني حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب وروى غير ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسماء أمهاتهم ستارا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردودا بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ماصح عن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماعدا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل بني أنثى عصبتهم لابيهم ماعدا ولد فاطمة فاني أنا ابوهم وعصبتهم وجاء في حديث آخر بسند رجاله من اكابر أهل البيت أن عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة أم كلثوم وانكار جماعة من متأخري اهل البيت أن عليا لم يزوجها العمر ليس في محله واقرار الصحابة لعمر على هذا الاستدلال صريح في رد ماعارضه من اقاويل شاذة في هذه المسئلة لاسيما والبعض بني أمية في ذلك ودليل الثاني اعني النظر الى أن السيادة بالنقوى ماصح انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا أغني عنكم من الله شيأ غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها اي سأصلها بصلتها ومعنى ذلك أنه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هؤلاء يرون أنهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي في اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة مايدأت الا بكم وجاء في احاديث ضعيفة أن فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفي رواية أن عليا قال يارسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله فطمها وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله ثقات ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد ياعباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغي لاحد من اهل البيت أن يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق ان اهل بيتي هؤلاء يرون أنهم

قوله في الصحيفة السابقة في ثلاث مواضع سقط الثالث

(قوله كل سبب) اي نكاح ونسب اي قرابة معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيامة بخلاف امة غيره (قوله سأبلها ببلالها) اي اصلها وبلالها بكسر الموحدة وفتحها هو الماء اي سأصلها بالماء شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرده ومنه الحديث بلوا ارحامكم ببرد السلام

اولى الناس بى وليس كذلك ان اوليائى منكم المتقون الخ وحديث البخارى ومسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء انما اولياى الله وصالح المؤمنين لان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفى عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله الكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم مايسوؤه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم فى القيامة يامحمد يريد أن يشفع له فيقول صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيأ كما فى الحديث وتأمل قول الحسن بن الحسن السبط رضى الله تعالى عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا اى كأبى طالب والله انى اخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا اجره مرتين وكأنه اخذ ذلك من قوله تعالى يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن على بن الحسين بن على عن ابيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم أن الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنه الله كما فى الحديث الذى رواه الدارقطنى وقال ان له عندى طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك فى الجنة وان قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفى رواية قالوا يارسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون فى السلف (وسواكم) الذين يدعون سيادة وينقمون عليكم كسفهاء بنى امية او المراد سواكم اى غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم فى الدين اصلا بل ولا فى الدنيا عند الكمل وانما (سودته) عند الجهلاء مثله وافرد الضمير نظرا للفظ سوى (البيضاء) اى الفضة البيضاء (والصفراء) اى الذهب اى طمع الناس فى ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر من غيرهما وفى سدتم وسودته الاشتقاق والبيضاء والصفراء التدبيج (و) أقسم عليك (باصحابك) جمع صاحب وهو من اجتمع ولو طفلا وأعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى رحمهما الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وايهام وان وقع فى صنيع احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه فى مسنده مايؤيد ذلك كما بينته فى محل آخر (الذين هم بعدك فينا الهداة) اى الدالون للامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد فى الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل ماذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام اخص افراده بذلك فقال اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر (والاوصياء) اى

(قوله ضعفين) اى ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه اى لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم انتهى بيضاوى (قوله نبز) النبز بالتحريك اللقب انتهى صحاح (قوله جمع صاحب) فيه ان فاعلا لا يجمع قياسا على افعال فاجهال وانصار وامجاد واطهار فى جمع جاهل وناصر وماجد وطاهر جموع محفوظة لا يقاس عليها فكان الظاهر ان يقول اسم جمع وقد يقال هو من جملة ماحفظ كالجموع السابقة فيكون قوله جمع صاحب اى شذوذا فتأمل (قوله اصحابى الخ) نقل ابو حيان فى النهر فى تفسير قوله تعالى تبيانا لكل شئ الآية فى سورة النحل ان هذا خبر مكذوب باطل لم يصح قط لكن عبارة الشارح فى الصواعق نصها روى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم الخ وبه تعلم ردما أطال به أبو حيان

الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لهم اليهم الرؤس وبادوا اهل الزيغ عن آخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما حملت الاوصياء على من ذكر ردا على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر وعلي ووجه الرد أن الذي دلت عليه صرائح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به أنه صلى الله عليه وسلم لم يوص في امر الخلافة بشئ صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته أن لا ينص عليها صريحا وانما اشار صلى الله عليه وسلم أنها لابي بكر باشارات تقرب من الصريح كما بينتها في الكتاب السابق ذكره ولعل تلك المصلحة التي ذكرناها في عدم التصريح هي التي ظهرت له صلى الله عليه وسلم ولما طلب في مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد للكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل على أنه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع فسكوته صلى الله عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر (أحسنوا بعدك) اى بعد وفاتك (الخلافة) عنك (في الدين) بالقيام بجميع ما يجب او تحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث أجمعوا على استخلاف ابي بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة علي ثم مبايعة ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية ثم على ولاية معاوية رضي الله تعالى عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ونشر العلوم الى أن تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا (وكل) منهم (لما تولاه) في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على أن جميع امورهم انما كانت للدين لا لغير (ازاه) بكسر الهمزة وفتح الزاي كتاب اى قيم بما تولاه اهل له في اى بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القرآن ومن وقعت له منهم هفوة فقد كفرت عنه بحدا او توبة هم (أغنياء نزاهة) اى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها الان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اى المال وانما الغنى غنى النفس اى بالله عما سواه سواء أكان بيده مال ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه في مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك لا للفخر ولا للمباهاة ولا لمحبة جمع ذلك الحطام الفاني ولذلك جاء أن عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقبة وتصدق هو وعثمان في غزوة

(قوله تؤدى اليه الخراج) أى فى كل يوم فيتصدق فى مجلسه به ولا يقوم بدرهم (قوله وتخلف ابن عوف) ففى حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفى الترمذى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة رضى الله عنه عنى به النبى صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة ليكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة انتهى من شرح المنهاج للدميرى وهذا ٢٨٥ معارض لما ذكره الشارح من الحكم بتخلفه

تبولة بما يهر العقل وكان للزبير الف عبد تؤدى اليه الخراج ومامات الا وعليه قدر كثير جدا من الدين وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافى ما تقرر أنه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه أنه يخرج جميع ما بيده دفعة واحدة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه فى كل حال اوزمن وأما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل فى يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات اصحابه اولان حاله فى الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسى به فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقراء فى دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع اوليسئل سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح فى فضله رضى الله تعالى عنه هم (فقراء) اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنى منهم كانوا خزانا لله تعالى كما مر فلا يعدون من الاغنياء الا باعتبار الصورة كما مر واما باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى وانما يعدون أنفسهم خزنة لاغير وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر وهى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته لما علمت أن الغنى هو الذى ختم به أمره صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فى الكمالات فلولا أن الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه وسلم قبل موته قيل ومحل الخلاف فى الفقر مع الصبر كما تقرر وأما الفقر مع الرضا فهو أفضل قطعا اه وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء امره مع فقره على غاية من الرضا لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر وبفرض صحة هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون أغنياءهم لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين أئمة وامراء وبين الرخص والاغلاء الآتيات هم (علماء أئمة) لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميز وابه على جميع من جاء بعدهم وفى الحديث اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان نحو الحسن البصرى رحمه الله تعالى كان يفتى الصحابة فى زمنه وقد قال صلى

عنهم فخرر وقوله فى الخبر الاحبوا لجبر خاطر الفقراء لا لتقصير من ابن عوف فى حقوق الله تعالى يقتضى نزول رتبته رضى الله عنه (قوله وهذا بالنسبة الخ) غير مسلم بل بالنسبة لكلهم وغاية مايقال فى نحو الحسن البصرى رضى الله عنه ان السائل له من الصحابة قيل ان يصرف قوة اجتهاده وملكته بنفسه فاذا افتاه نظر فيه وبذل وسعه فى النظر فى الدليل فيوافق افتاء الحسن اجتهاده فليس المراد أن الحسن ونحوه من التابعين اوسع نظرا من الصحابة واما حديث رب مبلغ الخ فمحمول على ان السامع من الصحابة كالحسن مثلا ربما كان احفظ للنص الذى بلغه عن النبى ممن بلغه بان حصل للصحابى سهو عنه ودام حفظ التابعى له واستحضاره او يكون التابعى قد سمع نصا من صحابى لم يطلع عليه صحابى آخر فتدبر (قوله والا فقد جاء الخ) لايخفى ان ماذكره لا يدل

بمجرده على عدم وصف الجميع بالعالمية وتأمل هذا مع ماسيأتى فى شرح قول الناظم كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد الخ وعبارة الجوجرى ووصفهم بان احكامهم ليست صادرة عن هوى النفس بل هى ماشية على الاجتهاد التام المستوفى لشروط الاجتهاد المحصل للاجر أصابوا فيه أو اخطؤا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران أو اخطأ فله أجر وكلهم فى ذلك متكافؤن متساوون من حيث الاجتهاد وعدم صدور شئ من الاحكام عن شهوة أو غرض (قوله يفتى الصحابة فى زمنه) اى فينظرون فى فتواه فيوافق اجتهادهم والا فالمجتهد لا يقلد غيره

الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ اى بفتح اللام أوعى من سامع هم (أمراء) أى كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المتورين سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه لما كان أميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره ويعرضه للفتن فكان وهدب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في الاسواق ويقول شيخ سوء أصابته دعوة العبد الصالح سعد رضى الله تعالى عنه ومما يدل على انهم أغنياء نزاهة لا غير انهم (زهدوا في الدنيا) بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو أى القرب لسبقها للاخرى وقيل لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكى ابن قتيبة تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بانها انخلعت عن الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضى الله عنهم في الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيأ الا وهو مشغول بشئ من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم بقسميهم فيها حقيقي (فما عرف الميل اليها منهم) بنوع التفات ولا اقبال لحقارتها في أعينهم (ولا الرغباء) أى الزيادة في تحصيلها وهذا علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافي هذا اثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه صلى الله عليه وسلم به لاناس من الصحابة كابن عوف وأنس وغيرهما فكثرت أموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر بصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من أحيني فاقل ماله وأمت ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين بما لا يستغني عن مراجعته (أرخصوا في الوغى) أى بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم في الوقائع المشهورة ومر ان اطلاق الوغى على الحرب مجاز لا حقيقة (نفوس ملوك) كثيرين فكيف بغيرهم (حاربوها) بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله عليهم

(قوله عبرة) بالكسر اسم من الاعتبار وبالفتح تحلب الدمع اه مختار (قوله على كل الخ) اى على كل نوع من ذلك كما طلاقها على الجواهر فقط (قوله فاقل ماله الخ) اى اذا كان فيهما فتنة له بحيث يشتغل بذلك عن حبي وما يترتب عليه من الشغل بالله بدليل دعائه لاناس من اكابر الصحابة بكثرة المال كما سبق

عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك آخرين اخرى (اسلابها) بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذى هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه اما فى الافراد وهو التحقيق او فى المجموع وعليه كثيرون (اغلاء) بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل اى غالية الاثمان وفى بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكأنه جمع غال كداء وادواء وبه يندفع قول الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع يحتاج لتأويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس فالاسلاب اى اخذها اغلاء للاسلاب وقال قبله على المعنى الاول ايضا وكأنه اى الناظم يقول انهم كما ارخصوا نفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ماسلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص الانفس واغلاء الاموال التى هى الاسلاب المأخوذة ممن قتلوه لكثرة ماقتلوه وسلبوه انتهى ففى كل من المعنيين بعد وخفاء والوجه ان المعنى عليه انهم كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد رجل عدل اى عادل ورجال عدل اى عادلون فكما ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول الاغلاء بالغالية وهذا هو المعنى على فتح الهمزة فيساوى المكسور المفتوح (كلهم فى احكامه) جمع حكم والحكم الشرعى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما فى قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح (ذو اجتهاد) صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها فى جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد منهم انه قلد غيره فى مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من رأوه منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خواف فيذكرانهم فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحق والجهل فاعتقدوا انهم ذو اجتهاد لهوى انفس او حظ او بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم يخترهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها (و) ذو (صواب) يعنى وذو ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاءه على حقيقته انما يتأتى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد اما على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما فى رواية وللمخطئ أجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتأمله فعلى الاول كل من على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما مصيب وعلى الثانى على رضى الله تعالى عنه مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية

(قوله او عشرة اجور) قال بعضهم فى شرح الورقات فان قلت العشرة يصح أن تجعل أجرا واحدا أو اثنين فما فائدة جعلها عشرة قلت يجوز أن تكون أنواعا من الثواب مختلفة يبلغ عددها هذا المقدار فنبه بذكره هذا على ذلك

(قوله مشيخة الخ) اى شيوخ فهو أحد جموع شيخ لانه يجمع على شيوخ وأشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة ومشايخ ومشيوخاء وهذه الجموع السبعة كلها شاذة اذ لم ترد فعل وصفا معتل العين جمعا قياسيا فراجع الخلاصة وشراحها يظهر لك ذلك وشيخة بكسر اوله وفتح ثانيه وشيخان بكسر اوله وسكون ثانيه ومشيخه بفتح اوله وسكون ثانيه (قوله لم يجب عدونا) اى من يفعل معك فعل الاعداء والا فمعاوية رضى الله عنه حاشاه أن يكون عدوا حقيقة (قوله رضى الله عنهم الخ) قال السنوسى فى شرح عقيدته الوسطى ورضا الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين هنا الاول لان الدعاء انما يكون بمستقبل لم يوجد فى الحال وارادة الله تعالى أزلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء اه قال الغنيمى وهل لك أن تقول ولو على بعد يجوز الثانى نظرا لتعلق الارادة الحادث وذلك لا يستحيل تجدده اه (قوله وبين رضى ورضوا اشتقاق) اى جناس اشتقاق (قوله اذا الخطوة) اى بضم الخاء واما بفتحها فنقل القدم (قوله خطاء) مده كاهنا لغة قليلة واللغة الكثيرة قصره وقد قرئ بهما قوله تعالى الا خطا اه من المختار

فى خروجه على على مخطئ له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع فى تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله فصواب والا فخطأ فان قلت يمكن تأويل النظم بان مراده وصواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا فى نفس الامر قلت هو تأويل بعيد على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم (وكلهم اكفاء) اى متكافئون فى اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر ابو بكر أعلمنا ولا سؤال عمر الى رضى الله عنهما فيجيبه فيقول لا قدس الله امة لست فيهم يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه فى الدين ويعلمه التأويل ما ليس عندهم ولا سؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه واقد قال له احد بنيه لم تجب عدونا فقال اما بكفينا انه احتاج الينا وسألنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم على والاصح عثمان ثم على ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضى الله عنهم ورضوا عنه ورضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله تعالى دار كرامته ورضا العبد عنه ان لا يحتاج فى سره الى حز ازة من وقوع قضاء من اقضية الحق به بل يجد لذلك فى قلبه برد اليقين وقلج الصدر وشهود المحبة العظمى وزيادة الطمأنينة وبين رضى ورضوا اشتقاق كيخطو وخطاء الآتيين (فبسبب ما ذكر من اوصافهم وختمها بما فى الآية فى حقهم (انى) استفهام انكارى تعجبى أى كيف (يخطو اليهم) أى يصل اليهم اذا الخطوة ما بين القدمين (خطاء) وهو بالمد لوزن لغة فى الخطا بالقصر نقيض الصواب يعنى لا يخطئ أحد منهم خطأ يأثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا أخطأ له أجر وهذا كالذى قبله مأخوذ من عدة احاديث ذكرتها فى الصواعق المحرقة مع ذكر مخرجيها وهنا ذكر منها جملة تعرية عن ذلك اتكالا على اسانيدها ثم منها ان الله تعالى اختارنى واختار لى اصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا اى لا فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه واذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه ما شأنكم وشأن أصحابى ذروا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه

وفي رواية للشيخين وغيرهما لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقي أراذل اي غالبهم وفي رواية متفق عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وهو اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته (جاء) الى النبي صلى الله عليه وسلم (قوم) من الصحابة رضي الله تعالى عنهم (من بعد قوم) وهكذا السابقون الاولون ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما في اول صحيح البخاري عن هرقل انه سأل ابا سفيان رضي الله تعالى عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شأن الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجيء الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وانظر ما يقال اي فائدة في هذه الجملة من كلام الناظم وهل هي الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة أو دفعات وكلهم متلبسون (بحق) فلا مطاعن فيهم لطاعن وما تقمله الرافضة ونحوهم عليهم فلم يصح منه شيء أصلا وانما هو من مقالات الجاهلين ووضع المفترين (وعلى المنهج) اي الطريق الواضح (المنيف) اي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج (جاؤا) كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك (ماموسى) كليم الله تعالى (ولا عيسى) روح الله صلى الله عليه وسلم (حواريون) جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب اي يقصرونها او من الحوارى وهو الدقيق الابيض لبياض ألوانهم (في فضلهم) بشهادة نص آية كنتم خير أمة اخرجت للناس وحديث خير القرون قرني وفي رواية خير الناس قرني وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه الامة في اللوح المحفوظ أوصافا فبهرته فقال يا رب اجعلني منهم (ولانقباء) في فضلهم ايضا وهو اف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك (بابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه فهو عطف على بالعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده أبدال تفصيلية من باصحابك (الذي) تميز عن سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما كان كالصريح في انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أفضلهم بل أفضل ما عدا الانبياء والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين

مرير تهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها (قوله أو من الحواري) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء

عوف كان بينه وبين خالد شيء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا الخ وقد كتب عليه هذا ان الخطاب للصحابة السابقين نزلهم لسبهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره ويؤيده ما ذكره بعد هذا الحديث هناك من قوله يا خالد ذر والي اصحابي متى يبلغك الى آخر ما ذكره من الرواية (قوله ولا نصيفه) بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر (قوله خير الناس قرني) القرن هو القدر المتوسط من اعمار أهل كل زمان وهذا أعدل الاقوال في معنى القرن والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه اه من المواهب ثم قال وأما قوله الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين (قوله سخطة لدينه) بضم السين وفتحها وأخرج بهذا من ارتد مكرها أو لا يسخط لدين الاسلام بل لرغبة في غيره لحظ نفساني كما وقع لعبيد بن بجش (قوله جمع حواري) عبارة البيضاوي حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للعذريات لخلوص ألوانهن تسمى به أصحاب عيسى لخلوص نيتهم وصفاء

والمرسلين أفضل من أبي بكر وهو ماصح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري فالذي يسع أحدا من المبتدعة انكاره (صح للناس به في حياته الاقتداء فاعل صح والظروف متعلقة به في ثلاث الطرق ما أخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يارسول الله انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فعادت لقولها فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انهم المارا جعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا أبا بكر وفي أخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها بتشاؤم الناس به لقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي أخرى انه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان أخرج رأسه مغضبا لا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وفي أخرى انه خرج فجر الاثنين يوم موته فكشف ستجف حجرته فرآهم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحابه صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي صلى الله عليه وسلم ضحى وفي البيت التلميح بهذه القصة قال العلماء فيه أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم أجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله تعالى اى اعلمهم بالقرآن صريح في انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم حتى علي قال لقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس وانى لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المؤمنون ومن الظواهر أو الصرائح على خلافته أيضا ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة في مرض موته ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل انا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وفي رواية ائتوني بكتف ودواة اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في أبي بكر وصح ان قوما سألوا انسا ان يسأل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون اليه زكاتهم بعده فسأله فقال الى أبي بكر وأخرج الشيخان ان امرأة اتته فأمرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئتك ولم أجدك كانها تقول بعد الموت فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجديني فأتي ابا بكر ومنها ما اخرجه الشيخان من عدة طرق رأى انه على بئر لم تطو ينزع منها بدلو فأخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع

(قوله يأبى الله) اى لا يريد الله والمسلمون الخلافة بعدى الا أبا بكر (قوله سجف) قال في القاموس السجف و بكسر وكتاب الستر والجمع سجوف واسجاف

منها

منها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابى بكر فاستحالت فى يده غربا اى دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن اى حتى رووا قال العلماء هذا اشارة الى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضى الله تعالى عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمنه وبقيت ادلة اخرى سمعية آيات واحاديث كثيرة تدل على حقية خلافته وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان فى كتاب الصواعق السابق ذكره (والمهدى) اى المسكن للفتنة والاضطراب فى امر الخلافة (يوم السقيفة) التى لبنى ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه (لما) اى حين (ارجف الناس) اى اضطربوا فى أمر الخلافة وبين المهدى اى المسكن وارجف والقرباه والاباعد وتقرب وتبعد الطباق (انه) تعليل للمهدى ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها للاستئناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية (الاداء) اى المسكن للاضطراب لاغيره وكأن مراده أنه المشهور قديما وحديثا بانه يسكن الفتن ويجلى كربها وفى الصحيحين عن عمر رضى الله تعالى عنه انهم لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم مدح الانصار واطنب بحيث لم يترك آية او خبرا جاء فيهم الا ذكره ثم ذكر ان قومه يريدون ان يستبدوا بالامرة عليهم ثم سكت فاراد عمر أن يخطب بما زوره اى جمعه فى قلبه فأشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما أبا عبيدة فأخذ بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائلهم قتلتم سعد بن عبادة اى لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يؤدبه بما يراه ان يقول فى حقه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابى بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر وما بايعوه صعد الغد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فأعينونى وان اسأت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ثم نظر فلم ير عليا فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل

(قوله فاستحالت) اى تحولت من الصغر الى الكبر ومعنى ضرب الناس بعطن اى حتى أرووا ابلهم ثم آووها الى عطنها وهو الموضع الذى تساق اليه بعد السقى لتستريح اه شرح مسلم للنووى (قوله الحباب) بهملة مضمومة فموحدة (قوله وتحمس) اى تشدد وتعاصى اه صحاح (قوله قتلتم سعدا) وتوجه للشام فمات بحوران فى خلافة عمر

كل منهما حينئذ على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابي بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا اكثر الفرق واقسم عليك يا بني بكر الخاءل لذلك حال كونه كرم الله وجهه (انقذ) بالقاف والذال المعجمة (الدين) وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اي نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم (بعدما) مصدرية (كان) اي وجد (للدين) متعلق هو وما بعده بما وهو اشفاء (على كل كربة) اي غم يأخذ النفس ويصح كونها ناقصة وللدين خبرها (اشفاء) اي اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه والله لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوها ردت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصعقوا اليه وتركوا عمر فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كانه لم يسمعها الا حينئذ فكان هو المثبت لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا في محل دفنه اختلافا شديدا كاد ان يفضي الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه رضي الله تعالى عنه كان أحفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكاة وبمسيلمة الكذاب وحال كونه (انفق المال) الكثير الذي كان بيده اي صرفه في مصارف الخير حتى نفد جميعه (في) اي بسبب او من اجل (رضاك) يا رسول الله كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى آخر السورة قال ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه لله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح به الحديث الصحيح ما عجب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس اي المذكور في سورة يس اي حبيب النجار افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس من الناس احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذي حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد

(قوله متعلق هو وما بعده باسمها) صوابه بناءها لانه جعلها في حالة تامة حيث قال اي وجد واما احتمال نقصه فقد ذكره بقوله ويصح كونها ناقصة (قوله نحن معاشر الانبياء الخ) رواية النسائي في السنن منفردا عن سائر الكتب الستة انا وكذا رواية الحميدي والهيثم وآخرين فقد رواه الشارح بالمعنى (قوله الا خوخة أبي بكر) ورواية الا خوخة علي وهم من الراوي كما قاله السروطي

كافانا بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر والطبراني ما أحد عندي أعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال أبي بكر ولا يناقضه حديث البخاري ان صلى الله عليه وسلم لم يأخذ منه الراحلة الى دار الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابرأه منه وصح انه كان بينه وبين عمر شيء فسأله ان يغفر له فأبى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فندم عمر فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى أشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فما أوذي ابو بكر بعدها وفي رواية في قصة نظير هذه الا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظله الا باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج احمد وآخرون عن الجماعة من الصحابة ان صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب رضي الله عنه مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساكر انه اسلم وله أربعون ألف دينار وفي رواية أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال جبريل فان الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل له اراض انت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه أأسخط على ربي أنا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة واخبر ان الله أمر ملائكته ان يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولا انه كالذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما أولى وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه أمر نا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق ابا بكر مع اني ما سبقته يوما قط فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت النصف ثم جاء ابو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شيء أبدا (و) الحال انه (لا منّ) منه عليك بما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمنّ ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا

(قوله يتمعر) اى يتغير (قوله بطنفسة) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء واحدة الطنافس للبسط والثياب وللحصير من سعف عرضه ذراع والطنفس بالكسر الردي والصحيح القبيح اه قاموس

على نحو متصدق المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له أو يذكره لمن لا يحب
اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (واعطى) لله تعالى عطاء (جما)
اى كثيرا فى وجوه الخير العامة والمصالح الدائمة منها اعطاؤه ثمن محل مسجد النبى صلى الله
عليه وسلم كما فى حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء واقام به بضعة عشر
يوما ركب ناقته ونهى ان يأخذ أحد بزمامها وقال دعوها فانها مأمورة فاسقرت الى ان
بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت على باب دار أبى
أيوب الانصارى من بنى النجار احد اخوال جد النبى صلى الله عليه وسلم عبد المطلب
وكانت دارهم أوسط دور الانصار وأفضلها ثم قامت وبركت فى مبركها الاول والقت
باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا
المنزل ان شاء الله تعالى ثم ساوم بنى النجار فى تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها
من مال أبى بكر رضى الله تعالى عنه وكان قد خرج بماله كله وكان له من السبب فى
المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره الا الله تعالى واشترى أيضا
جماعة اسلموا كان يعذبهم أهل مكة العذاب الاليم منهم بلال وغيره وأعتقهم (ولا اكداء)
اى ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى (والى) اى واقسم عليك بالبى
(حفص الذى أظهر الله به الدين) كما جاء فى سبب تسميته بالفاروق أخرج أبو نعيم فى
الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس انه سئل عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة
أسلم قبله بثلاثة أيام وانه خرج الى المسجد فسب أبو جهل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر
حمزة فأخذ قوسه وجاء فضرب بها احد خدى ابى جهل فقطعه فسالت الدماء فاصلحت
بينهما قريش مخافة الشر والنبى صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم
وبعده بثلاثة أيام انكر عمر على من أسلم فقال له ان اختك وختنك اى سعيد بن زيد أحد
العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاءه فضرب رأس أخته فادماه فقالت له كان ذلك
على رغم انفك فاستحيا حين رأى الدماء وجلس وسألها ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه
الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الآيات فعظمت فى صدره فقال له خباب وكان النبى
صلى الله عليه وسلم أرسله لتعليم أخته وزوجها انى لارجو ان يكون الله خصك بدعوة
نبيه فانى سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمر بن هشام اى أبى جهل أو بعمر بن
الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فضرب الباب
فاستجمع القوم فقال لهم حمزة مالكم قالوا عمر قال افتحوا الباب فان أقبل قبلناه
وان ادبر قتلناه فسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار
تكبيرة سمعها أهل المسجد فقالت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قالت ففيم الاخفاء
فخرجنا صفين انا فى احدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى

(قوله وصل قباء) بالمد والقصر
(قوله احد اخدى ابى جهل) الاخدع عرق فى موضع المحجمتين وهى شعبة من الوريد وهما اخدعان وربما وقعت الشرطة على أحدهما فينزف صاحبه وفلان شديد الاخدع اى شديد موضع الاخدع (قوله فاخرجوا اليه صحيفة) لعل ذلك قبل علمهم بان شرط صحة الطهر الاسلام (قوله فاستجمع القوم) فى المختار تجمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا والمراد هنا اجتمع بعضهم ببعض من الخوف من عمر رضى الله تعالى عنهم

حزة فاصابتهم كآبة شديدة فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله به بين الحق والباطل وفي رواية انه لما أظهر اسلامه صار ويضربونه ويضربهم حتى أجاره خاله قال فما زلت أضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام وصح أنه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأن المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا (ف) بسبب قوته في الله تعالى وشدة شكيمته كما علم مما تقرر (ارعوى) اى رجع واقلع وانكف (الرقباء) اى الاعداء مما كانوا عليه من الافساد في الدين وعدم النصح له وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالامور العظيمة التي كانوا يتعاطونها معهم (و) هو أيضا الامام العدل القوي في الله تعالى (الذي) ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك (تقرب الاباعد) عنه في النسب (في) اى بسبب أو لاجل (رضا الله اليه) متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال آنفا وفي هذا البيت من أنواع البديع العكس نحو لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية والاكتفاء وهو حذف شئ دل عليه ما قبله كما قررته ورد العجز على الصدر والارصاد وهو ان يتقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الآية (وتبعد) عنه (القرباء) اى اقرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا وانه لا رياء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محض نظره انما هو لله لا غير وطاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد عنه (عمر بن الخطاب من) موصولة (قوله الفصل) اى الفاصل بين الحق والباطل (ومن حكمه السوى) اى الذي لا اعوجاج فيه (السواء) تاكيدا المعتدل وهذا أولى من جعل الشارح السوى صفة حكم والسواء خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك (فر) اى هرب (منه الشيطان) اى ابليس وكل عات متمرد جني أو انسي (اذ) اى لاجل انه (كان فاروقا) ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مرادا لما مر ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث (ف) بسبب ما منحه الله من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان منه (للنار) التي هي أصل للشيطان (من سناه) بالقصر اى ضوئه (انبراه) اى انمحاء والاصل في ذلك الاحاديث الصحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على

(قوله ورشدة شكيمته) الشكيمة بالفتح الانفة والانتصار من الظلم وقال في الصحاح فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس ابيا لا ينقاد (قوله العكس) وهو ان يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ويقع على وجوه منها بين احد طرفي جملة نحو عادات السادات سادات العادات ومنها ان يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومنها ان يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو لا هن حل لا يه وقول الحسن بن سهل وقد قيل له لا خير في السرف لا سرف في الخير اه من بعض شراح بديعية الصفي الحلي (قوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) قال في الاتقان وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ فأجاب ابن المنير بان فائدته الاشارة الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة (قوله دل عليه ما قبله) وهو قوله وارعوى الرقباء فان اخباره بانكفاف الاعداء وزجرهم من غير تقييد باجانب ولا أقارب يقتضي ان غير أعداء الله هم الذين يقربون منه سواء كانوا أجانب أو أقارب

(قوله والانس) المراد بشياطين الانس المرتكبون خلاف المطلوب شرعا فقد وردان الحبشة كانت تلعب بالحراب في المسجد فرمر فتنحوا فقال صلى الله عليه وسلم انى لانظر الخ ومن ذلك حديث المرأة التي قالت يارسول الله انى نذرت ان ردك الله سليما من غزوة كذا ان أضرب بين يديك بالدف

واتغنى فجاء أبو بكر وغيره فلم تلق الدف فلما دخل عمر القت الدف تحت استها فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق من عمر اه وجعل ما في الحديث الاول من فعل الشيطان اما لكونه في المسجد او لكون اللعب كان بالمراماة اي رمي الحراب جهة كل من المرماة والاقامة السابقة بالحراب مطلوبة وفي الحديث الثاني لكونه غير مطلوب وان كان جائزا لان كلا من الضرب بالدف وسماع صوت المرأة غير محرم والا لما أقرها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأمل (قوله يا اوخى) التصغير ولذا يكتب بواو بعد الهمزة فرقا بينه وبين أخى المكبر (قوله وعليه قميص) قال أهل التعبير القميص في النوم معناه الدين وجره يدل على ابقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة بالمسلمين بعد وفاته ليقتدوا به (قوله جمع يد) وأصل اليد الجارحة وتطلق مجازا على النعمة والاحسان وهو المراد هنا اه شرح المالكي لكن قوله بها يقتضي ظاهره ان المراد بها الجارحة والا لقال اسداؤها وقد يقال فيه استخدام حيث ذكرها أولا بمعنى النعم وثانيا بمعنى الجوارح تأمل قال بعض محشي المطول وفيه ايراد جمع الجمع مبالغة في كثرة النعم (قوله بئر رومة) بضم الراء وسكون الواو وفتح الميم اسم صاحب البئر الذي كان يسقي منها (قوله اشترى نصفها الخ) يمكن الجمع بين ذلك وما سيق بان المائة والثمن اليسير قدر عشرين ألف درهم (قوله فاشتراها بخمسة الخ) تقدم انه اشتراها بعشرين ألف درهم فانظر المعمول به من الروايتين أو ما يفيد الجمع بينهما ويمكن ان يجمع بان الثمن عشرون ألفا والمصروف في حفرها خمسة عشر فجوز واطلق الاشتراء على الجميع

لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفرق منك يا عمر وفي رواية انى لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وفي أخرى أتاني جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وغضبه عز وفي أخرى الحق بعدي مع عمر حيث كان وفي أخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم الا خر لوجهه وفي أخرى الصدق بعدي مع عمر حيث كان وفي أخرى عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وصح حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أوخى أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا حتى كانى أنظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قال فما اولت يارسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على السنتهم (وابن) اى واقسم عليك بذى النورين ابى عمرو عثمان بن (عفان ذى) اى صاحب (الايادى) اى النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحة جمع أيد بدليل قافي الناظم به في البيت بمعنى النعمة أيضا (التى طال) اى عظم وامتد (الى المصطفى) على الخلق كلهم اى لمختارته ومن الاصطفاء وقيل المصطفى المنتقى من كل شيء وكدرفهو من التصفية (بها) متعلق بقوله (الاسداء) اى الاعطاء (حفر البئر) اى بئر رومة وذلك انها كانت ليهودي في الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها وهي موجودة الى الان فتوابها مستمرله الى قيام الساعة وفي رواية ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البئر اشترى نصفها بمائة بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما بيوم فهذا يوما ولها هذا يوما ولها فجعل الناس ينتفعون ويستقون منها في يوم عثمان ليومين فلما رأى صاحبها ان قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذي يبيعه للناس منها باع عثمان النصف الثاني بشيء يسير فتصدق عثمان بها كلها * (تنبيه) * تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها ويجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد في تعميقها مبالغة في تكثير مائها لشدة احتياج الناس اليها ثم رأيت بعض المتأخرين صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم

(قوله العسرة) بالسين المهملة واما العشيرة بالمعجمة مصغرا فغزوة أخرى غير غزوة تبوك كذا فى المواهب قال فى القاموس وجيش العسرة بالضم جيش تبوك لانهم ندبوا اليها فى حارة القيظ فعسر عليهم اه وقال فيه أيضا تبوك أرض بين الشام والمدينة وقال الكواشى فى تفسير قوله تعالى والذين اتبعوه فى ساعة العسرة ولم يرد ساعة بعينها والمراد الذين اتبعوه فى غزوة تبوك ويسمى جيش العسرة لقلة الظهر كان العشرة يتعقبون على البعير الواحد والزاد والماء وشدة الحر حتى كادت اعناقهم تتقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره واعتصر ماء فرثه فشربه وجعل فرثه على صدره (قوله باحلاسها) الحلس بالكسر كساء رقيق تحت الرحل ويقال حلس مثل شبيه وشبه والاقتاب جمع قتب وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير اه قاموس (قوله على ألف بعير الخ) لا مانع من انه بعد ما التزم بثلثمائة واثنى عليه رسول الله بذلك زاد حتى بلغ ما ذكر من الابل والخيل والدنانير تارة بالف وتارة بعشرة آلاف فيحصل الجمع بين الروايات (قوله اشترى عثمان الجنة من النبى مرتين) واذا نظرت الى شرائه المربد وشرائه النخل الاتيين وقد وعد فيهما النبى صلى الله عليه وسلم من اشتراهما بالجنة صح ان تقول قد اشترى عثمان الجنة من النبى اربع مرات (قوله المربد) كمقود الموضع الذى يحبس فيه الابل وغيرها واهل المدينة يسمون الموضع الذى يجفف فيه التمر مربدا وهو المسطح والجرين فى لغة اهل نجد اه صحاح

(جهز الجيش) اى جيش العسرة فى غزوة تبوك أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يا رسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش فقال عثمان رضى الله عنه يا رسول الله على مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يا رسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها بيده وهو يقول ما ضر عثمان ما فعله بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يالى ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله تعالى ولا انشد الا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرته فصدقوه فيما قال وصح عن ابى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا وله الجنة وأجره فى الدنيا ما بقى درجات له فاشتريته بعشرين ألفا وزدته فى المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز جيش العسرة وحفر البئر فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال رضى الله تعالى عنه ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكرانهم سيقولون ذلك فى غيره فكان كذلك فى على حين خرجوا عليه واستشهد الصحابة على خصوصياته فشهدوا له فقالوا صدقوا ولكنك غيرت وفى رواية أن محمد بن أبى بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه فى بيعة الرضوان وانه قال من يشترى هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله فى الجنة فاشتراه عثمان رضى الله تعالى عنه وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم على أنطاع الحوارى بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلوى فى الاسلام وانهم ظموا ظما شديدا فحفر لهم بئر رومة فأعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف فيهم والقوى سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما فأخذ ثلاثا وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم

اثنتي عشرة فدعاله بالبركة فيما أعطى وفيما أمسك وانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالف أصفر فصبها في حجره فقال ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير بحراء فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم بقدمه وقال اثبت حراء فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد كل ذلك ومحمد يقول نعم

(تنبيه) قال ابن مالك من أحسن شواهد قول الكوفيين وآخرين ان أو تزيد في الواو هذا الحديث الاخير (أهدى الهدى) الى مكة وأرسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في ذي القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعه قريش من دخول الحرم (لما) اى حين (ان صده) عن الدخول اليها (الاعداء) اى المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك أن هديه وصل الى مكة بخلاف هدى غيره لكن انما ذلك لعزة قومه دون غيره ففي الخصوصية حينئذ تأمل بل قضية اديه الآتي من تركه الطواف ترك ارساله الهدى حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال أنه أخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم فحينئذ هو لم يرسله الا وقد أيسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتفسيري للما هذه بحين هو مذهب البيه جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة وهي تقتضي جملتين وحذف الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية ويجادلنا في فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته الآية مؤول بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثناء بخوان كل نفس لما عليها حافظ في قراءة من شدد الميم وفي هذا كالسوى والسواء ويعدو الاباعد ويقرب والقربا وأدب والادبا جناس الاشتقاق أو شبهه (وأبى) رضي الله تعالى عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذي وقع فيه ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليقع الصلح بينهم على ان يرجع في هذه السنة ولا يدخلها الا يقول الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة في غلافها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة في السنة الثانية ولما أرسله أمسك سهيل بن عمرو عثمان بدله وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستأذن لنا لنخلو بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس هنالك أحد من بني عمي يمنعني ولكن ارسل عثمان فان بني عمه يمنعونه فأرسله ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها الاداء ما جاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدى دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى اى امتنع حينئذ (أن يطوف بالبيت اذ) تعليلية (لم يدن) اى يقرب (منه) اى البيت (الى النبي) متعلق بيدن (فناه) وهو ما تقدم من جوابه ولما

(قوله مؤول بجادلنا) اوان الجواب محذوف اى أقبل يجادلنا كما في المغني اى فالواجب أحد أمرين اما تأويل المضارع بالماضي واما تقدير ماض قبل المضارع وهو أولى الوجهين

احتبس بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على أن لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاى ولما بايعه الناس على ذلك بمكة وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفى البخارى فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفى رواية للترمذى أن عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفى هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (فى) بسبب ما وقع من عثمان من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه اشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لاسيما لاكابرهم كعثمان ومن تأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم له فيه (جزئه عنها) اى تلك الفعلة التى فعلها من الذهاب اليهم والامتناع من الطواف (ببيعة) اى فى بيعة (رضوان) وسميت بذلك لما فى الآية الثانية من رضى الله عنهم بسببها (يد من نبيه) صلى الله عليه وسلم اى عثمان (بيضاء) اى بالغة فى الكرم الذى عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولا تجازيه تلك اليد البيضاء بذلك والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول (أدب) عظيم جدا (عنده) رضى الله تعالى عنه ومن عجيب هذا الادب أنه حصل فيه أمر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك أنه مع كونه ترك الفعل العبادة (تضاعفت الاعمال) التى فى ذلك الفعل وهو الطواف اى ثوابها (بسبب الترك) لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان من السبق مالم يبلغه غيره فلذا حق أن يقال فيه وفى أمثاله على سبيل المدح (حبذا الادباء) فهو تميم بديع وعثمان رضى الله تعالى عنه من أجل الادباء لانه كان عنده من الحياء الذى هو منشأ الادب مالم يكن عند غيره وهو من أجلهم كيف وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حقه وقد استحى منه صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه فى بئر أريس لجمع ثيابه ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة وروى من غير طريق أشد أمتى حياء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عثمان أحيى أمتى وأكرمها عثمان حى ستير تستحى منه الملائكة اذا الملائكة تستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله انما يشبه عثمان بأبينا ابراهيم عثمان ولى فى الدنيا وولى فى الآخرة لو أن لى أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة وما زوجتكها الا بالوحى من الله تعالى وصح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرفها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وانه صلى الله عليه وسلم قال له ان الله مقمصك قميصا

(قوله بلغ النبي الخ) عبارة المالكى اشاع أن عثمان قتل (قوله وقال هذه عن عثمان) اى لانه لم يصدق بموته والا لما احتاج للمبايعة عنه (قوله وجمع القرآن) اى فى المصحف على ترتيبه المعروف اليوم والا فمن جمعه الصديق

اى سوليك الخلافة فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم الدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدى اليكم عهدا وأنا صابر عليه وفى البخارى أن بعض أعدائه جاء الى ابن عمر ورماه بأنه فر يوم أحد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم أحد وان تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمرض بنته رقية وقال له ان لك أجر من شهد بدرا وسهمه وان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان أعز أهل مكة فأرسله فى حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور يريد قتله انه اختبأ عند ربه عشرا وانه رابع اربعة فى الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنته وما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا واعتق فيها رقبة اى فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعلى) اى وأقسم عليك بعلى وسبق منه الاقسام به ايضا وانما لم يكتف به لان ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهى برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق من أن الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فأحق الصحابة بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الامام الشافعى رضى الله عنه قطعى لانزاع فيه بعتد به ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية على وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها من النبى صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية عثمان على على ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابى هريرة رضى الله عنه كنا معاشر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل تجب محبتهم برعاية أفضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وجب ترتيبهم كترتيبهم المذكور وان كانت لقصور قرابة أو احسان لم تجب رعايتها كذلك (صنو النبى) صلى الله عليه وسلم اى مثله لاجتماعهما فى أصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو ابيه وهو من هذا القبيل (ومن) اى الذى (دين) اى اعتقاد (فؤادى) اى قلبى (وداده) اى حبه (والولاء) له اى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو برى منه وذلك

(قوله وعلى) قال ابن الجوزى لا يعرف خليفة هاشمى الابوين الا اثنان على ابن ابى طالب بن هاشم وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم ومحمد الامين بن الرشيد وامه أم جعفر بنت جعفر بن المنصور (قوله متوافرون) اى كثير

عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ولتأكيد الذب عنه لكثرة أعدائه من بني أمية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه مدة الف شهر حتى على المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله رضي الله عنه نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسمعيل القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد الصحاح الحسان اكثر مما ورد في حق علي فمن ذلك ما صح أن الله تعالى يحبه وان رسوله صلى الله عليه وسلم يحبه بل روى الترمذي انه كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن المراد بالناس بنو هاشم حتى لا ينافي ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آية المباهلة لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء اهلي وانه قال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وان الله تعالى امره أنه يحب اربعة واخبره بأنه يحبهم منهم علي وانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وأنه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت وان قاتله اللعين ابن ملجم أشقى الآخرين كان عاقر الناقة اشقى الاولين (ووزيرا ابن عمه) النبي صلى الله عليه وسلم اي ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم ونائب عنه (في المعالي) الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة والشرف وأصل هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح قوله أودعتهما الزهراء وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني الا علي والترمذي أنت اخي في الدنيا والآخرة والخطيب على مني بمنزلة رأسي من بدني وابن عدي علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين والبزار على يقضي ديني والنسائي والحاكم ان كل نبي أعطي سبعة نجباء وأعطيت أنا اربعة عشر على والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث واحد أنت اخي وابو ولدي تقاتل على سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في علي ثلثمائة آية وليست الوزارة خاصة به رضي الله تعالى عنه فقد أخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي من اهل الارض فأبو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفي رواية هما مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس واخرج الطبراني وابو نعيم ان الله أمدني باربعة وزراء

(قوله من كنت مولاه الخ) اي من أحبني وتولاني فليتولاه اه هروي (قوله ومبغض مبهت) قال الجوهري بهته بهتا وبهتانا فهو مبهوت اي قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت (قوله ومر الكلام عليه) وسيأتي قريبا اينا في شرح قوله

لم يزده كشف الغطاء يقينا

زيادة بسطه في الشرح وما كنا ناه عليه

اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابو بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين ووزيراى صاحباى ابو بكر وعمر قيل قد يشتشكل ذكره الوزارة فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التي هي كوزارة هرون اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما يأتي قريبا من المبطل لذلك الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخا دون غيره وأرسله مؤذنا على الناس ببراءة في الموسم مع أن الخليفة على الحج ابو بكر لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه بها فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفه بما هو أعظم منها وأجل (ومن الاهل تعد الوزراء) تذييل مناسب لما قبله وفيه رد للحجز على الصدر ومن ثلث السعادة ما أمده صلى الله عليه وسلم به من المؤاخاة فقد اخرج الترمذي وحسنه صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة ومنها العلوم التي اشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد العلم فليأت الباب وفي اخرى عند الترمذي أنا دار الحكمة وعلي بابها وفي اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووي رحمه الله تعالى على انه موضوع والحاكم صححه وصرح بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحب ما شككت في قضاء بين اثنين وقيل له مالك أكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن يعني عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي رضي الله تعالى عنه وذكر عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انه أعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله تعالى فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل ام في جبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي أفيضت عليه من تلك الحضرة النبوية (لم يزده كشف الغطاء يقينا) كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عيانا واحترزنا بنفي زيادة اليقين نفسه

(قوله يقينا) في الفتوحات الالهية في نفع أرواح الذوات الانسانية لشيخ الاسلام زكريا الانصاري ما يوضح المقام ونص عبارته اليقين فلهو نور الحقيقة في قلب المؤمن عند كشف الاستار البشرية بشهادة الوجدان والذوق لا بدلالة العقل والنقل وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع ويطلق اليقين مجازا على نتيجة ذلك وهي اطمئنان القلب ووثوقه بوعود الله تعالى ليستريح العبد من تعب الشقاء في تحصيل المرافق الدنيوية فيكون حقيقة فيما هو من قبيل الاحوال والمقامات مجازا في ثمراتها وقيل مشترك بينهما وعلم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان وحق اليقين ما حصل عن عيان ومباشرة فالاول منها كمن علم بالدليل وجود الجنة والثاني كمن حضرها وشاهدها والثالث كمن شاهدها ودخلها (قوله من البراهين) هذا بيان لعلم اليقين المتصف به هذا الامام كرم الله وجهه كما تصافه باليقين نفسه قبل نظره في الدليل فانه قد ظهر نور الحقيقة في قلبه عند ازالة اشغال البشرية عنه في حال تميزه وذلك بادر بالاسلام قبل بلوغه فتأمل

عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك أن عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فأثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافاة فيما قاله على كرم الله وجهه خلافا لمن وهم فيه (بل) للانتقال (هو) اى علي في فضله وعلمه وزهده وتقدمه على من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقية خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة (الشمس) اى مثلها في الظهور والاضاءة التي لا يلتفت فيها الى تقول متقول ولا عناد معاند كيف وهو مع ذلك (ما عليه غطاء) اى ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد أخرج الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي رضي الله عنه ثماني عشرة منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وأبو يعلى عن عمر قال أعطي علي ثلاث خصال لان تكون لي خصلة منها أحب الي من أن أعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك وأخرج الطبراني والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب ابن أبي طالب وما أحسن قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي أحوج اليك منك اليها وقول أحمد وقد سأله ولده عن علي ومعاوية اعلم أن عليا كان كثير الاعداء فتتش له أعداؤه مثالب فلم يجدوا فخاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نام في حجره وهو يوحى اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم وعلم أنه لم يصل دعا الله تعالى أن يرد الشمس فعادت حتى ظهر وضوءها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي هذا كرامة له باهرة ولعل الناظم أشار اليها بتشبيهه بالشمس * (تنبيه) * مما يدل على أن الله سبحانه وتعالى اختص عليا من العلوم بما تقصر عنه العبارات قوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي وهو حديث صحيح لا نزاع فيه وقوله أنا دار الحكمة ورواية أنا مدينة العلم وعلي بابها فقد كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه بما يطول بسطه وملخصه أن لهم فيه اربعة آراء صحيح وهو ما ذهب اليه الحاكم ويوافقه قول الحافظ العلائي وقد ذكر له طرقا وبين عدالة رجالها ولم يأت احد ممن تكلم في هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن يحيى بن معين وبين ردها طعن فيه في بعض رواته كشريك القاضي بأن مسلما احتج به وكفاه بذلك فخرا له واعتمادا عليه وقد قال النووي في حديث رواه في البسملة ردا على من طعن فيه يكفينا أن نحتج بمن احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه ما رأيت احدا قط اورع منه في علمه حسن وهو التحقيق ويوافقه قول شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد السلام الهروي فأنه ضعيف عندهم انتهى وسبقه الى آخر كلامه الحافظ العلائي فقال عن الهروي هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى ويعارض ذلك تصويب ابي زرعة على حديثه ونقل الحاكم عن يحيى بن معين انه وثقه

(قوله ولعل الناظم الخ) انظر ما وجه كون ذلك التشبيه مشيرا لما ذكر

فثبت انه حسن مقارب الصحيح لما علمت من قول ابن حجر ان رواته كلهم رواة الصحيح الا الهروى وان الهروى وثقه جماعة وضعفه آخرون ضعيف اى بناء على رأى من ضعف الهروى موضوع وعليه كثيرون أئمة حفاظ كالقزوينى وابن الجوزى وجزم ببطلان جميع طرقه والذهبى فى ميزانه وغيره وهؤلاء وان كانوا أئمة أجلاء لكنهم تساهلوا تساهلا كثيرا كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرر ان رجاله كلهم رجال الصحيح الا واحدا فمختلف فيه ويجب تأويل كلام القائلين بالوضع بان ذلك لبعض طرقه لا كلها وما احسن قول بعض الحفاظ فى ابى معاوية احد رواته المتكلم فيهم بما لا يسمع هو ثقة مأمون من كبار المشايخ وحفاظهم وقد تفرد به عن الاعمش فكان شاذا واى استحالة فى انه صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا فى حق على وقول بعض المحققين تمسك الشيعة بهذا الحديث على أن اخذ العلم والحكمة مختص بعلى لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطته لان الدار انما يدخل اليها من بابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب اه وفى حديث عند الواحدى لكنه ضعيف وعلى بابها وابو بكر محرابها الحديث واحتج بعض من لا تحقيق عنده على الشيعة بان على اسم فاعل من العلو اى عال بابها فلا ينال لكل احد وهو بالسفساف اشبه لا سيما وفى رواية رواها ابن عبد البر فى استيعابه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأته من بابه اذ مع تحديق النظر فى هذه الرواية لا يبقى تردد فى بطلان ذلك الرأى فاستفد هذا وعلم مما قدمته أنه الحقيق بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم أنه لا اجماع على خلافته رضى الله تعالى عنه وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اى من الصبيان واعتد باسلامه حينئذ لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه وألحق به الصديق فى ذلك وآخاه النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحى وهو أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدى عنه ودائعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر رضى الله تعالى عنه فأذن فى الناس بالموسم بنبذ سورة براءة لان العرب لا يعتدون بما يجئ على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله ومن ثم جاء فى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو حاضر عقب فتح مكة فكان مما قاله اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولأبعثن اليكم رجلا منى كنفسى يضرب أعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه

وسلم

(قوله ومن ثم اختص) عبارة الشارح فى الفتاوى وجه اختصاص على بذلك عوضا عن الترضى انه لم يسجد لصنم قط فناسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من تكرمة الوجه والمراد به حقيقته او الكناية عن الذات اى حفظه أن يتوجه لغير الله فى عبادته ويشاركه فى ذلك ابو بكر فانه لم يسجد لصنم أيضا كما حكى عنه فناسب أن يدعى له بذلك وانما كان استعمال ذلك فى حق على أكثر لان عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه لانه أسلم وهو صبى مميز فان قلت كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعبادلة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم ومع ذلك لا تقول الناس فيهم ذلك بل الترضى كغيرهم قلت هؤلاء ونظراؤهم انما ولدوا بعد اضمحلال الشرك وخمود نار الضلالة والفتنة فلم يشابهوا ذينك الامامين فى تركهما اكبر فتن الشرك من السجود للصنم مع دعائه اهله للناس لذلك ومبالغتهم فى ايذاء من ترك ذلك وكان فى الترك حينئذ مخالفة الآباء والاقارب وتحمل المشاق التى لا تطاق من الدلالة على الصدق ما ليس فيه بعد ظهور الاسلام وزهوق الضلال فناسب حالهما أن يميزا عن بقية الصحابة بهذه الخصوصية العظمى رضى الله عنهما وكرم وجههما

وسلم المشاعد كلها وكان له فيها اليد البيضاء الاتولى فانه استخلفه فيها على المدينة وقال له لما قال له حينئذ أتخلفني مع النساء والصبيان أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي وبكونه انما قال له حينئذ يبطل تمسك الشيعة به على أنه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات في حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا وتوفي علي كرم تعالى الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكا اليه ما لقي وقال له ادع لي فدعا له ان يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه وا كثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان عنده أوز فلما خرج للصلاة صحن عليه فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما وأما عمر فقتله أبو لؤلؤة مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له الى أن ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح وهو يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفن مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستأذن عائشة رضي الله تعالى عنها في ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسي فلآثرنه به فاشتد فرحه بذلك وأما عثمان فاجتمع على قتله أربعة آلاف مجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في أواسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل توهما منهم انه أراد قتل محمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم وهو بري من ذلك وانما افتعله عليه بعض أهله وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله مرتين فقال رضي الله عنه لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وأنا صائر اليه ومن ثم كان عنده في الدار مما يمكه الكثيرون فأرادوا ان يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل وامر ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة من بعدي وستريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي كما مر في الاحاديث وصح ان عثمان رضي الله تعالى عنه أشرف من كوة فقال لعلي يا أبا الحسن ما هذا الذي ركب متني فقال اصبر يا أبا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال له اثبت أحد فانه ليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وايم الله لتقاتلن معك أي

(قوله أن تكون مني بمنزلة الخ) الباء زائدة اي انت نازل مني منزلة الخ وأفاد قوله الا أنه الخ أن الاتصال بينهما ليس في النبوة بل ما دونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته (قوله على ان هرون مات في حياة موسى) اي قبل موته باربعين سنة خلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة (قوله اوباش) هم الضعفاء الداخلون في القوم وليسوا منهم حكى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول

لندخلنك وانصرفوا
فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم
فتبا للذي صنعوا

(قوله سنة خمس وثلاثين) * (فائدة) * لم يذكر فيما سبق ولا هنا تاريخ وفاة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد أرخ بعضهم وفاته صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة بالجمل في قوله سنة (يا) النبي والصديق (جى) عمر (كج) عثمان (هل) على (لى)

(قوله حسنا لغيره) اعلم ان المقبول من الاحاديث التي رواتها آحاد أي غير متواترة اربعة صحيح لذاته وهو ما استوفى شروطا خمسة عدالة الراوي وتمام ضبطه وكون سنده متصلا وسلامته من الشذوذ وسلامته من العلة القادحة وحسن وهو ما اجتمعت فيه هذه الشروط الخمسة لكن ان خف الضبط أي نقص فهو الحسن لذاته وان كثرت طرق الحسن لذاته صار صحيحا لغيره وان كان في رجال السند من خف غلطه أو كثرت غفلته أو ساء حفظه لكن تابع حديثه معتبر من أهل الحديث صار ذلك الحديث حسنا لغيره والمراد بالمتابعة ان يشارك الراوي راويا آخر في روايته الحديث وهي المتابعة التامة وان شارك شيخه فمن فوقه فالمتابعة القاصرة وكل منهما يفيد التقوية (قوله يجنب في المسجد) قال في المختار يقال أجنب وجنب من باب ظرف (قوله يمكث فيه جنبا) المعتمد في الفروع الفقهية ان جواز المكث مع الجنابة خاص برسول الله فالامام علي كغيره في حرمة المكث مع الجنابة لضعف هذا الحديث عندهم فلا يثبت حكما وعليه فان كان مستندهم للحكم بالاختصاص بالنبي غير هذا الحديث فظاهر وان لم يكن لهم مستند غيره فلا يظهر العمل به في طرف دون الآخر كما ذكره ابن علان في شرح (قوله ومما يدل على نكارة هذا الحديث الخ) في شرح الخصائص الصغرى لابن علان المكي ما نصه وعجيب ما في شرح المنهاج لابن حجر من قوله ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم المكث في المسجد جنبا وعلي ليس مثله في ذلك وحديثه ضعيف وان قال الترمذي انه حسن غريب كما في المجموع وقد نظر فيه تلميذه الاشجعي بان الحديث الذي ضعفه هو الذي أثبت به الحكم للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف يعمل به في طرف دون الآخر

بعدك وليقتلن طلحة والزبير* (تنبيه) * ورد في مناقب علي حديث كثر كلام الحفاظ فيه فاردت ان أتخلص المعتمد فيه وانظمه عن انس رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل رواه الترمذي والمعتمد عند محققي الحفاظ انه ليس بموضوع بل له طرق كثيرة قال الحاكم في المستدرك رواه عن انس رضي الله عنه اكثر من ثلاثين نفسا انتهى وحينئذ فيتقوى كل من تلك الطرق بمثله ويصير سنده حسنا لغيره والمحققون ايضا على ان الحسن لغيره يحتج به كالحسن لذاته ومن جملة طرقه طريق رواتها كلهم ثقات الا واحدا قال بعض الحفاظ لم ار من وثقه ولا من جرحه وطريق اخرى رواتها كلهم ثقات ايضا الا واحدا قال النسائي فيه ليس بالقوي وهو معارض بان غيره واحد وثقه وذكر الحاكم انه صح عن علي وابي سعيد وسفينة لكن تساهله في التصحيح معلوم فالحق ما سبق ان كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به ولكثرتها جدا اخرج الحافظ ابو بكر بن مردويه فيها جزأ واما قول بعضهم انه موضوع وقول ابن طاهر طرقه كلها باطلة معاولة فهو لباطل وابن طاهر معروف بالغلو الفاحش وابن الجوزي مع تساهله في الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكر في كتابه العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم يذكره في موضوعاته فالحق ما تقرر اولا انه حسن يحتج به على انه لا يلزم عليه محذور لانه مؤول قطعا والا لاقتضى انه احب الى ربه من نبيه صلى الله عليه وسلم فهو عام مخصوص وقد صح من الاحاديث جملة مستكثرة تخرج الثلاثة عنه ايضا فاستفد ذلك كله فانه مهم* (تنبيه) * آخر مما كثر الاختلاف فيه أهو موضوع ام لا حديث يا علي لا يحل لاحد يجنب في المسجد غيري وغيرك ومعنى يجنب فيه هنا يمكث فيه جنبا ويتعين انه مراد من عبر بيستطرقه جنبا لان الاستطراق بظاهره حلال فلا خصوصية فيه لاحد ثم هذا الحديث كثر الاختلاف في سنده أيضا فقال بعض الحفاظ انه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائي ضعيف لا ينتهي الى الوضع وقال الترمذي انه حسن لكن اشتد انكار الحفاظ عليه في تحسينه له بان فيه ثلاثة ضعفاء وكل منهم شيعي وثلاثة متهمين بالكذب ومما يدل على نكارة هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الامة بشيء من الرخص فيما يقتضي تعظيم حرماته والقيام بجلاله أصلا وانما ترخصه في الامور الدنيوية كاباحة ما وراء الاربع في النكاح ونحو ذلك فلم يكن صلى الله عليه وسلم يترخص عنهم باباحة الجلوس في المسجد جنبا أبدا انتهى ومال الحافظ ابن حجر الى تحسين الترمذي بان له شاهدا عند البزار ورواته ثقات

قال والسبب فى ذلك ان بيت على كان كبيته صلى الله عليه وسلم فى كونه مجاورا للمسجد وبابه منه وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم لما امر بسد الابواب اشار عة فى المسجد الاباب على شق ذلك على بعض الصحابة فاجابهم يعذر نفسه فى ذلك (و) اقسم عليك (ياباقى) (اصحابك) العشرة المبشرين بالجنة فى الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل الامر شورى بين الستة انكر عليه بانهم ليسوا رضا فقال ما عسى ان تقولوا فى على سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول له يدك فى يدى تدخل معى يوم القيامة حيث ادخل وذكر فى عثمان حديث انه يوم يموت تصلى عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وفى طلحة ان رسول النبى صلى الله عليه وسلم سقط فى ليلة فقال من يسوى لى رحلى وهو معى فى الجنة فبدر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك فى اهوال يوم القيامة حتى انجيك منها وذكر فى الزبير انه جاس ينذب عن وجه النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تزل قال لم أزل يا بى أنت وأمى قال هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى اذب عن وجهك شر وجهنم وذكر فى سعد بن أبى وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد أوتر قوسه اربع عشرة مرة يدفعها اليه فداك أبى وأمى وذكر فى عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله أمر دنياك وأما أمر آخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حراء المارتج وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد قال له النبى صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد ومنها رواية سعيد بن عمرو بن نفيل أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن ابى وقاص فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة فنشدوه بالله عنه ثم فقال أما اذا انشدتمونى فانا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح (المظهر) اى المبين (الترتيب) بينهم من النبى صلى الله عليه وسلم وهو مفعول (فينا) اى لنا (تفضيلهم) على حسب مراتبهم التى بشرهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله وعكس ذلك الشارح والاول اظهر (و) المظهر ذلك بينهم لنا ايضا (الولاء) اى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم ومن ثم سئل بعض محققى المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل تجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث الدين والقرب الى الله تعالى ورسوله يجب ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث المحو قرابة أو احسان لا يجب ان تكون كذلك وما قاله فى الخلفاء الاربعة يأتى فى بقية الصحابة رضوان الله عليهم (طلحة) بن عبد الله القرشى السهمى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

(قوله باقى أصحابك العشرة) حمل باقى الاصحاب العام على هذا الخاص بقرينة الاقتصار على ابدالهم منه ويمكن ان يقال المراد الاقسام بجميع الاصحاب الباقين وخص باقى العشرة بالذكر اهتماما بهم لمزيد فضلهم فتأمل (قوله اهالة) كل شئ من الادهان مما يؤتدم به انتهى من الغريبين للهروى (قوله من رواية سعيد) لم يذكر فى هذه الرواية ابن الجراح (قوله والمناصرة الواجبة علينا الخ) وفى ابن عبد الحق أى الذى أظهر الترتيب بينهم وبين من بعدهم من الصحابة تفضيله صلى الله عليه وسلم لهم بذكر فضائلهم وولائهم اى مناصرتهم له صلى الله عليه وسلم المناصرة الكاملة ويجوز ان يقرأ بكسر الواو أى ومتابعتهم له صلى الله عليه وسلم المتابعة الكاملة كما يعلم من سيرهم وهذا أولى لسلامته من الايطاء اللازم على الاول انتهى بحروفه اذا تأملت ذلك وجدت عبارته مصرحة بان المراد بقول الناظم ترتيبهم الترتيب بين ألسنة غيرهم من الصحابة وان المراد بالولاء نصرهم للنبى صلى الله عليه وسلم بخلاف عبارة الشارح فانه يقتضى الترتيب بين افراد الستة ونصرتهم لهم وماسلكه ابن عبد الحق أوضح وقوله لسلامته من الايطاء أى لذكره الولاء بهذا المعنى قبل ذلك ببيتين

وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة أصحاب الشورى فى أمر الخلافة بعد عمر الذين توفى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد العشرة الذين أسلموا على يد أبى بكر لكونه السبب فى اسلامهم وسماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة (الخير) وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث انه باع أرضا له بسبعمائة ألف دينار فبات عنده فلم ينم خيفة من حسابها فاصبح ففرقها وفى رواية ففرقها فى ليلته على فقراء المدينة وجاءه رجل يسأله برجه فاعطاه ثلثمائة الف وكان مغله بالعراق فى كل سنة اربعمائة الف وكان يكفى ضعفاء قومه وقوم ابى بكر بنى تيم ويقضى ديونهم ويرسل الى عائشة رضى الله تعالى عنها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق فى يوم بمائة الف درهم ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلى فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن شهدها اجراء وسهما قيل لانه كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن زيد رضى الله عنهما للتجسس على خبر عير قريش وخرج الى بدر فرجعا الى المدينة فوافيا منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلى الزبير وقال ياطلحة وياز بير ان لكل نبى حوارى وأنتما حواريا اى ناصرا اى وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال وخلفه فى الصلاة فى الصف الاول وليس احد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب او شهد (المرتضيه) اى الذى كان ارتضاه النبى صلى الله عليه وسلم وماجرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العائد على أل المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة واوجب النصب أى لئلا يلزم عليه اجتماع أداتى تعريف ويرد ان اضافة الصفة الى معمولها لاتفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا فمن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بأل ان كان مثنى أو مجموعا على حده كالضاربا زيدا والضاربو زيد أو أضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل أو المضاف اليه كالقاصد باب الكريم أو الى ضميرهى مرجعه كما هنا ومن قال التقدير الذى ارتضى هو النبى صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير مرجعه أل فتنبه له (رفيقا واحدا) هو مافى أكثر النسخ وفى نسخة احد وهو الفاعل أى الذى ارتضاه أحد رفيقا ففيه اسناد مجازى وفى أخرى أحدا وهو على نزع الخافض أى فى احد (يوم) ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احد اى بناء على النسخة الثانية بعيد (فرت الرفقاء) عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد وسعيد والامانة والامناء واتاه واتى وتمسكت واستمسكت وانطوت وانطوى واغثنا والغوث والغيث الاتيان جناس الاشتقاق او شبهه وفى ذكر واحد فى اكثر النسخ نظر بل المنقول فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفى البخارى لم

يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج وجهه يده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق اذا حدث عن يوم أحد يبكي وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب طلحة اى وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فلما استطاع فبرك له طلحة رضى الله تعالى عنه فصعد على ظهره فاستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عائشة انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون او اقل او اكثر ما بين طعنة وضربة ورمية واذا قد انقطعت اصبعه فاصلحنا من شأنه ثم رأيت حديثا صحيحا مصرحا بما في النظم على نسخة واحدا وهو لقد رأيتني يوم أحد وما في الارض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري وما رجع صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء قال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جارا في الجنة وكان رجل يقع فيه وفي الزبير بحضرة سعد بن ابي وقاص فينهاه فيأبى فصلى ثم دعا عليه ان كان سبط لا يريه الله فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج شق الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب انا رأيت الناس يقبون سعدا يقولون هنيأ لك يا ابا اسحق أجيبت دعوتك وكان قد خرج هو والزبير على علي رضي الله تعالى عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما يأتي ووعظ طلحة فتأخر ووقف في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاء علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة الله عليك يا ابا محمد يعز علي أن اراك مجندلا (وحواريك) اى ناصرك (الزبير) بن العوام القرشي وأمه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد الثمانية السابقين والستة أصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه كحمزة وعلي أحد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع أخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فقال له

(قوله فجاءه سهم) ويقال ان سهما غربا أتاه فوقع في حلقه فقال بسم الله وكان امر الله قدرا مقدورا ويقال ان مروان بن الحكم قتله وهو الاصح انتهى من الجوزي في تنقيح فهو من الآثار قال في الصحاح واصابه سهم غرب يضاف ولا يضاف يسكن ويحرك اذا كان لا يدري من رماه

(قوله ودعاله) عطف تفسير (قوله وفتح اليرموك) موضع من الشام (قوله لكل نبي حواري) كذا في النسخ واعله مرسوم على لغة ربيعة فان الذي في باب فضل الطليعة من كتاب الجهاد من صحيح البخاري ان لكل نبي حواريا قال القسطلاني بفتح الحاء المهملة والواو وبعد الالف راء مكسورة فمثناة مشددة اي خاصة من اصحابه انتهى ونقل الزركشي عن الزجاج ان حواريا منصرف لانه منسوب الى حواري وليس كبخاتي وكرسي لان واحده بختي وكرسي (قوله وحواري الزبير قال القسطلاني اضافه الى ياء المتكلم فحذف الياء وقد ضبطه جماعة بفتح الياء وآخرون بالكسر وهو القياس لكنهم حين استثقلوا ثلاثا يآت حذفوا ياء المتكلم وابدلوا من الكسرة فتحة انتهى كذا بخط الشيخ العجمي (قوله وادي السباع) اسم واد بقرب البصرة (قوله فجاء رجل فقتله) عبارة جامع الاصول لابن الاثير قتلاه عميرين جرموز بسكون الراء وضم الميم وبالزاي وسفوان بفتح السين المهملة وفتح الفاء والنون (قوله منها الغابة) اسم موضع بالحجاز

ما بالك قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضاء والهمة العلياء اخترق صفوف الروم مرتين من اولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال انا فاعاد فقال انا فأعاد فقال أنا فقال صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين أبويه فقال ارم فداك أبي وأمي وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم فيما علمت وانه كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج علي وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى ادعو الي الزبير فدعي له فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال له ناشدتك الله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا وقال يا زبير تحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى مني وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل لتصلح بين الناس فابى وفي رواية انه قال له جئنا جبنا فقال قد علم الناس اني لست بجبان ولكن ذكرني حديثا فحلفت ان لا أقاتله وفي رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي أفيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فأغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره علي الحديث زيادة في اعلامه ثم سار فلما وصل وادي السباع نام فجاء رجل فقتله في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي قال لابنه عبد الله ما أراني الا سأقتل اليوم مظلوما ثم أكد عليه في أن يبيع أمواله ويقضي دينه من أرضين لها منها الغابة وبضع عشرة دارا وكان قد ردد دينه ألف ألف ومائتا ألف وما ولى امارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيئا وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا نقض ما عليه وقضيت ديونه من ثمن تلك الارض والدور وكان ولده عبد الله ينادي في الموسم مدة أربع سنين ألا من له دين على الزبير فليأتنا فلم يأت أحد اخرج ثلث ماله لانه أوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له أربع نسوة فاصاب كلا منهن ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف هذا ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بأن الصحيح ان الذي تركه بما وفي الدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وماله

٢ قول المحشي وعمير مصغر الذي في القاموس عمر وغير مصغر

كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه لان اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان أموالهم امامن سلب أوسهم من الغنيمة أو الفيء أو تجارة مبرورة وأوصى اليه سبعون من الصحابة باموالهم وأولادهم فحفظها وكان ينفق على أولادهم من ماله ومن مدح حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه * عن المصطفى والله يعطى ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله * وليس يكون الدهر مادام ينذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر * وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

(أبى القرم) بفتح القاف وسكون الراء أى السيد الكريم عبد الله أبى خبيب بن بنت أبى بكر (الذى انجبت) أى أتت (به) فى غاية النجابة والشجاعة والرأى الحازم والتصرف الصائب (أسماء) بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه فى موضع لا يراه أحد فلما جاء اليه قال ما فعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار بطنك ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى فى الخلافة لما مات يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة لتهدمها وسماعه من خالته عائشة ما روته له عن النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديث عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربى وجعلت بابها الشرقى لاطئا بالارض كما كانت فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد أن شاور الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان اجر ذلك البناء باقيا له الى ان يهدمها زلزال او يقتين فان البناء الموجود الآن كله بناؤه الا حائط الميزاب فان الحجاج لما حصره اول الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصره له الى ان قتله سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله ابراهيم واخرج الستة ثم اخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربى واعلى الباب الشرقى لتصير كما كانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها حينئذ قصرت بهم المال الحلال عن أن يجعلوها كما كانت فى زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان عبد الله بن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما واكثر قوتا ما اطاس لاحمية له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس فى طبقتهم (والصفيين) تثنية صفى وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات (توأم الفضل) من أنا مت المرأة ولدت

(قوله ما كان ينذبل) بالذال المعجمة اسم جبل (قوله ذات النطاقين) النطاق كالكتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل يقصر على الارض ليس لها حجزة ولا منفق ولا ساقان انتهى قاموس ثم قال وذات النطاقين اسماء بنت ابى بكر لانها اشقت نطاقها ليلة خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخرى عصاما لقربته (قوله ويل لك) أى كرب يثبت لك بمعاسرة الحجاج لك الى أن يقتلك كما سيأتى وقوله وويل للناس منك أى كرب يثبت لهم بعد موتك من أجل طاعة أهل اليمن وغيرهم لعداوة الحجاج لهم بسبب ذلك فيتعرض لهم فليس المراد بالويل منه رضى الله عنه اضراره لاحد من الناس تعديا حاشاه الله

اثنين اى ان الفضل انتجهما الكثرة ما قام بهما منه ولو قال توأما الفضل كان اوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا فى الفضائل الجليلة صارا كأنهما مولودان فى حمل واحد (سعد) أى ابن ابى وقاص بن مالك القرشى الزهرى وهو احد الستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واقام كذلك سبعة ايام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من اراق دما فى سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير فى فتح مدائن كسرى وغيرها ومن كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس فى غاية الطمأنينة كأنهم سائرون بالبر وكان الذى يسايره سلمان الفارسى رضى الله عنه وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك ابى وامى واقبل والنبى صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالى فان الخال والد وعاله وقال اللهم سدد رميته وأجب دعوته وفى رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه يعيش فقال اعل الله ان يرفعك فينتفع بك اقوام ويضر بك اقوام آخرون واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيأ من تلك الحروب توفى بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلت عليه امهات المؤمنين فى حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن فى جبة صوف اتى المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبؤها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفى مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة نزلت فى ستة منهم سعد وابن مسعود (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى احد العشرة المشهود لهم بالجنة شهد المشاهد كلها وعده البخارى فيمن شهد بدرا ومر فى ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج أخته والسبب فى اسلامه كما مر ولذلك لم يدخله فى أهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن به انه حابى أقاربه وأخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه أخذ لها قطعة أرض فقال ما كنت لآخذ لها بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من أرض ظلما طوقه من سبع أرضين فقال مروان لا اسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى ارضها فذهب بصرها وبينما هى تمشى فى ارضها وقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتنى دعوة سعيد وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وأنه اعطاها الذى ادعت به ثم

(قوله ولو قال توأما الفضل) أى بالقطع عن تبعيته لما قبله بجعله خبر مبتدا محذوف تأمل (قوله مدائن كسرى) قال السيوطى فى المزهر النسب الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم مدنى والى مدينة المنصور مدينى والى مدينة كسرى مدائنى (قوله فكان مجاب الدعوة) من ذلك انه دعا على الكاذب عليه من أهل الكوفة بقوله انه كان لا يعدل فى القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فقال سعد اللهم ان كان كاذبا فأعم بصره واطل عمره وعرضه للفتن قال عبد الملك بن عمير فانا رأيته بعد يتعرض للاماء فى السكك فاذا سئل كيف انت يقول كبير مفتون اصابتنى دعوة سعد وفى رواية فما مات حتى عمى وافتقر حتى سأل الناس ومن ذلك دعاؤه على الذى سعاه يسب عليا وطلحة والزبير فنبهاه فلم ينته وقال يتهددنى كأنما يتهددنى نبى فقال سعد اللهم ان كنت تعلم انه سب اقواما قد سلف لهم منك سابقة واسخطك سبه اياهم فاره اليوم آية تكون آية للعالمين فخرجت ناقة نادة فخبطته حتى مات ومن ذلك دعاؤه على امرأة كانت تطلع عليه فنهاها فلم تنته فقال شاه وجهك فعاد وجهها فى قفاها ه من كتاب العميان فى نكت العميان للصفدى

دعا عليها بعام موتى ففى رضى الله عنه سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفى فى الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتى يوم القيامة امة واحدة بينى وبين عيسى (ان عدت الاصفياء) فهذان من اكابرهم كيف وفى اسمهما ما يشعر بيلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة (و) عبد الرحمن (بن عوف) بن الحرث بن زهرة القرشى الزهرى أحد الثمانية السابقين للاسلام والستة أهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه أى نصفه وفى رواية الواقدى وابن عساكر يا خالد ذر والى أصحابى مرتين بذلك المرء ولو كان أحدهم ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا فى سبيل الله لم يدرك غدوة ورحمة من غدوات أو روحات أحدهم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم أحد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بنى كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم أو قال شريفهم ففتح الله عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له أبا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم اتم به فى غزوة تبوك فصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لاحد من الصحابى غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته فادركهم الوقت فاقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ولما أتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته واتم صلى الله عليه وسلم بابى بكر أيضا لكنه أخر نفسه عن الامامة بتاخره وقال لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد أشرت اليك ما كان ينبغى لابن أبى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يشعر عبد الرحمن بن عوف ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدى صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلى به الخمس مرتين فى يومين صحيحة الاسراء والذى يليه وكان كثير الانفاق فى سبيل الله اعتق فى يوم واحد اوثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلاثون ألفا وفى حديث انه أمين فى السماء أمين فى الارض وكان كثير المال محظوظا فى التجارة قال لامسلمة خفت ان تهلكنى كثرة المال فقالت له يا بنى انفق قال فانى أنفق قال الزهرى تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم اربعين ألف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفى رواية ألف وخمسمائة راحلة وأوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت بار بعمائة ألف وأوصى بخمسين ألف دينار فى سبيل الله ولكل واحد ممن بقى ممن شهد بدرا بار بعمائة دينار وكانوا مائة وكان من جملتهم عثمان فأخذ مائة

(قوله لا تسبوا أصحابى الخ) الخطاب للصحابة السابين نزلهم لسبهم الذى لا يليق بهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره اه ومن تدبر هذا الحديث لم يجد فى مناقب الصحابة شيأ أبلغ منه (قوله ما بلغ مد الخ) اى لا يساوى تصدقه بذلك تصدق الواحد منهم بمد من شعير أو نصفه (قوله مد أحدهم) المد نصف صاع وروى بفتح الميم بمعنى الغاية اه مختصر النهاية للسيوطى اهـ له ربع صاع بدل نصف

وهو أمير المؤمنين وبالف فرس فى سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضى ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال اشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها فى سبيل الله عز وجل وباع أرضا من عثمان بار بعين ألف دينار فقسمها فى أقاربه بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له ان تدخل الجنة الا زحفا فافرض الله عز وجل يطلق لك قدميك قال ما الذى أقرضه قال تتبرأ من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذى صح من ذلك أنا نى جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه وفى حديث ابن عدى وغيره انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين وروى ابو نعيم وغيره ان رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقى أحد الا فاضت عيناه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تكن فاضت عيناه فقد فاض قلبه وفى حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفى آخر رواه أحمد والطبرانى رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا وفى رواية لاحمد قد رأيته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وفى رواية لابن سعد وابن عساكر كانى بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم أخرى حتى ينفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله أمر دنياك واما أمر آخرتك فأنا ضامن لها وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فاتاه بصحفة فيها حبيس ورغيفان بينهما اهالة توفى رضى الله تعالى عنه عن اثنين أو خمس وسبعين سنة سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان وصلى عليه على وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما امر أقاربه وقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع أقاربه فى الله وانا أصلهم فى الله فنذر أن لا يكلمه أبدا وترك من الذهب ما جاء من ربع ثمنه ثمانين ألف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته ماله كثرة فيها تفوق الحصر قال (من) بدل مما قبله (هو نت نفسه الدنيا) اى صيرت اموالها وامتعتها رخيصة عنده (يسبب (بذل) لها فى وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع الى الدرجات العلى كما مر فى الاحاديث وذلك البذل الكثير (يعده اثراء) اى كثرة المال الذى فتح الله به عليه واكثره من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا (والمكنى اباعبيدة) وهو عامر بن الجراح القرشى الفهرى أمين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفى رواية وامينى وفى أخرى واصفنا أيتها الامة وأحد

(قوله كان كفارة لما هو فيه) وهذا من باب حسنات الابرار سيئات المقربين اذ هو رضى الله عنه كان فى أجل طاعة بماله كما مات من سبر احواله فلم يقع منه بسببه معصية فى يحتاج لتكفيرها بما ذكر تامل (قوله من اغنياء امتى) وفى الترمذى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة عفى به النبى صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة لكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة اه من شرح المنهاج للدميرى (قوله فيها حبيس) هو تمر يخلط بسمن واقط اه مختار

العشرة المبشرين بالجنة والرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم انقاء مقدم الاسنان وولاه أبو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر رضي الله عنه اعاده لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي اميرا لامرائه بالشام وروى انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما اكثر عليه قتله فأنزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتامر على رجل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن ادركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام من ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل مل هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال آخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار مملوأة رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحابي الا لوشئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس اول ما وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله تعالى زرته فرأيت عنده عجبا ورأيت عليه من الجلالة ما هو لائق به (اذ) ظرف لاقسم المقدر أو تعليل له (يعزى) اي ينسب (اليه) اي ابي عبيدة (الامانة الامناء) واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية وامينى وفي اخرى وامينا أيتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما عن لم يكملا فيه ولو سلما زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا أيضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد في الفاضل لانه خلف

(قوله لا تجد قوما) اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم الخ اى ولو كان المحادون أقرب الناس اليهم وقوما المفعول الاول لتجد والمفعول الثاني يوادون الخ (قوله في طاعون عمواس) عبارة جامع الاصول مات في طاعون عمواس بالاردن ودفن بيسان ثم قال وعمواس بفتح العين المهملة والميم وقد تسكن وبالسين المهملة اسم موضع وبيسان بفتح الموحدة وسكون الياء التحتية وبالسين المهملة والنون مدينة الاردن معروفة والاردن بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون نهر معروف ومنه بحيرة طبرية تجتاز بالغور

(قوله حمزة والعباس) لم يسلم من اعمام النبي سواهما وادرك ابو طالب وابو لهب الاسلام ولم يسلما اه جامع الاصول لابن الاثير (قوله فهي استعارة الخ) تأمله فان الظاهر ان كلا فيه تشبيه بليغ لا استعارة لوجود الجمع بين الطرفين فان الفلك هو السماء الذي شبه به المجد والشمس والقمر هما النيران اللذان شبه بهما العمين وتأمل أيضا قوله واثبت الخ اذ الفلك هو المشبه به وهو مذكور فاين المكنية وكيف يكون اثبات المشبه به تخييلا اذ التخييل اثبات لازمه وتقدم في كلامه مثل ما ذكره هنا والاعتراض عليه مرارا (قوله وسبب اسلامه الخ) في تفسير الثعالبي عند قوله تعالى أو من كان ميتا فاحييناه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في رجلين باعيانهما ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يريد أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرث

وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويستكين ويقول يا أبا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله تعالى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام وقيل في عمار بن ياسر وابي جهل بن هشام اه (قوله استشهد باحد) وهو ابن تسع وخمسين سنة وكبر عليه رسول الله سبعين تكبيرة ودفن هو وعبد الله بن جحش في قبر واحد ولما اجرى معاوية رضي الله عنه العين بالمدينة أصابت الصحابة قدم حمزة فانبعثت دما اه من تنقيح فهوم أهل الاثر لابن الجوزي نصف

ثلاث انزايا مزايا أحرى أجل منها وأعظم فتحصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما تميز به المفضول (و) أقسم عليك (بعميك) اخوي ابيك لابيه وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بنحو السنتين (نيري) تثنية نير وهو الكوكب المضيء (فلك) هو ما يسير فيه الكواكب (المجد) اي الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا فهي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاءة فهي أيضا استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها أيضا استعارة تجريدية بذكر المجد الملائم للعمين (وكل) منهما (أتاه) اي حصل له (منك ثناء) بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والنبات كما في القاموس وقال الشارح وهو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار والعلة تفسير مراد اما حمزة فيكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان عظيما شجاعا أخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أسلم قديما وسبب اسلامه ان اللعين أبا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه وانصرف أبو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز فتى في قريش واشد شكيمة فغضب وعمد فشجه في رأسه شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم فمنعهم أبو جهل خشية الفتنة وهو أول من اتخذله النبي صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه صلى الله عليه وسلم الى سيف البحر بكسر السين اي جهته استشهد باحد في

وانظر قوله وكبر عليه سبعين تكبيرة فان هذا خلاف ما في الفروع من ان شهيد المعركة لا يصلى عليه ومن كون المطلوب أربع تكبيرات فان زاد كان خلاف السنة من الاقتصار على الاربع ولا تبطل الصلاة بالزيادة وأجيب بان الصلاة على حمزة وزيادة التكبير الى سبعين من خصوصياته رضي الله عنه كما ذكر في المواهب أو ان الزيادة على الاربع لبيان الجواز وهو في حقه صلى الله عليه وسلم مطلوب وان كان في حق غيره غير مطلوب وانظر قوله وهو ابن تسع وخمسين الخ مع قول الشارح السابق وكل منهما اسن من النبي بنحو السنتين وعمر النبي نحو ثلاث وستين سنة نظرنا فوجدنا المراد بكونهما اسن منه بنحو السنتين انهما ولدا قبله بسنتين لانهما يزيد سنهما على سنه بسنتين فلا ينافي كون عمر حمزة ما ذكر وعمر العباس ثمانيا وثمانين سنة كما سيأتي فتأمل

نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال وحشي رأيته يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتي فاصبته وليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشي هذا فقيل النبي صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني اي خشية ان يصيبه منه شيء اذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بقتلك ومع ذلك فقد أصابه ما اصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريبا في الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يحدو في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا اغاظني من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود قال ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وليس في هذا نوح ولا تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء يوم القيامة وانه لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق ان الملائكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وكمال وعقل وافر معظما بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وبعده وكانت تنسب اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به في أمره كله اسر يدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم بين لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم لما سمعه بين فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن أخيه بعد ان قال ما معي شيء فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل اي زوجته حين خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا وكذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري وغيرها فأسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم واقبيه بالابواء وبه خيمت الهجره وكان رد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب الفدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب له ان يقاتل بمكة خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا العباس الفداء أبى رسول الله صلى الله

(قوله مات غريبا في الخمر) مع قوله يحدو في الخمر ينافي الحكم بعد التوبة الواجب له كما في الاصابة (قوله ما بكاقط أشد من بكائه) تقدم ان البكاء بعد الموت منهي عنه وقد يجاب بان المراد بكاؤه نزول الدموع اللازم لظهور صوت غالبا أو البكاء على حقيقته ووقع لبيان عدم حرمته وان النهي نهي كراهة فيكون حينئذ مطلوبا في حقه مثابا عليه للتشريع وفي حقنا مكروها وانما قلنا اللازم الخ لان الصوت قد يوجد بدون دمع (قوله لولا جزع النساء الخ) قضية شرطية لا تقتضي جواز الوقوع فلا يقال التحهيز واجب كفاية فكيف يجوز الترك من غير تكفين ودفن

عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقى به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقى بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفى بالمدينة ثانى عشر رجب أو رمضان سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ثمان وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس منى وانا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من آذى العباس فقد آذانى فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصانى الله بذى القربى وامرنى ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطنى فى الافراد ليكونن من ولد العباس ملوك يلون امر أمتى يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر لذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذونى ومن سب العباس فقد سبنى وفى حديث ضعيف وقال ابن الجوزى موضوع العباس وصى و وارثى واخرج الرافعى الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدى فى آخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه تطفأ نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وأبو نعيم فى الحلية الا أبشرك يا أبا الفضل ان الله عز وجل افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدى من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن أيضا فهو حسنى وفيه شعبة من ولد الحسين أيضا فهو حسينى وشعبة من العباس والترمذى وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس وابن احيهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما أسر وما أعلن وما أبدى وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب يا عباس انت عمى وصنو ابى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى (و) اقسم عليك (بام السبطين) الحسن والحسين فاطمة وهى أصغر بناته صلى الله عليه وسلم (زوج) جرده عن التاء لانه أفصح (على) زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم ثانى سنى الهجرة بوحى من الله بذلك كما ورد وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وقيل نحو عشرين سنة وسن على احدى وعشرين سنة وأشهر قال ابن عبد البر وهى وام كلثوم أفضل بناته وكانت فاطمة أحب أهله اليه وكان يقبلها فى فمها ويمصها لسانه واذا أراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم أول ما يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة احدى عشرة فبينهما نحو ستة أشهر وسنها تسع وعشرون سنة اى على القول الثانى وقد أسر اليها النبى

(قوله اذا قحط) بفتح القاف والحاء وحكى الفراء الكسر وتقحط على صيغة المجهول (قوله وها نحن نستسقى بعم نبيك) وحكمة توسله به دون النبى صلى الله عليه وسلم مع انه أعظم وسيلة حملوها الاشارة الى رفعة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربهم من الله (قوله ان من ذريتك الخ) وقيل لما أسلم العباس اليه النبى صلى الله عليه وسلم عمامته السوداء فأوحى الله اليه لاجعلن فى ذريته تاج الولاية الى يوم القيامة ببركة عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من شرح المالكى (قوله وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة) وتوفيت وعمرها أربع وعشرون سنة اه واما على انها دخل بها وسنها نحو عشرين فتكون قد توفيت وسنها تسع وعشرون كما سيأتى

صلى الله عليه وسلم انها أول أهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها على ليلا بوصية منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب أبو العباس المرسي يجزم به قبل فلما كوشف به وروى أحمد في المناقب والدولابي انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا مقبوضة الآن فلا يغسلني أحد ولا يكفنني فماتت فامتثل على وصيتها الخصوصية (وبنيها) يعني أولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب وأولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وأنثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعده تزوجها أخوه محمد ثم باخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلهما فلهم شرف أعلى من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون من شرف أولاد الحسنين لزينب امهما وردفيهما وللعباسيين والطالبيين شرف أيضا ومن ثم لقب بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق تزوج السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وله منها ولدان يعقبا (ومن حوته العباء) وهم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي وابناهما ومر له بعض هؤلاء فضائل كعلي وابنيه رضي الله عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن أبيها القائل تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما اغضبها أحب اهلي الي فاطمة اذا كان يوم القيامة نادى منادمن وراء الحجب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الا نسبي وحسبي وصهري فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضين ان تكوني سيدة نساء أهل الجنة قالت فاطمة رضيت نزل ملك من السماء فاستأذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الامة وخبرا تاني جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة وداء على تصحيح الحاكم له انه كذب موضوع جلي الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسراء وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل علي على فاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا منهم فقال انك على خير وفي رواية ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي أخرى ان الآية انما يريد

(قوله ومحسنا) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المكسورة كذا ضبطه الشامي (قوله ومن ثم لقب بالشرف الخ) قال السيوطي في الخصائص الصغرى ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم أولاد علي وعقيل وجعفر والعباس كذا مصطلح السلف وانما حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين في مصر خاصة من عهد الخلفاء الفاطميين (قوله وفاطمة وعلي وابناهما) تقدم الاقسام بهم تفصيلا ثم عاد الاقسام بهم اجمالا بلفظ يشملهم وغيرهم (قوله بضعة مني) قال النووي في شرح مسلم بفتح الباء لا يجوز غيره وهي قطعة اللحم اه والذي في المواهب البضعة بفتح الموحدة وحكي ضمها وكسرها أيضا وبسكون المعجمة قطعة لحم واستدل به السبكي على ان من سبها يكفر

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت ببيت أم سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال لحوما هؤلاء وفي أخرى انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صحتا فهي نزلت مرتين وفي أخرى ان ام سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وانه ادخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم وفي اخرى صحيحة انها قالت يارسول الله انا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله وفي أخرى ان واثلة قال لما سمعته صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم وهم تحت الكساء قلت وعلي يارسول الله فقال اللهم وعلى واثلة وفي اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانهم لمن ارجى ما ارجو قال البيهقي وكانه جعله في حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب الطبري الى ان التجلل بالكساء لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهم به وما دعا لهم به وما اجاب به واثلة وام سلمة وفي اخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاستر هم من النار فاكسترى اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا (و) اقسم عليك (بازواجك اللواتي تشرفن بان صرن لهن) عن النار والنقائص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه في الجنة (منك) حال من قوله (بناء) اي دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا محرم وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق على عين ست قرشيات وأربع عربيات واسرائيلية أولهن خديجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة وأشهر وله خمس وعشرون سنة عند الاكثرين وكانت قد عرضت نفسها عليه كما مر وهي أول من آمن به من النساء وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام أو ادام أو شراب فاذا هي قد أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب اي لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب وأولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها الا ابراهيم واختلف في عددهم وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف فيه وأربع بنات زينب وهي أكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالها ابي العاص بن الربيع ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وامامة التي حملها في صلاته تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنهم ثم رقية توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزى بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي ثم أم كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابي ابي لهب ثم فاطمة الزهراء البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى وأربعين من مولده

(قوله فان قلنا محرم) هو المعتمد في الفروع (قوله لا صخب فيه) الصخب بفتح الصاد والخاء الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب ويقال فيه نصب بضم النون واسكان الصاد وفتحها لغتان حكاهما القاضي وغيره كالحزن والحزن والفتح أشهر وأفصح وبه جاء القرآن اه شرح مسلم (قوله ولا نصب) قال في المصباح نصب الرجل بالكسر نصبا تعب (قوله القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم ابراهيم اه ذكره اللقاني عن شيخه الشيخ سالم السنهوري (قوله وامامة) عطف على عليا فهي بنت زينب (قوله ثم أم كلثوم) ولا يعرف لها اسم وانما تعرف بكنيتها اه مواهب (قوله بعد ابي ابي لهب) هما عتيبة ومعتب وعتيبة مكبرا

صلى الله عليه وسلم والذى رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة قال ابن الجوزى قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهراء لما مر وبتولا لان الله قطعها عن النساء حسبا وفضلا أو لانقطاعها الى الله تعالى واختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير أولئك الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله وقيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم فمن سريته مارية القبطية ولد فى الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم أبيه قبل السابع أو فيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله مخفية واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو فى العوالى عند ظئرة الحداد فيأخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفى وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة أشهر وقيل غير ذلك وفى رواية انه لم يصل عليه اى بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه وفى حديث لو بقى لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ النووى فى تزييفه وبطلانه ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضى الله تعالى عنهما أخى سهيل بن عمرو بمكة لما رجعا من الحبشة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جمع به بين الخلاف فى ذلك وأراد طلاقها لما أسنت فوهبت نوبتها لعائشة رضى الله عنها فأمسكها توفيت بالمدينة فى شوال سنة اربع وخمسين ثم عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها بالمدينة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسائه ولما فقدها فى بعض اسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت رضى الله عنها بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا بسقط اسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهى وخديجة افضل امهات المؤمنين ثم الاصح أن خديجة افضل لما صح أن عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقنى خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس ولانه صلى الله عليه وسلم أقرأ عائشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى والاصح ايضا أن فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ والخبر المقتضى لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقى السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة واختار ايضا أن مريم افضل من خديجة للاختلاف فى نبوتها ثم حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهن تزوجها سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من هجرة الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فأوحى الله اليه أن راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة

(قوله وهو فى العوالى) جمع العالية وهى مواضع وقرى بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق من مبانين الى ثمانية أميال اهـ شرح البخارى للعينى (قوله وتوفيت خديجة) ولم يمت فى حياته من زوجاته الاحدى عشرة الا هى وزينب بنت خزيمة (قوله ثم الاصح أن خديجة افضل) قال السبكى فى مقاصد المقاصد فضلى النساء مريم ففاطمة فخديجة فعائشة فآسية ثم قال وقد نظمتهن وزدت ان مريم وأخت موسى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجنة فقلت

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة
فأمها أو فمن قد برأ الله
فزوج فرعون مع أخت الكليم ومن
بم لاحد زوجات باخراه

(قوله أشدا بتذالا) من البذلة وهى المهنة (قوله بسرف) بفتح السين وكسر الراء وبالفاء وهو مكان بقرب مكة بينها وبينه ستة أميال وقيل سبعة وقيل اثنا عشر

(قوله معناها أنه فى الحرم الخ) اى اوفى الشهر الحرام كقول الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... ودعا فلم أر مثله مخذولا

اى لان قتله كان فى أيام التشريق اه شوبرى ويجاب بان الصحيح عند الاصوليين ترجيح القول على الفعل اذا تعارضا لان القول يتعدى للغير والفعل مقصور على الفاعل (قوله ابن شماس) بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبالسين المهملة (قوله من بنى المصطلق) حى من خزاعة (قوله من نسل هرون) يدل لذلك رواية أبى نعيم فى الحلية باسناده عن أنس رضى الله عنه قال بلغ صفية أن حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت لها يابنت اليهودى فبكت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تبكى فقال ماشأنك فقالت قالت لى حفصة يابنت اليهودى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لبنت نبى وان عمك لنبى يعنى هرون وانك لتحت نبى فبم تفتخر عليك حفصة ثم قال اتقى الله يا حفصة لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته (قوله فهؤلاء نساؤه الخ) وليست المتعوذة منهن فهى فى الثنتى عشرة قال القسطلانى فى شرحه على البخارى ان التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت النعمان بن شراحيل كتب على الصحيح وقيل عمرة بنت الجون

هند بعد موت ابى سلمة سنة اربع وكانت من اكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتد اسنة ست وزوجها النجاشى لعمرو بن امية الضمرى وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت تفخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهى اول من مات منهن بعده وصح عن عائشة لم تكن امرأة خيرا منها فى الدين وأتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة واشدا بتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى اى وهو الدبغ رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى فى الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا ورواية محرما معناها انه فى الحرم على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له أن ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث الخزاعية وكانت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى فكاتبها فجاءت تسأل النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال لها هل لك الى ما هو خير لك من ذلك أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بايديهم من اقوامها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق فى سببها مائة اهل بيت من بنى المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن شهاب أنه اختارها من السبى فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيى بن اخطب من نسل هرون صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وهى من سبى خيبر أذن صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبى فى اخذ جارية من السبى فأخذها فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم اعطيته سيدة بنى قريظة والنضير وهى لا تصلح الا لك فخشى عليه الفتنة فأعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فى قالت يا رسول الله انى كنت أتمنى ذلك فى الشرك وكان بعينها حفرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها على حجرها فرأت قمرا وقع فى حجرها فأخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت رضى الله عنها فى رمضان سنة خمس ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا فى ثنتى عشرة امرأة فبعضهن الاصح فيه أنه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه أنه لم يتزوجهن ومحل

(قوله الامان الخ) جواب الاقسام السابقة مفعول به أو مفعول مطلق فالعامل على الاول أنلنا وعلى الثانى أمنا وفى كلام الشارح مايشير الى الاعرابين تأمل (قوله وكون المحبة الخ) جواب عما يقال كيف ادعيت محبته مع اعترافك أولا باقتراف الذنوب والمحب لايخالف أمر محبوبه ولانهيه فتأمل (قوله هى لاتحد بحد الخ) قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى فى رسالة القصد المحبة من الله اخذه لقلب عبده من كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويعالج بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكفى حمل التقريب على بساط القربة ويمن ابكار الحقائق وثيبات العلوم ٣١٣ وقال رضى الله عنه المحبة لله سر فى القلب

بسط ذلك كتب السير (الامان) اى اقسم عليك بهؤلاء المذكورين وما منحتهم به أن تنيلنى من حضرتك بواسطة شفاعتك فى الى من لايخيب شفاعتك اوان تؤمننى الامان (الامان) تأكيد اى من عقاب ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ماجعته من المحبوب (ان) بالفتح تعليلا وبالكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة (فؤادى من) اجل (ذنوب اتيتها هواى) اى خال عن فهم ما ينفعنى فى دينى ودنياى لفرط الحياء والخجل من الله تعالى والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفى نسخة هباء اى لاوجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك على حتى يزيد اعتنائك بى وامدادك لى انى (قد تمسكت) اى توثقت واعتصمت (من ودادك) اى بمحبتى لك وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبى كما يدل عليه حديث يارسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب اوان المستلزم لذلك هو كمالها اوان ذلك من الناظم من كمال هضم النفس بتقدير مالم يقع واقعا كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا اوفى بعض الاحوال (بالحبل) اى السبب الاقوى وهو العهد الوارد عندك فى الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم (الذى استمسكت به الشفعاء) من الاولياء والانبياء والعلماء والصلحاء فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الابواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم فى الاغيار أورثتنى وقوع شفاعتك فى بجامع أنى احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين واعلم أن العلماء والعارفين اختلفت عباراتهم فى المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا فى حقيقتها بل فى احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التى لاتحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لايمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره وهى لاتحد بحد أوضح منها فالحد ولا تزيدها الا خفاء وانما تكلم الناس فى اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها

من المحبوب اذا ثبت قطعك عن كل محبوب وقال رضى الله عنه حقيقة المحبة رؤية المحبوب على العيان وكمالها فقدانك فى كل وقت وأوان وقال رضى الله عنه اوصاف المحبين أن يكون دائم الفكر كثير الدل قليل العبارة دائم الصمت لايخاف ولايرجو لايسمع اذا نودى ولايبصر اذا نظر وقال رضى الله عنه المحب على الحقيقة من لاسلطان على قلبه لغير محبوبه ولامشيئة له مع مشيئته وقال رضى الله عنه حرام عليك أن تتصل بالمحبوب ويبقى لك فى العالمين مصحوب وقال رضى الله عنه اذا منعك مما تحب ورد لك الى مايحب فذلك من علامة محبته لك وعن الشبلى انه قال مرة لتلميذه الحصرى فى بداية أمره ياحصرى ان خطر فى بالك من الجمعة الى الجمعة

الثانية غير الله فلا تحضرنى فانه لايجتمع معك شئ ومن كلام الحلاج اذا تخلص العبد الى مقام المعرفة أوحى اليه بخواطره وحرس سره عن ان يسبح فيه غير خاطر الحق ثم قال ومن علامات العارف ان يكون فارغا من أمور الدنيا والآخرة مشتغلا بالله وسئل عن صفة المريد فقال هو الرامى باول قصده الى الله فلا يعرج حتى يصل وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال أهو ما ترى وكان يقول من لاحظ الاعمال حجب عن المعمول له ومن لاحظ المعمول له حجب عن الاعمال وكان يقول لايجوز لمن يرى غير الله ان يدعى انه عارف بالله عز وجل وكان يقول من اسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبادة التجريد ومن طلب الحق بنور الايمان كمن طلب الشمس بنور الكواكب وكان يقول ما انفصل الخلق عنه ولا اتصلوا به وكان يقول من شرط التوكل ان لايأكل شيأ وهو يعلم ان فى بلده من هو أحوج منه

لحدودهم ورسومهم دارت على هذه الشريطة وتنوعت بها العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والياء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللياء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب الضم الذي هو أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماها وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب الكسر لفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني تعلك بان غير لغة العرب لا تلحقها واعلم ايضا انه صح في الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اي الميل اليه اختيار الاطبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا او أمارة كان مرجوحا وفي كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان وردبانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شئ مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي صحيح البخاري أن عمر قال يارسول الله أنت أحب الي من كل شئ الا من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل الكتاب عليك لانت أحب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قد تم ايمانك فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل لعمر قطعا وانما وقف لان حب الانسان نفسه طبيعي وغيره اختياري بواسطة الاسباب وهذا هو الذي أراده من عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغييره ما جبلت عليه الانفس فجواب عمر أولا بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالدليل أنه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا لكونه هو الذي أنقذه من هلاك الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار فأجابه بالآن اي عرفت فنطقت بما يجب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره ومنهيه على جميع أغراضه قال القرطبي وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثيرا من العامة يؤثر رؤيته صلى الله عليه وسلم على اهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر في قلوبهم من محبته صلى الله عليه وسلم غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم (وابى الله) اي لم يرده كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما تفضل به عليك كقوله عز قائلا ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذي دلت عليه آثارك الجليلة أن من لجأ اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضاك ومن ثم أخبرتنا عنه سبحانه وتعالى أنه يقول لك في ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع (أن يسقى

(قوله أحب اليه) أفعل تفضيل بمعنى المفعول على غير قياس وان كثر اذ القياس كونه بمعنى الفاعل لا يقال افعل ومعموله لكونهما كالمتضايفين لا يجوز الفصل بينهما باجنبي فكيف فصل بينهما بالهاء لان الجار والمجرور والظرف يتوسع فيهما فتأمل

السوء بحال) اى فى حال من الاحوال الدنيوية والاخروية (و) الحال ان (الى البك التجاء) اى استنادا لمزيد محبتى لك ولخدمتى لجنابك ومن هو كذلك حقيق بان لا ينال من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك (قد رجوناك) معشر محبيك وخدامك أيها النبى الكريم أى أملنا فيك (للامور) الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات (التى أبردها) اى أيسرها (فى فؤاد نار مضاء) اى نار تتقد من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا وبين أبردها ومضاء الفقر والغنى المطابقة (وأنينا اليك) بقلوبنا اى وجهناها الى الاستعاذة بك من كل مكروه وألوى قبرك المكرم حال كوننا (انضاء) جمع ناضو بكسر النون اى مهازيل (فقر) من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله (حملتنا الى) حضرتك التى فيها (الغنى) الاكبر (انضاء) اى ركائب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحات كرمها والتملى بشهود احسانها ونعمها (وانطوت) اى استترت (فى الصدور) اى القلوب (حاجات نفس) أملت حصولها من جنابك الكريم برفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه أقرب منك اليه ولا أحد بعدك يعول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت تلك الحاجات (مالها عن ندى) اى عطاء (يديك) الكريمتين (انطواء) اى استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يمنع بها غير عطائك الهامع فلا انفصال لنا عن واسع جودك ولا انصراف لنا عن ساحة حرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى آثارك طامعين فى حصول كل ما أملناه بشفاعتك التى هى مطمع المقربين ووسيلة المقصرين (فأغثنا) بها التقضى جميع حاجاتنا الوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك (يا من هو الغوث) للمكروبين والملجأ للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد (والغيث) المريع للمضطرين المشبع للجائعين المجزل لهم من الفوائد فأزل شكوانا وارفع لأوانا (اذا أجهد الورى اللأواء) اى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على التلف (والجواد) الاعظم (الذى) لم يخلق الله من يصل الى أدنى مراتب جوده فضلا عن أن يساويه فيه (به) أى بسببه (تفرج الغمة عنا) معشر أمته (وتكشف الحوباء) بفتح أوله وضمه أى الاثم أى عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والغماء والحوباء فى معانيها المذكورة من غم الهلال اذا ستره غيم أو نحوه والظبى استجم (يا) نداء يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف أو مستأنف لكنه بعيد (رحيما) من الرحمة وهى

(قوله اوالى قبرك المكرم) يؤيد هذا قوله حملتنا الخ ولا مانع من ضم الاول اليه (قوله فاغثنا بها) اى شفاعتك

رقة القلب وعايتها التفضل والانعام أو ارادتهما وهو في اسماء أول أبيات هذه القصيدة مايتعين استحضاره هنا (بالمؤمنين) مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما وهو في شرح قوله رحمة كله مايعلم من سعة رحمته لاسيما بالمؤمنين وباهر رأفته لاسيما على الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي بجميع ماعلم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضروري وهو مايستوي في معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي التصديق وحده بل لابد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن أهل السنة لكن أشار الغزالي رحمه الله تعالى الى ما اختاره جمع محققون غيره انه من أهل الجنة وتركه التلفظ به معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد في النار والكلام فيمن لم يتمتع منه جحودا أو انكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كاكثر المحدثين أي من كماله فالمرء مؤمنا فاسقا تحت المشيئة قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد في النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة * (تنبيه) * مهم يتعين الاحاطة به لعظيم برهاه وعزة نحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة قبل ذكر غيره واحدانه أبلغ من الرحمن وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم قال بعض الائمة صفات الله التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها انما تثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية الكمال وأيضا فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكل والله على كل شيء قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهي محال وأجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرير حكمه بالنسبة الى الشرائع وفي الكشاف والمبالغة في التواب أي في المحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو في قبول التوبة حتى نزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وعبر الزركشي عن الثاني بما يؤول الى ما قاله الزمخشري وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه ومار بك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به في

(قوله بالمؤمنين) خصهم بالذكر مع ان رحمته شاملة للكافرين كانقاذهم من هول الموقف بشفاعته لانهم المقصودون بالذات

(قوله وهي محال) اي الزيادة على معنى قادر محال لان الايجاد شيء واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد وأجيب بان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف انتهى اتقان

مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب قابل التوب قابل فى الاول المبالغة فى الجمع وفى الثانى صيغة اسم الفاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد وبأنه بقى الظلم الكثير اينتفى القليل ضرورة لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما يأخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذى ظلم ونسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبانه اراد بليس بظلام ليس بظالم تأكيد النفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه رد رد على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهى مناسبة رؤس الآى (اذا) ظرف لرحيما (ما) زائدة (ذهلت) اى غفلت عن ابنائها (الرضاع) مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا ليس لانتفائها فى غيره بل لانها فى هذا اليوم اظهر واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى فى فصل القضاء ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع فى ذلك اليوم الا نسبه وحسبه وفى الرحيم والرحماء رد العجز على الصدر وفى الذمام وذماء وصاعدات وصعداء واقتفى واقتفاء ووعوة وعراء ويتقى والاتقاء وذرعا وذرعاء والعرج والعرجاء ورضا ورضاء والحب والحباء جناس الاشتقاق او شبهه وبين اعمال ومال جناس ناقص وبطان وبطاء لاحق وحر والحرمحرف (ياشفيعا) من الشفاعة وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه (فى المذنبين) فى غفران ذنوبهم وكشف كروبهم (اذا) ظرف لشفيعا وفيه ما فى الذى قبله (ما) زائدة (اشفق) اى ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهش وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا ايضا له لكنه لا يتأتى هنا لانه لا يلائم قوله (من) اجل (خوف) عقاب (ذنبه) عائد للبرآء المتقدم رتبة وافرده نظرا للفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث (البرآء) من الكبائر جمع برئ بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة بل صغائر بل لا يخرج عن ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء عليهم الصلاة والسلام شعارهم فى ذلك اليوم اللهم سلم سلم (جد) يا من تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا أوجه منك عند

(قوله فلا مفهوم له) اى لان تكرير اللفظ اذا ورد جوابا لكلام خاص لا مفهوم له انتهى اتقان (قوله جوابا عن الثانية) اى الآية الثانية وهى وما كان ربك نسيا (قوله تذهل كل مرضعة) الذهول ترك الشئ بدهشة ونسيان (قوله ما زائدة) هكذا ثبت فى نسخ الشرح وهى زائدة لفظا ايضا اذ لا يستقيم الوزن معها فالصواب حذفها كما هو المتن فاعرفه انتهى طبلاوى (قوله وافرده نظرا للفظ) فيه ان لفظه جمع كمعناه فتأمله

ربك (لعاصى) استاسرته الخطايا وأحاطت به المحن والبلايا والاصل لى اولنا فهو تجريد والتفات وآثر فيه التنكير لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسؤل بان يجود عليه فى ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب (وما) نافيه (سواى) اى غيرى (هو العاصى ولكن تنكرى) الواقع فى قولى لعاصى (استحياء) منك ان اذكر لك نفسى بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذا نك مصدر ان بخلاف هذا قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر فى كل يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا لتباين مدلوليهما هذا تقرير عبارته وفيه مؤاخذتان احداهما الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق أى لا رزاق سواه وفى الفائق وكلام الكشاف يميل اليه أيضا ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصى دال على حصر العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد من النفى الداخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على ما هو المشهور وان النفى يتوجه للقيد فان توجه للمقيد أيضا توجه الاعتراض الآتى من باب أولى وحينئذ فنفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القائم احتمل مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه هو وغيره قائمان واذا أفهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه أثبت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصى وحده أى ادعاء وهضما للنفس لا حقيقة لانه الواقع بخلاف ذلك ثانيتهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء وان أفاده فان شأن السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعاطف عليه فالحياء منه حينئذ غير لائق وللك ان تجيب عن الاولى بان من الواضح ان سوى كغير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا وان أل فى العاصى للعهد الذهنى فهو للجنس على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير أخرى وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواى عاصيا بل أنا العاصى وحدى وعن الثانية بان السائلين على أقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكاب ما كان سببا لسؤاله فيستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبائح سترا واحتشاما من اعترافه بالنقائص والفضائح خشية من انه قد يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى اراد اجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضى لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل حياء من ان يبين نفسه أو معصيته فيكون ذلك

(قوله مبالغة) اى حيث جعل تنكيره عين الحياء مع ان الحياء وصف قائم بالشخص كقيام العدل بالرجل لا انه عينه (قوله يحتاج لتأويل) فكما اول رجل عدل بذى عدل او بعادل ليصح الحمل يؤول هنا بتقدير مضاف اى سبب تنكرى استحياء لصحة الحمل (قوله وفيه مؤاخذتان) اى فى النظم (قوله من يغلب عليه الحياء) اى ومنهم من يظهر نفسه عند رفع حاجته ليعرف حاله فيحصل العطف عليه والناظم لاحظ مقام الحياء تارة كما هنا فتنكر ولاحظ التعطيف تارة فتعرف حيث قال فيما يأتى كل يوم ذنوبه الخ

سبب الرده *(تنبيه)* لازالت اتطاب ان ماذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير له قد يكون للاستحياء هل صرح به أحد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو قولهم لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فى أسباب التنكير ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أى وحده أو ارادة النوع نحو هذا ذكر أى نوع من الذكور على أبصارهم غشاوة أى نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شئ من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ماء أى كل نوع منها من كل نوع منه او كل فرد من افرادها من افراد النطف أو ارادة للتعظيم بمعنى انه اعظم من ان يعين أو يعرف نحو فأذنوا بحرب ولهم عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليه أو ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا اى وافرا عظيما جليلا أو ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر اى ورضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها وارادة التحقير بمعنى انحطاط شأنه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اى شئ خلقه اى من شئ حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء الذى ذكره الناظم * وهنا قاعدة يهم نفعها وهى ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثانى عين الاول غالبا دلالة على المعهود الذى هو الاصل فى اللام والاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثانى غير الاول غالبا وقد اجتمعا فى آية فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر فى القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او عكسه حكمت القرائن ونقضت هذه القاعدة بآيات كثيرة نحو هل جزاء الاحسان اى العمل الا الاحسان اى الثواب وهو الذى فى السماء الهه وفى الارض اله ويؤت كل ذى فضل فضله ويرده ما مر من انها الغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع ما اورد عليها من الآيات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شئ لكن فى بعضه تكلف (وتداركه) اى أدركه (بالعناية) منك له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا يأتى قط بهفوة (مادام له بالذمام) بمجمة قسم متعلق بتداركه أى تداركه والالزم خلوه عن معنى يليق بالسياق بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك مادام له (منك ذماء) بالمجمة أى تعلق واصله بقية الروح فى المذبوح أى مادام فيه أدنى تعلق واستمساك بك لان اكرم الكرماء فى الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من أليم العذاب وبعد الحجاب ولم لا وقد (أخرته) أى ذلك العاصى (الاعمال) السيئة التى ارتكبها (والمال) الفانى الذى أمسكه عن صرفه فى وجوه الخير أو جمعه من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش فى جمعه لبه ولم يبال من اى واد جمعه ولا باى وصف اكتسبه (عما قدم) به (الصالحون) جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم أن المصلى اذا قال فى تشهده

(قوله اى كل نوع الخ) عبارة المطول اى كل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع الماء وهو نوع النطفة الذى يختص بذلك من الدواب (قوله من افراد النطف) وهى نطفة ابيه المختصة به (قوله بالذمام) اى الحرمة انتهى صحاح (قوله ذماء) بفتح المعجمة ممدود بقية الروح وهو فى الاصل مصدر ذمى المذبوح يذمى اذا تحرك انتهى قاله ابن مالك

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد صالح فى السماء والارض وبين أخرته وقدم جناس التطابق كالحسنات والسيآت والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومى وليلتى والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء الآتيات (والاغنياء) من الاعمال الصالحات والانفاق فى وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثانى للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية مستندا ما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال (كل يوم) وليلة (ذنوبه صاعدات) مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون اعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا لعظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصى (وعليها) اى من أجلها (أنفاسه صعداء) اى متواترة ممدودة من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى ورطتها انه (الف البطنة) بالكسر اى ملء بطنه من الطعام والشراب كذا قال الشارح والذى فى القاموس انها الاشر والبطر وقال فى البطر انه النشاط والاشر قلة احتمال النعمة والدهش والحيرة او الطغيان بالنعمة وكراهة الشئ من غير أن يستحق الكراهية اه وكل ذلك صحيح هنا وقال فى البطن بوزن كتف انه الاشر المحمول ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهى عن الاكل (المبطئة السير) الى الله تعالى اى المعوقة عن الاجتهاد فى رضاه باستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحة التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن النقائص وعن كل وصف دنىء وخلق رذيل ولو لم يكن من شؤم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء من أنها تفسد العقل بادهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه وقوته (بدار) وهى الدنيا (بها) اى فيها (البطان) جمع بطين ككرام جمع كريم (بطاء) جمع بطى على وزن الجمع قبله فهم متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين (و) بسبب عصيانه (بكى ذنبه بقسوة قلب) اى مع شدته وغلظته المؤديين الى أن البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم (نهت) تلك القسوة (الدمع) عن أن يبرز منه شئ من عين ذلك الباكى (و) بسبب هذا النهى انقلب (البكاء) عن حقيقته وهو حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع ويتبع الرجوع وصار ذلك البكاء كانه (مكاء) بالتخفيف اى كالصفير بجامع أن كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتأثر به القلب وبين البكاء والمكاء الجناس المضارع (وغدا) اى صار ذلك العاصى بعد ما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا يفيد لمزيد قسوة قلبه (يعتب) من عتب عليه وجد عليه (القضاء) من قضاه صنعه وقدره أن يقول لم أو كيف قدر على هذا (و) الحال انه (لا عذر لعاص) يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه وتندفع مؤاخذته (فيما يسوءه) به (القضاء) والقدر من المعاصى لان الله تعالى أجرى عادته الالهية فى هذا العالم على

(قوله فى سبعة امعاء) قال الشارح فى شرح الشمايل والمراد المبالغة فى شرهه ونهمته لا حقيقة العدد او حقيقة لقول اهل التشريح ان للآدمى سبعة امعاء فالمؤمن يكتفى بمل واحد منها والكافر لا يكتفى الا بمل جميعها والمراد الجنس والاكثر من المؤمنين يأكلون اكثر من غيرهم وقيل المراد المؤمن الكامل وهو لكثرة فكره واشفاقه من المناقشة فى الحساب حتى من المباح يقلل اكله دائما اه قال الهروى وفيه وجه احسن من ذلك وهو انه مثل ضربه للمؤمن زهده فى الدنيا والكافر حرصه عليها (قوله يعتب من عتب) قال فى المختار عتب عليه وجد به كطرب ونصر وقال فى فصل الواو من باب الدال ووجد عليه فى الغضب موجدة بكسر الجيم ووجدانا ايضا بكسر الواو ووجد فى الحزن وجدا بالفتح

اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب و ينسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فأسند تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الرمي واليهم القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى أنه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند الافعال الى فاعليها صورة لمدحوا أو نذموا باعتبار جريان تلك الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وأن تعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق و يثبتون قدرة العبد تخيلا منهم أنهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن انه يلزمهم ماهو أقبح من ذلك وهو أن يجري في ملكه تعالى مالا يشاؤه على أن نسبة أفعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشئ انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف في ملكه بما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأن تعتقد بطلان مذهب الجبرية أيضا لانه يلزم عليه أن لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان الجبر هو الاكراه على الشئ من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يداوم عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء أن الله تعالى أسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم أخرى فنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بأن نظرنا الى الافعال من حيث الصورة وأنطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وأنطنا بها احكاما لان هذا هو العدل السوي والطريق الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية وأهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان وأكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا أولئك الاكثرين وأهل السنة عدلوا فوالوا الكل ورضوا عنهم فكانوا في الجنة وكان كل من ذينك هنا وفيما مر في النار فان قلت قوله ولا عذر الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر في قصته المشهورة مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى عليهما الصلاة والسلام أنت أبونا آدم الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك اى بالنسبة لمقامك والا فهي ليست بخطيئة حقيقة لانه نسي كما في الآية أيضا ولعموم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال له ألم تجد في التوراة قد قدر علي ذلك قبل أن أخلق و باربعين سنة فقال نعم فقال أتلومني على ذنب قدره الله علي قبل أن اخلق باربعين سنة قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج آدم موسى وكذا احتج عمر على أبي عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فرأى فيها طاعونا فأراد الرجوع فقال له ابو عبيدة أفرارا من قدر الله تعالى يا امير المؤمنين فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفي منه ما وجب عليه به ليمنع بذلك مؤاخذته

(قوله واليهم القتل) تأمله فانه لم يسنده لهم وانما اسنده اليه سبحانه فلم يوجد التنافي بينهم (قوله احتجاج آدم) احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام قال ابو الحسن القابسي معناه التقاء روحهما في السماء فوقع الحجاج بينهما قال القاضي عياض ويحتمل أنه على ظاهره وانهما اجتمعا بأشخاصهما (قوله نسي) اى سهوا لان النسيان مستحيل على الانبياء لانه نقص (قوله قدر علي ذلك) المراد بالتقدير هنا الكتابة في اللوح المحفوظ أو في صحف الملائكة اى كتبه الله علي قبل خلقي باربعين سنة ولا يجوز أن يكون المراد حقيقة القدر فان علم الله وما قدره على عباده واراده من خلقه أزلي ولم يزل سبحانه مريدا لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر اه من شرح مسلم للنووي (قوله لو غيرك قالها) اى كلمة أبي عبيدة (قوله لاوجعته) اى لاعتراضه علي في مسئلة اجتهادية وافتئاتي عليها أهل الحل والعقد اه شرح مسلم

به لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك بل لم يمنع تعميره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى واما الثاني فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر في ذلك وانما هو بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول والا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضي الله تعالى عنه أن المسببات منوطة باسبابها من غير نظر في عواقبها وان الله تعالى كما قدر على الناس الموت بالطاعون قدر على آخرين عدم الموت به فالامتناع من الدخول فرار من القدر الى قدر آخر والدخول تجاسر على ما لعله يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القاء باليد الى التهلكة وهي منهي عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة التداوي والفرار من الهلاك وهذا محمود في الكتاب والسنة فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوائهما في المعنى المعلل به فيما مر قلت لا مساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك يؤدي الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز ثم رأيت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر رضي الله تعالى عنه ونقله عنه النووي وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فائدة الدعاء مع القضاء مع ان الدعاء لا يرده فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه اه فتأمل هذا المحل فانه مهم نفيس وفيه شبه كثيرة ازالها بحمد الله تعالى هذا التقرير الواضح لمن ألهمه رشده واسعد الله جده وخلصه من ورطات الفتن وغوائل البدع والمحن حقق لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر أن لا عذر فيما يسوقه القضاء بالمعنى السابق سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعذر من (اوثقته) اي حبسته في الدنيا عن الخلوص من التبعات وفي الآخرة عن مقامه المكرم (من الذنوب) حال متقدمة على صاحبها وهو (ديون) اي ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه في حقوق الله تعالى وحقوق عباده (شددت في اقتضائها) اي في طلبها منه (الغرماء) لان حقوق الآدميين مبنية على المشاحة والمضايقة (ماله حيلة) اي طريق في التخلص من تلك الديون (سوى حيلة الموثق) اي الاسير الذي صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلا من هو كذلك تنحصر في شيئين لا ثالث لهما الا نهما (اما توسل) الى الله تعالى في خلاصه بما سبق له من عمل خالص او بشفاعة الشافعين (او دعاء) اليه في أن يرضي عنه غرماءه

(قوله وغوائل) اي دواهي

ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه (راجيا) حال من عاص وضمائرها المذكورة اى مؤملا املا قريبا (ان تعود اعماله السوء) عليه (بغفران الله) له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب (و) الحال ان تلك الاعمال (هى) فى جنب الغفران (هباء) اى مثله فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت عليه عند طلوعها من كوة (او) ان (ترى سيآته حسنات) منة عليه باندراجه فى سلك الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (فى) بسبب استحالة السيآت حسنات (يقال) عند رؤية ذلك (استحالات الصهباء) اى الخمرة من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيآت بالخمر والحسنات بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التى هى من لوازم المشبه به تخييلية (كل امر تعنى) اى تعتنى وتهتم أنت يا رسول الله (به) وتلتفت اليه (تقلب الاعيان) جمع عين وهو الجسم وهو معنى تفسيرها بانها المبصرة مستقلا بنفسه (فيه) بان تتحول من صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها (وتجب البصراء) جمع بصير حسا ومعنى اى ذوو البصائر والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك الفعل اذ (رب) هى هنا للتكثير قاله الشارح (عين) من عيون الماء اى عيون كثيرة (تفلت) اى بصقت (فى مائها الملح) الذى لا يتساغ لاحد (فاضحى) ماؤها الملح (فى الحال انه (هو الفرات) اى العذب السائغ للشاربين او هو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث (الرواء) بالفتح اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربه قال الشارح فى وهو الفرات الرواء الجملة خبر أضحى انتهى وهو جار فى ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على القيام واعل نسخته بلا واو قبل هو * (تنبيه) * لم ار الخصوص التفل فى ماء عين ملح فانقلبت عذبا فضلا عن كثرته التى قالها الشارح بلغا ويحتمل أن الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر أريس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها لوجود الاعذبية فى هذه ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها منزلة منزلة ماء ملح صار عذبا وفى حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة وهذا يقتضى أن ماعدا بئر رومة من بقية آبار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة هذه بئر اريس وقد صارت ببركة تفله صلى الله عليه وسلم فيها اعذب بئر بالمدينة فصار ماؤها الذى تقرر ان به ملوحة اعذب بئر بالمدينة فتنبه من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله تعالى فتأمله ثم رأيت للبغوى فى الصحابة عن بشير الاسلمى ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء الحديث السابق فى بئر رومة فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقرر فى بئر اريس يدل على زوال ملوحتها بالكلية

(قوله تخييلية) فيه أن التخييلية انما تكون المكنية لا للتصريحية (قوله كل أمر تعنى) قال فى المختار وعنى حاجته يعنى بها على مالم يسم فاعله عناية فهو بها معنى على مفعول ثم قال وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه اى مالا يهمه (قوله جمع عين وهو الجسم الخ) هذا بيان لمعناها الاصلى والا فالمراد بها هنا الصفات بقرينة قوله بان تتحول صفتها الخ وهناك مضاف محذوف اى صفات الاعيان (قوله اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربه) الذى فى القاموس أن الرواء بالفتح كسماء الماء الكثير المروى فمن أين أخذ الشارح التقييد بالقلة وقد يقال مراد الشارح الذى يحصل بقليله كما يحصل بكثيره فليس مراده اخراج غيره من مدلول الرواء فتأمل (قوله دار أنس) لعله بئر دار أنس (قوله ما قاله الناظم) لكن الكثرة التى صرح الشارح أنها معنى لرب لم يظهر وجهها

قول المحشى قوله دار انس الذى فى نسخ الشارح التى بايدينا بئر أريس فلعل ما كتب عليه المحشى وقع له فى نسخة

وانها صارت اعذب حتى من بئر زمزم ثم رأيت الشريشي شارح مقامات الحريري ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل في بئر اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير زين العراقي انه لم يرا صلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم في بئر اريس قال غيره ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحينئذ ما قاله الشريشي لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيها زيادة كون مائها كان اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره وانه ورد فضلا عن كونه صح واعل الناظم رحمه الله رأى ذلك في كلام مثل الشريشي ممن لا يعتمد به في الحديث فاعتمده ثم رأيت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بعذب لا باعذب ان ريقه صلى الله عليه وسلم فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذ قد فرط مني ما سبقت الاشارة اليه فلا يسعني الا مزيد الندم والتوجع منه والتأوه عليه بان اقول على الدوام والاستمرار (آه) كلمة توجع اي توجهي عظيم وقندمي زائد دائم (من) اجل (ماجنيت) على نفسي من الذنوب وقبائح العيوب (ان) هي بمعنى اذ على حد وخافوني ان كنتم مؤمنين وما قررته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم الندم توبة اي معظمها المتكفل ببقيها كالحج عرفة (كان يفني ألف من عظيم ذنب) من اضافة الصفة للموصوف (وهاء) اي مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح ان تكون ان على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة آه تفيد الندم لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح ولك ان تمنعه بانه يكفي في كونها بمعنى اذ ان قبولها ظني لان ظن الوقوع ينافي وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها البين ان الاهتمام بها منع من الاكتفاء عنها بالتعريض فقال (ارتجي) أي أومل لحسن ظني بربي عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن ظنه بربه وبقوله تعالى انا عند ظن عبدي بي فلا يظن عبدي بي الا خيرا (التوبة) وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسته فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر أيضا وعزمه على أن لا يعود اليها ما عاش كذلك أيضا لا نحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك أدائه فورا وبادائها عصى باخذه ظلما الى مالكها أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب وتصح على الاصح أيضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك (النصوح) أي التي لا يعود من حصلت له الى الذنب أبدا لوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو آخر ويا

(قوله كان اجاجا) اي ملحا مرا كما في المختار (قوله في بئر اريس) بفتح الهمزة مصروف كما في شرح مسلم (قوله واعل الناظم الخ) اي داع لحمل النظم على ذلك الذي لم يثبت دون حمله على ما ثبت أنس على الوجه السابق (قوله آه) ويقال ايضا اواه وأوه وكل اسم فعل بمعنى اتوجع (قوله وهو التوجع) على تقدير مضاف اي اسم اتوجع لان الفاوها اسمان مسماهما آه ومسمى آه اتوجع (قوله من التردد فيه) فيه أن مطلق التردد يشمل الظن فلا ينافي الا لو قلنا وضع ان للشك بمعناه المعروف فتدبر وهذا هو المشهور وفي وضع ان بقرينة قوله على حالها من الشك وحينئذ فقوله من التردد المراد به خصوص الشك تأمل

(قوله واستغفارنا الخ) قال الغزالي في الاحياء لاتظن أن رابعة تذم حركة اللسان بالاستغفار من حيث انه ذكر الله تعالى بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لامن حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين قال وهذا معنى قول القائل الصادق حسنات وقوله القائل الصادق ربما يوهم انه حديث وليس كذلك بل هو من كلام شيخ الطائفة الجنيد كما في فتاوى شيخ الاسلام الحديثية وفي طبقات الاولياء للمناوي في ترجمة الجنيد (قوله من كبرتي) عبارة الصحاح الكبر في السن وقد كبر الرجل يكبر كبرا وزان عنب اي اسن ومكبرا ايضا بكسر الباء يقال علاه المكبر والاسم الكبرة بالفتح يقال علت فلانا كبرة وكبرا بالضم يكبر أي عظم فهو كبير وكبار فاذا أفرط قيل كبار بالتشديد والكبر بالكسر العظمة وكذا الكبرياء وكبر الشئ أيضا عظمه قال تعالى والذي تولى كبره وفي القاموس كبر كبرا كعنب وكبرا بالضم وكبارة بالفتح تقيض صغر فهو كبير وكبار كرمان ويخفف ثم قال وكبر كفرح كبرا كعنب ومكبرا كمنزل طعن في السن ثم قال وكبر كصغر عظم وجسم انتهى المراد منه (قوله كنت في نومة الشباب) شبه غفلته في حال شبابه بالنومة بجامع عدم الانتفاع والاحتياج الى موقظ بل بحجاب الانتفاع على طريق الاستعارة المصرحة (قوله والحال ان لمتي) قال في المصباح اللمة بالكسر الشعر اذا لم يجاوز شحمة الاذن والجمع لمم ولمام فاذا جاوز شحمة الاذن فهو جمة بالضم هذا يقتضي ان اللمة شعر الرأس الموصوف بما ذكر لا انه اسم للحية كما منع الشارح (قوله ويشهد لذلك الحديث الخ) ليس فيه ما يفيد الفرق بين زمن الشباب زمن الشيخوخة فتدبر

كان تاب لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر في صحة أصل التوبة وانما يؤثر في كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن أني يفيدني هذا الترجي (و) الحال اني متلبس بما قد يفنيها اذ (في القلب نفاق) من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك لا يصدر الا ممن آمن بلسانه فقط (وفي اللسان) والاركان (رياء) أي نظرا الى الخلق باعتبار ان ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفق أو ثناء من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة رجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رحمها الله تعالى استغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار (ومتى) للاستفهام التعجبي (يستقيم قلبي) بان لا يبقى فيه نظر الى ما يحجب عن الله تعالى من أهل أو مال أو جاه او غير ذلك بل الى الله تعالى وحده (و) الحال اني قد وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هي انه حصل (للجسم اعوجاج من) اجل (كبرتي) اي كبر سني وهن عظمي من كبر بكسر الباء اي اسن (وانحناء) لقامتي وهو من عطف الرديف والاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة بخلاف اعوجاج الشباب فان العود رطب والقلب لين فاذا وعظ يؤثر فيه واقل زاجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما أخرت التوبة الى هذا الزمن لاني (كنت في نومة الشباب) التي تكثر فيها الغفلات وتتوالى على اهلها الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق من نومه لا بمحرك قوي (فما استيقظت) من تلك الغفلة في حال من الاحوال (الاو) الحال ان (لمتي) أي لحيتي (شمطاء) اي اختلط سوادها ببياضها وما تقرر في زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والانزجار بادني وعظ وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادني عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصي الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده قاسا وصلب فلا يتقوم اعوجاجه الا بعد اياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق (و) حينئذ

بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر (تمادين) اى طالبت ان (اقتفى) أى اتبع (أثر القوم) الصالحين السابقين الى المراتب العلية والفائزين بنيل المآرب السنية (فطالت) على (مسافة) بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها (واقتضاه) لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها أوقاتهم وانقطعوا الى الله تعالى عن كل غفلة وتبعة (فـ) بسبب طول المسافة التى بينى وبينهم (وراء) خبر مقدم (السائرين) أى السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا وعدل اليه عن ورائهم الذى هو القياس ليفيد انهم أحيوا ليلهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة (وهو) أى ذلك الوراء (امامى) جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا (سبل) مبتدأ موخر اى طرق (وعرة) اى يعسر سلوكها لان اولئك القوم كلفوا انفسهم من الاعمال والتخلق بكرائم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قاموا به اولئك (وارض عراء) بفتح اوله اى فضاء واسعة (جدد) اولئك القوم (المدلجون) اى السائرون من اول الليل او اكثره والقياس جددوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله او اكثره وهذا القسم الثانى افضل واكمل لانهم رأوا ما تجددوا به جدهم مما لم يره من قبلهم (غب) اى عاقبة (مسراهم) من الفوز برضا الله تعالى وقربه والاطلاع على حقائق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى (وكفى من تخاف) عنهم فى سيرهم وهذا راجع لقوله فوراء السائرين وقوله جدد راجع لقوله السائرين فقيه لف ونشر مرتب (الابطاء) اى التأنى فى السير المفوت لادراك منازلهم وفى ذكر هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم بذكر حالهم التى جد واعقبها وفاتته لعجزه عن ادراكها الماهو عليه مما لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطائف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وماهم عليه من الجد فى السير الى الله تعالى (رحلة) عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن الشبهات وقبائح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها الانى (لم يزل يفندنى) اى يكذب على او يضعف رأيى (الصيف اذا ما) زائده (نويتها والشتاء) كذلك اى اذا جاء الشتاء اتوى الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى سنده من ضعفه جماعة ووثقه آخرون والارجح توثيقه فى هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها من حيا بالشتاء فيه تنزل الرحمة امالليله فيطول القائم وامانهاره فيقصر الصائم وحديث لم ينزل قط عذاب من السماء على قوم الا عند

(قوله اى يكذب على) كان الظاهر يكذبنى قال فى القاموس وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطأ رأيه كافنده انسلاخ

الشارح (قوله أحيوا ليلهم) أى عامة ليلهم كما أفادته عبارة القاموس فيحمل عليه قوله أولا وهو السير ليلا بأن يراد عامة ليل وعليه تتساوى عبارته عبارة القاموس (قوله والقياس جددوا) أى القوم (قوله منهم من يحيى بعض الليل) أى قليلا منه لان احياء أكثره وصف الفرقة الاولى من الفرقتين السارين والمدلجين هذا والذى يفيده كلام الشارح الراجع للقاموس كما سبق ان القوم اما سارون أو مدلجون وان السارين هم الذين أحيوا معظم الليل وان المدلجين هم الذين أحيوا كل الليل أو أكثره وينبغى ان يراد هنا احياء كله ليحصل التغاير بين الفرقتين فيراد بالفرقة الاولى التى أحيت معظم الليل وبالثانية التى أحيت كله وأما الفرقة التى أحيت بعض الليل أى أقل من معظمه فلم تستفد من كلام الناظم اذ ليس من مدلول السارين ولا من مدلول المدلجين كما عرفت فهذه الفرقة الثالثة هى الفرقة المتمادية فى السير المتخلفة عن اللحوق التى جعل الناظم نفسه منها تواضعا رضى الله عنه

إنسلاخ الشتاء ومما اوجب ابطائي عن تلك الرحلة انه (يتقي حر وجهي) وهو ما يبدو من الوجنة (الحر والبرد) باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كايتان عن مشقة العبادة في الشتاء والصيف كما ان ما في البيت الذي قبله كذلك (و) الحال انه (قد عز) اي صعب علي (من لظى) اي جهنم متعلق بقوله (الالتقاء) لاني ملتبس بما يؤول بي اليها الا ان يتغمدني الله برحمته ولاجل هذا (ضقت ذرعا) بالمهملة والمعجمة (من) اجل (ما) موصولة او مصدرية (جنيت) اي ضعفت طاقتي عن ان تحمل وزره ولم اجد من يخلصني من ثقله واصل الذرع الخلق (فيومي قطرير) اي شديد وهذا كذكر عز والرحلة والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه اقتباس من الآيات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص (وليلتي درعاء) بالمهملة اي مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الدرعاء التي يطلع قرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه في واحد منهما * (تنبيه) * وقع للشارح انه قال الليلة الدرعاء بالمهملة ليست من الليالي البيض بل هي احدى الليالي الثلاث التي تلي الليالي البيض وليس بصحيح وعبارة القاموس وليلة درعاء يطلع قرها عند الصبح وليالي درع بالضم وكصرد للثلاث التي تلي البيض لاسودادا وائلها وابيضاض سائرها انتهت ففيه التصريح بان الدرعاء ليست من احدى ثلاث الثلاث وان ثلاث الثلاث لها وهي جمع معنى غير المفرد وتوهم الشارح ان الجمع اذا كان معناه ذلك لزم انه معنى المفرد وهو انما يتم ان كانت درعاء مفرد ذلك الجمع وعبارة القاموس صريحة في خلاف ذلك لانه فسرها بمعنى غير معنى الجمع فتأمله (و) لكن خفف عني ذلك اني (تذكرت رحمة الله) أي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي أي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا (و) بسبب ذلك (البشر) أي الفرح والسرور (لوجهي) متعلق بخبر البشر وهو تلقاء وهذا اولى من جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا ايضا (الى) اي في اي مكان (انتحى) اي اتوجه (تلقاء) اي مقابل اي فالبشر مقابل لوجهي في اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر اسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا (و) بسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف واسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء (الم) اي أقام (الرجاء والخوف في القلب) فهما على حد سواء كما هو الراجح عند أئمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا أمنت غلبة أحدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منه المحذور الذي في

(قوله ان الله كتب كتابا) يحتمل انه اللوح المحفوظ ويحتمل انه غيره وقوله فهو عنده فوق العرش اي في محل عظيم (قوله اي ان مظاهر الخ) اشار بذلك الى جواب ما قيل ان الرحمة والغضب يرجعان الى صفتين من صفاته تعالى وهما الاحسان والانتقام اوارادتهما وصفات الله متعلقة بذاته لا ترتيب فيها ولا سبق لبعضها على بعض وحاصل الجواب ان المراد بسبق الرحمة غلبة مظاهرها من المخلوقات وكثرتها على مظاهر الغضب تأمل (قوله تلقاء) التبيان والتلقاء

(قوله فيغلب الرجاء) فائدة كان الشبلي يقول انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان القمام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قرب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة وكذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضيء (قوله احفاه) بالحاء المهملة (قوله من رحمة الله) مع قوله فيما يأتي للنهي عن اليأس غير مناسب تفسير المتن به

لان تأس من الاسا وهو الحزن وماذكره الشارح بيان للياس والاياس بقال يئس وايس بمعنى قنط فكان الظاهر ان يقول في البيان اي لاتحزن حزنا يؤدي لليأس اي القنوط من رحمة الله للنهي عن اليأس الخ تأمل (قوله واستأثرت بها) اي بكثرتها (قوله ادخرها الخ) أخرج الطبراني عن معاوية ابن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل خلق مائة رحمة رحمة بين خلقه يتراحمون بها وادخر لاوليائه تسعة وتسعين اه من البدور السافرة للسيوطي وظاهر ان مراد الشارح بالرحمة المدخرة العامة لمن ذكرهم هي الرحمة التي ذكرها في الحديث بين خلقه (قوله اي الذين الخ) انظره مع سياق الكلام ومقتضى المقام اه طبلاوي اي لان المقام والسياق يقتضيان تفسير الضعفاء بالقليلين الاعمال ويجاب بان ذلك أشار اليه بقوله مع قيامهم الخ وبين بان محل كونهم أحق بالرحمة من الله مع قلة أعمالهم ان اتصفوا بما ذكر (قوله والله يغفر له) المشهور في الصحيح ان هذا الكلام مقول في الصديق رضي الله عنه وفي رواية انه مقول في عمر رضي الله عنه وعلى كلا الروايتين ضعف فليس في ذلك تنقيص لمن قيل فيه ذلك ولا اشارة لذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يدعون بها كلامهم ونعمت الدعامة وفي الحديث الصحيح كان المسلمون يقولون افعل كذا والله يغفر لك وهذا كعادة العرب في قولهم تربت يمينك وقال بعضهم هذا إخبار منه عليه الصلاة والسلام بان الله قد غفر له وجازاه على القيام بامر الامة على أتم الوجوه وقال القاضي ابن العربي لما رأى عليه الصلاة والسلام مدة الصديق قصيرة قال والله يغفر له اي يرضى عنه ويعطيه ثواب أطول مدة وأكثر عمل

مقابله أما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى اي يظن انه يغفر له ويرحمه (وللخوف والرجا) اذا توارد اعلى القلب (احفاه) اي استقصاه ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراه شدة وحصر للنفس لابطاقان لان من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شأن الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصى في مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده المقتضيان اذ لا يغلب أحدهما فيخشى منه المحذور السابق آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس (صاح) اي ياصاحبي وفيه نوع تجريد اذ الاصل يانفسي (لاتأس) من رحمة الله (ان ضعفت عن) الداب في (الطاعة) لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة (واستأثرت) اي انفردت (بها الاقوياء) بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من الذمائم لوفائها وأعظم مشتهياتها (ان) فيه شائبة تعليل للنهي عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة (لله رحمة) عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف والشريف والوضيع (وأحق الناس منه) متعلق بقوله (بالرحمة الضعفاء) أي الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لابد منه واخلاصهم لله في عباداتهم فهم أقوياء في العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي اي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم انه لا عمل لهم وبما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في منامه الذي رآه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة أبي بكر وطول مدة خلافة عمر اثبت لابي بكر مع انه أفضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لمحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بئر وانه نزع منها بدلو وان أبا بكر أخذها منه فنزع بها دلوا أو دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو

ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور انما ينظر الى الاعمال والقلوب اى لا الى الاعمال فقط بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار أو ضدهما ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوى بمثال ظاهر في الوجود فقال (فبسبب الاحقية المذكورة للضعفاء (ابق في) الضعفاء المشبهين بنحو (العرج) جمع اعرج وهو من برجله ما يمنعه من استقامة المشى (عنده منقلب الذود) اى رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم كذا وقع للشارح وهو سبق قلم سرى اليه من تعبير النهاية بقوله واللفظة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم اه فتوهم ان قوله كالغنم راجع الى قوله والذود من الابل ما بين الخمس الى التسع وقيل ما بين الثلاث والعشر واللفظة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم فهذا صريح في ان التشبيه انما هو في انه لا واحد له من لفظه لا غير وعبارة القاموس وثلاثة ابعرة الى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ولا يكون الا من الاناث وهو واحد وجمع أو جمع لا واحد له او واحد جمع أذواد وقولهم الذود الى الذود ابل يدل على انها في موضع اثنين لان الاثنين الى الاثنين جمع انتهت (ففي العود تسبق العرجاء) اليه فتفوز منه بما لها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما أوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخالف تأخرك بخلاف المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي أفاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه له واذا تأخرت عن الطاعة اضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار و(لا تقل) حال كونك (حاسدا لغيرك) الذي أكثر منها اى متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه (هذا) القوى بسبب قوته (اثمرت نخله) اى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لان النخلة أفضل الشجر لانها خلقت من فضل طينة آدم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا شابهت الآدمى في كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما يخفى (ونخلى) اى أعمالى (عفاء) بالفتح اى كالتراب لا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب ضعفى لانك حينئذ تعترض على الحكيم في فعله وتخصيصه لكل منكبا بما أراده وقدره ومن ثم كان الحسد كفرا لنعمة المنعم وبأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج بحاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله

بيتى فاكلت رغيفا وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفاء اه من المختار

نوم الاكياس وفطرهم يغبنون سهر الحمقى وصيامهم ومثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من أعمال المغترين اه وقد بين في حديث الكيس والاحمق حيث قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله يغبنون اى يغلبون (قوله رب معصية الخ) وقال العارف بالله الشاذلي رضي الله عنه كل شهوة تدعوك الى الرغبة في مثلها فهي عدة الشيطان وسلاحه وكل شهوة تدعوك الى طاعة الله والرغبة في سبيل الخير فهي محمودة وكل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت فلا تعدلها أجرا وكل سيئة اثمرت خوفا وهربا الى الله ورجوعا اليه فلا تعدلها وزرا اه ومن مقام العارفين ما حكى عن الامام أبي محمد النيسابوري انه دخل المسجد مرة يعتكف في رمضان فرأى المتعبدين يجتهدون والقراء يقرؤن فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له في ذلك فقال لما رأيت تعظيمهم بعبادتهم واعتمادهم عليها دون الله لم يسعني الا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم (قوله كالتراب) فالعفاء التراب قال صفوان بن محرز اذا دخلت

لاحسد الا فى اثنتين الحديث واحذران تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الامع عمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور ربل مع رجائك اجتهد (وأت بالمستطاع من عمل البر) امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ماقيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما يقدرون عليه دون ماعداه ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ وهو أولى فقد ينتج القليل مالا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار (فكم) انه (قد يسقط الثمار) الكثيرة أو النفيسة (الاتاء) اى النخل الصغار اذا خلصت ارضه وزادربه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بمالم ينزبه القوى الناظر الى قوته ونفسه ففى كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير الاتاء بالنخل الصغار وقع فى كلام الشارح ولم يبين ضبطه اهو بفتح الهمزة أو كسرها ولا انه بالمثناة أو المثلثة ولم أر فى القاموس هذا الذى ذكره الشارح وانما الذى فيه الاتاء بالفوقية كسحاب تفسيره بما يخرج من الشجر والثمار وفى الاثاء كانا بالمثلثة تفسيره بالجارة والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة بحجر واعلم ان أفضل الاعمال وأسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى واخروى (و) حينئذ فعليك ان تكون ممن امتلأ قلبه (بحب النبى) صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغى مراجعته واذا حظيت بهذه المحبة (فابغ) أى اطلب (رضا الله فى حبه الرضا) من الله تعالى المنعم بما ليس فى الحساب (والحباء) اى العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها أعم الوسيلة فاتبعونى يحببكم الله ثم عاد الى الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والتحزن والاستغاثة بمن لا يخيب المستغيثين به فقال مؤملا انه ببركة توسله به يتخلص من فرطات ذنوبه (يا نبى الهدى) اى الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (استغاثة) بالرفع خبر مبتدا محذوف اى مسؤلى وهى نداء من يخلص من شدة أو يخفف بها والنصب مفعول مطلق اى استغيث بك استغاثة اى اناديك نداء (ملهوف) اى مضطر متحسر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه (اضرت بحاله الحوباء) اى مسكنة ذنوبه وضعف همته وذلك لانه

(يدعى الحب) لله ورسوله (وهو) اى والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال (يأمر) نفسه أو غيره (بالسوء) اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولهذا أشار الى تعميمه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال (ومن) استفهامية اى من الذى يتكفل (لى) فيه التفات (ان تصدق) منى (الرغباء) اى للعزيمة المصممة فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص أى نقص وما يكذبه أيضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يمر بباله ولا فى النوم ومن هذا حاله (اى حب يصح منه) التفات (و) الحال ان (طرفى) التفات (للكرى) اى النوم (واصل) لا ينفك النوم عنه فى وقته وليس هذا شأن المحب (وطيفك) اى خيالك (راء) اى محتجب عنى كما احتجب الراء عن واصل بن عطاء الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة فيها راء بل يرادفها أو مقاربها خشية من ان يعبر بلثغته الراء فصار هجر الشئ المستقر يمثل عندهم بهجر واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح لانه أشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكارى اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم لا تؤثر فى المحبة لانها أمر وجدانى فكيف تجد مع عدم خطور خيال المحبوب بالضمير يقظة ولا فى حالة النوم وهذا ينافى المحبة كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه فى ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك أو لغيره فقال (ليت شعرى) اى ليتنى علمت (أذاك) اى اعدم خطور طيفه بقلبى (من) أجل (عظم ذنب) وقع منى وهو الظاهر (أم حظوظ المتيمين) اى المحبين (حظاء) جمع حظوة بالكسر والضم وهى المكانة والقياس فى جمع الضم والكسر كعروة وعرى وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق اى انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل (ان يكن عظم زلتى) التى ارتكبتها (حجب رؤياك) اى رؤيا طيفك عنى فى النوم التى فقدتها (فقد عزا قلبى الدواء) اى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء بوجه لانه لا يوجد الا من جناب صلى الله عليه وسلم فان فرض انه آخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يكن لاحد غيره ان ينقذه منه ثم هذا التردد فى وجوه المحبة الذى سبق انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على مدرجة ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا لا الزوال محبته بل هى باقية ورجاؤه فى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة لحينئذ (كيف يصدا) اى يسود (سبب (الذنب) الذى ارتكبه ذلك المحب (قلب محب) لك (و) هى للعال (له) اى لقلبه متعلق بجلاء (ذكرك) مضاف للمفعول اى ذكره لك بالصلاة والسلام عليك وسؤال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى ذلك ويصح للفاعل اى ذكرك له

(قوله وأنا مواصل الكسل) هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه (قوله عظم ذنب) قال فى المختار عظم الشئ بوزن قفل أكثره ومعظمه (قوله عظم زلتى) اى ان يكن غاية عظم زلتى حجب الخ (قوله داء قلبى) اى لداء (قوله كيف يصدا بالذنب الخ) اعلم ان الناظم مع ربه بحسب تجليا ته سبحانه عليه فلا يدوم على حالة فتارة يرى الذنوب فيتحسر على ما سلف منه من ارتكابها وتارة يرى النعمة فيشكر ولا يرى لنفسه قدرا

(الجميل) العائد على الذاكر بما لم يكن فى حسابه (جلاء) والغالب على ظنه مما أشار الى التردد فيه بان فى قوله ان يكن الخ من ان سبب حجب الرؤيا عنه عظيم ذنبه صرح كما يصرح من وجد آخذ ماله أو قاتل أبيه بعد يأسه منه فقال (هذه علتى) التى قد أضحت جسمى وادهشت لبى لا غيرها (و) الحال انك (أنت طبيبى) العالم بها الماهر فى ازالتها فانك (ليس يخفى عليك فى القلب دام) وأنت لا أحد من الخلق أكرم ولا أحلم منك فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء من وصمة جميع ما هنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب (و) انما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيائى مما جنيت على نفسى لان (من الفوز) اى النجاة والظفر المثلى بجميع المطلوبات الذى لا فوز اعظم منه (ان ابثك) من بث وابث نشر واظهر (شكوى) هى الاخبار عن النفس أو الغير بسوء فعله لكن هذه انما (هى شكوى) منى لنفسى (اليك) لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح عيوبى رجاء ان تمحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان رجائى فيك واسع ومحبتى لك متزايدة (وهى) اى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المديح البديع (اقتضاء) اى طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الفرطات وانجو من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لاسيما لخادم حضرتك القانى فى محبتك كيف وقد (ضمنتها) بالبناء للمفعول اى تلك الشكوى لتقبل وتعود على بركة قبولها بما هو المقصود منها بالذات (مدائح) لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح المباين للحمد أو المرادف له أو الاعم منه أو الاخص منه أقوال مرت (مستطاب) بالرفع صفة مدائح الذى هو نائب الفاعل (فيك منها) اى من تلك الشكوى متعلقان بما قبلهما أو بعدهما ومن تبعيضية (المديح) لك (والاصغاء) من سامعها اليها لان أوصافك الكريمة زينتها فصارت بها فى غاية الكمال الذى يشنف الاسماع ويملأ عبيره أرجاء القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله تعالى يسره على فى هذه القصيدة البديعة ببركة التجائى اليك اذ (قل ما) مصدرية (حاولت) تلك الشكوى (مديحك) اى لا برازه معنى فيه لم أسبق اليه أو أسلوب من أنواعه اللائقة بك والمطلوب فيها ان تجرى على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة (الاساعدتهم اميم ودال وحاء) اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح أيضا اى ما توقف على معنى أو نوع من تلك الانواع فوجهت همتى الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى الى تأديته بغاية الالطاف وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتأتى قريحتى منه بما هو أبدع وأبلغ وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه قال المعنى قلت محاولتها مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تقل حينئذ بل تكثر اه ويلزم عليه وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى

أو شبهه وهو النهى أو الاستفهام وهو ممنوع عند أكثر النحاة ومن جوزه فى الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جائز بخلاف النفى عنهم الافرادا فانه جائز فان قلت جوز المبرد التفريغ فى موجب يلزمه نفى كل ولولا نحو ولولا القوم الا زيدا لا كرمتك وما هنا كذلك لان قل يلزمه نفى ما عدا القليل فهو نفى فى الجملة قلت ماذكره يرد بان التفريغ يدخل فى الجملة الثانية التى هى الاولى وأما الجواب الذى هو منفى فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل يفيد نفيا يشبه النفى الذى فى التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تأويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما اردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدنى مدحك على أكمل ما ينبغى ولاجل هذه المساعدة المشتملة على ما أردته من أعلى أنواع البلاغة (حق) اى ثبت واستقر (لى فيك) اى فى مدحك ما لم يكن فى حسابى وهو (ان اساجل قوما) وهم الشعراء الذين مدحوك اى أفاخرهم فأقول ما صنعته خير مما صنعتموه وأبين لهم ذلك حتى يذعنوا لى فى ذلك ويصيروا قد (سلمت منهم الدلو الدلاء) وحينئذ أفوز منك بما بلغ مما فازوا به وعبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيمة المملوءة مذكر وملء الدلو ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال كسحاب اى سجل منها على هؤلاء وأخرى على هؤلاء ذكره فى القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المستقين على بئر دلاء مختلفة ليريد كل منهم ان يظفر على دلوه قبل الآخرين شبه بهم المادحين فى تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل ان ما أبرزه خير مما أبرزه غيره فهى استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم أشار الى علة أخرى لتميزه عنهم وتسليمهم له ذلك فقال (ان لى غيرة) بالفتح على مديحك اى حمية توجب لى أن لا أحب ان غيرى يسبقنى اليه (و) الحال انه (قد زاحمتنى فى معانى) ألفاظ (مديحك الشعراء) وأرادوا ان يسبقونى فيه (و) الحال انه استحكم (لقاحى فيك) اى فى محبتك (الغلق) اى مجاوزة الحد الذى بلغ اليه أمثالى (وأنى) يكون (للسانى فى مدحك الغلواء) اى الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك ونظرك لى بما يميزنى عليهم فانى استفهامية بمعنى كيف نحو أنى يحيى هذه الله بعد موتها أو بمعنى من أين نحو انى لك هذا وترد أيضا بمعنى متى أو حيث ويحتمل الكل نحو فأتوا حرثكم انى شئتم لكن الذى اختاره أبو حيان وغيره انها فى الآية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه لا استفهامية والا لا كتفت بما بعدها كما هو شأنها ان تكتفى بما بعدها اى يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان أو فعلا ويصح كسر ان اى وانى فالياء اسمها لكن الاول ابلغ وأظهر كما لا يخفى (فبسبب صدق محبتى وشدة غيرتى ومزاحمة اقرانى لى مع ارادتهم التقدم على) (اثب خاطرا) اى قريحة لى على هذا المدح البديع بان تمدها بما يفوق به جميع مزاحميها

ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبي (يا ذا له مدحك) لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع مالم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه (علما) اى لاجل علمه (بانه) اى مديحك (اللألاء) اى افرح التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرج بالجيم فواضح أو بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلألاء البرق بمعنى لمع اى علما بان مديحك يضيء قلوب المادحين لاسيما أبلغهم حتى يأتي في مدحك بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لي في هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه (حالك) اى نسج ذلك الخاطر فيه (من صنعة القريض) اى الشعر (بردا) جمع برد وهو نوع من أنواع الثياب اليمانية فيه زينة (لك لم تحك وشيها) اى نقشها بالالوان المختلفة (صنعاء) مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشي شبه المعاني البديعة في ادهاشها للقلوب عند سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها وأثبت لها ماهو من لوازم المشبه به وهو الوشي والحوك كما أثبت للمشبه به ماهو ملايم له وهو القريض ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد (أعجز الدر نظمه) اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذي يدهش الفكر ويخطف البصر اضوئه وصفائه (فاستوت فيه) اى في العجز عنه (البدان) اى القريحتان (الصناع) بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة (والخرقاء) اى الغبية (فبسبب ماتميز به هذا النظم عن غيره (ارضه) اى اقبله يا خير من أمله المادحون ورجاه العارفون وأكرم خلق الله وأجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة مالا يدركه غيرك يا (أفصح امرئ نطق الضاد) اى بها اى يا أفصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث وخصها الان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان أحسنوه لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم أحد الى الحد الذي كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تأديتها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما أتى به وان بالغ في بلاغته لا يتأهل الى حد مدحه صلى الله عليه وسلم لان فصاحته معجزة لغيره فاي بلاغة تؤدي ما يليق به فكانه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ماجئت به وان لم يشم أدنى رائحة من روائع فصاحتك بل ولا وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتي أبذكر الآيات الخ (فبسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد (قامت) فاعله الظاء وأشار بقامت الى انها تسمى بالظاء القائمة حال كونها (تغار منها) اى الضاد (الظاء) لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية اى ارادت الظاء فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة فلم تحصل لها فغارت حينئذ ثم

(قوله أنا أفصح من نطق بالضاد) نقل الحافظ السيوطي في كتابه اللآلئ المنتثرة في الاحاديث المشتهرة عن الحافظ ابن كثير ان هذا الحديث المذكور لا أصل له فاحفظه ولا تغتر بسكوت الشارح عليه

طلبي من كرمك يا أكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها في مدحك بل للطامع في سعة حلمك وجودك (أبذكرى الآيات) في هذا النظم اى الخصائص والمعجزات التي علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق (أوفيك مدحا) لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من أحاط بمقامك وأنى ذلك لغيرك مثلي (اين مني) الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين (واين منها الوفاء) بذلك وهي محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم غير محصورة (أم) متصلة (اماري) اى أجادل (بهن) اى بذكرى تلك الآيات (قوم نبي) اى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اى لم أذكر تلك الآيات بقصد ان أوفي بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان أجادل بها أمتك ومن ظن بي واحدا منهما فهو غبي لا يفهم ولا يعقل شيأ و(ساء ما ظنه بي الاغبياء) لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريؤن منه (ولك) استئناف أو عطف على محذوف اى لك الآيات التي لا تحصى ولك (الامة) الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا اى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس (التي غبطتها) من الغبطة وهي كما مر ودّ الانسان ان له من الخير مثل غيره من غير ان يزول عنه والحسد ودّ ذلك مع سلبه عنه (بك لما) اى حيز (أتيتها) اى أرسلت اليها رسولا (الانبياء) فانهم وان كانوا من أمتك بنص واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ومر الكلام عليها لكنهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك أمتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك بها الانبياء لانها أفضل من أممهم بنص جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى ودّوا ان يكون لهم مثلهم كما صرح به موسى صلى الله عليه وسلم فيما يأتي قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب الذي هو من أحد أنواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من افراده تأمله ثم رأيت ما يدل للقياس المذكور وهو ما رواه أبو نعيم أيضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى عليه الصلاة والسلام صفات هذه الامة قال يا رب فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها امعها قال فاجعلني من أمة ذلك النبي قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال ولعل نظرك اليها (لم تخف بعدك الضلال) عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك (و) الحال ان (فينا) اعلام الهدى وهم (وارثو نورهديك) اى ما كنت عليه وأصحابك وهؤلاء هم (العلماء) الذين هم أهل السنة والجماعة وهم اتباع أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي رضي الله تعالى عنهما وذلك كما أخبرتنا به بقولك في الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك اى وهؤلاء هم أهل العلوم الشرعية والالهية من أهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة وضلالة

(قوله لغيرك) لعله لغير (قوله أجادل) اى أخاصم خصاما شديدا وما ذكره قبل من قوله حق لي فيك ان أساجل الخ ليس من قبيل الجدال كما لا يخفى بل من باب التحدث بنعمة الله عليه حيث أجرى على خاطره ولسانه ما لم يصل اليه غيره من المادحين له صلى الله عليه وسلم

دينة وبقولك أيضا العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر صححه جماعة وفي رواية زيادة تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر وفي أخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفي أخرى أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد وفي أخرى كاد حملة القرآن ان يكونوا انبياء الا انهم لا يوحى اليهم وفي أخرى من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ورواية علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان العلماء ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة والنبوة والرسالة ومنه فهب لي من لدنك وليا يرثني للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وأشار الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه الامة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم منها كما في حديث أبي نعيم ان موسى عليه السلام لما رأى مدح هذه الامة في التوراة قال يارب أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد ثم ذكر ذلك مع أوصاف أخر وكرر جوابه كذلك قال يارب فاجعلني من أمة محمد فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي الآية فقال رضيت يارب وفي رواية انه سأل ربه هل في الامم أكرم عليك من أمتي فبين ان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كفضله تعالى على سائر خلقه ومنها ان أحدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض تصح صلاتهم فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل مسجد الضرار ومجموع الصلوات الخمس والتأمين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع لخبر به رواه البزار والطبراني ومن ثم قال جمع مفسرون ان صلاة من قبلنا الا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعي مع الراكعين بصلي مع المصلين وان صفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة في يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه في الآية لاطلاق الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا في سنده مجهول ونظر الله اليهم أول توبتهم وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم آخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند لا بأس به بلفظ أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار والسحور وتأخيره وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع الى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع اثقال التكليفات التي كانت على من قبلهم كحتم القصاص حتى في الخطا وقطع الاعضاء الخاطئة ووضع النجاسة وقتل النفس في التوبة والمؤاخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم في دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي

(قوله انا نحن) تقدم ان الرواية انا معاشر بدون نحن وان رواية نحن بدون انا فرواه بالمعنى وظاهر كلامه هنا وجود رواية فيها ذكر الضميرين فحرر (قوله سائر الانبياء) اي أمم الانبياء

قول المتن قوله سائر الانبياء لعل هذا في نسخة وقعت له والا فالنسخ التي بأيدينا سائر أمم الانبياء

(قوله اقطابا) جمع قطب وهو أخص هؤلاء الطوائف ولم يرد فيه شئ فى السنة وانما ورد فيه بعض آثار (قوله وأوتادا) هم أربعة يحفظ الله بهم العالم لكل وتد من الاربعة ركن من أركان البيت وهم أخص من الابدال (قوله وابدالا كما فى أحاديث الابدال) منها قوله صلى الله عليه وسلم الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وورد انهم بالشام وورد انهم أربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان حديث الثلاثين ان كان على قلب ابراهيم كما ذكر فيه والعشرة الزائدة مع النساء الاربعين قلوبهم على قلب غيره من الانبياء وانما سموا ابدالا لان الله مكان من مات منهم غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا وقيل انما سموا ابدالا لتبدل سيئاتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الابدال بالمعنى الخاص المقتضى حصرهم فى العدد السابق ولذا قال العارف المرسى جلت فى الملكوت فرأيت أبادين معلقا بساق العرش فقلت ما مقامك قال رأس الابدال قلت فالشاذلى قال ذاك بحر لا يحاط به وقال المرسى كنت جالسا بين يدى استاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتى ٣٤٧ فلم أرهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية ومن علامات البدل انه لا يولد له واذا رحل عن موضع جعل موضعه حقيقة روحانيته فاذا جاء موضعه أحد تجسدت له تلك الحقيقة الروحانية فكلمته وكلها وهو غائب عنهم قال فى الفتوحات قوله فى الخبر على قلب ابراهيم وقوله فى خبر آخر على قلب آدم معناه انه يتقلب فى المعارف الالهية بتقلب ذلك النبى اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من رسول أو ملك يرد على قلب الولى الذى هو على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وذكروا ان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد على قلبه من الاولياء لانه لم يخلق الله قلبا مثل قلبه فقلوب الانبياء والمرسلين والملائكة بالنسبة الى قلبه كسائر الكواكب بالنسبة الى الشمس قال العارف النووى رضى الله عنه شاهدا لحق القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تجميلا للرؤية والمكالمة اه وقد سبق ان البدلاء بالشام وذلك مروى عن على بن أبى طالب وروى عنه ان النجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والخضر عليه الصلاة والسلام سيد القوم وعن الخضر ان النجباء سبعون وان النقباء عشرة وان العرفاء سبعة وان الاوتاد أربعون وتقدم نقلا عن بعضهم انهم أربعة وأذكرنا ان تبيننا لم يكن أحد من الاولياء على قلبه ولا على قدمه لما سبق منقول عن روض الرياحين لليافعى لكن رأيت فى مناقب سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه لبعض المحققين ان قلب هذا القطب وقدمه على قلب وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نقل عنه انه قال أنا على قدم جدى رسول الله ما رفع قدما الا وضعت قدمى فى الموضع الذى رفع قدمه منه الا أن يكون قدما من أقدام النبوة فانه لا سبيل الى ان يناله غير نبى اه ويمكن الجمع بان ما قاله القطب الجيلانى =

اعتقده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم أكمل من سائر الشرائع كما ان نبيهم صلى الله عليه وسلم أكمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد كان لموسى وشريعته من الجلال الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل فيها الامران فسلمت من شدة تلك ولين هذه واعتدلت فى جميع جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم فى القيامة فاقامهم مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الشهادة عليهم وكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الامم كما كمل لنبيهم عليه الصلاة والسلام ما فرقه فى الانبياء ولكتابهم ما فرقه فى الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما فى الحديث المشهور واسانيده كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفى حديث ضعيف منقطع اختلاف أصحابى لكم رحمة وفى رواية اقتضى كلام الخطابى ان لها أصلا عنده وبه رد زعم كثيرين من الائمة انه لا اصل لها اختلاف امتى رحمة للناس وان الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم لخبر به رجاله ثقاة وانهم حفظوا آثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره فى امة وان منهم اقطابا واوتادا

ونقباء ونجباء وابدالا كما جاء في احاديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول من تنشق عنهم الارض رواه ابو نعيم ويميزون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء رواه البخاري اى ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويميزون ايضا بسيما السجود في وجوههم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو بياض شديد وقال شهر بن حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود الآية وقيل هذا في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن او سمت الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من أثر السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم بين ايديهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج وصدقة ودعاء وقراءة بل وكل عبادة عند كثيرين وآية وأن ليس للانسان الا ما سعى منسوخة او في حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبراني والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا (و) بسبب ان في هذه الامة وارثي هديك الخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم من الامم (انقضت آى الانبياء) اى معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وان من كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب موسى (وآياتك) اى معجزاتك (في الناس) قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك (ما لهن انقضاء) فيه العكس نحو لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ورد العجز على الصدر اما الاول فقد مر منها جملة منها ما في كتب الله تعالى من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما جرى بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور العجيبة الموهنة للكفر ولاهله والمؤيدة لشأن العرب كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف الصارخة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته صلى الله عليه وسلم وتظليل الغمام له في سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار الى بعثته صلى الله عليه وسلم مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته عليه الصلاة والسلام واما الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كما قال (والكرامات) الواقعة (منهم) اى الناس (معجزات) اذ كل منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدى وعدمه لكنها في الحقيقة معجزات لك (حازها من والاك) اى عطاؤك وكرمك (الاولياء) لو كان القياس حازوها لكنه اظهر ليبين ان مراده بهم العائد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول لان الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولى انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض

= في غير ما تميز به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخلق من العلوم والاسرار فانه لم يصل أحد لجميع ما وصل اليه لانبي مرسل ولا ملك مقرب وكلام اليافعي على ذلك (قوله اى معجزاتك) المراد بها مطلق الخوارق أعم من أن تكون معجزة حقيقة أو ارهاصا او تأسيسا أو كرامة لقوله قبل وجودك وبعد وفاتك فان الموجود حينئذ من الخوارق لا يسمى معجزة حقيقة لعدم القرن بالتحدى وسيشير لذلك بقوله مما هو تأسيس (قوله فيه العكس) وهو ان يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر وهو في البيت انقضت وانقضاء وان كان أحدهما مثبتا والآخر منفيا وان اختلفا صورة فان الاول فعل والثاني مصدر فلا يجب ان يكون نظير الآية وهذا يقال له العكس اللفظي ولهم عكس معنوي وهو ان يأتي شاعر بمعنى ويأتي آخر بعكسه كقوله

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

فعكس ذلك المعنى آخر فقال

وربما فات بعض القوم أمرهم
مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

عن الانبياء مالك في اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفات العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المتكررة الدائمة ايضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى ايضا هذا كله مع قطع النظر الى القرآن الكريم اما بالنظر اليه وانه معجزته الكبرى ففيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى أيضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله في البدء بان جعله أول الانبياء خلقا واجابة يوم أست بربكم جعله أول من تنشق عنه الارض واول شافع وأول مشفع وأول ناظر الى ربه وأول نبي يقضى بين أمته وأولهم اجازة بامته على الصراط وداخلا الجنة وهم أول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحد كبعثه راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضاء ولواء الحمد الذي تحته آدم فمن دونه وبالسجود أمام العرش ويفتح عليه حينئذ بما لا يفتحه عليه ولا على أحد قبله ولا يفتح أيضا على أحد بعده والنداء يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله عليه وسلم عن يمين العرش الذي لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم * (تنبيه) * علم مما تقرر ان الكرامة ظهور أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به والا فهي استدراج أو سحر أو اذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى انه جاءه أعور يدعوه له فدعا له فعميت الصحيحة أيضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامي تخليصا له من فتنة ويسمى معونة وانكر جماعة محرومون كاكثر المعتزلة وان وافقهم بعض منا لكن يتعين تأويل كلامه لان جلالته تأبى ان ترضى بهذا الزيف الذي انحلوه جواز الكرامة ووقوعها وعليه قيل يمتنع كونها بقصد واختيار لدوامها الى السقوط عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست بالمعجزة وردهما الفخر الرازي رحمه الله تعالى بان المرضي تجويز خلقه على خوارق العادات في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعاء النبوة وكانه لم يرض قول جماعة منهم القشيري لا تنتهي الى احياء ميت ولا الى وجود ولد من غير أب ومن ثم رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة غير القرآن اذ لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن أدلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك بعض اتباعه اكراما له ومن أدلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وفي ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان عليه الصلاة والسلام في عرش بلقيس ونظائر ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون به سلمناه هو لا يمنع

(قوله وبالسجود الخ) اى لانه باق على وضوء غسل الموت كما قاله الجلال البلقيني أو يقال ليست تلك الدار دار تكليف فلا يتوقف السجود على وضوء وفي مسند الامام أحمد ان زمن هذه السجدة قدر جمعة من جمع الدنيا

تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر المعنوى وان كانت التفاصيل آحادا
فى كرامات الصحابة لاسيما ما وقع لعمر وعلى رضى الله تعالى عنهما وتابعيهم ومن بعدهم
الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا عجب
من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا من مشاهدة شئ منها من أنفسهم ومشايخهم وكثرة
ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقة خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك فى المعجزة على ان
الكثرة فيها لا تنافى قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على يد غير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لا يخل بقدرهم بل يزيد فى جلالة أقدارهم والرغبة فى اتباعهم حيث نالت
أممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة بركة الاقتداء بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم
وبما مر ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من هو يعلم ان الكرامة لا تشتبه
بالسحر أصلا لا تنا ننتظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط الولاية فذلك
الخارق كرامة فى حقه والا فهو سحر أو غيره مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا
كأدمى حمارا ولا يقلب طبيعة بخلاف الولى ليس فى محله بل الخلاف فيهما واحد قال جمع
يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز فى حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على
غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول الآية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه يسلك الخ
بل يعينه أن غيبه مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق النفى فى هذا الكل فرد فرد من
المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كلى ولا كل خلافا لمن وهم فيه فجعل الآية عليه باقى على
حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها أحدا من خلقه وانما غايته من أطلعه منهم أنه
أطلعه على جزئيات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد انه لا يظهر على بعض غيبه الا
الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضرورى بوقوع الكرامات للانبياء عليهم الصلاة
والسلام والاولياء يعين ان المراد من الآية غيب مخصوص اى لا يظهر على ذلك الغيب
المخصوص الا من ارتضى من رسله واما البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا يظهرهم
على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح ما حكى عن بعض الكرامية
ان الولى غير النبى قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق
رتبة النبوة وان الولى قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالى رحمه الله تعالى
وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرر أولئك فى الدين أشد وليس من
أولئك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيى ابن العربى والسراج بن
الفارض واتباعهما بحق خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغى قلمه الا ان يكون أراد بما قاله
الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم (ان) تأكيد
لقوله ما لهن انقضاء (من معجزاتك) الباهرة (العجز) من سائر الناس (عن وصفك) مفرد
مضاف فهو للعموم اى عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصك الله بها (اذ
لا يحده) اى الوصف المذكور (الاحصاء) اى العد (كيف يستوعب الكلام) الصادر

(قوله الكرامية) بفتح الكاف وتخفيف الراء نسبة الى محمد بن كرام على زنة قطام (قوله وعن بعض المتصوفة) اى الناسبين أنفسهم للتصوف وليسوا من أهله فانه لم يقع لاحد من أهله انهم نصبوا خلافا بين مطلق النبوة والرسالة وان نصبوه بين ولاية الرسول ورسالته فقال المحقق ابن العربى فى فتوحاته ان ولايته أكمل من رسالته لشرف المتعلق فان ولايته متعلقة بالله وحده ورسالته متعلقة بالخلق (قوله وليس من أولئك الخ) أشار بذلك للرد على ابن تيمية حيث جعلهما منهم حاشاهما وبئس من نسبهما الى ادنى ضلالة رضى الله عنهما ونفعنا بهما

من واصفيك (سجاياك) أى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة أقصى ما يمكن البشر الرقى اليه وهى لاحدلها باعتبار أنك لا تزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى ما لانهاية له ولا انقضاء (وهل تنزح البحار) المشبهة أوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى فى امداده (الركاء) المشبهة بها الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح اذ أوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من أول الزمان الخ لا تحد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا أنه (ليس من غاية لوصفك) اى أوصافك توجد حتى انى (ابغيها) اى أطلبها (وللقول) اى منى (غاية) لما تقرر أن ذلك الترقى لا نهاية له اذ لا مطمع فى الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود متناه وبهذا أعنى قولى منى أولا ومنه ثانيا ما تقرر يندفع ما أشار اليه الشارح من اشكال فى ذلك (وانتهاء) تأكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتبارى ومما يزيده بيانا وايضاحا أيضا أن تقول (انما فضلك) اى فضائلك (الزمان) اى يشبهه من حيث الاجمال فيهما وأما بالنسبة الى التفصيل فجزئيات كل جزئيات الآخر (وآياتك) اى معجزاتك وخصائصك (فيما بعده) وتحسبه (الاناء) جمع انى كمعى وامعاء كذا ذكره الشارح والذى فى القاموس والانى ويكسر والانو بالكسر الوقت والساعة من الليل أو ساعة ما منه والانى كالى وعلى كل النهار اه والمراد هنا مطلق الساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا * ولا تظن أنى بالتى فى هذه القصيدة معددا أوصافه صلى الله عليه وسلم أخالف ما قدمته أنها لا تعد لانى (لم أطل فى تعداد مدحك) فيها (نطقى و) الحال ان (مرادى بذلك استقصاء) اى حصر لاوصافك وانما مرادى بذلك برد الغليل وشفاء العليل كما أفاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء الذى هو منقطع هنا (غير أنى) لم أرد الحصر الكنى (ظمآن وجد) اى بى من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظمأ والتعطش للارتواء من سماعها (وما) اى ليس يحصل (لى بقليل من) الماء الذى أشربه حال (الورود) منه (ارتواء) مما بى من العطش فاطالتى فى التعداد لطلب مزيد الارتواء من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتلك الآيات وذكر أفضل الصفات بظمأ شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء (فبسبب حصول الارتواء لى من تلك الاطالة اخفيها عما هو المتعين من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول (سلام) عظيم شريف اى سلامة من كل آفة ونقص كائنة (عليك تترى) اى يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى القاموس ترى يترى كرمى تراخى وأترى عمل أعمالا متواترة بين كل

(قوله فانه محدود الخ) اى لانه مركب من الحروف المتناهية والمركب من المتناهى متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى (قوله ما أشار اليه الشارح) عبارة الشارح رحمه الله تعالى ثم ذكر شيأ من معجزاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو يعجز الواصفين عن استيعاب ما فيه من الفضائل والفواضل اذ هى لسعة الامداد لا يحصرها الضبط بالاعداد ثم استدل على ذلك بانها لا تتناهى لانها فضل من الله ومواهب وفضله ومواهبه لا غاية لها ولا انتهاء والقول متناه لانه مركب من الحروف المتناهية فهو متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى وفى هذا الدليل كلام ليس هذا موضع ذكره اه فتأمله مع ما ذكره الشارح (قوله مصرحة) اى وتبعية لجريانها فى المشتق وهو ظمآن بعد جريانها فى المصدر وهو الظمأ (قوله اى سلامة الخ) هذا بيان لاصل معنى السلام والمراد هنا زيادة التعظيم لان سلامته مما ذكر حاصلة له فلا معنى لطلبها ولا سيما بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء تأمل

عملين فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ماذكرا لا أن يجاب بانه أراد أصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ما هو أخص أو أعم منه للضرورة مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص أو العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله (من الله وتبقى به) أى بسببه على ممر الازمنة الى فنائها وما بعد ذلك مما لا منتهى لا آخره (لك البأواء) أى الفخر لان تسليم أمتك عليك مع التكرار والدوام زيادة فى شرفك وفخرك (و) انما ذكرت سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى أشرفيته وسلامك ثانيا لانك فى الحقيقة لا يكافئك من سلام الخلق غير سلامك على نفسك فحينئذ (سلام عليك منك فما) اى ليس (غيرك) من المخلوقين (منه) متعلق بالسلام (لك) متعلق بكفاء ولك بمعنى عليك (السلام كفاء) اى مكافئ لحضرتك من المكافأة وهى المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل أحد السلام عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال (وسلام) عليك (من كل ما خلق الله) من كل ناطق وجامد وفى نسخة من خلق فالاولى غلبت غير العاقل للكثرة والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض وانما جئت بهذا العموم (لتحيا بذكرك الاملاء) جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سائر وجوه السلامة فيه وفى شريعته وأمته وجميع آثاره ولاجل هذا العموم الذى يوجد فى السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكروا كما ذكرته فى كتابى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم الذى لم يصنف فى هذا الباب مثله فى ايثار الزائر للسلام وتكرره دون الصلاة ما يؤخذ منه ما ذكرته فتأمله (وصلاة) وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اى من الله تعالى ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام (كالمسك) فى الطيب والنفع البالغ (تحمله) اى ذلك المسك الذى هو عين صلاتى (منى شمال) وهى التى تهب من جهة القطب الى المغرب (اليك) حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيا الارواح بنشره ومسيره (أو نكباء) وهى الصبا وتهب من مهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب وهى التى تهب من مهيل الى المغرب والدبور وهى التى تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهى حارة يابسة أو من ورائها فالدبور وهى باردة رطبة أو من يمينها فالجنوب وهى حارة رطبة أو من شمالها فالشمال وهى باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدأ بها الناظم * (تنبيه) * تفسير النكباء بما ذكر وقع فى كلام بعضهم وعبارة القاموس والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين وهو بسط عبارته فى ذلك فى شرح قول الناظم فكأن الصبا لديك الرخاء وعبارة كفاية المتحفظ الرياح أربع

(قوله وسلام عليك منك) اى أطاب من الله ان يجرى على لسانك سلاما عليك لاتشابك بانه غد يطلب تقديمه على الصلاة عند القدوم على قبره الشريف للزيارة فانه حينئذ أفضل من الصلاة كما سبق (قوله خصه بالذكر) كان الاولى قدمه على الصلاة والافهو لم يخصه بذلك بل قرنه مع الصلاة (قوله هو عين صلاتى) تأمله فان المشبه غير المشبه به نعم قالوا فى الاستعارة ان المشبه عين المشبه به ادعاء

الصبا والدبور والشمال والجنوب فالصبا هي الريح الشرقية ويقال لها القبول وهي تهب من مشرق الاستواء وهو مطلع الشمس في زمن الاعتدال والدبور تقابلها وهي الغربية لانها تهب من مغرب الشمس والشمال وهي الريح الشامية وتسمى الجربياء وهي تهب من ناحية القطب والجنوب وهي الريح اليمانية وتسمى النعامى والازيب وهي تهب من ناحية منهيل وكل ريح انحرفت عن مهاب هذه الرياح الاربع ووقعت بين ريحين منها فهي نكباء وجمعها نكب اه المقصود منه وبه يعلم ما في تفسير النكباء بالصبا وهو وان صح تجوزا لكن لا حاجة اليه مع ايهامه انه وضع حقيقي لها (وسلام على ضريحك) اى قبرك المكرم وهو أفضل حتى من الكعبة بل ومن العرش ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التي ضمت أعضاءه الشريفة لم يكن في افراده السلام هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر (تخضل) بمعجمتين اى تبتل (به منه) اى القبر المكرم (تربة وعساء) اى لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ في النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكر تخضل (وثناء) في هذه القصيدة (قدمته) * (بين يدي نجواى) اى سؤالي منك بلوغ المأمول الواقع في هذه القصيدة بقولي جد لعاصي الخ وفي غيرها (اذ) اى لاجل أني (لم يكن لدي) اى عندي (ثراء) بالمثلثة اى مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية وجاء انه لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم الصدقة بين يدي النجوى غير علي كرم الله وجهه ورضي عنه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدي زيارته صلى الله عليه وسلم صدقة والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه أنه كان يعتقد بقاء الندب فاعتذر انه لا مال له يتصدق به بين يدي سؤاله وانه جعل حسن توسله وثناءه بدل المال الذي يتصدق به * (تنبيه) * تفسيري لدي بعندي لانهما مثلها في أكثر أحكامها من كونهما ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب الحسيين والمعنويين نحو عندي مليك مقتدر عندربهم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي ولا تستعمل الا ظرفا وغير ذلك فلا ينافي ذلك انهما قد تفارقها في كثرة جر عند بمن خاصة وامتناع جر لدى مطلقا وفي أن عند تكون ظرفا للاعيان والمعاني وتستعمل في الحاضر والغائب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدى لدن في أن ذينك يصلحان في ابتداء غاية وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ولدينا كتاب ينطق بالحق ولدينا مزيد ونحوه ويعربان بخلاف فيهما في لغة الاكثرين وجر لدن أكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد تضاف للجملة بخلاف هما قال الراغب لدن أخص من عند وأبلغ لانها تدل على ابتداء الفعل (ما) مصدرية ظرفية (اقام الصلاة) اللغوية أو الشرعية (من عبد الله) وأبد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا لا نسلم انقطاعه لان أهل الجنة يدعون ويتعبدون

(قوله مصرحة) لعله مكنية لذكر المشبه وحذف المشبه به ولذا قال وخيل اذ التخييلية انما هي للمكنية تأمل (قوله مع انقطاعه الخ) اى ان خصصناه بغير أهل الجنة والا فلا انقطاع كما سبق له قريبا وهذا آخر ما من به الملك الوهاب واليه سبحانه وتعالى المرجع والمآب نسأله من فضله ان يجعلها هداية نافعة لكل قلب منيب كاشفة ظلمات الاوهام عن كل صب مصيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين حقيقة الصلوات وروح الكلمات محمد جامع الاجمال الذاتي القرآني حاوي التفصيل الصفاتي الفرقاني وعلى آله وأصحابه وازواجه واحبابه * قال جامعها حفظه الله وكان الفراغ من تعليقها يوم الاربعاء غرة شهر شعبان سنة سبعين ومائة والف من هجرة اشرف المرسلين عليه افضل الصلاة والسلام وأسأل الله من فضله حسن الختام ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كما علم من أحاديث اقرأ وارق وغيرها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا يضر في ذلك التأييد انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح أيضا لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء أن الله قبيل قيامها يرسل ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا مات ثم تتمحض الكفرة فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ثم تقوم الساعة (و) ما (قامت) اى بقيت على أبلغ نظام واتقن احكام (بربها) اى بايجاده وامداده (الاشياء) اى الموجودات في الدنيا والآخرة وأبدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما مر وللتبرك بذكر المتعبدين آخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب سبحانه وتعالى الى استفتاح أبواب تربيته واستمناح سوانح لطفه وهدايته جعلنا الله تعالى ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه واسعاده وآمننا من كل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا بكل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك افضل صلاة وافضل سلام وافضل بركة على افضل الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد معلوماتك وعلينا معهم كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون قال مؤلفه رحمه الله تعالى وافق الفراغ منه قرب نصف ليلة الجمعة ثاني جمادى الاولى سنة ست وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقي ابراهيم عبد الغفار الدسوقي خادم التصحيح بدار الطباعة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة تم بعون باري البشر طبع شرح الامام ابن حجر على القصيدة البهية المسماة بالهمزية في مدح خير البرية موشى الحواشي والطرر بدرر عبارات حاشية العلامة الحنفي الغرر على ذمة المكرم الامثل المحترم المبجل الراجي من مولاه التوفيق الى ما ينجي حضرة سيدي علي افندي القلنجي بالمطبعة العامرة الزاهية

الزاهره المتوفره دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت بثنائه
الاندیه واخضرت بین طلعته الادیه سید ولاة الانام بهجة اللیالی والایام رب
الآثار الشهیره والمآثر الجمة الغزیره صاحب الهمم القیصریه والمفاخر الکسرویه
من اجتمعت القلوب علی ودہ وأجمعت الملوك علی أنه البدر فی أوج سعده الراقی بهممه
الی کل مقام معتلی جناب اسمعیل بن ابراهیم بن محمد علی لازالت الایام مضیئة
بطلعة وجوده وأهالی وادیه منتعشة بکرمه وجوده ولا برح ممتنعا بوجود انجاله
الکرام وأشباله العظام الفخام وکان طبعه مشمولا بادارة من خاطبته المعالی بایاك
اعنی سعادة حسین بك حسنی ونظارة وکیله القائم مقامه فی سلوك سبیله من
علیه احاسن اخلاقه تقفی حضرة محمد أفندی حسنی وملاحظة ذی
القدر المجد حضرة ابی العینین افندی احمد وقد وافق
تمام تمثیله وکمال تشکیله اواسط ثانی الربیعین
من سنة الف ومائتین واثنتین وتسعین من
هجرة خاتم المرسلین صلی الله وسلم
علیه وکل منتسب الیه
مالاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام
تم